

دار الكتب السلطانية

كتاب

صحيح الأسيوطي

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثالث عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٧ هـ
١٩١٨ م

المقالة السادسة

صفحة

- فيما يكتب في الوصايا الدينية ، والمساحات ، والاطلاقات السلطانية
والطرخانيات ، وتحويل السنين والتذاكر ، وفيها أربعة أبواب ٢
- الباب الأول — في الوصايا الدينية ، وفيه فصلان ٢
- الفصل الأول — فيما يقدماء الكتاب من ذلك ٢
- » الثاني — فيما يكتب من ذلك في زماننا ، وهو على ضربين ١١
- الضرب الأول — ما يكتب عن الأبواب السلطانية ١٢
- » الثاني — ما يكتب عن ثواب السلطنة بالممالك ١٣
- الباب الثاني — فيما يكتب في المساحات والاطلاقات ،
وفيها فصلان ٢٣
- الفصل الأول — فيما يكتب في المساحات ، وهي على ضربين ... ٢٣
- الضرب الأول — ما يكتب من الأبواب السلطانية ، وهو على مرتبتين ٢٣
- المرتبة الأولى — المساحات العظام ٢٣
- » الثانية — من المساحات أن تكتب في قطع العادة الخ ... ٣٨
- الضرب الثاني — ما يكتب عن ثواب السلطنة بالممالك الشامية ٣٩
- الفصل الثاني — فيما يكتب من الاطلاقات ، وفيه طرفان ... ٤١
- الطرف الأول — فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على
ثلاث مراتب ٤١
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع الثلث مفتحا بـ «الحمد لله» ... ٤١
- » الثانية — ما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» ٤٤
- » الثالثة — مما يكتب به في الاطلاقات أن يكتب في قطع
العادة مفتحا بـ «رسم بالأمر الشريف» ٤٦

صفحة

الباب الثالث — في الطرخانيات، وفيه فصلان ... ٤٨

الفصل الأول — في طرخانيات أرباب السيوف، وهي على ثلاث

مراتب (لم يذكر إلا مرتبتين) ... ٤٨

المرتبة الأولى — أن يفتح المرسوم المكتب في ذلك بـ «الحمد لله» ٤٨

» الثانية — أن يفتح مرسوم الطرخانيات بـ «أما بعد» ... ٥١

الفصل الثاني — فيما يكتب في طرخانيات أرباب الأقلام ... ٥٢

الباب الرابع — فيما يكتب في التوفيق بين السنين الشمسية
والقمرية المعبر عنه في زماننا بتحويل السنين

وما يكتب في التذاكر، وفيه فصلان ... ٥٤

الفصل الأول — فيما يكتب في التوفيق بين السنين، وفيه طرفان ٥٤

الطرف الأول — في بيان أصل ذلك ... ٥٤

» الثاني — في صورة ما يكتب في تحويل السنين، وهو على

نوعين (لم يذكر إلا نوعاً واحداً) ... ٦٣

النوع الأول — ما كان يكتب في ذلك عن الخلفاء، وفيه

مذهبان ... ٦٣

المذهب الأول — أن يفتح ما يكتب بـ «أما بعد» ... ٦٣

» الثاني — مما كان يكتب عن الخلفاء في تحويل السنين

أن يفتح ما يكتب بلفظ «من فلان أمير المؤمنين

إلى أهل الدولة» ونحو ذلك، وفيه ضربان ... ٧١

الضرب الأول — ما كان يكتب في الدولة الأيوبية ... ٧١

» الثاني — ما يكتب به في زماننا ... ٧٤

صفحة

- الفصل الثانى - فيما يكتب فى التذاكر [وفيه ثلاثة أضرب]
 (ولم يذكر الضرب الأول) ٧٩
 الضرب الثانى - ما كان يكتب لتواب السلطنة بالديار المصرية
 عند سفر السلطان عن الديار المصرية ... ٩١
 » الثالث - ما كان يكتب لتواب القلاع وولاتها : إما عند
 استقرار النائب بها وإما فى خلال نيابته ... ٩٩

المقالة السابعة

- فى الاقطاعات والقطائع ، وفيها بابان ١٠٤
 الباب الأول - فى ذكر مقدمات الاقطاعات ، وفيه فصلان ... ١٠٤
 الفصل الأول - فى ذكر مقدمات تتعلق بالاقطاعات ،
 وفيه ثلاثة أطراف ١٠٤
 الطرف الأول - فى بيان معنى الاقطاعات وأصلها فى الشرع ... ١٠٤
 » الثانى - فى بيان أول من وضع ديوان الجيش وكيفية
 ترتيب منازل الجند فيه والمساواة والمفاضلة
 فى الاعطاء ١٠٦
 » الثالث - فى بيان من يستحق إثباته فى الديوان وكيفية
 ترتيبهم فيه ١١٠
 الفصل الثانى - فى بيان حكم الاقطاع ، وهو على ضربين ... ١١٣
 الضرب الأول - إقطاع التملك ١١٣
 » الثانى - إقطاع الاستغلال ١١٥
 الباب الثانى - فيما يكتب فى الاقطاعات فى القديم والحديث ،
 وفيه فصلان ١١٨

صفحة

- الفصل الأول — في أصل ذلك ١١٨
- » الثاني — في صورة ما يكتب في الاقطاعات، وفيه طرفان ١٢٣
- الطرف الأول — فيما كان يكتب من ذلك في الزمن القديم ، وهو على ضربين ١٢٣
- الضرب الأول — ما كان يكتب عن الخلفاء ، ولهم فيه طريقتان ١٢٣
- الطريقة الأولى — طريقة كتاب الخلفاء العباسيين ببغداد ... ١٢٣
- » الثانية — ما كان يكتب في الاقطاعات عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية ١٣١
- الضرب الثاني — مما كان يكتب في الاقطاعات في الزمن المتقدم ما كان يكتب عن ملوك الشرق القائمين على خلفاء بني العباس ، وفيه طريقتان ... ١٣٩
- الطريقة الأولى — أن يكتب في الابتداء « هذا كتاب » كما كان يكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ... ١٣٩
- » الثانية — ما كان يكتب عن الملوك الأيوبية بالديار المصرية ، ولهم فيه أساليب ١٤٤
- الأسلوب الأول — أن يفتح التوقيع المكتتب بالاقطاع بخطبة مفتحة بـ « الحمد لله » ١٤٤
- » الثاني — أن يفتح التوقيع بلفظ « أما بعد فان كذا » ... ١٤٨
- » الثالث — أن يفتح التوقيع بما فيه معنى الشجاعة والقتال ، وما في معنى ذلك ١٥٠
- الطرف الثاني — ما يكتب في الاقطاعات في زماننا ، وهو على ضربين ١٥٣

صفحة

- الضرب الأول — ما يكتب قبل أن ينقل إلى ديوان الإنشاء ،
 وفيه جملتان ١٥٣
- الجملة الأولى — في ابتداء ما يكتب في ذلك من ديوان الجيش ١٥٣
- » الثانية — في صورة ما يكتب في المربعة الجيشية ... ١٥٤
- الضرب الثاني — فيما يكتب في الاقطاعات من ديوان الإنشاء ،
 وفيه خمس جمل ١٥٧
- الجملة الأولى — في ذكر أسم ما يكتب في الاقطاعات من ديوان
 الإنشاء ١٥٧
- » الثانية — في بيان أصناف المناشير، وما يخص كل صنف
 منها من مقادير قطع الورق ١٥٨
- » الثالثة — في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطرة والمنت ١٥٩
- » الرابعة — في الطغرى التي تكون بين الطرة المكتبة في أعلى
 المنشور وبين البسملة ١٦٢
- » الخامسة — في ذكر طرف من نسخ المناشير التي تكتب
 في الاقطاعات في زماننا، وهي على ثلاثة أنواع ١٦٧
- النوع الأول — ما يفتح بـ «الحمد لله» وهو على ثلاثة أضرب ... ١٦٧
- الضرب الأول — مناشير أولاد الملوك ١٦٧
- » الثاني — » الأمراء مقدمي الألواف ١٦٩
- » الثالث — » أمراء الطليخاناه ١٨٤
- النوع الثاني — من المناشير ما يفتح بـ «أما بعد» وهو على ضربين ١٩٠
- الضرب الأول — في مناشير العشرات كائنا ذلك الأمير من كان ... ١٩٠
- » الثاني — » أولاد الأمراء ١٩٣
- النوع الثالث — من المناشير ما يفتح بـ «خرج الأمر الشريف» ١٩٨

المقالة الثامنة

صفحة

- ٢٠٠ ... في الإيمان ، وفيها بابان ...
- الباب الأول - في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض
- ٢٠٠ ... في الإيمان ، وفيه فصلان ...
- ٢٠٠ ... الفصل الأول - فيما يقع به القسم ، وفيه طرفان ...
- الطرف الأول - في الأقسام التي أقسم بها الله تعالى في كتابه
- المزينة ...
- ٢٠٣ ... » الثاني - في الأقسام التي تقسم بها الخلق ، وهي على ضربين
- الضرب الأول - ما كان يُقسم به في الجاهلية ...
- ٢٠٥ ... » الثاني - الأقسام الشرعية
- الفصل الثاني - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين والتحذير
- من الحنث والوقوع في اليمين الغموس ،
- ٢٠٨ ... وفيه طرفان
- الطرف الأول - في بيان معنى اليمين الغموس ولغو اليمين ...
- ٢٠٩ ... » الثاني - في التحذير من الوقوع في ايمين الغموس ...
- ٢١١ ... الباب الثاني - في نسخ الإيمان الملوكة ، وفيه فصلان ...
- الفصل الأول - في نسخ الإيمان المتمثلة بالخلفاء ، وهي
- على نوعين ...
- النوع الأول - في الأيمان التي يُحلف بها على يعة الخليفة
- عند مبايعته ...
- ٢١١ ... » الثاني - الإيمان التي يحلف بها الخلفاء (ووقع سهواً :
- الضرب الثاني الخ) ...

صفحة

الفصل الثانى - فى نسخ الأيمان المتعلقة بالملوك، وفيه خمسة	
مهاج (لم يذكر المهيع الخامس)	٢١٦
المهيع الأول - فى بيان الأيمان التى يُحلف بها المسمون،	
وهى على نوعين	٢١٦
النوع الأول - أيمان أهل السنة	٢١٦
» الثانى - أيمان أهل البدع، وهم ثلاث طوائف ...	٢٢٢
الطائفة الأولى - الخوارج	٢٢٢
» الثانية - الشيعة، وهم خمس فرق	٢٢٦
الفرقة الأولى - الزيدية	٢٢٧
» الثانية - الإمامية	٢٢٩
» الثالثة - الاسماعيلية	٢٣٥
» الرابعة - الدرزية	٢٤٨
» الخامسة - النصيرية	٢٤٩
الطائفة الثالثة - القدرية	٢٥١
المهيع الثانى - فى الأيمان التى يحلف بها أهل الكفر،	
وهى على ضربين	٢٥٣
الضرب الأول - من زعم منهم التمسك بشريعة نبي من الأنبياء،	
وهى أصحاب ثلاث ملل	٢٥٣
الملل الأولى - اليهود، وهم طائفتان	٢٥٣
الطائفة الأولى - المتفق على يهوديتهم، وهم القراؤون	٢٥٦
» الثانية - من اليهود السامرة	٢٦٨

صفحة

- الملة الثانية - النصرانية (وقع سهوا : الفرقة الثالثة الخ) ... ٢٧١
- الفرقة الأولى - الملكانية ... ٢٧٦
- » الثانية - يعقوبية ... ٢٧٨
- » الثالثة - النسطورية ... ٢٨٠
- الملة الثالثة - المجوسية ، وهم ثلاث فرق ... ٢٩٢
- الفرقة الأولى - الكيومرتية ... ٢٩٢
- » اثنانية - الثنوية ... ٢٩٢
- » الثالثة - الزرادشتية ... ٢٩٣
- المهييع الثالث - في الإيمان التي يُحَلِّف بها الحكماء ، وهم على ثلاثة أصناف ... ٢٩٨
- الصنف الأول - البراهمة ... ٢٩٨
- » الثاني - حكاء العرب ... ٢٩٩
- » الثالث - حكاء الروم ، وهم على ضريين ... ٢٩٩
- الضرب الأول - القدماء منهم ... ٢٩٩
- » الثاني - المتأخرون منهم ، وهم أصحاب أرسطاطاليس ... ٢٩٩
- المهييع الرابع - في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ، وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف مما يناسب وظيفته ... ٣٠٧
- » الخامس - في صورة كتابة نسخ الإيمان التي يُحَلِّف بها ، وهي على ضريين ... ٣١٩
- الضرب الأول - الإيمان التي يُحَلِّف بها الأمراء في الديار المصرية ... ٣١٩
- » الثاني - الإيمان التي يُحَلِّف بها تواب السلطنة والأمراء بالمالك الشامية ، وما أنضم إليها ... ٣٢٠

المقالة التاسعة

- منه
 ٣٢١ ... في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب ..
 الباب الأول — في الأمانات، وفيه فصلان... .. ٣٢١
 الفصل الأول — في عقد الأمان لأهل الكفر، وفيه طرفان ... ٣٢١
 الطرف الأول — في ذكر أصله وشرطه وحكمه ٣٢١
 » الثاني — في صورة ما يكتب فيه... .. ٣٢٢
 الفصل الثاني — في كتابة الأمانات لأهل الإسلام، وفيه طرفان ٣٢٩
 الطرف الأول — في أصله ٣٢٩
 » الثاني — فيما يكتب في الأمانات، وفيه مذهبان ... ٣٣٠
 المذهب الأول — أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا كتاب أمان الخ»
 وهو على نوعين... .. ٣٣٠
 النوع الأول — ما يكتب عن الخلفاء، وفيه مذهبان... .. ٣٣١
 المذهب الأول — أن يفتح الأمان بلفظ: «هذا» ... ٣٣١
 » الثاني — أن يفتح الأمان بخطبة مفتوحة بالحمد ... ٣٣٢
 النوع الثاني — ما يكتب به عن الملوك، وهو على ضربين ... ٣٣٦
 الضرب الأول — ما يكتب من هذا النمط مما كان يصدر عن
 وزراء الخلفاء والملوك المتغلبين على الأمر معهم،
 ولهم فيه أسلوبيان ٣٣٦
 الأسلوب الأول — أن يصدر بالتماس المستامن الأمان ... ٣٣٦
 » الثاني — ألا يتعرض في الأمان لالتماس المستامن
 الأمان... .. ٣٣٩

- صفحة
- المذهب الثانى — مما يكتب به فى الأمانات لأهل الإسلام
- ٣٣٩ ... أن يفتح الأمان بلفظ: «رسم» ...
- الضرب الثانى — من الأمانات التى تكتب لأهل الإسلام ما عليه
- ٣٤٢ ... مصطلح زماننا، وهى صفتان ...
- ٣٤٢ ... الصف الأول — ما يكتب من الأبواب السلطانية ...
- » الثانى — من الأمانات الجارى عليها مصطلح كتاب
- ٣٥٠ ... الزمان — ما يكتب عن ثواب الممالك الشامية ...
- الباب الثانى — من المقالة التاسعة فى الدفن (دفن الذنوب)،
- ٣٥٢ ... وفيه فصلان ...
- الفصل الأول — فى أصله وكونه مأخوذاً عن العرب ...
- ٣٥٣ ... الثانى — فيما يكتب فى الدفن عن الملوك ...
- الباب الثالث — فيما يكتب فى عقد النمة، وفيه فصلان ...
- ٣٥٦ ... الفصل الأول — فى الأصول التى يرجع إليها هذا العقد،
- ٣٥٦ ... وفيه طرفان ...
- الطرف الأول — فى بيان رتبة هذا العقد، ومعناه وأصله من
- ٣٥٦ ... الكتاب والسنة ...
- » الثانى — فى ذكر ما يحتاج الكاتب إلى معرفته فى عقد النمة
- ٣٦٠ ... الفصل الثانى — ما يكتب فى متعلقات أهل النمة عند خروجهم
- ٣٦٦ ... عن لوازم عقد النمة ...

دار الكتب السلطانية

كتاب

صبح الأسي

نالت

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثالث عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٧ هـ
١٩١٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المقالة السادسة

فيما يُكْتَبُ في [الوصايا الدينية^(١)] والمساحات، والإطلاقات السلطانية والطَرَخانيات، وتحويل السنين والتذاكر؛ وفيها أربعة أبواب

الباب الأول

في الوصايا الدينية، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما لُقِّدَ المَاءُ الكُتَابُ من ذلك

اعلم أنه كان لقدماء الكُتَّابِ بذلك عنايةٌ عظيمةٌ بحسب ما كان للوك: من الإقبال على معالم الدين، ومن أكثرهم عنايةً بذلك أهل الغرب: لم يزالوا يكتبون بمثل ذلك إلى نواحي ممالكهم، ويُقرأ على منابرهم؛ ولم في ذلك الباع الطويل والهمة الوافرة. وهذه نسخة من ذلك كتب بها أبو زيد الداراري: أحد كُتَّابِ الأندلس عن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين المنصور: أحد خلفاء بني أُمَيَّةَ بالأندلس، وهي:

(١) الزيادة من ج ١ ص ٢٦ من هذا الطبع.

(٢) ليس في خلفاء بني أُمَيَّةَ بالأندلس من اسمه المنصور، وإنما المنصور هو ابن أبي عامر كان تغلب على هشام بن الحكم الأموي واستبدَّ بالأمر وتغلب من بعده آبنه المظفر ثم أخوه المظفر عبد الرحمن الملقب بالناصر لدين الله، ثم انقرضت دولتهم وعادت الدولة إلى بني أُمَيَّةَ فخلع هشام هذا ويبيع آبنه محمد الملقب بالمهدي. انظر "فتح الطيب" ج ١ و"المبر" ج ٤ و"صبح الأعشى" ج ٥ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ من هذا الطبع.

الحمد لله الذى جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصليين يستفزع عنهما مصالح الدنيا والدين ، وأمر بالمعروف والإحسان إرشاداً إلى الحق المبين ، والصلاة على سيدنا محمد الكريم المبتعث بالشرعة التى طهرت القلوب من الأدران وأستخدمت بواطن القلوب وظواهر الأبدان طَوَّراً بالشَّدة وتارة باللين ، القائل (ولا عدولَ عن قوله عليه السلام) «مَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ» تنبيها على ترك الشك لليقين ، وعلى آله الكرام أعلام الإسلام المتلقين راية الأهداء فى إظهار السنن وإيضاح السنن باليمن ، الذين مكَّنهم الله تعالى فى الأرض فأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرُوا بالمعروف ونهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ : وفاءً بالواجب لذلك التمكن .

والرضا عن الأئمة المظهرين للدين المتين ، البالغين بالبلاد والعباد نشرًا للعقل وإتمامًا للفضل إلى أقصى غاية التمجيد والتأمين ، رضى الله عنهم أجمعين ! وعن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين ! .

وإنا كتبناه لكم - كتب الله لكم أتباعاً إلى ما ينهى من المصالح إليكم ، واستماعة إلى ما ينهى من الموانع عليكم - من حضرة إسميلية - كَلَّاهَا اللهُ - .

والذى نوصيكم به تقوى الله تعالى والعمل بطاعته والاستعانة به والتوكل عليه ، وأن تملأوا أناة لم تقم هذا المقام الذى حفظ الله به نظام الحق من انتقاره ، وأمدنا بعونه الجليل على إحياء الدين وإفاضة أنواره ، إلا لنستوفى كل نظر يعود على الأمة باستقامة أنوارها وأولآها ، ونهيب بها إلى استمى رتب السعادة وأعلاها ، ونوقظ بصارتها بنافع الذكرى من كراهها . فليتنا لها بحكم ما تقلدناه من إمامتها ، وتعلمناه من أماتها ، أن تتقوها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وترشدنا إلى النتائج الواضحة والسبل البينة ، ونفضى على خاصتها وعامتها ظل النعمة والأمنة ؛ وإذا كنا نوقها تمهيداً دنياها ،

وعني بحماية أفضاها وأذناها ، فالذين أمُّ وأولى ، والتهم باحياء شرائعه وإقامة شعائره أحق أن يُقْتَم وأحرى . وعلينا أن نأخذ بحسب ماأمُر به ونَدَع ، ونَتَّبِع السنن المشروعة ونَذَر البدع . ولما أن لا نَدَّخِرَ عنها نصيبه ، ولا نُفْهِمَ إرادته من الأدواء مُرِيحَه . ولنا [عليها] أن تُطِيع وتَسْمَعَ ، وقد علم الله أنا لم نتحمل أمانة الإسلام ، لنستكثر من الدنيا وزُخُفِها ، ولم نتصد لهذا المقام ، لنستأثر بنعيمها وَزَوْرِها ، وإنما كان قصدنا قبل وبعد إقامة الكافة في أوثر قرأها وأوطل كَتَفِها ، وبحسب هذه النية التي طابَقها العمل ، ولم يتعدّها الأمل ، نيلت من الخيرات نهايات ، كانت الحواطِرُ تستعِدّ متالها ، وتيسر إرادات ، كانت الأُمّة منذُ زمانٍ لم ترمِتْها ، وساعدت العناية الربانية فلم تُؤنِ مقصوداً جليلاً ، ولا متناً جزيلاً .

والى هذا - أدام الله كرامتكم - فإنا لم نزل مع طول المباشرة للأحوال كلها ، وتردّد المشاهدة لعقد الأمور وحالها ، تَقِفُ وقوف التأمل على جُزئيات الأمور وكلياتها ، ولا يَغيبُ عن تصفّحنا وتعرّفنا شيء من مصالح الجهات وكيفياتها ، ولم نَمُزْ بمائل إلا تولّينا إقامته ، وأعدنا إليه اعتداله واستقامته ، ولا آتينا إلى صواب قول أو عمل إلا شدنا مَبْنَاهُ ، وأظهرنا لفظه ومعناه .

والآن حين استوفينا إشرافنا على البلاد قاطبة ، ولزمنا بحكم القيام لله في خلقه بحقه أن نتعهد الكافة دائيةً ونائيةً وشاهدةً وغائبةً ، ورجونا أن يتخلّص من القسم الأول في قوله عليه السلام : «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَّقْ بِهِمْ فَارَقْنِي بِهِ» بأعمال على الرِّقِّ دائيةً ، وعلى الحقِّ مواظبةً - صرّفنا أَعْيُنَ الاعتناء بجموع المصالح فأرأينا الذين ينظّم تبدّدها ، ويستوعب تعدّدها ، لا تَسِدُّ مصلحته عن قوانينه ، ولا تُثَالِ بركة إلا مع تحصينه وتحسينه ، والله تعالى يُعيننا وإياكم على إقامة حدوده ، وإدامة

عُهوده . وأول ما يتناول به الأمر كافة المسلمين الصلاة لأوقاتها ، والأداء لها على
أكل صفاتها ، وشهودها إظهاراً لشرائع الإيمان في جماعاتها ، فقد قال عليه السلام :
« أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ ، فَنَ حَفِظَهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا حَفِظَ دِينَهُ ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا
فَهَوِلَ سِوَاهَا أَضْيَعُ » . وقال عمر رضي الله عنه : « وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ
الصَّلَاةَ » فهي الركن الأعظم من أركان الإيمان ، والأسس الأوثق لأعمال الإنسان ،
والمواظبة على حضورها في المساجد ، وإثارة الصلاة الجامعة من المزية على صلاة
الواحد ، أمر لا يضيِّعه المُفْلِحُونَ ، ولا يحافظُ عليه إلا المؤمنون . قال ابن مسعود
رضي الله عنه : « لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَخْلَفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النَّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ
الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ » وشهود الصبح والعشاء
الآنرة شاهدٌ بتخصيص الإيمان ، وقد جاء : « إِنْ شُهِدَ الصُّبْحُ فِي جَمَاعَةٍ بَعْدَ
قِيَامٍ لَيْلَةٍ وَحَسِبْتُمْ هَذَا الرُّجْحَانُ . وَالْوَاجِبُ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ الْكُبْرَى مِنْ
قَوَاعِدِ الدِّينِ ، وَيُؤَخَّذَ بِهَا فِي كَافَّةِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيُلْحَقَ
فِي التَّامَامِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مُرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ لَسَبْعٍ وَأَضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرِ
سِنِينَ » . وَيَحْسَبْ ذَلِكَ رَأْيَنَا أَنْ نُلْزِمَ جَارَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَأَمِيرَ كُلِّ سُوقٍ وَشَيْخَ
كُلِّ زُقَاقٍ وَمُعَلِّمَ كُلِّ جِهَةِ الْإِسْتِدْبَابِ لِهَذَا السُّقَى الْكَرِيمِ ، وَالْبِدَارِ لَهَا فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ
الْعَظِيمِ ، وَأَنْ يَخُصَّ كُلٌّ مِنْ فِي جِهَتِهِ أَوْ سُوقِهِ أَوْ حَوْمَةِ مَسْجِدِهِ أَوْ مَوْضِعِ صَنْعَتِهِ
أَوْ تِجَارَتِهِ أَوْ تَعْلِيمِهِ عَلَى الصَّلَاةِ وَحُضُورِهَا ، وَالْإِعْتِنَاءِ بِأَحْكَامِ طَهُورِهَا ، وَأَنْ لَا يَخْلَفَ
عَنِ الْجَمَاعَةِ إِلَّا الْعُدْرِيَّ ، أَوْ أَمْرٍ يَكُونُ مَعَهُ الشُّهُودُ غَيْرَ مُمْكِنٍ . وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَلْتَرَمُوا
هَذِهِ الْوُظُفَةَ أَوْ أَمَّ الْإِتْرَامِ ، وَيَقُومُوا بِهَا مُؤْتَجِرِينَ أَحْسَنَ قِيَامٍ ، وَيُسَمِّرُوا عَنْ سَاعِدِ
كُلِّ جِدٍّ وَأَعْيَازٍ ، وَيَتَرَقَّوْا كُلٌّ مِنْ تَحْتَوَى عَلَيْهِ الْمَنَازِلُ مِنْ بَلَّغِ حَدِّ التَّكْلِيفِ مِنْ
الرِّجَالِ ، وَيَتَعَهَّدُوهُمُ الْحِلِينَ بَعْدَ الْحِلِينَ وَالْحَالَ إِثْرَ الْحَالِ ، وَيَطْلُبُوهُمْ بِالذِّكْرِ بِمُلَازِمَةِ

هذا العمل الذي قدمه الله على سائر الأعمال . ويحذر المسلم أن يواقع بإضاعة المكتوبة أمرا إمرأ ، ويترك من فرائض الإسلام ما يقتل متعمداً تركه حداً أو كفراً . وعلى معلمي كتاب الله أن يأخذوا الصبيان بتعلم الصلاة والطهارة والإقامة لإقامتها والموالات وحفظ ما نقام به وأقل ذلك سورة فاتحة الكتاب . وعلى كل إنسان في خاصته أن يأخذ صغار بيته ويكرهم وسائر أهله ومن إلى نظره بذلك ويأمرهم به ، قال الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ . وقال عليه الصلاة والسلام : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » .

ثم أعلموا أن الصلاة بما آتاه الله به من وظائفها الشريفة ، وتخصائصها المنيعة ، تنظم من أعمال الرضروب لا تحصر ، وتعضم من موقعة ما يشأ وينكر ، وتغطي من الخيرات العيمة الجسيمة بالقسم الأوفى الأوفر ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ . ونحن لا نوسع تاركها بحال عذراً ، ولا نؤثر له عقاباً وزجراً ، ولا نزال نجبره على إقامتها قسراً ، وإذا استمر التمهّد لها مع الأخيان ، وعمل الناس بما جندناه من إجراء التذكير بها بين القرابة والصحابة والخيران ، وتواصوا بالمحافظة عليها حسب الإمكان ، لم تزل بيوت أذن الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه معمورة بتلاوة القرآن ، ولم تنفك إلا للإقامة عن الأذان .

وما يزيد هذه الوظيفة تأكيداً ، ويوفّي قواعدها تشديداً ، درس كتاب الصلاة والطهارة حتى يستكملوه وعياً وحفظاً ، ويؤدّوا مضمّنه لفظاً فلفظاً ، ففي ذلك من الإشراف على أحكام العبادتين ما تين مزيته وفضله ، ولا يسع المؤمن بحال جهله ، ثم إذا أحكوه انتقلوا إلى درس كتاب الجهاد ، وعمروا الآباء بشرف ما أهد الله للجاهدين من الخير المستفاد ، فالجهاد في سبيل الله فرض على الإعيان ، وقد تأكد

تعبته لهذه البلاد المجاورة لعدة الأصنام والصُّلبان، ونرجو أن يُجزَّ الله ما وعد به من الفتح القريب لأهل الإيمان، وليطلبوا الناس برض ما يتدارسون تهيئة لحفظاتهم، واستعادة لقسيمهم من الأجر وحُطوطهم .

ومن مقدمات الجهاد، وأقوى أسباب الاعتداد، تعلم الرماية التي ورد الحَضُّ عليها، وتنبَّ الشَّرع إليها، قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ «ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمِيَّ» قالها ثلاثا : فَأَطْفِرُوا النَّاسَ بتعلمهم، ولتربُّوهم طبقات على قدر إجادتهم وهدمهم، قال عليه السلام : «مَنْ تَرَكَ الرَّمِيَّ بَعْدَ مَا عَلَّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا أَوْ قَالَ كَفَرَهَا» . وقال عليه السلام : «مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَيْتَ الْعَدُوَّ أَوْ لَمْ يَلْعَلْ كَانَ لَهُ كَيْتَقِ رَقِيَّةٍ» .

وليعلموا أنهم يُطلبون في وقت الحاجة بما يُثْمِرُه هذا التأكيد من بدارهم، ويترب عليه من اتهمهم، وليحرضوا على أن يُلْفَى عددهم وافرا في حالي إيرادهم وإصدارهم .

ومما فيه مصلحة كريمة الأثر، واضحة الجُول والفَرَر، يكون ذِكْرُها جمِلا، وأجرُها جزيلا، تعهد الضعفاء والفقراء، وإسهامهم من الكثير كثيرا ومن القليل قليلا بحسب الإصابة والرخاء، ووضع الصدقات في أهل التعفف الذين لا يسألون الناس الخافا أول ما يجيء حين العطاء، فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : «لَيْسَ الْمُسْكِينُ بِذَا الطَّوَافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ قَرْدُهُ الثَّمَرَةُ وَالْمُتَرَاتِنُ وَإِنَّمَا الْمُسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنًى يُغْنِيهِ وَلَا يَقْطَعُ لَهُ قِصَصٌ عَلَيْهِ وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ» ففقدوا هذا الصنف فهو أولى بالإيتار، وأحق أهل الإيتار، والمؤمنون إخوة ويُعنى الجار بالجار، ولين الغنى الفقير فذلك من مكارم الآثار .

والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفةٌ تعيّن إقامتها على المسلمين جميعاً فمن رأى منكراً فلينبه إليكم وعليكم تغييره وتعفيه أثره على ما يوجبُه الدين ويقتضيه ، وليأخذوا الحق من كل من تعين عليه سواء في ذلك القوى والضعيف ، والمشرّوف والشريف . وكل من ارتكب منكراً كاتشاً من كان ، عزّ قدره أو هان ، فليبلغ في عقابه ، وينكّل على قدر ما ارتكب من المنكر وأتى به ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَإِنِّي وَالَّذِي تَقْبِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عِمْرٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » وقال لأسامة في الحديث نفسه « أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ » وقد حدّ عمرُ رضى الله عنه ولده ، وحدّ عثمانُ رضى الله عنه أخاه . فلتكن هذه الوظيفة منكم بمرأى ومسمع ، ولتسلّكوا في إقامتها على الخامل والنبه أَوْضَحَ مَهَيِّج ، ووفّوا المعروف حقّه من الإظهار ، وتقوُّوا المنكر بأنهم وجوه الإنكار ، ثم عليكم أجمعين بالتواصي بالخير والتعاون على البر والتقوى ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ . وقال عليه السلام : « لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا » .

وبالجملة فعلى المؤمن أن يستنفذ وسعته في الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف من بعده ، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، ولم ينشأ ما نشأ من الأحوال ، ولا طراً في هذه الأمة ما طراً من الاختلال ، إلا بمفارقة الاقتداء الذى هو للذين رأس المال ، ورضى الله عن عمر حيث قال : « فُرِضَتِ الْفَرَائِضُ وَسُنَّتِ السُّنَنُ وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاحِشَةِ إِلَّا أَنْ يَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِينًا وَشِمَالًا » .

ومن أشد المنكرات تغيير نكير وجوب تغيير الخمر التى هى أس الإثم والفجور ، وأهم الجبايات والشرور ، وأشدّ كلّ خطيئة ورأس كل محظور ، فليشتدّ أتم الاشتداد

في أمرها ، ويبحث غاية البحث عن مكان عَصْرها ، ويتفقد الأماكن المهمة
بَيْعها ، ويتسبب بكل وجه وكل طريق إلى قطعها . وليأدر حيث كانت إلى إراقة
دَنَانها ، وليألغ إلى أقصى غايات الاجتهاد في شَانها ، وإن الله لعن الخمر وعاصرها
ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه ؛ فليتيق الله مُدْمِنُ شُرْبها فإنها رجس من عمل
الشیطان ، وليحذر ما في قوله عليه السلام : « لَا يَشْرَبُ الْمُؤْمِنُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا
وهو مُؤْمِنٌ » : من إخراجهِ عن أهل الإيمان ؛ وشرب الخمر لجأج في الطبع ، فلا خير
فيها مع الاعتناء المبني على الشرع ، ولو نهى الناس عن قَت البعر لقتوه حرصاً غالباً على
ما تقدم فيه من الزجر والمنع ؛ فن عثر عليه بعد من شارب لها أو عاصر ، مستسربها
أوجاهر ، فليضرب الضرب المبرح ، ويسجن السجن الطويل ، وليبق إلى أن تصح
توبته صحة لا تحتمل التأويل ؛ ثم إن عاد فالحسام المصمم يحجم داءه إذا أعطل ،
ويصد به سواء عما استحل من هذا الحرام وأستسهل .

ومن أشد ما حذر منه ، وأكّد النهي عنه ، كُتِبَ الفلاسفة لعن الله وإضعفها !
فإنهم بنوها على الكفر والتعطيل ، وأخلوها من البرهان والدليل ، وعدلوا بها ضللاً
وإضلالاً عن سواء السبيل ، وجعلوها نكاة لعقائدهم ومقاصدهم الخيلة ركونا إلى
الباطل وتمسكا بالمستحيل . وقد كان سيدنا الإمام المنصور رضى الله عنه قد جد فيها
بالحريق والتزريق ، وسد بامضاء عزمه المسد ورايه المؤيد وجوه طلابها بكل
طريق ، فحسبنا أن هتدي في ذلك بآثره الجميل ، ونأخذ في إحقاقها حيث وجدت
وإهانة كاتبها وطالبيها وقاريها ومقرريها ، ولا يعدل عن السيف في عقاب من أتعلمها
وأستوهبها وإن السيف في حقه لقليل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « تَرَكْتُ
فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كَلَبَ الله وسنة نبيه » . وبحسب العاقل كتاب
الله وسنة الرسول .

ويتعلق بهذا المنهى عنه ما أَسْرَسَل فيه مَرَدَّةُ أهل الأهواء ، والمتنكبون فيما تَلَبَّسوا به من الأَدْرَانِ عن سَنَنِ الْإِهْتِدَاءِ ، أولئك قومٌ أَعْتَقَدُوا إِبَاحَةَ المَحْظُورَاتِ كُلِّهَا ، وَعَدُّوا بِإِيْهَا مَاتِهِمُ السَّخِيفَةَ ، وَتَحْيَلَهُمُ الضَّعِيفَةَ ، كُلُّ وَاهِي الْمَقْدِ مَنْحَلَهَا ، وَأَدَّعَوْا أَنَّهُمْ مِنَ الْمِلَّةِ وَأَعْمَالُهُمْ تَقْضِي بَانَهُمْ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا ، فَلْيُبَحِّثْ عَنْ ذَلِكَ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ وَهَذَا الثَّانِ ، فَهَذَا أَن نَظْهَرُ دِينَ اللَّهِ مِمَّا لَصِقَ بِهِ مِنَ الْأَدْرَانِ ؛ وَأَنْ نُبَيِّنَهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلُ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

ومن الوظائف التي يجب أن نعتنوا بها غاية الاعتناء ، وأن نُقَدِّمُوا النظر فيها على سائر الأشياء ، أمرُ أسواق المسلمين فقد اتَّصَل بنا ما نَطْرُقُ للتَّجَارَاتِ مِنْ مُسَاعَدَاتٍ تَعْقَى عَلَيْهَا الْخِدْعُ ، وَلَا يَنْتَرُهَا إِلَّا الْحِرْصُ وَالطَّمَعُ ، وَلَا تُوَافِقُ الشَّرْعَ وَلَا يُطَاقِيهَا الْوَرَعُ ، حَتَّى شَابَ أَكْثَرُ الْمَعَامَلَاتِ الْفُسَادَ ، وَلَا يَجْرِي عَلَى الْقَانُونِ الشَّرْعِيِّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُبَايَعَاتِ الْإِعْتِقَادَ ، وَتَصْدِي الْمُتَحِيلُونَ فِيهَا لِحِيلَ يَقْصِدُونَهَا ، وَأَنْوَاعَ لِاجْتِلَابِ السُّخْتِ يَرْضُونَهَا ، وَرُبَّمَا وَدَّ التَّاجِرُ مِنَ الْقَطْرِ الشَّاسِعِ ، وَحَسَّنَ الظَّنَّ بِالْمُشْتَرِي مِنْهُ أَوْ الْبَائِعِ ، فَيُلْغِ فِي خُدْعَتِهِ ، وَالْإِضْرَارَ بِهِ فِي مِلْعَتِهِ ، أَسْوَأَ الْمُبَالَغِ ، وَيَرْتَكِبُ مِنَ مُحَرَّمَ الْخِلَافَةِ مَا لَيْسَ بِالسَّائِغِ ، وَيَسْمِعَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ مِنْ لَا يُتَّقِي اللَّهَ تَعَالَى بِأُلَاسِ الرَّبَا فِي تِجَارَتِهِ ، وَيَتَنَبَّي عَلَيْهِ بِجَمِيعِ إِدَارَتِهِ ، وَحِفْظُ الْمَكَّاسِبِ مِنَ انْجِلَابَاتٍ أَوْجِبُ الْوَاجِبَاتِ ، وَالْحِلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشَابِهَاتٌ ، وَيَحْتَقِ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ، فَلْتُنْزِلُوا الْأَمْنَاءَ الْمَعْرُوفِينَ بِالْإِيمَانِ ، الْمَشْهُورِينَ بِالْأَمَانَةِ ، تَفَقَّدَ هَذِهِ الْأَسْوَاقُ ، وَلِيُخَصَّ كُلُّ أَمِينٍ مِنْ تَشْتِمِلُ عَلَيْهِ سُوْقُهُ مِنَ التَّجَارِ ، وَلِيَعْرِفَ الْمُخْتَارَ مِنْهُمْ مِنْ غَيْرِ الْمُخْتَارِ ، وَمَنْ لَا يَصْلُحُ لِلتَّجَارَةِ فِي سَوَاقِ الْمُسْلِمِينَ يُقَامُ مِنْهَا عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ ، وَمَنْ غَرِبَ مِنْهُمْ عَلَى رَبَا فِي مَعَامَلَتِهِ عَاجِلْتُمُوهُ بِأَشَدِّ الْعِقَابِ وَأَسْوَأِ النُّكَالِ ، نَفْضُوا التَّاجِرَ مِنَ الشَّوَائِبِ ، وَمُرُوعِهِمْ بِأَنْ يَسِيرُوا فِي بَيْعِهِمْ وَشُرَائِهِمْ وَأَقْتِضَائِهِمْ عَلَى

أجل المذاهب، وأن يحترقوا النش فقد قال عليه السلام : «مَنْ غَشَا فَلَيْسَ مِنَّا»
والإتقاء من الإيمان من أعظم المصائب ، وإذا اعتبرت في المبايعات الوجوه
الشرعية ولحظت الأحكام زكى الله عمل التاجر، وبورك له فيما يدير من المتاجر .
ثم لتوصوا كل من تقدمونه لشغل من الأشغال أن يبدأ بصلاح نفسه قبل سواها ،
وأن يلتزم الأعمال التي يؤثرها الله تعالى ويرضاها، وحذروهم كل الحذر أن يتفقوا لهم
على ما يشين، أو تسمعوا لهم قبيحا يخفى أو يبين، فمن سمعتم عنه أدنى سبب من هذا
فماجلوه بالعقاب الشديد ، والنكال المييد ، إن شاء الله تعالى والسلام .

قلت : وعلى هذه المعاني والأمور المأمور بها في هذا الكتاب قد كانت الخلفاء
تكتب بها في المكاتبات على أنحاء متفرقة على ما تقدم في مقاصد المكاتبات من
المقالة الرابعة، وكانوا يؤلون على الصلاة والمساجد من يقوم بأمرها على ما تقدم،
وإن أكثر هذه الأمور الآن مضمّنة في مواقع أصحاب الحسبة على ما تقدم ذكره
في الكلام على الولايات في المقالة الخامسة وبالله التوفيق .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة السادسة

(فما يكتب من ذلك في زماننا)

وهو قليل : لقلة الاعتناء بأمر الدين والأكتفاء في ذلك بالتفويض إلى متولى
الحسبة، إلا أنه ربما كتبت في ذلك في الأمور المهمة عند تعدى الطور في أمر
من الأمور الدينية، والخروج فيه عن الحد .

ثم هو على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَب عن الأبواب السلطانية)

وهذه نسخة توقيع شريف من هذا النوع كُتِب به في الأيام أن لا يباع
 على أهل الذمة رقيقٌ حين كثر شراء أهل الذمة من اليهود والنصارى العميد والجواري
 (١) وتهويلهم وتصبرهم .

(١) لم يذكر نسخة التوقيع بل كتب بهامش في نسخة مائمه " يباح مقدار رقيقه " .

الضرب الثاني

(مما يُكتب في الأوامر والنواهي الدينية - ما يُكتب

عن تواب السلطنة بالملك)

وهذه نسخة توقيع كريم بمنع أهل صيدا ويروت وأعمالهما من اعتقاد الرافضة
والشيعة وردعهم ، والرّجوع إلى السنة والجماعة ، واعتقاد مذهب أهل الحق ، ومنع
أكابرهم من العقود الفاسدة والأحكام الباطلة ، والتعرض إلى أحد من الصحابة
رضوان الله عليهم أجمعين ؛ وأن لا يدعوا سلوك [طريق] أهل السنة الواضحة ،
ويعشوا في شرك أهل الشك والضلال ، وأن كل من تظاهر بشيء من بدعهم قويل
بأشد عذاب وأتم نكال ، وليُخذ نيران بدعهم المذمومة ، وليُأدب إلى حسم فسادهم
بكل همه ، وتصرفهم عن ^(١) اعتبره ، وتطهير بواطنهم من ردالة اعتقادهم
الباطل إلى أن يُعانونا جميعهم بالترضى عن العشرة . وليحفظ أنسابهم بالعقود
الصحيحة ، وليدأوموا على اعتقاد الحق والعمل بالسنة الصريحة . في خامس عشرين ^(٢)
جمادى الآخرة سنة أربع وستين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله الذى شرع الحدود والأحكام ، وجَدَعَ بالحق لأتوف العوام الأعتام
الطغام ، وجمع الصلاح والنجاح والفلاح فى الأخذ بسنة خير الخلق وسيد الأنام ،
وقَعَ الزائنين عما عليه أهل السنة من الحق فى كل قبض وإبرام .

نحمده على نعمه الحسام ، ومِنَنِهِ التى تُومض بروقها ونُشَام ، وآلائِهِ التى لا تُسَام
ولا تُسَام ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ليس لمن تَمَسَّك

(١) يبايض فى الأصل دله « عن التّهوك فى مهالك أهوائهم إلى مانص عليه الشرع واعتبره » .

(٢) كذا فى الأصل بإثبات النون ونقل الصبان عن آية هشام تلحين الكتاب فيه .

بمروئتها الوثوق أنفصال ولا انفصام؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى الملك
العلام، والهادي إلى الحق بواضح الإرشاد والإعلام؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
الذين هم أئمة الإسلام، وهداة الخلق إلى دار السلام؛ خصوصا أبا بكر الصديق
الذي سبق الناس بما وقر في صدره لاجزية صلاة ولا بجزية صيام، وعمر بن الخطاب
الذي كان له في إقامة الحق أعظم مقام، ومن أهل الصلاح والفساد آخاء وائتقام،
وعثمان بن عفان الذي جمع القراءان لفصل لشمل سورة وآياته بما فعل أحسن
النظام، وأتقى ماله محتسبا لله تعالى خازن الثواب رتبة لأثرام، وعلي بن أبي طالب
الذي كان صهر النبي صلى الله عليه وسلم وابن عمه ووارث علمه اللهم، والمجاهد
عن دينه بالعلم والمجاهدة بين يديه بالحسام، والباقي من العشرة الكرام، صلاة تستمد
بركاتها وتستدام، ويتمو فضلها بنير آتقضاء ولا أنصرام .

وبعد، فإن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بشرعه الذي آرتضاه، ودينه
الذي قضاه، وحكمه الذي أبرمه وأنضاه؛ فبلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، وأفصح
المقالة؛ وجاهد في الله طوائف الأعداء، وأمال الله تعالى إلى قبول قوله وتصديقه
من سبقت له العناية من الأوداء؛ ونصره على مخالفيه من المشركين والחסادين حتى
مات كل منهم بما في نفسه من الداء؛ وبين الطريق، وبرهن على التحقيق، فأعلن
النذارة والبيارة، وهده قواعد الدين تارة بالنص وتارة بالإشارة؛ وتم الدين بإحكام
أحكامه، وشيدت قواعده بإتلاء أعلامه؛ وعمت الدعوة وتمت، وفشت الهداية
وتمت؛ ودخل الناس في الدين أرسالا، وبلغت نفوس المؤمنين من إعلاء كلمة
التوحيد آمالا، وأصبحت الميراث والبركات تتواتر وتتوالى، وتحدث نار الشرك
وطفئت مصابيح الضلالة ووحد الله تبارك وتعالى .

فلما تكامل ما أراد الله تعالى إظهاره في زمانه، وتم ما شاء إبرازه في إيانه؛ وأعلنت الهداية، ونجيت القوايه؛ وقام عمود الدين، ودحضت حجة الملحدين؛ واستوسق أمر الإسلام، واستتب، وتبت يدا مناويه وتب - أختار الله تعالى لنيه صلى الله عليه وسلم جواره وقربه، فقضى نجه ولقي ربه؛ فقام خلفاؤه بعده بأثاره يقتدون، ويهديه وإرشاده يتدون؛ ولأحكامه يتبعون، ولأوامره يستمعون؛ ولما نى ما جاء به يعون، وإلى قضاياه يرجعون، لا يفرون ولا يبدلون، ولا يتعرضون ولا يتأولون؛ فقضى على ذلك الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديون؛ لم يتبع أحد منهم في زمانهم عقيدة فاسده، ولم يظهر أحد مقالة عن سواء السبيل حائده؛ ثم تفرقت الآراء، وتعدت الأهواء؛ واختلفت العقائد، وتباينت المقاصد، ووهت القواعد، وتصادمت الشواهد، وتفرقت الناس إلى مفرز بالحق وجاحد، وظهرت البدع في المقالات، وضل كثير في كثير من الحالات، وتهاقت غالبهم في الضلالات، وقال كل قوم مقالة تضمنت أنواعا من الجهالات؛ وكان من أخفهم عقلا، وأضعفهم نقلا، وأوهنهم حجة، وأبعدهم من الرشد بحجة، طائفة الرافضة والشيعة، لارتكابهم أمورا شنيعة، وإظهارهم كل مقالة فظيعة؛ وخرقهم الإجماع، وجمعهم قبيح الذمذمات؛ فنبذوا فرقا، وسلكوا من فواحش الاعتقادات طرقا؛ وتوقع ناسهم، وتعددت أجناسهم، وتجرعوا على تبديل قواعد الدين، وأقنعوا على نبذ أقوال الأئمة المرشدين، وقالوا ما لم ينبقوا إليه، وأعظموا الفرية^(١) فها حملوا كلام الله ورسوله عليه السلام عليه، وبأوا بلإم كبير وزور عظيم، وعرجوا عن سواء السبيل فخرجوا عن الصراط المستقيم؛ وفأهرا بما لم يفقه به قلبهم عاقل، وأتحلوا مذاهب لا يساعدهم عليها نقل ناقل، وتحلوا أشياء فاسدة حالم فها تحللها أسوأ من حال باقل؛ وتسكوا بأثار

موضوعه، وحكايات إلى غير الثقات مرفوعة؛ يُنقل عن أحدهم ما ينقله عن مجهول غير معروف، أو عن هو بالكذب والتدليس مشهور وموصوف؛ فأذاهم ذلك إلى القول بأشياء - منها ما يوجب الكفر الصراح، ويبيح القتل الذي لا حرج على فاعله ولا جناح - ومنها ما يقتضي الفسق إجماعاً، ويقطع من المتصنف به عن العدالة أطماعاً - ومنها ما يوجب عظيم الزجر والنكال - ومنها ما يُفضي بقاتله إلى الويل والويل، لعب الشيطان بقولهم فأغواهم، وسمّهم إلى حزبه وآوأمهم، ووعدهم غروراً ومثامهم، وتمنّوا متالبة أهل الحق فلم يلبّوا منهم؛ مرقوا من الدين، وخرقوا إجماع المسلمين، واستحلوا المحارم، وأرتكبوا العظام، واكتسبوا الجرائم؛ وعدّوا عن سواء السبيل، وتبوّأوا من غضب الله شراً مقيلاً. منهمهم أضعف المذاهب، وعقيدتهم مخالفة للحق الغالب؛ وآراؤهم فاسدة، وقرائحهم جامدة، والنقول والعقول بتكذيب دناويهم شاهدة؛ لا يرجعون في مقالاتهم إلى أدلة سليمة، ولا يرجعون في استدلالهم على طريق مستقيمة؛ يمارضون النصوص القاطعة، ويطلقون القواعد لمجرد المنازعة والمدافعة، ويفسرون كلام الله تعالى بخلاف مراده منه، ويتجربون على تأويله بما لم يردّه الله ولم يردّ عنه؛ فهم أعظم الأمة جهالة، وأشدهم غواية وضلالة؛ ليس لهم فيما يدّعون مستند صحيح، ولا فيما يقولونه نقل صريح.

فلذلك كانوا أقل رتبة في المناظره، وأسوأ الأمة حالاً في الدنيا والآخرة؛ وأحقر قدرنا من الاحتجاج عليهم، وأقلّ وضعاً من توجيه البحث إليهم؛ أكابرهم مخطلون، وأصاغرهم مثلهم ومعظمهم مخطلون؛ بل كلهم ليس لأحد منهم [حظ في العدل، ولا قيم في صحة الاستدلال]؛ ولو طُوب أحد منهم بصحة دعواه لم يجد عليها دليلاً؛ ولو حقّق عليه بحث لم يلق إلى الخلاص سبيلاً؛ غاية متكلّمهم أن يروى عن منكر من الرجال مجهول، ونهاية متعلّمهم أن يُورد حديثاً هو عند العلماء موضوع أو معلول؛ يطعنون

في أئمة الإسلام، ويسبون أصحاب النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ويَبْجُون
أنهم شعبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه وهو برىء منهم، مَرَّة
عما يصدرون عنهم، فقد رُفِعَ عند الله والناس، وعَلَّه أَعْلَى بالنص والقياس، ومَحْرَم
أن يُنسَبَ إليه الرضا بهذه العقائد، أو التقرُّر لهذه المَقَاسِد، فإن طريقته هي المثل،
وسيرته هي العليا؛ فالأخذ بالحق إليه يَتَوَلَّى، والصواب معه حيث يَفْعَلُ أو يَقُولُ،
ولا يَصِحُّ قَوْلُ شَيْءٍ من هذا عنه، ولا يحل نسبة شيء إليه منه، ومنصبه أجل من
ذلك، ومكانه أعزُّ مما هُناك، فَبَرَّ أَنْ هُؤُلاءِ يَعرِضُ لأحدهم في دينه شُبُهه، يَقلَّد
فيها مثله في الضلالة وشُبُهه، ويرتدُّ في نفسه من التَّبرُّه لا يجِدُ لخلاصه منها
وَجِهه، ولا يوجَّه قلبه إلى طلب النجاة منها وَجِهه، ولا يَقَعُ نظرُ بصيرته على طريق
الصواب ولا يَحَقِّقُ كُنْهه، فيرتكبُ خَطَرًا يُوجبُ توبيخه في القيامة وَجِهه، وتسوِّدُ
في الموقف ناصيةً منه وَجِهه، ويَعدَمُ لتحيه في الضلال عقله وفهمه وقِيَمه،
قد صَرَفُوا إلى الطعن في العلماء، ومخالفة ربِّ الأرض والسماء، هَمَّهم وهِمَّهم،
واقترأوا على الله كذبا فدَمَّهم وأباح دَمَّهم، وقال لسانُ حالِ أحرَمِ أرا قَدَمهم أراق
دَمَّهم، وهان دَمَّهم فما نَدَمَّهم .

وقد بَلَّغْنَا أَنْ جماعةً من أهل يَروَت وضواحيها، وصَيِّدا ونواحيها، وأعمالها
المضافة إليها، وجهاتها المحسوبة عليها، ومزارع كل من الجهتين وضياعها، وأصقاعها
ويقاعها، قد اتحلوا هذا المذهب الباطل وأظهروه، وعملوا به وقرُّوه، وبَنَوْه
في العامة ونَشَرُوهُ، واتخذوه دِينًا يستَقْدُونه، وشرعا يستَمِدُّونَه، وسلَكُوا مِنهاجَه،
وخاصُّوا لِجَاجَه، وأصلوه وفرَّعوه، وتبَيَّنوا به وشرَّعوه، وحصلوه وفصلوه، وبلَّغوه
إلى نفوس أتباعهم ووصلوه، وعظَّموا أَحكامَه، وقَدَّموا حُكَماه، وتَمَّعوا بِتَيجَلِه
وإِعْظَامَه، فهم يَاطِلُه عامِلُون، ومُقتَضاه يَتَعامَلُون، ولا عَلامَ جَهلِه حامِلُون، وللأسف

قائلون، وبغير السداد قائلون، وبجرم حرامه عائدون، وبجى حمايته لائثون، وبكعبة ضلاله طائفون، وبسنة شدته عاكفون . وإنهم يسبون خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، ويستملون دم أهل السنة من المسلمين، ويستبيحون نكاح المتعة ويرتكبونه، ويأكلون مال مخالفهم ويتهبونه، ويجمعون بين الأختين في النكاح، ويتدينون بالكفر الصراح، إلى غير ذلك من فروع هذا الأصل الخبيث، والمذهب الذى ساءى فى البطلان مذهب التثليث - فأنكرنا ذلك غاية الإنكار، وأكبرنا وقوعه أشد إكبار، وغضبنا لله تعالى أن يكون فى هذه الدولة للكفر إذاعة، وللعصية إشادة وإشاعة، وللطاعة إخافة وإضاعة، وللايمان أزعج وإضاعة، وأردنا أن تجهز طائفة من عسكر الإسلام، وفرقة من جند الإمام، تستأصل شائقة هذه العُصبة المُلحِدة، وتطهر الأرض من رجس هذه المفسدة، ثم رأينا أن نَقْدَم الإنذار، ونسبق إليهم بالإعذار، فكتبنا هذا الكتاب، ووجهنا هذا الخطاب، ليقْرَأ على كآتهم، ويُبلغ إلى خاصتهم وعامتهم، يعلمهم أن هذه الأمور التى فعلوها، والمذاهب التى اتَّخَلَّوْها، تُبيح دماءهم وأموالهم، وتقتضى تعميمهم بالعذاب واستئصالهم، فإن من استحل ما حرم الله تعالى وعُرف كونه من الدين ضرورة فقد كفر، وقد قال الله تعالى : ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَأَفَ﴾ عطفًا على ما حَكَمَ بتحريره، وأطلق النص فتعين حملُه على تعميمه، وقد أُنقِذ على ذلك الإجماع، وأُقطعت عن مخالفته الأطلاع، ومخالفة الإجماع حرام بقول من لم يزل سمعًا بصيرًا ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. ونكاح المتعة منسوخ، وعقده فى نفس الأمر منسوخ، ومن ارتكبه بعد علمه بتحريره واشتباره، فقد خرج عن الدين برده الحق وإنكاره، وفاعله ان لم يُلَبَّ فهو مقتول، وعُذره فيما يأتيه من ذلك غير مقبول. وسب الصحابة رضوان الله عليهم

خَالَفَ لِمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ تَعْظِيمِهِمْ ، وَمَتَابُهُ لِنَصْرِهِمْ
 بِاحْتِرَامِهِمْ وَتَجْبِيلِهِمْ ، وَخَالَفَتْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا شَرَعَهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، مُوجِبَةً لِلْكَفْرِ
 عِنْدَ كُلِّ قَائِلٍ وَإِمَامٍ ، وَضُرَّتْكَبُ ذَلِكَ عَلَى الْعُقُوبَةِ سَائِرٍ ، وَإِلَى الْإِجْحَامِ صَائِرٍ . وَمَنْ
 قَدَفَ مَائِئَةً أَمْ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ مَا بَرَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى فَقَدْ خَالَفَ كِتَابَهُ الْعَظِيمَ ،
 وَأَسْتَحَقَّ مِنْ اللَّهِ النَّكَالَ الْبَلِيغَ وَالْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَامَتْ وَاضِحَاتُ الدَّلَالِ ،
 وَبِهِ أَخَذَ الْأَوَائِلُ وَالْآخِرُ وَالْأَوَائِلُ ، وَهُوَ الْمُنْتَهَى الْقَوِيمُ ، وَالصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ، وَمَاعِدَا ذَلِكَ
 فَهُوَ مُرْدُودٌ ، وَمِنَ الْمَلَّةِ غَيْرُ مَعْدُودٍ ، وَحَادِثٌ فِي الدِّينِ ، وَبَاعِثٌ مِنَ الْمُلْحِدِينَ ،
 وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ فِي كُلِّ مَقَالَةٍ ، وَالْمَوْصِيحُ فِي كُلِّ دِلَالَةٍ ، « كُلُّ مُحَدِّثَةٍ بِذَعَةٍ وَكُلُّ بِذَعَةٍ
 ضَلَالَةٌ » . فَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ، وَعُودُوا إِلَى الْجَمَاعَةِ سَرِيعًا ، وَفَارِقُوا مَذْهَبَ أَهْلِ
 الضَّلَالَةِ ، وَجَانِبُوا عَصَبَةَ الْجَهَالَةِ ، وَاسْتَمِعُوا مَقَالََةَ النَّاسِحِ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ وَعُوَا ، وَعَنِ
 النَّبِيِّ ارْجِعُوا ، وَإِلَى الرَّشَادِ رَاجِعُوا ، وَإِلَى مَغْفِرَةِ مَنْ رَبُّكُمْ وَجَنَّةِ عَرْضِهَا السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ بِادِرُوا وَسَارِعُوا . وَمَنْ كَانَ عَنْدهُ امْرَأَةٌ بِنِكَاحٍ مُتَعَةٍ فَلَا يَقْرُبُهَا ،
 وَلِيَحْتَذِرَ مِنْ غَشْيَانِهَا وَلِيَتَجَنَّبَهَا . وَمَنْ نَكَحَ أُخْتَيْنِ فِي عَقْدَيْنِ فَلْيُفَارِقِ الثَّانِيَةَ مِنْهُمَا فَإِنَّ
 عَقْدَهُمَا هُوَ الْبَاطِلُ ، وَإِنْ كَانَتَا فِي عَقْدٍ وَاحِدٍ فَلْيُخْرِجْهُمَا مَعًا عَنْ جِبَالَتِهِ وَلَا يُمَاطِلْ ،
 فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ، وَنَكَالَ الْمُجْرِمِ فِي الْحَمِيمِ كُلِّ يَوْمٍ يَزِيدُ ، وَدَارَ فَضْبِ اللَّهِ تُنَادِي
 بِأَعْدَائِهِ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، فَلَا طَاقَةَ لَكُمْ بَعْدَائِهِ ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَى أَلِيمِ عِقَابِهِ ، وَلَا مَقَرَّ
 لِلظَّالِمِ مِنْهُ وَلَا خَلَاصَ ، وَلَا مَلْجَأَ وَلَا مَنَاصَ . فَرِحِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرًا نَظَرَ لِنَفْسِهِ ،
 وَاسْتَعَدَّ لِرَمْسِهِ ، وَمَهَّدَ لِمَصْرَعِهِ ، وَوُطِّأَ لِمَضْجَعِهِ ، قَبْلَ قَوَاتِ الْقَوْتِ ، وَجُحُومِ
 الْمَوْتِ ، وَانْقِطَاعِ الصَّوْتِ ، وَاعْتِقَالِ اللِّسَانِ ، وَانْتِقَالِ الْإِنْسَانِ ؛ قَبْلَ أَنْ تُبْدَلَ
 التَّوْبَةُ وَلَا تُقْبَلَ ، وَتُذَرَى الدُّمُوعُ وَتُسَبَّلَ ، وَتَقْضَى الْأَجَالُ وَيَنْقَطِعَ الْأَمَلُ ،
 وَيَمْتَنِعَ الْعَمَلُ ، وَتَرْتَقَى مِنَ الْعَبْدِ نَفْسُهُ ، وَيُضْمَمَ رَمْسُهُ ، وَيَرْدَ عَلَى رَبِّهِ وَهُوَ عَلَيْهِ

غَضَبَان، وَإِنْ تُخْطِئْ عَلَيْهِ بِخَالِفَةِ أَمْرِهِ قَدْ بَانَ، وَلَا يَنْفَعُهُ حَيْثُذِ النَّدَمِ ، وَلَا تُقَالْ
عَثْرَتُهُ إِذَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمُ ، وَقَدْ أَعْدَرَ مَنْ أُنْذِرَ ، وَأَنْصَفَ مَنْ حُدِّرَ ، فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ
هُمْ الْمَالِبُونَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا سَيُقْلَبُونَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ،
أَلْهَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ رُشْدَنَا ، وَوَفَّقَ إِلَى مَرَاذِيهِ قَصْدَنَا ، وَجَمَعَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ،
وَأَعَانَنَا جَمِيعًا عَلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه نسخة مرسوم كُتِبَ به عن نائب المملكة الطرابلسية إلى نائب حصن
الأكراد ، بإبطال ما أُحْدِثَ بالحصن : من الخُمَّارَةِ ، والقَوَاحِشِ ، وإلزام أهل
الدِّمَةِ بما أُجْرِيَ عليهم أحكامُهُ من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه -
في أواخر جمادى الأولى سنة خمس وستين وسبعائة ، وهو :

المرسومُ بالأمرِ العالى - لازال قصده الشريفُ الماثرة على تغيير المنكر ، وشَدَّ أزر
المنكر ، مشعراً في إراحة القلوب بإزاحة مواطن القواحش : من سِفَاحٍ ومُحَدَّرٍ
ومُهَيِّسٍ ومُسَكِّرٍ - أن يتقدَّم الحنابُ الكريم باستمرار ما وقفنا الله تعالى له ورسمنا به ،
وأعطيناه دُستوراً يحميه من عَمَلٍ به يومِ حسابِهِ : من إبطال الخُمَّارِ ، وهدم مبانيها
بحيث لا يبقى للنفس الأُمارة عليها أَمَارُهُ ، وإخفاء معالمها التي توطئها الشيطانُ
فَقَطَّنَ ، وإزالة ما بها من القواحش التي ما ظهر منها أَقْلٌ مما بَطَّنَ ، وإخلاء تلك
البلاد من هذا الفساد الموجب لكثرة المحن والاختلاف وإراقة ما بها من الخُمُورِ ،
التي هي رأس الإثم والشُرُورِ ، وإحراق كل مُحَدَّرٍ مَذْمُومٍ في الشرع مُحَدَّرٍ ، وإنهاب
اسم الحانة بالكلية بحيث لا يتلفظ به مسلمٌ ولا كافرٌ ، ولا يُطَمِعُ شَسَهُ في الترتيب
عليها مَنْ هو على إِيْزِهِ وَبَيْتِهِ مَظَايِرُ . وقد غَيَّرْنَا هذا المنكر بيد أطال الله فضله
في الخير بأغمارها ، وغَيَّمْنَا إِزَالَهَ هذه المَقْسَدَةِ بِأَحْرَزْنَا بِرَبِّهَا وَأَصْطَنَاعُهَا ، خوفاً من وهيد

قوله تعالى : (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ورجاء أن تكون من المراد بقوله تعالى : (وَلَكِنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وعملاً بقوله عليه السلام : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ » . وعلمنا بأن أمير الرعية إذا لم يزل المنكر من بينهم فكيف يفلح في يومه وحال السؤال عنهم في غده .

وقد صار حصن الأكراد بهذه الحسنة في الحصن المنيع ، وأهله المتمسكون بالبررة الوثني في مريع خصب مريع ، وضواحيه مطهرة من خبث السفاح ونجاسة الخمر ، ونواحيه كثيرة السرور قليلة الشرور ، قد أعلی الله تعالى به كلمته ، وأجاب لصغيره وكبيره في هذا الأمر دعوته ، وما ذلك إلا بتوفيق من أهلكنا لذلك ، وألممنا رُشدنا وطهرنا من هذه المفاسد تلك المسالك ، وله الحمد على ما وفق إليه ، وأعان عبده في ولايته عليه ، فإن المنكر إذا فشا ولم يُنكر آن تراب الديار ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ لَيَفَارُ » ، فعند ذلك تمنع السماء درها ، وتمسك الأرض بذرها ، ويحذف الضرع ، ويسس الزرع ، وتعطش الأكباد ، وتهلك البلاد .

فليسط الخناب الكريم يده في إزالة ما بقي من منكر ، متفقدا لجليله وحقيقه بالفحص الشديد وما على ذلك يحد بكل لسان ويُسكّر ، متقبا من يدخل البلة ذلك ليقابله بالضرب بالسياط ، أخذا في تتبع حلاله بالحزم والتحرى والاحتياط ، إلى أن يصل بنا أخباره ، ويعلولنا في سياسته ونهضته مناره ، ومحمد عندنا إياته وآثاره ، وهو بمجد الله كما نعهد شديداً على كل مُفسد ومعاند ، سيد الأتار والآثارة والمقاصد .

وأما أهل الذمة فارفع عنهم السيف إلا باعطاء الجزية والتزام الأحكام ، وأخذ عهود أكيدة عليهم من أهل التقص والإبرام .

فلتقدم الجَنَابُ الكريمُ بِالزَّامِهِمْ بما أَلْزَمَهُمْ بهِ الْفَارُوقُ رضوانُ الله عليه ، وَلِيُخْجِئَهُمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ إِلَى ما أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهِ : من إظهار الدَّيْلَةِ والصَّغَارِ ، وَتَغْيِيرِ النُّقْلِ وَشَدِّ الزَّنَارِ ، وَتَعْرِيفِ الْمَرْأَةِ بِصَبْغِ الْإِزَارِ ، وَلِيُخَمِّنُوا من إظهار المنَكَّرِ والخَمْرِ والنَّاقُوسِ وَلِيُجْعَلَ الْخَلِيقَةُ أَوْ الْحَدِيدُ فِي رِقَابِهِمْ عِنْدَ التَّجَرُّدِ فِي الْحَمَامِ ، وَلِيُزَيَّنُوا بِغَيْرِ ذَلِكَ من الْأَحْكَامِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ مِنْ مُدَّةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ لَمْ يَلْتَمِمْ مِنْهُمْ بِذَلِكَ وَأَمْتَنَعَ ، وَأَعْلَنَ بِكُفْرِهِ وَأَعْلَى كَلِمَتِهِ وَرَفَعَ ، فَمَا لَهُ حَكَمٌ إِلَّا السَّيْفُ ، وَغُتْمُ أَمْوَالِهِ وَسَبْيُ ذُرَارِيَّتِهِ وَمَا فِي ذَلِكَ عَلَى مِثْلِهِ خِيفٌ ، فَهَاتَانِ مَقْسِدَتَانِ أَمَرْنَا بِالزَّامِهِمَا فِرَارًا مِنْ مَخْطِئِ اللَّهِ تَعَالَى وَحِذَارًا ، إِحْدَاهُمَا إِطْلَالُ الْخَانَةِ وَالْأُخْرَى إِخْفَاءُ كَلِمَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى .

فلتقدم الجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِاسْتِمْرَارٍ مَا رَسَمْنَا بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ، وَالتَّوَرُّ الَّذِي يَتَّبِعُهُ الْمُؤْمِنُ وَيَحْكِيهِ ، وَنَرْجُو مِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى اسْتِمْرَارَ هَذِهِ الْحَسَنَةِ مَدَى الْأَزْمَانِ ، وَأَسْتِمَارَ شَجَرِهَا الْمَائِدِ الْأَغْصَانِ ، وَإِطْلَالَ هَذَا الْحُزْنِ الْمُسَمَّى ظُلُمًا بِالْقَرَحِ ، وَإِعْمَالَ السَّيْفِ فِي عُنُقِ مَنْ أَرْضَاهُ بَيْنَ أَظْهَرِ الْمُسْلِمِينَ فَانْهَكَ سِرَّهُ وَأَفْتَضَحَ .

وَلِيَقَمَّ أَهْلُ الشَّرِكِ وَالضَّلَالِ ، بِمَا يُلْزِمُ الصَّغَارَ عَلَيْهِمُ وَالْإِذْلَالَ ، إِلَى أَنْ لَا يُرْفَعَ لَهُمْ رَأْسٌ ، وَلَا يُسَيِّدُوا كَيْدًا إِلَّا عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ ، وَلِيَسْتَجْلِبَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ لَهُذِهِ الْعَوْلَةَ الشَّرِيفَةَ وَلَنَا الدِّعَاءَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْفُقَرَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالْمَسَاكِينَ ، وَلِيُطَبَّ قُلُوبُهُمْ بِاسْتِمْرَارٍ مَا أَرْزَأَهُ ، وَنَحْنُ آتَاهُ وَأَبْلُغْنَاهُ ، وَقَصَدْنَا بِإِطْلَالِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ ، مَسَاحَةً مِنَ الْحَكَمِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقَرَضِ ؛ وَمَنْ أَعَادَ مَا أَبْلَغْنَاهُ أَوْ أَعَانَ عَلَى إِعَادَتِهِ ، أَوْ أَمَرَ بِتَشْيِيدِهِ وَبِنَاءِ حِجَارَتِهِ ، أَوْ رَتَّبَ مَرْتَبًا عَلَى خِيَارِ بَنِي وَمَوْهٍ وَدُلَّسٍ بِالْأَفْرَاحِ ، أَوْ أَطْلَقَ أَنْ يُبَاعَ مِنْكَرٌ أَوْ سَوَّلَ لَهُ شَيْطَانُهُ أَنَّهُ مِنَ الْأَرْبَاحِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحَاكِمُهُ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ؛ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

الباب الثاني

فيما يكتب في المسامحات والإطلاقات، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما يكتب في المسامحات

والمسامحات جمع مُسَامَحَةٍ، وهي [الجُودُ والمَوَافَقَةُ ^(١) على ما أُريد منه] . والمراد المسامحة بما جرت به عادة الدواوين السلطانية : من المقررات واللوازم السلطانية، وهي على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَب من الأبواب السلطانية)

وقد جرت العادة أن السلطان إذا سمح بترك شيء من ذلك كُتِب به مرسومٌ شريف وشملته العلامة الشريفة، وهو على مرتبتين :

المرتبة الأولى - المسامحات العظام .

وقد جرت العادة أن تُكْتَب في قطع الثلث مفتوحة بـ « الحمد لله » .

وصورتها أن يُكْتَب في أعلى الدَّرَج بوسيطه الأسمُ الشريف كما في مراسيم الولايات، ثم يكتب من أول عَرْض الورق إلى آخره « مرسومٌ شريفٌ أن يُسَاحَ بالجهة الفلانية وإبطال المُكُوس بها، أو أن يساحَ بالباقي بالجهة الفلانية، أو أن يُسَاحَ أهلُ الناحية الفلانية بكذا وكذا، ابتغاءً لوجه الله تعالى، ورجاءً لنواله الجسيم

(١) يباح في الأصل والتصحيح من المصباح .

على ما شِرح فيه» ثم يُترك وصلانٍ بياضاً غير وصل الطَّرَّة، ويكتب في أول الوصل الثالث البسمة، ثم الخطبة بالحمد لله إلى آخرها، ثم يقال : وبعد، ويؤتى بمقدمة المساعدة : من شكر النعمة، والتوفيق بحققها ومقابلتها بالإحسان إلى الخلق، وعمل مصالح الرعية وعمارة البلاد، وما يخطر في هذا السلك، ثم يقال : ولذلك لما كان كذا وكذا اقتضت آراؤنا الشرفه أن يُسأَح بكذا، ثم يقال : فرسم بالأمر الشريف أن يكون الأمر على كذا وكذا، ثم يقال : فلتستقر هذه المساعدة ويؤتى فيها بما يناسب، ثم يقال : وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف العمل بمضمونه أو بمقتضاه، ويُتم بالدعاء بما يناسب .



وهذه نسخة مرسوم بمساعة بيواقي دمشق وأعمالها، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى، وهي :

الحمد لله الرؤوف بخلقه، المتجاوز لعباده عما قصروا فيه من حقه، المسامح لبريته بما أهملوه من شكر ما بسط لهم من رزقه، جاعل دولتنا القاهرة مطلق كرم، مُجْتَلَى أنوار البرقي البرايا من أفضه، ومنشأ ديم، يُجْتَلَب أنواء الرقي بالربايا من برقه، ومضمار جود يمتدح على المعروف من جميع جهاته ويشتمل على الإحسان من سائر طرقه، فلا يرتضى إليه الآمال إلا ولكرنا إليه مزية سبقه، ولا أجز يتوجه إليه وجه الأمانى إلا تلقته نعمنا بمتهلل وجه الإحسان طلقه، ولا معروف يُجْدِب منه أرجاء الرجا إلا واستهلّت عليه آلاؤنا من صوب ربنا المألوف لآلئ ودقه .

نحمد على نعمه التي عمت الربايا بتوالي الإحسان إليهم، وأنتمهم في مهاد الأمن بما وضعت عنهم مساعدتنا من إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وأنالهم ما لم

تَطْمَحْ آمَالُكُمْ إِلَيْهِ : مَنْ رَفَعَ الطَّلَبَ عَنْ يَوَاقِ أَمْوَالِهِ أَنْتَرُوهَا وَرَاءَ ظَهْرِهِمْ وَكَانَتْ كَالْأَعْمَالِ الْمُقْتَمَةِ بَيْنَ يَدَيْهِمْ .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبعث على نشر رحمته ، التي وسعت كل شيء في عبادته ، ونحسب على بث نعمته ، التي غمرت كل شيء على اجتناعه وسعت إلى كل شيء على اغتراده ، ونحسب على ما ألهمنا من رافة بمن قابله بتوحيده وشدة على من بجاهره بعباده .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أسكت ألسنة الشرك وأخرسها ، وعفى معالم العنوان وطمسها ، وأثل قواعد الدين على أركان الهدى وأسسها ، وأوضح سبل الخيرات لسالكها فإذا سجدت بالملوك رعاياها فإنما أسعدت الملوك بذلك في نفس الأمر أنفسهم . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين شفعوا العدل بالإحسان ، وجمعوا بين ملك الدنيا والآخرة بإحياء السنن الحسان ، وزرعوا الجهاد بالإيمان في كل قلب فأنتم بالتوحيد من كل لسان ، صلاة جامعة أشتات المراد ، سامعة نداء أربابها يوم يقوم الأشهاد ، قامعة أرباب الشك فيها والإلحاد ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإننا لما آتانا الله من ملك الإسلام ، وخصنا به من الحكم العام ، في أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأيدنا به من النصر على أعدائه دينه ، وأمدنا به من تأييد تأييده ودوام تمكينه ، وجعل دولتنا ممرًا مدار ملك الأمة الإسلامية عليه ، وقلنا ما لأمر الأمة المحمدية في سائر الممالك على اختلافها إليه ، ورزقنا من النصر على أعدائه ما أعز المسلمين وأدالهم ، وأذل المشركين وأذلهم ، وكف بالأرباط أطلعهم ، وأعمى بما شاهدوه أبصارهم وأصم بما سمعوه أسماعهم .

وحَصَرهم بالمهاية في بلادهم ، وأَيَّاسهم بالخَظفة من نُفوسهم قبل طَارِفهم وتَلَادهم - لم
تزل تَرْغَب في حسنات تُحْمَلُ بها أَيامنا ، وقُرْبَاتٍ تُجْرَى بها أَقلامنا ، ومَكْرُمَاتٍ تُكْمَلُ
بها عوارِفنا وإنعامنا ، وما تَرِيحُلُدُ بها في الباقِيَاتِ الصالحاتِ ذِكْرنا ، ومواهِبَ تُجْمَلُ
بها بين سِرِّ العصور الذاهية سِرَّتُنَا الشريفة وعَصْرنا ، ومَصالِحَ يُصْرَفُ بها إلى مَصالحِ
البلاد والعباد نظرنا الجليل وفِكْرنا ، نُهوَضًا بطاعة الله فيما أَلْفَى مَقَاليدَه إلينا ، وأداء
لشُكْرِهِ فيما أُنِمَّ به نِعْمَةِ العَمِيمةِ علينا ، واكتسابًا لثوابه فيما تُقدِّمه من ذخائر الطاعات
بين يَدِينَا ، ونظرًا في عِمارة البلاد بِخِفَّةِ ظهور ساكِينها ، وإطابة لقلوب العباد من
تَبَعَاتِ البواقي التي كانت تَمْنَعُهُمْ من عِمارة أَرْضِيهِمْ وتُفَرِّغُهُمْ من التوطن فيها ، ورَغْبَةً
فيما عند الله والله عنده حُسْنُ الثواب ، وتحريًا لإصابة وجهِ المصلحة الإسلامية
في ذَلِكَ والله الموفق للصواب .

ولذلك لَمَّا اتَّصَلَ بنا [أَنْ] باقِيَ البلاد الشامية من البواقي التي يُتَبَّعُ أَلْسِنَةُ
الأفلام ، لإحصائها ، ويُنْقَلُ كواهلُ الأفهام ، تَعَدَّادُ وجوهها وأَسْتَقْصَاؤُها ، مما
لَا يُسَمَحُ بِمِثْلِهِ في سَالِفِ الشُّهُور ، ولا يَسْخُو بِهِ إلا من يَرْغَبُ مِثْلُنَا فيما عند الله من
أُجُورٍ لَا تُخْرِجُهُ عن مَصالحِ الْجُمْهُور - اقْتَضَتْ آراءُنَا الشريفة أَنْ نُعْفِيَ مِنْهَا ذِمَّةَ
كانت في أَغْلَالِ إِسَارِها ، وأَهْمالِ انكِسارِها ، ورَوْعَةِ اقْتِضائِها ، ولَوْعَةِ التَّرَدُّدِ بين
إِنظارِ المطالبة وإمضاءها ؛ وَأَنْ نُعْفِيَ مِنْهَا نُفُوسًا كانت في سِياقِ مَسَاقِها ، وَجِبَالِ
إِزْهاقِها وإرهاقِها ، لتتوقَّرَ الهِمَمُ على عِمارة البلاد ، بالأمن على الطارف والتَلَادِ ،
وتُجْمَعَ الخواطرُ على حُسْنِ الخَلْفِ ، بما حَصَلَ لَهُمْ من المساعدة عما عليهم من ذَلِكَ
سَلَفٌ ، بِذِمِّ بَرِيَّةٍ من تلك الأَهْمالِ ، عَرِيَّةٍ عن عَثَرَاتِ تلك البواقي التي ما كان
يُقَالُ إنها تُقَالُ .

فُرِّسَ بالأمر الشريف - زاده الله تعالى علُّوا وتشرفا، وأمضاء بما يعم الآمال
رفقا بالرعايا وتخفيفا، وأجراه من العدل والإحسان بما يعم البلاد، ويجبر العباد،
فإن الأرض يُحييها العدلُ ويعمرها الاقتصادُ على الاقتصاد - أن يسامح ،
فليستقرَّ حكمُ هذه المسامحة استقراراً يُبقي رستما، ويحو من تلك البواقي المسافة
رستما وأتمها، ويضع عن كواهل الرعايا أعباءها، ويُسير بين البرايا أخبارها الحسنة
وأنبأها، ويُسقط من جرائد الحساب تفاصيلها ومجملها، ويحقق بتعفيته آثارها رجاء
رعية بلادنا المحروسة وأملها .

فقد آبتينا بالمسامحة بهذه الجمل الوافرة ثواب الله وما عند الله خير وأبقى ،
وأعتقنا بها ذمم من كانت عليه من ملكة المال الذي كان له باستيلاء الطلب
واستقراره مستقراً، هتربا إلى الله تعالى لما فيه من إثارة التخفيف ، ووضع إضر
التكليف ، وتقوية حال العاجز فإن غالب الأموال إنما تُساق على الضعيف ،
وتوفير هم الرعايا على عمارة البلاد وذلك من أكد المصالح وأهمها، وتفريغ خواطرهم
لأداء ما عليهم من الحقوق المستقبلية وذلك من أخص المنافع وأعمها ، فليقبلوا هذه
النعم بشكر الله على ما خص دولتنا به من هذه المحاسن ، ويؤالوا حمده على ما منعمهم
به من مواد عظمى التي ماء إحسانها غير آسن ، ويتهللوا بإيماننا الزاهرة بالأذعية
التي تُخلد سلطاتها، وتشيّد أركانها، وتعلي منار الدين باعلائها ، وتؤيّد بها بالملائكة
المتقربين على أعداء الله وأعدائنا . وسيل كل واقف على مرئوسنا هذا : من ولاة
الأمر أجمعين العمل بمضمونه ، والانتهاؤ إلى مكنونه ، والمبادرة إلى إثبات هذه
الحسنة ، والمصارعة إلى العمل بهذه المسامحة التي تستدعي مساز القلوب وتناء
الأنسنة ، وتعفية آثار تلك البواقي التي عفونا عن ذنوبها ، ومحو ذكرك تلك الأموال
التي تعرضنا عن استيفائها بأجرها .



وهذه نسخة مرسوم شريف بالمساحة بالبواقي في ذِمِّ الجُنْد والرَّعايا بالشَّام ،
كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في شهور سنة اثنتين وسبعائة بخط
العلامة كمال الدين محمد الزمليكانى من إنشائه ^(١) ، وقُرئ على المنبر بالجامع الأموى
بدمشق المحروسة ، وهى :

الحمد لله الذى وَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ، وَسَمِعَ نَدَاءَ كُلِّ حُرٍّ رَافَةً وَحِلْماً ،
وخصَّ أَيْمَانَنَا الزاهرة بالإحسان فأَنْجَحَ فيها مَنْ عَدَلَ وخابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً ،
وَزَانَ دَوْلَتَنَا بِالْعَفْوِ والتجاوزِ فهى تَعْتَدُ المساحة بالأموال الجسيمة غنائاً إِذَا أَعْتَدَتْهَا
الدُّولُ غُرْماً .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمَةِ الَّتِي عَمَّرَتْ رعايانا بِإِدَامَةِ الإحسان إليهم ، وَعَمَّرت ممالكنا بِمَا
تَتَعَاهَدُ بِهِ أَهْلُهَا مِنْ تَشْرِجَتِ الرَافَةِ عليهم ، وَخَفَّفَتْ عَنْ أَهْلِ بِلَادِنَا أَثْقَالَ بَوَاقِي
الْأُمُوالِ الَّتِي كَانُوا مَطْلُوبِينَ بِهَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَمِنْ يَدَيْهِمْ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهِادَةً لَمْ تَزَلْ تَنْفَعُ لِأَهْلِهَا الْعَدْلَ بِالْإِحْسَانِ ، وَتَجْمَعُ لِأَرْبابِهَا
بِالرَّافَةِ وَالرِّفْقِ أَشْهَاتُ النَّعْمِ الْإِحْسَانِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي جَلَّ
الْعَمَّةُ ، وَهَدَى الْأُمَمَ ، وَسَنَّ الرَّافَةَ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ وَالرَّحْمَةَ ، وَحَثَّ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى
ذَوِي الْعُسْرَةِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ بَرَاءَةِ كُلِّ مَشْغُولِ الذَّمِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ أَمَرُوا بِالتَّيْسِيرِ ، وَأَقْنَعُوا مِنَ الدُّنْيَا بِالتَّيْسِيرِ ، وَأَوْصَحُوا طُرُقَ الْإِحْسَانِ لِسَالِكِيهَا
فَسَهَّلَ عَلَى الْمُقْتَدِرِ بِهِمْ فِي الْحَقِّ عَلَى الْأُمَّةِ الصَّعْبُ وَيُسِّرَ الْعَسِيرَ ، صَلَاةً تُدْخِلُهُمُ
إِلِى الْحَسَابِ ، وَتُعَدُّ لَوَقْتُ الَّذِي إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ ، وَمَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .

(١) نسبة إلى زمليكان وقد ضبطها صاحب القاموس بالسر وضبطها بالقوت في مجمله بالفتح قل
فها رأيين .

وبعد ، فإن الله تعالى لما خصَّ أيمانَ الزاهرة بالفُتوح التي أنامت الرعايا ،
 في مهادِ أمنها ، وأنالت البرايا ، مواعِجَ يمينها ومنها ، وكفَّتْ أكثفَ الحوادث عن
 البلاد وأهلها ، ونشرت عليهم أجنحةَ البشائر في حزن الأرض وسهولها ، وأعدبت
 من الطمانينة مواردهم ، وعمت بالدعة والسكون قاطنتهم وراحلهم ، وبدلتهم من بعد
 خوفهم أمنا ، ونولتهم بإجابة داعي الذب عنهم مئنا ، رأينا أن نفسح لهم مجال
 الدعة والسكون ، وأن لا تقنع لهم بما كان من أسباب المسار حتى تُنجمها بما يكون ،
 وأن نُصغى بالإعفاء من شوائب الأكدار سربهم ، ونؤمن بالإعفاء عن طلب البواقي
 التي هي على ظهورهم كالأوزار سربهم ، وأن نشقَّ العدلَ فيهم كما أمر الله تعالى
 بالإحسان إليهم ، ونضع عنهم بوضْع هذه الأثقالِ إصْرهم والأغلال التي كانت عليهم ،
 وأن نوفرَّ على عمارة بلادهمهم ، ونبرئ من تبعات هذه الأموال اللازمة لهم
 ذممهم ، ونريحَ من ذلك أسرَّارهم ، ونطلقَ من رِقة الطلب المستعيرِ أسرارهم ،
 ونُساعِجهم بالأموال التي أهملوها وهي كالأعمال محسوبة عليهم ، ونُففيهم من الطلب
 بالبواقي التي نسوها كالأجال وهي مقدَّمة بين يديهم ، لتكون بُشْرارهم بالنصر كامله ،
 ومسرَّتهم بالأمن من كل سبيل شامله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازال بره عميا ، وفضله لحسن النظر في مصالح
 رعاياه مُديما - أن تُسأخ مدينة دمشق المحروسة وسائر الأعمال الشامية بما عليها
 من البواقي المساقفة في الدواوين المعمورة إلى المدد المعينة في التذكرة الكريمة المتوجة
 بالخط الشريف ، وجملة ذلك من الدراهم ألف ألف وسبعمائة ألف وستة وأربعون
 ألفا ومائة ألف وخمسة وأربعون درهما ، ومن الغلال المتوجة تسعة آلاف وأربعمائة
 وأثنان وأربعون غرارة ، ومن الحبوب مائتان وثمان وعشرون غرارة ، ومن الغنم

نحسبائة رأس ، ومن الفولاذ ستمائة وثمانية أرتال ، ومن الزيت ألفان وثلاثمائة رطل ، ومن حب الرمان ألف وستمائة رطل .

فلتلقوا هذه النعمة بباع الشكر المديد ، ويستقبلوا هذه المنّة بحمد الله تعالى فإنّ الحمد يستدعى المزيد ، ويرفقا في أيامنا الزاهرة ، في حلل الأمن الضافية ، ويردوا من نعمنا الباهرة ، مناهل السعد الصافية ، ويقولوا على مصالحهم بقلوب أزال الأمن قلقها ، وأذهبت هذه المساحة المبرورة فرقها ، ونفوس أمنت المأخذة من تلك التبعات بحسابها ، وثقت بالنجاة في تلك الأموال من شدة طالب يأبى أن يفارق إلا بها ، ويتوقروا على رفع الأدعية الصالحة لأيامنا الزاهرة ، ويتمنوا بما شملهم من الأمن والمن في دولتنا القاهرة ، فقد تصدقنا بهذه البواق التي أبقت لنا أجرها وهي أكل ما يقتنى ، وخففت أثمان رطايانا وذلك أجل ما به يعتنى . وسبيل كل واقف على هذا المرسوم الشريف اعتماد حكمه ، والوقوف عند حده ورسمه ، ويعنى آثار هذا الباقي المذكور بخور رسمه واسمه ، بحيث لا يترك لهذه البواق المذكورة في أموالنا انتساب ، ولا يبق لها إلى يوم العرض عرض نُورده ولا حساب ، وانلخط الشريف شرفه الله تعالى أعلاه حجة بقتضاه .



وهذه نسخة مساحية بمكوس على جهات مستقبحة بالملكة الطرابلسية ، وإبطال المنكرات ، كُتِب بها في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » أيضا في شهر مسنة سبع عشرة وسبعمائة ، وهي :

الحمد لله الذى جعل الدين المحمدي في أيامنا الشريفة على أثبت عماد ، وأصطفانا لإشادة أركانه وتنفيذ أحكامه بين العباد ، وسبيل علينا من إظهار سعائره ما رام

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا تَسْهِيلَهُ فَكَانَ عَلَيْهِ صَعْبُ الْإِقْتِيَادِ ، وَأَدْخَلْنَا مِنْ أَجُورِ نَصْرِهِ أَجَلَ مَا يُدْخِرُ لِيَوْمٍ يَفْتَقَرُ فِيهِ لِصَالِحِ الْإِسْتِعْدَادِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ بَلَقَتْ مِنْ إِقَامَةِ مَنَارِ الْحَقِّ الْمُرَادِ ، وَأُنْحَدَتْ نَارَ الْبَاطِلِ بِمُظَافِرِنَا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْإِقْتَادِ ؛ وَنَكُستَ رُؤُوسَ الْفَحْشَاءِ فَعَادَتْ عَلَى أَسْتَحْيَاءِ إِلَى مُسْتَسْنَهَا أَقْبَحَ مَعَادِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ سَطَرَ فِي صَحَافَتِنَا مِنْ غُرَرِ السَّيْرِ مَا تَبَقَى بِهِجْتُهُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَجْعَلُهَا الْعَبْدُ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادِ ، وَتَسْرَى أَنْوَارُ هُدًى فِي الْبَرَايَا فَلَا تَزَالُ آخِذَةً فِي الْإِزْدِيَادِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ عَمَدًا عَسَلَهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِالْإِنْتِزَارِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ ؛ وَالْإِعْذَارِ إِلَى مَنْ قَامَتْ عَلَيْهِ الْحِجَةُ بِشَهَادَةِ الْمَلَكَيْنِ فَأَوْضَحَ لَهُ سَبِيلَ الرِّشَادِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَتَحَبَّهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ رَدَّ أَهْلَ الرِّذَّةِ إِلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ أَحْسَنَ تَرْدَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَمِمَ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ سَائِرَ الْعِيَادِ وَالْبِلَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَدَّلَ مَالَهُ لِلْجَاهِدِينَ وَنَفْسَهُ لِلْجِهَادِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَافَعَ عَنِ الْحَقِّ فَلَا يَرِيحُ فِي جِدَالٍ عَنْهُ وَفِي جِلَادِ ، صَلَاةٌ تَهْدِي إِلَى السُّدَادِ ، وَتَقْوِمُ الْمُعْوِجَ وَتُقَفِّ الْمِيَادِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْذُ مَلَكَا أُمُورَ خَلْقِهِ ، وَبَسَطَ قُدْرَتَنَا فِي النَّصْرِ فِي عِبَادِهِ وَالْمُطَالِبَةِ بِحَقِّهِ ، وَفَوَّضَ إِلَيْنَا الْقِيَامَ بِنُصْرَةِ دِينِهِ ، وَفَهَّمَنَا أَنَّهُ تَعَالَى قَبْضَ قَبْلِ خَلْقِ الْخَلَائِقِ قَبْضَتَيْنِ فَرَعَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنْ قَبْضَةِ يَمِينِهِ ، وَالْقِيَامَ إِلَيْنَا مِنْ مَقَالِيدِ الْمَمَالِكِ ، وَأَقَامَ الْحِجَةَ عَلَيْنَا بِتَمْكِينِ الْبَسْطَةِ وَعَدَمِ الْمَشَاقِقِ فِي ذَلِكَ ، وَمَهَّدَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مَا عَلَى غَيْرِنَا تَوَعَّرَ ، وَأَعَدَّ لَنَا مِنَ النَّصْرِ مَا أَجْرَانَا فِيهِ عَلَى عَوَائِدِ لُطْفِهِ لَاعِنَ مَرَحٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا عَنَ خَدِّ مُصْعَرٍ أَلْهَمَنَا إِعْلَاءَ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ ، وَإِعْزَازَ الْحَلَالِ وَإِذْلَالَ الْحَرَامِ ، وَإِنْ تَكُونُ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَإِنْ لَا تَخْتَارُ عَلَى دَارِ الْآخِرَةِ دَارَ الدُّنْيَا ؛ فَلَمْ تَزَلْ تُهَيِّمُ

للدِّينِ شِعَارًا ، وَنُفَى لِلشُّرْكِ آثَارًا ؛ وَنُفَى فِي النَّصِيحَةِ قَهَّ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهْرًا وَإِسْرَارًا ؛ وَنَتَجَ أَتْرَ كَرَمٍ بَقْتَضِيهِ ، وَمَعْطُولٍ بِحَقِّهِ تَوْقِيهِ ؛ وَتَعَلَّمَ حَقَّ قُرْبَةِ نُسَيْدِهِ ، وَغَدُولًا اسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ تَوْيْدَهُ ؛ وَذَا كُرْبَةٍ تَفْرِجُهَا ، وَغَرِيبَةٍ فَخْشَاءَ اسْتَظَرَدَتْ مِنْ أَدْوَارِ الْحَقِّ تُخْرِجُهَا ؛ وَسِنَّةٍ سَيِّئَةٍ اسْتَعْظِمَ النَّفْسُ زَوَالَهَا فَجَعَلَهَا هَبَاءً مَشُورًا ، وَجَمَلَةً عَظِيمَةً أُسِّسَتْ عَلَى غَيْرِ التَّقْوَى مَبَانِيهَا فَيَحْطِمُهَا كَرَمُنَا فَتَوَدَّى الْجَزَاءُ عَنْهَا مَوْفُورًا ؛ فَاسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ مَمْلَكَةً مَمْلَكَةً ، وَاسْتَظَرَدْنَا فِي إِبْطَالِ كُلِّ فَاحِشَةٍ مَوْيِقَةٍ مُهْلِكَةٍ ؛ فَعَقَيْنَا مِنْ ذَلِكَ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَةِ مَاشَاعَ خَبْرُهُ ، وَظَهَرَ بَيْنَ الْأَنَامِ أَثَرُهُ ؛ وَطُبِّقَتْ بِحَاسِنِهِ الْآفَاقُ ، وَلَمَّحَتْ بِهِ السِّنَةُ الدُّمَاءَ وَالرِّفَاقُ : مِنْ مُكُوسٍ أَبْطَلْنَاهَا ، وَجِهَاتٍ سُوءٍ عَطَلْنَاهَا ، وَمَظَالِمٍ رَدَدْنَاهَا إِلَى أَهْلِهَا ، وَزَجَرْنَاهَا عَنْ غَيْبِهَا وَجَهْلِهَا ، وَبَوَاقٍ سَاعَمْنَا بِهَا وَتَمَحَّنَّا ، وَطَلَبَاتٍ خَفَّفْنَا عَنْ الْعِبَادِ بِرُكْحَاهَا وَأَرْحَانِهَا ؛ وَمَعْرُوفٍ أَقْنَا دَعَائِمَهُ ، وَبُيُوتٍ قَدَّرْنَا مِنْهَا كُلَّ نَائِمَةٍ ؛ ثُمَّ بَثَّنَا ذَلِكَ فِي سَائِرِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، وَجَنَيْنَا ثَمَرَاتِ النُّصْرَةِ مِنْ شَجَرَاتِ الْعَدْلِ الَّتِي هِيَ بَيْدٌ يَقْطُلُنَا مَغْرُوسُهُ .

وَلَمَّا اتَّصَلَ بِعِلْمِنَا الشَّرِيفَةُ أَنَّ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَائِئِيَّةِ آثَارَ سُوءٍ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا ، وَمَوَاطِنُ فِسْقٍ لَا يَحْدُرُ غَيْرُنَا عَلَى دَفْعِ ضَرَرِهَا وَضَرِيرِهَا ؛ وَمَقَالٌ آثَامُ يَجِدُ الشَّيْطَانُ فِيهَا بَجَالًا فَنَسِيحًا ، وَفُرْقَى لَا يُوجَدُ بِهَا مِنْ [كَانَ] إِسْلَامُهُ مَقْبُولًا وَلَا مِنْ [كَانَ] دِينُهُ صَحِيحًا ؛ وَنَحْوَرًا يَتَظَاهَرُ بِهَا ، وَيَتَصَلُّ سَبَبُ الْكِبَارِ بِسَبَبِهَا ؛ وَنُشَاعُ بَيْنِ الْخَلَائِقِ مُجْهَرًا ، وَتُبَاعُ عَلَى رُغُوسِ الْأَشْهَادِ فَلَا يُوجَدُ لِهَذَا الْمُنْكَرِ مُنْكَرًا ؛ وَيُحْتَجُّ فِي ذَلِكَ بِمَقَرِّبَاتٍ تُحْتَمَى لَا تُنْهَدَى نَفْعًا ، وَتُنْفَى فِي يَدِ أَخْذِهَا كَانَهَا حَيَّةً تَسْعَى .

ومما أنهى إلينا أن بها حانةٌ عبر عنها بالأفراح قد تطاير شرُّها، وتفاقم ضرُّها، وجوهر فيها بالمعاصي، وأذنت لولا حلم الله وإمهاله بزلزلة الصياصي، وغدت لأهل الأهوية مجمعا، ولذوى الفساد مرمما ومرتما، يتظاهر فيها بما أمر بسنته من التافذورات، ويؤتى بما يجب تجنبه من المحذورات، ويُستسل في الأفراح بها بما يؤدى إلى غضب الجبار، وتهاقت النفوس فيها كالقراش على الاقتحام في النار.

ومنها - أن المسجون إذا سُجن بها أخذ بجميع ما عليه بين السجن وبين الطلب، وإذا أفرج عنه ولو في يومه ألقب إلى أهله في الحسارة بشر متقلب، فهو لا يجد سرورا بفرجه، ولا يحد عُقْبَى مُخرجه .

ومنها - أن بالأطراف القاصية من هذه المملكة قرى سُكنها يُعرفون بالنصيرية لم يلج الإسلام لهم قلبا، ولا خالط لهم لبًا، ولا أظهروا له بينهم شعارا، ولا أقاموا له منارا، بل يُخالقون أحكامه، ويمهلون حلاله وحرامه، ويخطلون ذبايحهم بذبايح المسلمين، ومقابرهم بمقابر أهل الدين، وكل ذلك مما يجب ردُّعهم عنه شرعا، ورجوعهم فيه إلى سواء السبيل أصلا وفرقا، فعند ذلك رغبنا أن نفعل في هذه الأمور مايقب ذكره مفعلة على ممر الأيام، وتقوم بهجته بدوام دولة الإسلام، ونمحو منه في أيامنا الشريعة ما كان على غيرها به عارا، ونسترجع للحق من الباطل قوبا طالما كان لديه مُعارا، وثبتت في سيرة دولتنا الشريعة عوارف لا تزال مع الزمن تُذكر، وتتلو على الأسماع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال بالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا وزاجرا، ولامثال أوامر الله تعالى مسارعا ومبادرا - أن يُبطل من المعاملات بالمملكة الطرابلسية ما يأتى ذكره :

<p>بجن الأقباص المُحَدَّث بأمر أقباص الديوان المعمور التي كان فلاحو الكورة بطرابلس يعملون بها ثم أُعْثِرُوا عن العمل وقُتِرَ عليه في السنة</p> <p>ل</p>	<p>السجون بالمملكة الطرابلسية خارجا عن بجن طرابلس بحكم أنه أبطل بمرسوم شريف متقدم التاريخ وتقديرها</p> <p>عالم</p>	<p>جهات الأفراح المحذورة بالفتوحات خارجا عما لعله يستقر من ضمان الفرح الخ . وتقديرها</p> <p>للم</p>
<p>حق الديوان بصهيون بطرابلس وقصريون بطرابلس عن كان معا في حصنها وتقدير متحصل ذلك</p> <p>للم</p>	<p>عناية الشام بكورة طرابلس واقفة والسرون وما معه بحكم أن المذكورين كانوا ثبتوا على المراكز بالبحر فلما شكت المراكز بالعساكر المنصورة قُتِرَ على ذلك في السنة</p> <p>عالم</p>	<p>أقباص للأمرأء بحكم أن بعض الأمراء كان لهم جهات زرع أقباص وقُتِرُوا على بقية فلاحهم العمل بها والقيام بنظيره آخر العمل . وتقدير ذلك</p> <p>للم</p>
<p>المتحدث إقطاعا من بعض الأمراء على الفلاحين مما لم يجربه عادة : من حشيش وملح وضيافة . وتقديره</p> <p>للم</p>	<p>ضمان المشعل بطرابلس مما كان أولا بديوان الشام بالفتوحات ثم استقر بالديوان المعمور في شهور سنة ست عشرة وسبعمائة وتقديره</p> <p>للم</p>	<p>هبة الشاة بنواحي الكهف تُشَدُّ فيها كان يستأدى من كل مدير وتقدير متحصله</p> <p>للم</p>

فَيُطْلَقُ هَذَا عَلَى مَمَرِ الْأَزْمَةِ وَالْأُذْهُورِ ، إِطْطَالًا بَاقِيًا إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ ، لَا يُطْلَبُ وَلَا يُسْتَادَى ، وَلَا يَتَلَعُّ الشَّيْطَانُ فِي بَقَائِهِ مُرَادًا .

وَيُقْرَأُ مَرْسُومُنَا هَذَا عَلَى الْمَنَابِرِ وَيُشَاعُ ، وَتُسْتَجْلَبُ لَنَا مِنْهُمْ الْأَدْعِيَةُ الصَّالِحَةُ فَإِنَّهَا نِعَمُ الْمَنَاعِ .

وَأَمَّا النَّصِيرِيَّةُ فَلْيُعْمَرُوا فِي بِلَادِهِمْ بِكُلِّ قَرْيَةٍ مَسْجِدًا ، وَيُطْلَقَ لَهُ مِنْ أَرْضِ الْقَرْيَةِ رُقْعَةٌ أَرْضٌ تَقُومُ بِهِ وَبَيْنَ يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْقَوَامِ بِمَصَالِحِهِ عَلَى حَسَبِ الْكِفَايَةِ ، بَحِثُ يَسْتَفِزُّ الْجَنَابَ الْفَلَائِي نَائِبُ السُّلْطَنَةِ بِالْمَمْلَكَةِ الطَّرَابُلسِيَّةِ وَالْحَصُونِ الْحَرُوسَةِ ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ مِنْ جِهَتِهِ مَنْ يَتَّقِ إِلَيْهِ لِأَفْرَادِ الْأَرْضِ وَيُعَدِّدُهَا وَتَسْلِيْمَهَا لِأَيْمَةِ الْمَسَاجِدِ الْمَذْكُورَةِ ، وَقَضَلَهَا عَنْ أَرْضِ الْمُقْطَعِينَ وَأَهْلِ الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ وَيَسْمَلُ بِذَلِكَ أَوْرَاقًا وَتُحْلَدُ بِالْدِيَوَانِ الْمَعْمُورِ حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ مِنَ الْمُقْطَعِينَ فِيهَا كَلَامٌ ، وَيُنَادَى فِي الْمُقْطَعِينَ وَأَهْلِ الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ بِصُورَةِ مَا رَسَمْنَا بِهِ مِنْ ذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ رَسَمْنَا أَيْضًا بِمَنْعِ النَّصِيرِيَّةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ الْخُطَابِ وَأَنْ لَا يُمَكِّنُوا بَعْدَ وُرُودِ هَذَا مِنَ الْخُطَابِ جَمْلَةً كَافِيَةً ، وَتُؤَخَذُ الشَّهَادَةُ عَلَى أَكْبَرِهِمْ وَمَشَاحِجُ قُرَاهِمَ لثَلَا يَوْدُو أَحَدُ مِنْهُمْ إِلَى التَّظَاهَرِ بِالْخُطَابِ وَمَنْ تَظَاهَرَ بِهِ قُوِيلَ أَشَدُّ مُقَابَلَةً .

فَلْتَعْتَمِدْ مَرَأِسُنَا الشَّرِيفَةَ وَلَا يُعْدَلْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلْتَجْرِ الْمَمْلَكَةُ الطَّرَابُلسِيَّةُ تَجْرَى بِهَيْئَةِ الْمَالِكِ الْحَرُوسَةِ فِي عَدَمِ التَّظَاهَرِ بِالْمُنْكَرَاتِ ، وَتَعْفِيَةِ آثَارِ الْفَوَاحِشِ وَإِقَامَةِ شَعَائِرِ الدِّينِ الْقَوِيمِ : (فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بالمساحة في جميع المراكز بما يُستأدى على الأغنام الدغالي الداخلة إلى حلب ، وأن يكون ما يُستخرج من تجار النعم على الكبار منها خاصة ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، مما كُتب به في شهر سنة سبع وثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله ذي المَوَاهِبِ العَمِيمَةِ ، والعَطَايَا التي لا تُجُودُ بها يدُ كَرِيمِهِ ، والمِنَنِ التي عَوَّضَتْنا منها عن كل شيءٍ بغيرِ منه قِيمَةٍ ، والمساحَةِ التي اذْهَبْنا بها عن كل مالٍ حُسْنَ مَالٍ وبِكُلِّ غَنَمٍ غَنِيمَةٍ .

نحمده على نِعَمِهِ التي غَدَتْ على كَثْرَةِ الإِنْفَاقِ مُقِيمَةٍ ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أكرم من سَمَحَ وسَاحَ في أمورٍ عَظِيمَةٍ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَحَاشَ صَلَاةُ مُسْتَدِيمَةٍ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وبعد ، فبِذَلِكَ اللهُ لم تَزَلْ نَرْغَبُ إِلَيْهِ ، وَنَعَامِلُهُ بِمَا نَهَبُهُ لَهُ وَنَزَجَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ تُبْقِ مَمْلَكَةً مِنْ مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ حَتَّى سَاحَتْنا فِيهَا بِأَمْوَالٍ ، وَسَامِنَا فِيهَا بِنَفْعِ أَرْضِهَا السُّحْبِ الثَّقَالِ ، وَكَانَتْ جِهَةُ الْعِدَادِ بِالْمَمْلَكَةِ الْحَلِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ مُثْقَلَةً الْأَوْزَارِ بِمَا عَلَيْهَا ، مَشْدُودَةَ الطَّاقِ بِمَا يَفُلُّ مِنَ الطَّلَبِ يَدِيهَا ، عَمَّا هُوَ عَلَى التَّرِكَانِ بِهَا مُحْسُوبٌ ، وَإِلَى عَدِيدِهِمْ عَدَدُهُ مَنَسُوبٌ ، وَنَحْنُ نَقُتُّهُ فِي جَمَلَةٍ مَا أَسْقَطْنَاهُ مَسَاحَتُنَا الشَّرِيفَةِ وَهُوَ مِنْهُمْ مَطْلُوبٌ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْدَغَالِي زَانِدًا عَلَى الرُّمُوسِ الْكِبَارِ ، وَمَعْدُودًا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْكِبَارِ وَهُوَ فِي حِسَابِ الدَّوَاوِينِ مِنَ الصَّغَارِ ، فَلَمَّا أَتَصَلَ بِنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُظْلِمَةَ مَا أَنْجَلِي عَنْهُمْ ظُلْمُهَا ، وَلَا رَفَعَ مِنَ الْحِسَابِ عَنْهُمْ قَلْبُهَا - أَكْبَرْنَا مَوْقِعَ بَقَائِهَا ، وَعَلِمْنَا أَنَّهَا مَدَّةٌ مَكْتُوبَةٌ لَمْ يَكُنْ بَدْءُهَا مِنَ الْمَصِيرِ إِلَى أَهْضَائِهَا ؛ وَاسْتَجَلَبْنَا قُلُوبَ

طوائف التُّركمان بها ، وأوتقنا أسبابهم في البلاد بسببها ، لأمرين كلاهما عظيم :
 لرغبنا فيما عند الله ولياً لهم من حقٍّ ولأيةٍ قديم ، كم صاروا مع الجيوش المنصورة
 جيوشاً ، وكم ساروا إلى بلاد ملوك الأعداء فتلوا لهم عُروشاً ، وكم كانوا على أعقاب
 العساكر المؤيدة الإسلامية ردفاً ومقدمتهم في محاصرة جاليشا ، وكم قتلوا بسببهم
 كافراً وقدموا لهم رماحهم نفوساً ، ومنهم أمراء وجنود ، ونزولٌ وفود ، وهم وإن
 لم يكونوا أهل خباء فهم أهل عمود ، وذو أنساب عريقه ، وأحسابٍ حقيقه ،
 إلى القَبَاقِ الخُلص مرجعهم ، والفرس بفرسان دولتنا الشريفة تجمعمهم - فاقضى
 رأينا الشريف أن نزعى لهم هذه الحقوق بإبطال تلك الزيادة المرادة ، وأن نناسي
 منها ما هو في المدد كالنسيء في الكفر زيادة .

فرسم بالأمر الشريف - لازالت مواهبه تشمل الآفاق ، وتريد على الإنفاق ،
 وتقدم ما ينفد إلى ما هو عند الله باق - أن يسامح جميع التراكين الداخِلِ عِدادهم
 في صفان عِداد التُّركمان بالملكة الحليية المحروسة بما يُستأدى منهم على الأغنام الدغلى ،
 وأن يكون ما يُستخرج منهم من المدد على الجكار خاصة : وهو عن كل مائة رأس
 جكار ثلاثة أروُس جكار خاصة لا غير من غير زيادة على ذلك ، مساحمةً مستمرة ، دائمةً
 مستقرة ، باقية بقاء الليالي والأيام ، لا تبدل لها أحكام ، ولا تتغير بتغير حاكم من
 الحكام ، نرجو أن تُسرَّبها في صحائف أعمالنا يوم العرض ، لا يتأول فيها حساب ،
 ولا تمتد إليها [يَدٌ] حُساب ، ولا يبقى عليها سبيلٌ للدواوين والكتب ، ولا تُسبب
 أغنامهم ليرعاها منهم أولئك الذئاب ؛ كُلُّها مرَّ على هذه المساحمة زمانٌ أكد أسبابها ،
 وبيَّض في صحائف الدفاتر حسابها ، لا تُعارض ولا تُناقض ولا يتأول فيها تناول
 في هذا الزمان ولا فيما بعده من الزمان ، ولا يدخل حُكْمها في النسيان ، ولا يُنقص
 أجراها المضمون ، ولا تُطلب أحساب هذه الدغلى عليها بعدد في قرن من القرون ،

ولا يُستَحَرَّ بما يُستأدَّى منها جليلاً ولا حقيرةً ، ولا يَسْمَح لنفسه من قال إنها صغيرةٌ وهى عند الله كبيرة : تَطْلِبَ لأهلها ومن تَسَامَعَ بما شَمِلهم من إحساننا الشريف النفوس ، ولا تُصَدِّع لهم بسبب هذا الطَّلَب رُءُوس ، فَن تَعْرِضَ فى زماننا أمدنا الله بالبقاء أو كَشَفَ فى هذه الصدقة الجارية وجهَ تأويل ، أو سكن فيها إلى مداومةٍ بقليل ، أو طَلَبَ من ظالمٍ يَعْنِيهِ مداواةَ قوله العليل ، فسيجد ما يُصْبِحُ به مثله ، ويتوبُ به مثله ويكون لمن بعده عِبْرَةٌ بمن قُدِّمَ قبله ، ونحن نبرأ إلى الله ممن يتعرَّضُ بعدنا إلى نقضها ، وهذه المسامحة عليه حُجَّتُنَا التى لا يَقْدِرُ عند الله على دَحْضِهَا .

ولتُقَرَأْ على المتأبر وتُكَلِّمَتْها ، وتمدَّ فى أقطار الأرض كما أمنت السحابُ رَحْمَتَهَا ، وسيلُ كل واقفٍ عليها من أرباب الأحكام : أصحاب السيوف والأقلام ، ومن يتناوبُ منهم على الدوام ، العملُ بما رسمنا به واعتمادُ ما حكم بموجبه ، بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى أعلاه . إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثانية — من المسامحات أن تُكْتَبَ فى قطع العادة مفتحةً برسم بالأمر الشريف .

وغالبُ ما يُكْتَبُ ذلك للتجار الخواجية بالمسامحة بما يلزمهم من المكوس والمقررات السلطانية عن نظير ثمن ما يُبتاع منهم من الممالك .
والعادةُ أن يكتب فى طُرَّتِهَا « توقيعُ شريفٍ بمسامحةِ فلان بما يجبُ عليه من الحقوق الديوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية » بحسب ما يُرْمَى له به .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهى :

رُيِمَ بالأمر الشريف — لا زال يُتَّبَعُ السَّامَحَ بمثله ، ويشمل الرعايا كل وقتٍ فى ممالكه الشريفة بمثله ، ويواصل إليهم رفقته ورفقه فلا يرحون فى مهاده من

نعمه وإسعاد من فضله - أن يُسَاحَ المجلس السامى (إلى آخر القابله) أدام الله تعالى
رضته بما يجب عليه من الحقوق الديوانية بالديار المصرية والبلاد الشامية، وسائر
الممالك الإسلامية، فيما يبيعه ويتعاضده من سائر الأصناف خلا المتنوعات :
صادراً لاغيراً أو صادراً ووارداً ، بنظير المالك الذين ابتاعهم برسم الأبواب الشريفة
بكذا وكذا ألف درهم .

فليتم هذا المرسوم الشريف كل واقف عليه ويعمل بحسبه ومقتضاه ، من
غير عدول عنه ولا خروج عن حكمه ومعناه ، وانلخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه
حجة بمقتضاه . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة دعاء آخر يفتح به توقيع مساحه ، وهو : لا زالت نعمه عميمه ، وسجاياه
كرمه ، ومواهبه فى الآفاق سائرة وفى الأقطار مقيمه ، أن يساح فلان بكذا وكذا .
آخر : لا زالت صدقاته الشريفة تحقق وسائل طالبها ، وأوامره المطاعة
نافذة فى مشارق الأرض ومقاربها ، أن يساح فلان بكذا وكذا .

قلت : والعادة فى مستند ذلك أنه تُحضّر به قائمة من ديوان الخصاص الشريف
فيكتب عليها كاتب السرباليعين ، ويخلدها كاتب الإنشاء عنده شاهدا له بذلك كما
فى غيره من سائر المستندات :

الضرب الثانى

(ما يكتب عن ثواب السلطنة بالمالك الشامية)

وغالب ما يكون فى مساحات التجار بمقرر ما يتاعونه أو يشترونه ، أو بقدر معين
يحصل الوقوف عنده ، ويعبر عما يكتب فيه بالتواقيع كما فى الولايات عندهم ،
وأكثر ما يفتح برسم بالأمر .

وهذه نسخة مرسوم شريف بمساحة كُتِبَ بها عن نائب الشام في الدولة الناصرية «فرج» لخواجه محمد بن المزلق، وهى :

رسم بالأمر العالى - لا زال قصدُ ذوى الحقوق عنده ناجهاً، وإحسانه للقرب
إليه مساعياً - أن يُساعَ الجَناب العالى ، الصِّدى ، الكبيرى ، المحترى ، المؤتمنى ،
الأوحدى ، الأكلى ، الرئيسى ، العارفى ، المقرَّبى ، الخواجكى ، الشمسى ، محمد
الإسلام والمسلمين ، شرف الأَكابر فى العالمين ، أوحد الأمناء المقربين ، صدر
الرؤساء ، رأس الصُّدور ، عين الأعيان ، كبير الخواجكيه ، سفير الدولة ، مؤتمن
الملوك والسلطين : محمد بن المزلق ، عين الخواجكية بالملكة الشريفة الشامية المحروسة
- أدام الله تعالى نعمته - بما يجب عليه من الحقوق الديوانية بالطُّرقات المصرية ،
وجميع البلاد الشامية المحروسة والركاه بدمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحماة ،
وصفد ، وغزة ، وحصن ، وبعلبك المحروسات ، والبروك ، والمقطعين ، وقطيا ،
مما يبيعه ويتناعه ويتعوضه من جميع الأصناف خلا المنوعات صادراً ووارداً ،
ويؤمن عليه بقيمة ما يشتريه بما مبلَّغه من الدراهم النقرة الجيدة مائتا ألف درهم ،
ولا يطالبُ عن ذلك بحق من الحقوق ولا بفقر من المقررات ، مساعداً باقية
مستمرة ، دائمة أبداً مستغرة ، لا ينتقض حكمها ، ولا يغير رسمها ، لخدمته الدول
على اختلافها ، ولبلالته فى التقرب بما يرضى الخواطر الكريمة وينفع الناس بما
يُحضره من أنواع المتاجر وأصنافها ، ولأستحقاقه لهذا الإنعام ، ولأختصاصه به
دون الخالص والعام .

فليتأتى ذلك بالحمد والابتهال ، والله تعالى يُبَلِّغه من مزيد إضامنا الآمال ، والاعتقاد
فى معناه ، على الخط الكريم أعلاه . إن شاء الله تعالى .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة السادسة

(فيما يكتب من الإطلاقات : إما تحريراً لما قرره غيره من الملوك السابقة ، وإما ابتداء لتقرير ما لم يكن مقترراً قبلاً ، وإما زيادة على ما هو مقترر ، وفيه طرفان)

الطَرَفُ الأوَّل

(فيما يكتب عن الأبواب السلطانية ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يكتب فى قطع التُّك مفتحاً بالحمد لله ، وهو أعلاها)

وهذه نسخة توقيع شريف باستقرار ما أطلقه السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالديار المصرية للمُعمرين أعصاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كُتِب به فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، من إنشاء المقر الشهابى بن فضل الله ، وهى :

الحمد لله الذى أبداً الجميل وأعادته ، وأجرى تَكْرُماً على أجل عاده ، وقضى بنا آثار الذين أحسنوا الحُسنى وزِيادته .

نحمدُه على أن جعل جُودنا المُقدَّم وإن تأثر أياما ، والمُطِيبَ لِذِكْر من تقدم حتى كأنما حاله مثل المسك ختاماً ، والصَّيِّبَ الذى هَتَمه من بَوادر الفَيْث قَطُرُ ثم أسهلَّ هو غَمَّاماً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرفع أعلامها ونمنع أن تَطْمِيس البالي لمن جاهد عليها من ملوك الزمان أعلاماً ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً

عبدُه ورسوله الذي هدّى به إلى أوضح المسالك ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين فتحوا من الأرض ما وعد أنه سيلبغُ ملكُ أمته إلى ما زوى من ذلك ، وسلم .
وبعدُ ، فإن أفضل النعم ما قرّن بالإدامه ، وأعظم الأجور [أجر] من سنّ سنة
[حسنة] فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأحسن الحسنات ما رَغِبَتْ
السلف الصالح في خَلْفهم ، وأمرت بأيديهم ما حازوه من ميراث سَلَفهم ، وكان المولى
الشهيدُ الملكُ الناصر صلاح الدين ، متخذُ بيت المقدس من المشركين ، أبو المظفر
يوسفُ بن أيوب - قدس الله روحه - هو الذي كان على قواعد المُعمرين بانياً ،
والفاتحَ لكثير من قوَحات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتوحاً ثانياً ،
ولما اعلّى الله بمصر دولته المُنيّه ، ومحا به من البَدع الإسماعيلية عظام كثيره ،
حبس ناحية « شِباس الملح » وما معها جميع ذلك بحجّه وحُدوده وقربيه وبعيده ،
وعامره وغامره ، وأولّه وآخره ، على المُقيمين بالحرمين الشريفين من الذرية العُمرية ،
كما قاله في توقيعه الشريف المكتتب بالخط الفاضل عمر الأتَم ، وأقضى بهداه بعده
من إخواننا الصالحين ملوكُ الاسلام ، بفتحنا لهم هذا التوقيع الشريف تبركاً بالمشاركة
واستدراك ما فاتنا مع سَلَفهم الكريم بالإحسان إلى أعقابهم . ومرسومنا أن يُحمّلوا
على حكم التوقيع الشريف الصّلاحي وما بعده من تواقع الملوك الكرام ، ولا يُغيّر
عليهم فيه مُغيّر من عوائد الإكرام ، ولا يُقبلَ فيهم قولٌ معترِض ولا سَعَرَض إليهم يَدُ
معتَرِض ، ولا يُفَسَح فيهم لمستعص إن لم يكن رافضاً فإنه يرفض حقهم مترفض ،
وأياميل الله فيهم بما يزيّد جَنّهم رضى الله عنه رضا ، ويُحبس تحبيساً ثانياً لولانا
لقيل لمن يُطالب بها كيف يُطالب بشيء مضى مع من مضى ، ونحن نبرأ إلى الله
من سعى في نقضها بسبب من الأسباب ، أو مدّ فيها إلى فتح باب ، أو تأول في حكم
هذا الكتاب عليهم وقد وافق حكمُ جَنّهم حكم الكتاب ، وأن لا يُقَسَم شيء من رَبع

هذه الناحية على غير المقيمين منهم بالحرمين الشريفين . ومن خاف على نفسه
 في المقام فيهما من كان في أحدهما ثم فارقه على عزيم العود إلى مكانه ، وأقام وله
 حنين إلى أوطانه ، ولم يُلْهِه استبدال أرض يارض وجيران بيجران عن أرضه وجيرانه ،
 إتباعا لشرطها الأول بمثله ، وأتباعا فيها (؟) فاز مع السابقين الأولين بمزيد فضله .
 وليكن النظر فيه لأمثل هذا البيت من المستحقين لهذا الحبس كابرًا عن كابر ،
 ناظرًا بعد ناظر ، أتباعا للراد الكريم الصلاح في مرسومه المقدم ، وتفسيرًا لمن
 لا يفهم ، من غير مشاركة معهم لأحد من الحكام ، لا لأرباب السيوف ولا لأرباب
 الأقلام : لتكون نحن ومحسبنا - أتاه الله على هذه الحسنة - متناصرين ، ولتجد البقية
 التي قد ناصرها ناصرنا الناصر الأول منهما بناصرين ، وليعذر من تبع عليهم تأويلا ،
 ومن وجد في قلبه مرضًا فاعداهم به تعليلًا ، فاكتمناه لتأويل حصل عليهم ، ولا
 لتعليل المراسيم الملوكية التي هي في أيديهم ، وإنما هو بمثابة إجمال اتصل من حاكم
 إلى حاكم ، وسيف جددنا تقليده ليضرب به على يد الظالم ، وجود أعلمنا من يبي
 أنه على مدى الليالي والأيام ضرب لازم ، وفضل إن تقدمنا إليه من الملوك الكرام
 حاتم ، فإن كرمنا عليه حاتم ، فقد نبهوا رحمهم الله مكافأة على إحسانهم إلى الذرية
 العمرية عمرًا ، ثم ماتوا وأحالوا على جودنا الحمدي فلنهم بركات من سميننا باسمه
 صلى الله عليه وسلم لأنواع الحسنات أسرا . فكان توقيعتنا هذا لهم بمنزلة الخاتمة
 الصالحة ، والرحمة التي أربت أوائلها على التوب السالفة ، فقد تداركنا رمتهم
 المثل ، ولحقنا سابق معروفهم فلم نتمهل ، وأعلننا ما بدأوا به من الجليل فتكل ، وقرنا
 فراسمينا المطاعة بعضها ببعض وربما زاد الآخر على الأول ، فامتدناها منه بما
 لو لم يكن مدأه أعز من سواد القلب والبصر لما كان قوة عين لمن يتأمل : ابرقع
 عن هذه الناحية وعمر فيها كل كارث كارث ، ويزال عنهم إلا ما يكون من مجذبات

الخير خيرٌ حادث، ويعلم المَلَكُانِ المتقدمان أماننا أن نُعَزِّزَ بثالث . وجميع الثواب والولاء والمتصرفين ، والمُسَارِعِينَ إلى الخيرات ونعوذُ بالله من المتوقِّفين ، ومن يدخلُ في دائرة الأعمال ، وينضمُّ إلى راية المَلَأ ، فانا نُحَذِّره أن يتعرَّضَ فيها إلى سوء مآل ، أو يردَّ منها يده إلى جيبه بآل ، أو يُسَوِّشَ على أهلها ما استقاموا على أحسن حال ، وإن يحمِّد الله من هتَمْنَا من الملوك واتَّبَعُوا فيه التوفيقَ في علاماتهم فانا نحمِّده وهو أماننا ولنا في القيب آمال ، والله تعالى يعمل هذه الحسنة خالصةً لوجهه الكريم ، معوضةً منه بالثواب العظيم ، واصلهً بالرحمة لريم هذا البيت القديم ، إن شاء الله تعالى ، والاعتماد

المرتبة الثانية

(ما يُفتتح بهُأما بعد حمد الله)

وهو على نحو ما هتَم في الولايات : إما في قطع الثلث أو في العادة المنصوري .
وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل أماننا مطلقاً للسعادة ، وجعل لأوليائنا ، من إحساننا الحسنى وزياده ، وأضفى حُلَّ بهائنا ، على من لم يجتمع لغيره ما اجتمع له من أوصاف السيادة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي شيد الله به مباني الدين الحنيفي ورفع عِصاه ، ونصر جيوش الإسلام ومهد مهاده ، وعلى آله وصحبه الذين مامنهم إلا من جعل طاعته ونصرته عمده وأعتاده ، واتخذ مظافره ومؤازرته في كل أمر عكَّاه ، صلاةً مستمرةً على كَرِّ الجليدين إلى يوم الشهادة - فإنَّ أولى من تلحظه دولتنا الشريفة في أقبالها بزيد إقبالها ، وتعليل قدره إلى غاية

تَقْصُرُ الْإِفْلَاقُ عَنْ إِدْرَاكِ مَنَارِهَا وَبَعْدَ مَنَاسِلِهَا ، وَتُضَاعِفُ لَهُ أَسْبَابَ الْإِحْسَانِ
 مِنْ حُسْنِ تَفَكُّرِهَا وَاشْتِمَالِهَا ، وَتُسَيِّدُ مَبَانِي عِزِّهِ فَلَا تَصِلُ يَدُ الزَّمَنِ إِلَى بَعْضِ
 تَصَرُّفِهَا ، وَتُسَيِّغُ مَلَابِسَ النِّعَمِ عَلَيْهِ فَيَحْتَالُ فِي أَضْفَايَا وَمُعَالِيهَا ، وَتُجَدُّ مِنْ مَزَايَا
 جُودِهَا مَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَزَاءُ عَمَّا أَسْلَفَهُ مِنْ خِدْمَتِهَا - مَنْ نَظَرَ فِي مَصَالِحِ أَحْوَالِهَا
 الْمَنْصُورَةِ فَاحْسَنَ النَّظَرَ ، وَعَضَّدَ أَنْصَارَهَا بِأَرَاثِهِ الَّتِي تُشْرِقُ بِهَا وَجْهُهُ الْآيَّامُ لِإِشْرَاقِ
 الدَّرَارِيِّ وَالْأُذُرِّ ، وَأَضْحَى وَلَهُ فِي الْعُلِيَاءِ الْمَحُلِّ الْأَمِيلِ ، وَالْمُنَاقِبِ الَّتِي هِيَ كَالنَّهَارِ
 لَا تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ، وَالسِّيَادَةِ الَّتِي تَكْشُو الزَّمَانَ حُلَّ الْبَهَاءِ فَيَجْزُ مِنْهَا عَلَى الْحَجَرَةِ ذِيلاً
 ضَافِياً ، وَالْمَأْتِثَ الَّتِي لَوْلَا مَا أَحْيَيْتَهُ مِنْ مَعَالِمِ الرِّعَاسَةِ كَانَ ظَلَلًا عَافِياً ، مَعَ مَا لَهُ مِنْ
 الْحَقُوقِ الَّتِي تَشْكُرُهَا الْآيَّامُ وَالْأُدُولُ ، وَالْخِدْمَ الَّتِي كَمْ بَلَغَ بِمُخَالَصَتِهِ فِيهَا مِنْ قَصْدٍ وَأَمَلٍ ،
 وَالسَّجَايَا الَّتِي إِذَا خَلَعَتْ عَلَيْهَا حُلَّالًا مِنَ الثَّنَاءِ وَجَدَتْهَا مِنْهُ فِي أَهْبَى الْحُلَلِ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانُ هُوَ الَّذِي تَحُلِّيَ مِنْ هَذَا الثَّنَاءِ بِدَرَّةِ الثَّيْنِ ، وَتَلَقَّى رَايَةَ هَذَا الْمَجْدِ
 كَمَا تَلَقَّى عَرَابُهُ بِالْيَمِينِ ، وَتَنَضَّدَتْ كَوَاكِبُ هَذَا الْمَدْحِ لِتَنْتَظِمَ مِلْكَاتِهَا لِمَا تَرَاهُ ،
 وَأُسْقَتْ فَرَائِدُ هَذَا الشُّكْرِ لَتَرْصِعَ عَقُودًا لِمَفَاحِرِهِ - وَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نُجَدِّدَ لَهُ فِي آيَاتِنَا
 مَا تَضَاعَفَ بِهِ أَسْبَابُ النِّعَمِ لَدَيْهِ ، وَتَحَقَّقَ مِنْهُ إِقْبَالُنَا بِوَجْهِهِ الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - زَادَ اللَّهُ تَعَالَى فِي عِلَّاهُ ، وَأَضْفَى عَلَى أَوْلِيَائِهِ
 حُلَّ الْأَلَمَةِ ، وَأَقْبَى عَلَى الزَّمَنِ بِوُجُودِهِ رَوِّقَ بَهَائِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ لِلشَّارِ إِلَيْهِ فِي الشَّهْرِ
 كَذَا وَكَذَا مُضَافًا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ لَحْمٍ وَتَوَائِلٍ وَعَلِيقٍ عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانُ الْمَعْمُورُ
 إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، فَلْيَتَّقِ إِحْسَانَنَا بِيَدِ اسْتِحْقَاقِهَا فِي الْفَضْلِ بَاعِ شَدِيدٍ ، وَيَتَّقِ
 مَنَا بِالْإِقْبَالِ الَّذِي لَا يَزَالُ عِنْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ ثَابِتٌ وَزَيْدٌ ، وَيَتَنَاوَلُ مَا قُرِّرَ بِاسْمِهِ
 فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ أَسْتِقْبَالِ تَارِيخِهِ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَطْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

المرتبة الثالثة

(مما يكتب به في الاطلاقات)

أن يُكْتَبَ في قطع المادة مفتتحاً بِرُسم بالأمر الشريف ، والرسم فيه على نحو ما تقدم في الولايات ، وهو أن يقال : « رسم بالأمر لا زال أن يستقر باسم فلان كذا وكذا : لأنه كذا وكذا » ونحو ذلك .

وهذه نسخة توقيع شريف بمرتبة على القَرْنَج الجُرْجَان الواردين لزيارة القدس أنشأته لشرف الدين قاسم ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال عنده الشريف لما ل الفىء بين ذوى الاستحقاق قاسماً ، وفضله العميم لأولى الفضل في سلك الصّلات ناظماً ، ومعروفه المعروف لمواقع البر يؤم علماً وبيت غانماً - أن يستقر لمجلس القاضي فلان الدين على القَرْنَج الجُرْجَان الواردين لزيارة قُمامة بالقدس الشريف كذا وكذا : لما اشتمل عليه : من مئين العلم ومئين العمل وجميل السيرة ، واجتمع لديه : من طيب الذكر وجميل الأثر وصفو السيرة ، وإقامته بالمسجد الأقصى الذى هو أحد المساجد الثلاثة التى تُشد الرحال إليها ، وإحدى القبلتين المعول فى أول الإسلام عليها ، ومجاورة الصخرة المعظمة ، والآثار الشريفة والأماكن المكرّمة ، وقيامه بما يجب من الدعاء لدولتنا القاهرة ، والأبتهال إلى الله تعالى بدوام أمانتنا الزاهرة .

فلتتأول هذا المعلوم مهناً مبسراً ، وليخرج من كرمنا الوافر فوق ذلك مظهرها ، ولتشتهر سلاح دعائه بتلك الأماكن الشريفة على أعداء الله وأعداء الدين ، ويريمهم بسهام الليل التى لا تخفى إن شاء الله تعالى الطغاة المتمردين ، فبذلك يستحق هذا السهم من الفىء حقاً ، ويصد من المقابلة الدائين عن الإسلام صدقاً ، وليقيم على جادة

الاستقامة في الدين وليكن مما سوى ذلك برياً ، ويقابل هو ومثله إنعامنا بالشكر
يتلو عليهم لسان كرمنا فكلوه هنيئاً مريئاً ، وانلط الشريف أعلاه



وهذه نسخة توقيع شريف أيضا أنشأته باسم بهاء الدين أبي بكر بن غانم كاتب
الدست الشريف بالشام المحروس باستقرار مرتبه على الفرنج الجرجان الواردين إلى
قصر الرملة المحروس ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال إحسان كرمه يزين بهاء حسنه المكارم ، وكرم
إحسانه تتراكم صحائبه الهامية قترى بالسيول وتهزأ بالفائم ، وفي نواله يُقسم
في أولياتنا خلفاً بعد سلف فهم من فضله بين غانم وأبن غانم - أن يستقر مرتب
المجلس السامى^(١)

(١) لم يذكر الطرف الثاني وهو ما يكتب عن التواب فنه .

الباب الثالث

من المقالة السادسة في الطرخانيات

والمرادُ بها أن يصيرَ الشخصُ مسموحاً له بالخدمِ السلطانية : يُقيم حيثُ شاء ،
ويرتجِل متى شاء : تارةً بملوم يتناولُه مجَّاناً، وتارةً بغير معلوم، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في طرخانيات أربابِ السُّيوف

وأعلمُ أنَّ الطرخانية تُكتبُ للأمراءِ تارةً وللأجنادِ أُخرى، وأكثرُ ما يُكتبُ
لن كثيرٍ سنَّه وضُعتْ قُدرُته ويُجَزَّ عن الخدمةِ السلطانية .

وقد جرتِ العادةُ أن يسمَّى ما يكتبُ فيها مراسيمٌ، وهى على ثلاثِ مراتبٍ :

المرتبة الأولى

(أن يُفتَحَ المرسومُ المكتَبُ في ذلك بالحمد لله)

والرسمُ فيه على نحوِ من الولايات : وهو أن تُستوفى الخطبةُ إلى آخرها، ثم يقال :
وبعدُ، ثم يقال : ولما كان فلانٌ ونحو ذلك، ثم يقال : أقتضى رأينا الشريفُ،
ثم يقال : فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف أن يستقرَّ فلانٌ طرخاناً يتصرَّف على اختياره
يسيرُ ويقيمُ في أى مكان اختاره من بلاد المملكة، وما يجرى بجرى ذلك .

وهذه نسخة مرسوم شريف بطرخانيةٍ لأَميرٍ، وهى :

الحمد لله اللطيف بعباده الرؤوف بخلقِهِ، المانِّ بفضلِهِ الغامِرِ بِجُودِهِ الجائدِ بِرِزْقِهِ،
المتفضل على العبد : فى الصِّبا بصفِّهِ وفى الكُهولة بِعَفْوِهِ وفى الشَّيْخُوخة بِسَنِّهِ .

نعمته على أن جَبَلْنَا على أصطناع الصنائع ، وخصنا برقع العوائق وقطع القواطع ،
وألممنا عطف النسق وإن كثرت مما سواه التوايح ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُسَكِّن الرحمة في قلب قائلها ، وترفع سطوة الغضب عن مشحليها
في أواخر السطوة وأوائلها ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل نبي أُوعد
فعقاً ، وأكرم رسول وعد فوق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلکوا
في المعروف سنته ، ونهجو في الإحسان إلى الخلق نهجه فكان لهم في رسول الله أسوة
حسنه ، صلاة يقبل العتات ، وتلو بلان قبولها (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)
وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من رفقته المراحم الشريفة ، بعين عنايتها ، ولحظته العواطف
المنيفة ، بلحظ رعايتها ، ^(١) ما لا يفارقه ولا يباين ، وأن لا يحط من قدره العالی
بسبب ما اتفق إذ كل مقدر كائن ، وأن يصرف اختياره في الإقامة حيث شاء من
الممالك المحروسة والمدائن .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال من شيمه السامح ، ومن كرمه بلوغ النجا
والنجاح ، ومن نعمة الصفح عن الذنب المتاح ، حتى يحفظ على الأنفس النفيسة
الأموال ويربيج لها الأرواح ، [ولا يرج يولي] من قسمة المكرمات ما ينسى به الذنب
فكانه كان رفاً أومض ولمح وراح - أن يكون المشار إليه طرخاناً يقيم حيث شاء
وأين أراد من البلاد الإسلامية المحروسة معاملةً بمزيد الإكرام والاحترام ، وأوفر
العناية والرعاية حسب ما اقتضته المراسيم الشريفة في ذلك عند ما شملته الصدقات
العميمة والمراحم الشاملة بالعمو الشريف ، والحكم المنيف ، والإقبال والرضا ،

(١) يبايض في الأصل ولعله «من أهله اخلاصه في الخدم لأن يقوم مقام الخ» .

(٢) زدنا هذه الجملة لينشق الكلام .

والصّفع عمّا مضى، لما رأيناه من ترفيه خاطره، وقرار قلبه برفع التكليف عنه وقرة ناظره. ولما تحققت به أخلاقنا، من التّيعن الذى ألّبه أنواب الأمان، وجلبت عليه طباعنا، من الرّافة والرحمة والراحون يرحمهم الرحمن؛ ولما مهّده له عندنا اعترافه الذى هو له فى الحقيقة أقوى شفاعه، ولما تحقّقناه من أنه لم يفعل ذلك الا لوقور الطاعة التى أوجبّت له الإرهاب إذ الهرب من الملوك طاعة، وكيف لا وقد تيقّن تحفّظنا الشريف وعلم، وخشيت مهابتنا الشريفة ومنّ خاف سيم.

فلتقلّد عقود هذه المِنَّ التى طوّقت جيده الجود، وليشكر مواقع هذا الحلم الذى سرّ وसार كالمثل السائر فى الوجود، وليقابل هذا الإقبال بالدعاء لأيماننا الزاهر، وليحظ بمواهبنا العميمة وصّدقاتنا الباهرة، وليحط علماً بأن إحساننا العميم قد أحاد إليه ما ألقه من الإسعاد والإصعاد، وأن صفحنا الشريف قد أضرب عمّا مضى والماضى لأبعاد، فليقيم حيث شاء من البلاد المحروسة، متقيّاً ظلال مواهبنا التى يقدو وسرايره بها مأنوسه، وارداً بحار عطايانا الزاهرة، ممتّعاً بلباس رضانا الفانره، طيّب القلب منبسط الأمل، منشريح الصدر بما عمّه من الإنعام وتتملّ، مرعى الجناب فى كل مكان، معظّم القدر على توالي الأزمان، مبهّجاً بتمديد ما عرّض من ذلك التقطيب، مستبشراً بإقبالنا الذى يلدّ به عيشه ويطيب، والله تعالى يديم له عوارفنا المطلقه، وغنائم كرنا المُنْصِده، ومواهبنا التى انتشرت له فى كلّ قطر فهى لأنواع العطايا مستغرفه، ومنّنا التى تسير معه حيثما سار وتقيم لديه أنى أقام فلا تزال عنده مخيمة فى الأماكن المتفرّقه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه.

المرتبة الثانية

(أن يفتح مرسوم الطرخانية بـ«أما بعد»)

والرسم فيه كما في الولايات أيضا يقال فيه [أما بعد] فإن كذا وكذا؛ ثم يقال :
ولما كان كذا وكذا ، اقتضى رأينا الشريف ، ثم يقال : ولذلك رُسم بالأمر
الشريف ، ويكمل عليه .

وهذه نسخة مرسوم من ذلك ، وهى :

أما بعد حمد الله على نعمه التى أوزعنا بالإحسان إلى عباده أداء شكرها ، وآلائه
التي ألهمتنا بالتخفيف عن بريته اقتران محامده بذكرها ، ومنته التى وفق بها دولتنا
الشريفة لأن يكون العدل والإحسان أولى ما أجزته بشكرها ، وأحق ما أمرته
بذكرها . والصلاة والسلام على رسوله الذى أوضع سبيل المعروف ، وشرع سنن
العدل المألوف ، ووصفه الله تعالى بالرفقة والرحمة فيه يقتدى كل رحيم وبه ياتم كل
رؤوف ، وعلى آله وصحبه الذين رفعوا منار العدل لسالكه ، وقربوا منال الفضل
لأخذه ويتنوا الحيف والاستعطاء لتاركه . فإن الله تعالى خص أيامنا الزاهرة
بتعاهد أهل خدمتنا بالعدل والإحسان ، وتفقد رعايانا بإزالة ما يكدر عليهم موارد
النعم الحسان ، فلا تزال نعيم النظر فى أمورهم ، ونفيض عام إحساننا على خاصهم
وجمهورهم ، ليناموا من عدلنا فى مهاد الدعة ، ويبيت ضعيفهم من مراحنا الشريفة
فى أتم رافة وفقيرهم فى أوفر سعة .

ولما كان فلان ممن توفر فى الخدمة الشريفة قسمه ، وكبر فى العاعة سنه ووهن
عظمه ، وعجزت عن الركوب والتزول حركته ، وذهبت مواقف حربه ولم يبق إلا أن
تلتبس بركته . اقتضى حسن الرأى الشريف أن يضاعف إليه الإحسان ، ويعامل
بوافر البر وجزيل الامتنان .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال يُوالى المِنَّ، ويُولى الأولياء من المعروف كل جميل حسن - أن يستقر المذكور طَرْخَانًا لَا يُطَلَّب لخدمة في نهار ولا ليل ، ولا يُلْزَم بالقيام بترك^(١) ولا خيل ، فَيُمنَصَّ حَكْم هذه الطَرْخَانِيَّة لَأَسَاوِلُ أَلْسِنَةِ الْأَقْلَام فِي نَصِّهِ ، وَلَا تَسْطَرِّقُ أَوْهَامُ الْأَفْهَام إِلَى اعْتِرَاضِ مَا ثَبِتَ مِنْ إِعْفَائِهِ بِنَقْضِهِ وَلَا قَقْضِهِ ، وَسَيْلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ آعْتَادُ مَضْمُونِهِ وَالْوَقُوفُ عِنْدَ حَكْمِهِ ، وَالْإِتِّهَاءُ إِلَى حُدِّهِ وَاتِّبَاعُ رُشْمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .^(٢)

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة السادسة

(فيما يكتب في طَرْخَانِيَّاتِ أَرْبَابِ الْأَقْلَام)

وهو قليل نادر قل أن يكتب ، وإذا كتب فنال ما يفتتح برسم ، ويسمى ما يكتب فيه توقيع .

وهذه نسخة طَرْخَانِيَّة كُتِبَ بِهَا عَنْ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَادُونَ لِلْقَاضِي قُطْبِ الدِّينِ بْنِ الْمَكْرَمِ أَحَدِ كُتَّابِ الدَّرَجِ الشَّرِيفِ بِالْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، عِنْدَ إِقَامَتِهِ بِالْمَجَازِ الشَّرِيفِ ، بَأَن يَسْتَقِرَّ طَرْخَانًا بِنَصْفِ مَعْلُومِهِ الَّذِي كَانَ لَهُ عَلَى كِتَابَةِ الدَّرَجِ الشَّرِيفِ وَأَن يَقِيمَ حَيْثُ شَاءَ ، وَهِيَ :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يأمر فُطَاع ، وَيَصِلُ فُيَعِينَ عَلَى الْإِشْطَاع ، وَيُرَى عَلَى اقْتِرَاحِ الْأَمَلِ جُودُهُ الْمَكْرُورُ الْمَكْرَمُ فَالْأَمَلُ يَحْتَرِحُ مَا أَسْتَطَاع - أَن يَسْتَقِرَّ لِلْمَجْلِسِ السَّامِي الْقَضَائِي فَلَانِ بْنِ الْمَكْرَمِ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَعْلُومِهِ عَنْ كِتَابَةِ الدَّرَجِ

(١) الترك العطن بالترك وهو وضع صغير .

(٢) لم يذكر المرتبة الثالثة ولعلها ما يفتتح برسم بالأمر الشريف .

الشریف الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت النصف من كل شهر، على الأدعية الصالحة لهذه الدولة القاهرة، ويُقيم حيث شاء، ثم يستقر ذلك لأولاده من بعده، ثم لأولاد أولاده بالسوية إعانة له على بلوغ قصده ورغائبه، وأستعانة بجاحض الجود دون غائبه، وإكراماً لجانيه، وطالب وجه الله تعالى [يعان] على الفوز بكنوز مطالبه .

وما كنا لنسمع ببُعده عن أبوابنا الشريفة، ولا نُجيبه لمفارقة ما بيده من وظيفه، لأنه ما يدرك أحد من أبناء عصره مدته ولا نصيفه، ولديوان إنشائنا جبالاً بعقود كتابته النظيمة ومعاني ألفاظه اللطيفة، وإنما لإقباله على الآجله، وإعراضه عن العاجله، وأستيعاب أوقاته بأداء الفريضة والنافله، أسعفتنا سؤالُه بالإجابة، وأعناه على الإنابة، وأجزلنا سهمه من الإحسان فبلغ سهمه الإصابه، ومن أحسن سبيلا ممن أخذ لنفسه قبل الحين، ونفّض يديه من الدنيا فراح بالخير مملوء اليدين، فنظر إلى معاده فأقبل على الله فريراً العين، وما نحن قد كرمناه في وقت واحد بإنشاء ولدَيْن .

فليشكر لصدقاتنا هذه النعم المترايدة، والصلاتِ العائده، والإحسانِ إليه وإلى بيته جملةً واحده، وليدعُ لدولتنا القاهرة حين يقوم لله قانتاً، وحين يقول ناطقاً وحيث يفكر صامتاً، وعند فطره من صومه، وفي أعقاب الصلوات في ليلته ويومه، ويواصل إليه هذا المرتب ميسراً لا يكدر موريده بتأخير، ويُصرف إليه مهناً لا يُسأن طوله بتقصير، ولا يُجوج إلى عناء وطلب، ولا يُلجأ في تناوله إلى كد وتعب، بل يرفقه خاطره عما فاز به من حسن المتقلب، والله تعالى يمدّه بعونه وفضله، ويُجيب فرعه ببركة أصله، والخط الشريف أعلاه حجة فيه، إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع

من المقالة السادسة

(فما يُكْتَبُ في التوفيق بين السنين الشمسية [والقمرية] المعبر عنه في زماننا
بتحويل السنين، وما يُكْتَبُ في التذاكر، وفيه فصلان)

الفصل الأول

[فما يكتب في التوفيق بين السنين، وفيه طرفان

الطرف الأول^(١)]

(في بيان أصل ذلك)

اعلم أن استحقاق الخراج [و] جبايته منوطان بالزروع والنثار من حيث إن الخراج
من متحصّل ذلك يؤخذ، والزروع والنثار منوطة بالشهور والسنين الشمسية من
حيث إن كل نوع منها يظهر في وقت من أوقاتها ملازم له لا يتحوّل عنه ولا يتقل
للزوم كل شهر منها وقتاً يعينه من صيف أو شتاء أو خريف أو ربيع، واستخراج
الخراج في الملة الإسلامية منوط بتاريخ الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة
والسلام، وشهوره وسنوه عربية. والشهور العربية تتقل من وقت إلى وقت،
فربما كان استحقاق الخراج في أول سنة من السنين العربية، ثم تراخى الحال فيه
إنا أن صار استحقاقه في أواخرها، ثم تراخى حتى صار في السنة الثانية فيصير الخراج
منسوباً للسنة السابقة، واستحقاقه في السنة اللاحقة، فيحتاج حينئذ إلى تحويل
السنة الخراجية السابقة إلى التي بعدها على ما سيأتي ذكره.

(١) الزيادة مأخوذة مما سيأتي له من القسم.

قال في "موادّ البيان" : والسبب في انفراج ما بين السنين الشمسية والهلالية أن أيام السنة الشمسية هي المدة التي تقطع الشمس الفلك فيها دفعة واحدة ، وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوماً ودرع يوم بالتقريب حسب ما توجه حركتها ، وأيام السنة الهلالية هي المدة التي يقطع القمر الفلك فيها اثنتي عشرة دفعة ، وهي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوماً وسدس يوم فيكون التفاوت بينهما أحد عشر يوماً وسدس يوم فيكون زيادة السنين الشمسية على السنين الهلالية في كل ثلاث سنين شهراً واحداً وثلاثة أيام ونصف يوم تقريباً . وفي كل ثلاث وثلاثين سنة سنة بالتقريب ؛ فإذا تبادى الزمان تفاوت ما بين السنين تفاوتاً قبيحاً ؛ فيرى السلطان عند ذلك أن ثقُل السنة الشمسية إلى السنة الهلالية بالآسم دون الحقيقة توفيقاً بينهما ، وإزالة للشبهة في أمرها ؛ ومتى أوعز بذلك لم يقف على القرض فيه إلا الخاصة دون العامة ؛ وأسرع إلى ظنّ المعاملين وأرباب الخراج والأملاك أن ذلك عائده عليهم بظلم وحيف ، وإلى ظنّ مستحقّ الإقطاع أنه مستقص لهم ، ونسبوا الجور إلى السلطان بسبب ذلك وشنعوا عليه ، فرسم بلاء الكلب في هذا المعنى رؤسوما تعود بتفهيم القبي ، وتبصير العمى ؛ وتوصل المعنى المراد إلى الكافة إيصالاً يتساوون في تصديقه وتيقنه ، ولا تتوجه عليهم شبهة ولا شك فيه .

قلت : وقد ذكر أبو هلال العسكري في الأوائل : أن أول من أنحر التوروز المتوكل على الله أحد خلفاء بني العباس ، وذلك أنه بينما هو يطوف في متصيد له إذ رأى زرعاً أخضر ، فقال : قد أسادتني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر ، فقيل له : إن جباية الخراج الآن قد تضرّ بالناس إذ تلجئهم إلى أنهم يقترضون ما يؤثرون في الخراج ، فقال : هذا شيء حدث أو لم يزل كذا ؛ فقيل له : بل حدث ، وعرف أن الشمس تقطع الفلك في ثلثمائة وخمسة وستين يوماً ودرع يوم ،

وَأَنَّ الرُّومَ تَخِيسُ فِي كُلِّ أَرْبَعِ سِنِينَ يَوْمًا فَيَطْرَحُونَهُ مِنَ الْعَدَدِ ، فَيَجْعَلُونَ شَبَاطَ ثَلَاثِ سِنِينَ مَتَوَالِيَاتٍ ثَمَانِيَّةً وَعَشْرِينَ يَوْمًا . وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ يُخَيِّرُ مِنْ ذَلِكَ الرَّبْعِ الْيَوْمَ يَوْمٌ تَامَ ، فَيَصِيرُ شَبَاطُ ثَمَانِيَّةٍ وَعَشْرِينَ يَوْمًا ، وَيُسَمُّونَ تِلْكَ السَّنَةَ الْكَيْسَةَ . وَكَانَتْ الْفَرَسُ تَكْبِسُ لِلْفَضْلِ الَّذِي بَيْنَ مَيْنِهَا وَبَيْنَ سَنَةِ الشَّمْسِ فِي كُلِّ مِائَةٍ وَسِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ شَهْرًا ؛ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ عَطَّلَ ذَلِكَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَاضِرٌ بِالنَّاسِ ذَلِكَ ؛ وَجَاءَ زَمَنُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَاجْتَمَعَ الدِّهَاقَةُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ وَشَرَحُوا لَهُ ذَلِكَ (وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَاضِرٌ بِالنَّاسِ ذَلِكَ) ^(١) ، وَقَدْ سَأَلُوهُ أَنْ يُؤَخَّرَ إِلَيْهِ [فَارْسِلَ] ^(٢) الْكُتُبَ إِلَى هِشَامٍ سَرًّا فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ هِشَامُ : أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (إِنَّمَا النَّبِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) .

فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّشِيدِ اجْتَمَعُوا إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ ، وَسَأَلُوهُ فِي تَأْخِيرِ التَّيْرُوزِ نَحْوَ شَهْرٍ فَعَزَمَ عَلَى ذَلِكَ ، فَتَكَلَّمَ أَعْدَاؤُهُ فِيهِ وَقَالُوا : تَعَصَّبَ لِلْمَجُوسِيَّةِ ، فَاضْرَبَ عَنْهُ فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ ؛ فَاحْضَرِ الْمُتَوَكِّلُ حِينَئِذٍ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْعَبَّاسِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَنْهُ كِتَابًا فِي تَأْخِيرِ التَّيْرُوزِ بَعْدَ أَنْ تُحَسَّبَ الْأَيَّامُ ، فَوَقَعَ الْإِتِّفَاقُ عَلَى أَنْ يُؤَخَّرَ إِلَى سَبْعَةِ وَعَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ حَزْرَانَ ، فَكُتِبَ الْكِتَابُ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ الْعَسْكَرِيُّ : وَهُوَ كِتَابٌ مَشْهُورٌ فِي رِسَائِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ قُتِلَ الْمُتَوَكِّلُ قَبْلَ دُخُولِ السَّنَةِ الْجَدِيدَةِ ، وَوَلَّى الْمُتَصِفُ وَأَحْتِجَّ إِلَى الْمَالِ فَطُورِبَ بِهِ النَّاسُ عَلَى الرِّسْمِ الْأَوَّلِ ، وَانْتَقَضَ مَارِسَةُ الْمُتَوَكِّلِ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ حَتَّى وَلِيَ الْمُعْتَصِدُ ، فَقَالَ لِعَلَى بْنِ يَحْيَى الْمُجْتَمِعِ : تَذَكَّرُ صِجِيحَ النَّاسِ مِنْ أَمْرِ الْخَرَجِ فَكَيْفَ جَعَلْتَ الْفَرَسَ مَعَ حَكِيمَتِهَا وَحُسْنِ سِيرَتِهَا أَفْتَتَاحَ الْخَرَجِ فِي وَقْتٍ مَالًا يَتَكَنَّنُ النَّاسُ مِنْ أَدَائِهِ فِيهِ ؟ فَشَرَحَ لَهُ أَمْرَهُ ، وَقَالَ :

(١) لعل ما بين القوسين مكرراً من قلم الناصح .

(٢) يياض في الأصل بقدر كلمة .

ينبغى أن يُردَّ إلى وقته ، ولمَّزَ يوما من أيام الروم فلا يقع فيه تغيُّرٌ ، فقال له المعتضد سرَّ إلى عييد الله بن سليمان فوافقه على ذلك ، فصرت إليه ووافقته ، وحسبنا حسابه فوقع في اليوم الحادى عشر من حزيران ، فأحكِم أمره على ذلك ، وأثبت في الدواوين ، وكان التبروزُ الفارسى إذ ذاك يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وثمانين ومائتين . ومن شهور الروم الحادى عشر من نيسان .

وقد قال أبو الحسين على بن الحسين الكاتب رحمه الله : عَهِدْتُ جبايةَ الخراج في ستين قبل سنة إحدى وأربعين ومائتين في خلافة أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله عليه تجزى لكل سنة في السنة التي بعدها بسبب تأخر الشهور الشمسية عن الشهور القمرية في كل سنة أحد عشر يوما ورُجِّع يوم وزيادة الكسر عليه ، فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، كان قد آقضى من الستين التي قبلها ثلاث وثلاثون سنة ، أولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمه الله عليه ، واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة : وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما ورُجِّع يوم وزيادة الكسر ، ونهياً لإدراك غلات وثمار سنة إحدى وأربعين ومائتين في صدر سنة اثنتين وأربعين [ومائتين] ، فأمر أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله عليه بالغاء ذكر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، إذ كانت قد آقضت ونُسب الخراج إلى سنة اثنتين وأربعين ومائتين .

قال صاحب "المنهاج في صنعة الخراج" : ولما هُتِلت سنة إحدى وأربعين ومائتين إلى سنة اثنتين وأربعين ، جَبَّ أصحاب الدواوين الجوالى والصدقات لستى إحدى وأثنتين وأربعين ومائتين في وقت واحد ، لأن الجوالى بُسِّرَ من رأى ومدينة السلام ومضايفاتهما كانت تُنجى على شهور الأهلة ، وما كان عن مجاميع أهل القرى

والضِّياع والمستغلات كانت تُجْبَى على شهور الشمس، ما تُزِم أهل الجوالى خاصة^(١) في مدة الثلاثِ وثلاثين سنة، ورفعها المُمال في حُسباناتهم فاجتمع من ذلك ألوْف ألوْف دراهم، بخرت الأعمال بعد ثقل المتوكَّل على ذلك سنة بعد سنة، إلى أن انقضت ثلاثٌ وثلاثون سنةً آخرتُنْ أَقْضَاءُ سنة أربع وسبعين ومائتين؛ فلم يُبْنِه كُتَّابُ أمير المؤمنين: المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك، إذ كان رؤسائهم في ذلك الوقت إسماعيل بن بُبُلْ وبني الفُرات، ولم يكونوا عَمِلُوا في ديوان الخِراج والضِّياع في خلافة أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله، ولا كانت أسنانهم أسناناً بلغت معرفتهم معها هذا الثقل، بل كان مولدُ أحمد بن محمد بن الفُرات قبل هذه السنة بخمس سنين، ومولدُ علي أخيه فيها؛ وكان إسماعيل يتعلَّم في مجلس لم يبلغ أن يَنْسَخَ، فلما تقلدتُ لناصر الدين رحمة الله عليه أعمال الضِّياع بَقَرَوْنِ ونواحيا لسنة ست وسبعين ومائتين، وكان مقياً بأَذْرِيحَان، وخليفته بالجبل والقرى جَرَادَةُ بن محمد، وأحمد بن محمد كاتبه، واحتجَّتْ إلى رفع جماعتي إليه - ترجمتها بجماعة [سنة] ست وسبعين ومائتين [التي أدركت غلاتها وثمارها في سنة سبع وسبعين ومائتين]، ووجب إلقاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين؛ فلما وقفا على هذه الترجمة أنكرها وسألاني عن السبب فيها فشرحتُ لها، ووَكَّدْتُ ذلك بأن عَرَّقَهما أني قد استخرجتُ حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من اتِّقْدَانِ [بعد] ما عرضته على أصحاب التفسير، فذكروا أنه لم يَأْتِ فيه شيء من الآخر، فكان ذلك أوكد

(١) عبارة المقرئ ج ١ ص ٢٧٦ « وفي ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فازم أهل الذمة خاصة بالجوالى ورفعها الخ » وهي أوضح .

(٢) الزيادة من "المواظ والاعتبار" للقرئ ج ١ ص ٢٧٦ وقد اعتدناها في كثير من النسخ في هذا الموضع .

في لطف استخراجي : وهو أن الله تعالى قال في سورة الكهف : ﴿ وَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . فلم أجد أحداً من المفسرين عرّف ما معنى « وازدادوا تسعاً » ، وإنما خاطب الله جل وعز نبيّه بكلام العرب وما تعرّفه من الحساب ؛ فعنى هذه التسع أن الثلاثة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية ، فإذا أضيف إلى الثلاثة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية [صحيفة] فاستحسنه ، فلما انصرف جرادة مع الناصر رحمة الله عليه إلى مدينة السلام وتوفّي الناصر رضوان الله عليه وتقلد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان رحمه الله كتابة أمير المؤمنين : المعتضد بالله صلوات الله عليه ، أجرى له جرادة ذكر « هذا النقل ، وشرح له سببه : تقرباً إليه ، وطعناً على أبي القاسم عبيد الله رحمه الله في تأخير إياه .

فلما وقف المعتضد بالله رحمه الله على ذلك تقدّم إلى أبي القاسم بإنشاء الكُتُب بنقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ، فكتب ، وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ، ثم مضت السنوات سنة بعد سنة إلى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة أولاًهن السنة التي كان النقل وجب فيها : وهي سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرهن انقضاء سنة سبع وثلاثمائة ، فوافق ذلك خلافة المطيع لله في وزارة أبي محمد المهلبى ، فأمر بنقل سنة ست وثلاثمائة إلى سنة سبع وثلاثمائة ، ونسبة الخراج إليها فتقلت ، وأمر بالكتابة بذلك من ديوان الانشاء فكتب به .

وقد حكى أبو الحسين هلال بن المحسن بن أبي إسحق إبراهيم الصابى عن أبيه أنه قال : لما أراد الوزير أبو محمد المهلبى نقل السنة أمر أبا إسحق والدى وغيره من كتّابه في الخراج والرسائل بإنشاء كتاب عن المطيع لله رحمه الله عليه في هذا المعنى ، وكلّ منهم كتب ، وعرضت النسخ على الوزير أبي محمد فاختر منها كتاب والدى

وتقدم بأن يُكتب إلى أصحاب الأطراف . وقال لأبي الفرج بن أبي هاشم خليفته :
اكتب إلى العُلم بذلك كُتبا مخففة ، وأنسخ في أواخر [ها] هذا الكتاب السلطاني
فغاط أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب الدي ، وقد كان عمل نسخة
أطُرحت في جملة ما أطرح ، وكتب : « قد رأينا قل سنة خمسين [إلى إحدى
وخمسين] فاعمل على ذلك » ولم ينسخ الكتاب السلطاني ، وعرف الوزير أبو محمد
ما كتب به أبو الفرج ، فقال له : لماذا أغفلت نسخ الكتاب السلطاني في آخر الكتاب
إلى العُلم وإثباته في الديوان ؟ فأجاب جوابا علل فيه ، فقال له يا أبا الفرج : ما تركت
ذلك إلا حسدا لأبي إسحق على كتابه ، وهو واقع في هذا الفن أكتب أهل زمانه .

قال صاحب "المنهاج في صنعة الخراج" : وقد كان قل السنين في الديار المصرية
[أغفل] حتى كانت سنة تسع وتسعين وأربعمائة الهلالية فقلت سنة تسع وتسعين
الخراجية إلى سنة إحدى وخمسمائة فيما رأيته في تعليقات أبي . قال : وآخر ما قلت
السنة في وقتنا هذا أن قلت سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين
وخمسمائة الهلالية ، فطابقت الستين . وذلك أنني لما قلت للقاضي الفاضل عبد الرحيم
البيساني : إنه قد آن قل السنة ، أنشأ سجلًا بنقلها تُسَخ في الدواوين ، وحمل
الأمر على حكمه ، ثم قال : وما يرح الملوكة والوزراء يُعنون بنقل السنين في أحيائها ،
ومطابقة العامين في أول زمان اختلافهما بالبعد وتقارب انقائهما بالنقل .

قلت : والحاصل أنه إذا مضى ثلاث وثلاثون سنة من آخر السنة ، حُولت
السنة الثالثة والثلاثون إلى ثلثة السنة التي بعدها ، وهي الخامسة والثلاثون ، وتُلقب

(١) في المقرئ « هشام » .

(٢) الزيادة من المقرئ ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) من المقرئ ص ٢٧٦ - ج ١ .

الرابعة والثلاثون ؛ ومقتضى البناء على التحويل الذى كان فى خلافة المطيع فى سنة سبع وثلاثمائة المقدم ذكره أن تحول سنة سبع وثلاثمائة إلى سنة تسع وثلاثمائة ؛ ثم تحول سنة أربعين وثلاثمائة إلى اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، وتُلفى سنة إحدى وأربعين ؛ ثم تحول سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة إلى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وتُلفى سنة أربع وسبعين ؛ ثم تحول سنة ست وأربعائة إلى سنة ثمان وأربعائة ، وتُلفى سنة سبع ؛ ثم تحول سنة تسع وثلاثين وأربعائة إلى سنة إحدى وأربعين وأربعائة ، وتُلفى سنة أربعين ؛ ثم تحول سنة اثنتين وسبعين وأربعائة إلى سنة أربع وسبعين وأربعائة ، وتُلفى سنة ثلاث وسبعين ؛ ثم تحول سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة ، وتُلفى سنة ست ؛ لكن قد تقدم من كلام صاحب "المنهاج فى صناعة الخراج" أن التحويل كان تأثر بالديار المصرية إلى آخر سنة تسع وتسعين وأربعائة ، فحولت سنة تسع وتسعين الخراجية إلى سنة إحدى وخمسمائة ؛ فيكون التحويل بالديار المصرية قد وقع قبل استحقاقه بمقتضى الترتيب المقدم ذكره بست سنين من حيث إنه كان المستحق مغل سنة خمس وخمسمائة إلى سنة سبع وخمسمائة كما تقدم ، فقلت سنة تسع وتسعين وأربعائة إلى سنة إحدى وخمسمائة . والأمر فى ذلك قريبٌ إذ التحويل على التقريب دون التحديد .

ثم مقتضى ترتيب التحويل الرابع فى الديار المصرية بعد تحويل سنة تسع وتسعين وأربعائة إلى سنة إحدى وخمسمائة أن تحول بعد ذلك سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة إلى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ، وتُلفى سنة ثلاث وثلاثين ؛ ثم تحول سنة خمس وستين وخمسمائة إلى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتُلفى سنة ست وستين ؛ ثم تحول سنة ثمان وتسعين وخمسمائة إلى سنة ستائة ، وتُلفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة ؛ ثم تحول سنة إحدى وثلاثين وستمائة إلى سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وتُلفى سنة

أثنتين وثلاثين ؛ ثم تحول سنة أربع وستين وسثمائة إلى سنة ست وستين وسثمائة ،
وتلغى سنة خمس وستين ؛ ثم تحول سنة سبع وتسعين وسثمائة إلى سنة تسع وتسعين
وسثمائة ، وتلغى سنة ثمان وتسعين ؛ ثم تحول سنة سبعائة وثلاثين إلى سنة سبعائة
وأثنتين وثلاثين ، وتلغى سنة إحدى وثلاثين ؛ ثم تحول سنة ثلاث وستين وسبعائة
إلى سنة خمس وستين وسبعائة ، وتلغى سنة أربع وستين وسبعائة ؛ وتحول سنة
ست وتسعين وسبعائة إلى سنة ثمان وتسعين وسبعائة ، وتلغى سنة سبع وتسعين ؛
ثم لا يكون تحويل إلى سنة تسع وعشرين وثمانمائة ، فتحول إلى سنة إحدى وثلاثين
وثمانمائة ، لكن قد حول كُتَّاب الدواوين بالديار المصرية وأرباب الدولة بها سنة
تسع وأربعين وسبعائة : (وهي سنة الطاعون الجارف العام) إلى سنة إحدى وخمسين
وسبعائة ، وألقوا سنة خمسين . وكان يقال : مات في تلك السنة كل شيء حتى
السنة ، وسيأتي ذكر المرسوم المكتتب بها في تحويل السنين في هذه المقالة ،
إن شاء الله تعالى .

وقيل ذلك لتأخير وقع من إغفال تحويل سنة سبعائة وثلاثين المتقدمة الذكر ،
(١)
وآخر سنة حولت في زماننا سنة ... (١) .

الطرف الثانى

(فى صورة ما يُكْتَب فى تحويل السنين ، وهو على نوعين)

النوع الأول

(ما كان يكتب فى ذلك عن الخلفاء ، وفيه مذهبان)

المذهب الأول

(أن يُشْتَح ما يكتب به «أما بعد»)

وعلى ذلك كان يكتب من ديوان الخلافة ببغداد .

وهذه نسخة ما ذكر أبو الحسين بن على الكاتب المقدم ذكره أنه كتب به فى ذلك فى نقل سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين فى خلافة المعتضد بالله أمير المؤمنين ، وهى :

أما بعد ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا صَرَفَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنَّا يَتَبَ ، وَأَعْمَلَ فِيهِ فِكْرَهُ وَرَوِيَّتَهُ ، وَشَغَلَ بِهِ تَفَقُّدَهُ وَرِعَايَتَهُ ، أَمْرُ النَّبِيِّ الَّذِى خَصَّصَهُ اللَّهُ بِهِ وَأَلْزَمَهُ جَمْعَهُ وَتَوْفِيْقَهُ ، وَحَيَاتِهِ وَتَكْثِيرَهُ ، وَجَعَلَهُ عِمَادَ الدِّينِ ، وَقَوَامَ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَفِيَا يُصَرِّفُ مِنْهُ إِلَى أَعْطَابِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْجُنُودِ ، وَمَنْ يُسْتَعَانُ بِهِ لِحَصِينِ الْيَقِظَةِ وَالذَّبِّ عَنِ الْحَرِيمِ ، وَحِجِّ الْبَيْتِ ، وَجِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَأَمْنِ السَّبِيلِ ، وَحَقْنِ الدِّمَاءِ ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ رَاغِبًا إِلَيْهِ ، وَمَتَوَكِّلًا عَلَيْهِ ، أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَهُ عَلَى مَا حَمَلَهُ مِنْهُ ، وَيُدَيِّمَ تَوْفِيْقَهُ لِمَا أَرْضَاهُ ، وَإِرْشَادَهُ إِلَى مَا يَقْضَى عَنْهُ وَلَهُ .

وقد نظّر أمير المؤمنين فيما كان يجرى عليه أمر جباية هذا النَّبِيِّ فى خلافة آبائِهِ الرَّاشِدِينَ فَوَجَدَهُ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَ يُدْرِكُ مِنَ الْغَلَاتِ وَالنَّمَارِ فى كُلِّ سَنَةِ أَوَّلًا

أولاً على تجارى شهور سنَى الشمسِ فى النجوم التى يحلُّ مالٌ كلَّ صنف منها فيها ،
ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوماً ورُبعا
وزيادةً عليه ، ويكون إدراك الفلّات والنّار فى كل سنة بحسب تأخرها .

فلا تزال السنون تَمْضى على ذلك سنةً بعد سنةٍ حتى تَقْضَى منها ثلاثٌ وثلاثون
سنةً وتكونُ عدّة الأيام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة ، وهى ثلثمائة وخمسة
وستون يوماً ورُبْع يوم وزيادةً عليه ، فينثنيّ بينهما بمشيئة الله وقدرته إدراك الفلّات
التي تجري عليها الضرائب والطسوق فى استقبال المحرم من سنَى الأهلّة . ويجب مع
ذلك إلغاء ذكر السنة الخارجة إذ كانت قد انقضت ونسبتها إلى السنة التى أدركت
الفلّات والنّار فيها . وإنه وجد ذلك قد كان وقع فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله
رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاثٍ وثلاثين سنةً ، آخرتهن سنة إحدى وأربعين ومائتين ،
فاستغنى عن ذكرها بالنسبة ونسبتها إلى سنة أربعين وأربعين ومائتين ؛ فجرت
المكتبات والحسابات وسائر الأعمال بعد ذلك سنةً بعد سنةٍ إلى أن مضت ثلاثٌ
وثلاثون سنةً ، آخرتهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ، [ووجب إنشاء الكتب
بالإلغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين] ونسبتها إلى سنة خمس وسبعين ومائتين .

فذهب ذلك على كُتاب أمير المؤمنين [المعتمد على الله وتأخر الأمر أربع سنين إلى
أن أمر أمير المؤمنين [المعتضد بالله رحمه الله فى سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل
خارج سنة ثمان وسبعين ومائتين إلى سنة تسع وسبعين ومائتين ؛ فجرى الأمر على
ذلك إلى أن انقضت فى هذا الوقت ثلاثٌ وثلاثون سنةً : أولاهن السنة التى كان
يجب قتلها فيها ، وهى سنة خمس وسبعين ومائتين ، وآخرتهن انقضاء شهور نرجس
سنة سبع وثلثمائة ؛ ووجب افتتاح خراج ما تجرى عليه الضرائب والطسوق فى أولها

(١) الزيادة من المقرئ ص ٢٧٧ ج ١ وهى لازمة لاستقامة الكلام .

[وإن] من صواب التدبير واستقامة الأعمال، واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به قَلَّ سنة الخراج لسنة سبع وثلاثمائة إلى سنة ثمان وثلاثمائة، فرأى أمير المؤمنين (لما يُلزمه نفسه ويؤاخذها به، من العناية بهذا الشيء وحياطة أسبابه، وإجرائها مجاريها، وسُلوِك سبيل آباءه الراشدين رحمة الله عليهم فيها) أَنْ يُكْتَبَ إِلَيْكَ وإلى سائر العُلماء في النواحي بالعمل على ذلك، وأن يكون ما يَصْدُرُ [إليك] من الكُتُب وتُصَدِّرونه عنكم وتجري عليه أعمالكم ورفُوعكم وحُساباتكم وسائر مُناظراتكم على هذا النُقل .

فأعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين وأعمل به مستشعرا فيه وفي كُلِّ ما تُضَيِّه تقوى الله وطاعته، ومستعمِلاً [عليه] ثقات الأعوان وكُفَاتهم، مُشرفاً عليهم ومقوماً لهم، واكتب بما يكون منك في ذلك، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة ما كُتِبَ به أبو إسحق الصابى عن المُطِيع لله بَقَل سنة ست وثلاثمائة (١) إلى سنة سبع وثلاثمائة، وهى :

أما بعدُ، فإنَّ أمير المؤمنين لا يزال مجتهداً في مصالح المسلمين، وإيعاُتاً لهم على مرَاشد الدنيا والدين، ومهيئاً لهم إلى أحسن الاختيار فيما يُوردون ويُصَدِّرون، وأصوب الرأى فيما يُرىمون وينقُضون، فلا تُلَوِّحُ له خَلَّةٌ داخلَةٌ على أمورهم إلا سَدَّها وتلافاهُ [ولا حالٌ عائِدةٌ بحُظِّ عليهم إلا اعتمدها وأتاها] (٢) ولا سُنَّةٌ عادِلَةٌ إلا أخذهم بإقامه رُسمها، وإمضاء حُكْمها، والاقتداء بالسلف الصالح في العمل بها والاتباع لها، وإذا عرض من ذلك ما تعلَّبه الخاصَّة بوفور ألبابها، وتجهَّله العامة بَقُصُور أنفهامها، وكانت أوامرُهُ فيه خارجةً إليك وإلى أمثالك من أعيان رجاله، وأماتل

(١) صوابه «بقل سنة تسعين وثلاثة إلى إحدى وتسعين وثلاثة» كما عيده نص الكتاب بعد اهـ .

(٢) الزيادة من «رسائل الصابى» ص ٢٠٩ ومن المقرئى ص ٢٧٨ ج ١ .

عَمَّالَهُ ، الَّذِينَ يَكْتُمُونَ بِالْإِشَارَةِ ، وَيَجْتَرِئُونَ بِسَيْرِ الْإِبَانَةِ وَالْعِبَارَةِ ، لَمْ يَدْعُ أَنْ يَبْلُغَ مِنْ تَلْخِصِ اللَّفْظِ وَلِإِضْاحِ الْمَعْنَى إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يُلْحِقُ الْمَتَأَخَّرَ بِالْمُقَدَّمِ ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْعَالَمِ وَالْمَعْلَمِ ، وَلَا سِيَّامًا إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعَامَلَاتِ الرَّجَاءِ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ إِلَّا الظَّوَاهِرَ الْجَلِيَّةَ دُونَ الْبَوَاطِنِ الْخَفِيَّةِ ، وَلَا يَسْتَهْلُ عَلَيْهِ الْإِنْتِقَالَ عَنْ الْعَادَاتِ الْمَتَكْرَرَةِ ، إِلَى الرُّسُومِ الْمُتَغَيَّرَةِ ، لِيَكُونَ الْقَوْلُ بِالْمَشْرُوحِ لِمَنْ بَرَزَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَذَكَّرًا ، وَلِمَنْ تَأَخَّرَ فِيهَا مَبْصَرًا ، وَلَئِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تُنَمَّعَ هَذِهِ الطَّبَقَةُ مِنْ بَرْدِ الْبَقِيْنِ فِي صُدُورِهَا ، وَلَا أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى الْأَمْعَةِ الدَّالَّةِ فِي مَخَاطِبَةِ جُھُورِهَا ، حَتَّى إِذَا أَسْتَوَتْ الْأَقْدَامُ بِطَوَائِفِ النَّاسِ فِي فَهْمِ مَا أُعْرِجُوا بِهِ وَفَقِهِ مَا دُعُوا إِلَيْهِ وَصَارُوا فِيهِ عَلَى كَلِمَةٍ سِوَا لَا يَتَرَضُّهُمْ شَيْءٌ الشَّاكِّينَ وَلَا أَسْتَرَابَةَ الْمُسْتَرِيْبِينَ ، أَطْمَأْنَنْتْ قُلُوبُهُمْ ، وَأَنْشَرَحَتْ صُدُورُهُمْ ، وَسَقَطَ الْخِلَافُ بَيْنَهُمْ ، وَأَسْتَمْتِ الْأَفْئَاقُ فِيهِمْ ، وَأَسْتَقْبَلُوا أَنَّهُمْ مَسْئُومُونَ عَلَى أَسْتِقَامَةِ مِنَ الْمُنْهَاجِ ، وَمَعْرُومُونَ مِنْ جَرَارِ الزَّرِيعِ وَالْأَعْوَجَاجِ ، فَكَانَ الْأَقْبَادُ مِنْهُمْ وَهُمْ دَارُونَ عَالُونَ ، لَا مَقْلَدُونَ مُسَلِّمُونَ ، وَطَائِفُونَ مُخْتَارُونَ ، لَا مُكْرَهُونَ وَلَا مُجْبَرُونَ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَمِدُّ اللَّهُ تَعَالَى فِي جَمِيعِ أَغْرَاضِهِ وَرَمَائِهِ ، وَمَطَالِبِهِ وَمَقَازِيهِ ، مَادَّةً مِنْ صُنْعِهِ تَقِفُ بِهِ عَلَى سَنَنِ الصَّلَاحِ ، وَتَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ النَّجَاحِ ، وَتُنْهِضُهُ بِمَا أَهْلُهُ لَحْمَلُهُ مِنَ الْأَعْبَاءِ الَّتِي لَا يَدْعَى الْإِسْتِقْلَالَ بِهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِهِ [وَمُعُونَتِهِ] ، وَلَا يَتَوَجَّهُ فِيهَا إِلَّا بِدَلَالَتِهِ وَهُدَايَتِهِ ، وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى أَنَّ أَوَّلَى الْأَقْوَالِ أَنْ يَكُونَ سَدَادًا ، وَأَحْرَى الْأَعْمَالِ أَنْ يَكُونَ رَشَادًا ، مَاؤِجِدَ لَهُ فِي السَّابِقِ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ أَصُولٌ وَقَوَاعِدُ ، وَفِي النَّصِّ مِنْ كِتَابِهِ آيَاتٌ وَشَوَاهِدُ ، وَكَانَ مُقْضِيًّا بِالْأَمَةِ إِلَى قَوَامِ دِينِ وَدُنْيَا ، وَوَقَافِيٍّ فِي آخِرَةٍ وَأَوَّلَى ،

فذلك هو البناء الذى يَبُتُّ و يعلو، والفَرَس الذى يَبُتُّ و يزكو، والسَّعى الذى تَجَّحَّ مباديه وهَواديه، وتَبَّحَّ عواقبه وتَوَالِيه، وتستنير سُبُلُه لساكنيهما، وتوردهم موارد السعود فى مقاصدهم فيها، غير ضالِّين ولا عاْدِلين، ولا مُتَحَرِّفين ولا زائِلين .

وقد جعل الله عزَّ وجلَّ لعباده من هذه الأفلَكِ الدائِرة، والتَّجْوَمِ السَّائرِ، فمما تَتَقَلَّبُ عليه من أَتِّصَالٍ وافتراق، وبتعاقبُ عليها من اختلافٍ واتِّفاق، منافعَ تَظْهَرُ فى كُرُورِ الشُّهُورِ والأعوام، ومُرُورِ اللَّيَالِيِ والأَيَّامِ، وتَبَاوُبِ الضِّيَاءِ والظُّلَامِ، واعتدالِ المَسَاكِينِ والأوطان، وتغايرِ الفُصولِ والأزمان، ونَشْءِ النَّبَاتِ والحَيَوَانِ، فمما فى نِظَامِ ذَلِكَ خَلَلٌ، ولا فى صِنْعَةِ صَانِعِهِ زَلَلٌ، بل هو مَنْوُطٌ بِبَعْضِهِ يَبْعُضُ، ومَحْوَطٌ مِنْ كُلِّ ثَلَاثَةٍ وَقَضُ، قال الله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وقال جل من قائل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَيَخْتَرُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ . وقال : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ مَا ذَٰكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ . وقال عزَّتْ قدرته : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ . ففَضَّلَ اللهُ تَعَالَى فى هذه الآيات بَيْنَ الشَّمْسِ والقمرِ، وأنبأَنَا فى البَاهرِ من حِكْمِهِ، والمُعْجَزِ مِنْ كَلِمِهِ، أَنَّ لِكُلٍِّ مِنْهُمَا طَرِيقًا مُخْتَفِرًا فِيهَا وَطِيعَةً جُبِلَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ كُلَّ تِلْكَ الْمَبَانِيَةِ وَالْمَخَالَفَةِ فى الْمَسِيرِ، تُؤَدِّى إلى مُوَافَقَةٍ وَمِلَازِمَةٍ فى التَّدِيرِ، فَمِنْ هُنَاكَ زَادَتِ السَّنَةُ الشَّمْسِيَّةُ فَصَارَتْ ثَلَاثًا وَخَمْسَةً وَسِتِينَ يَوْمًا وَرُبَّمَا بِالتَّقْرِيبِ الْمَعْمُولِ عَلَيْهِ، وَهِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي تَقْطَعُ الشَّمْسُ فِيهَا الْفَلَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتَقْصُرُ السَّنَةُ الْهَلَالِيَّةُ فَصَارَتْ ثَلَاثًا وَارْبَعَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا وَكُسْرًا، وَهِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي يُجَامِعُ الْقَمَرُ فِيهَا الشَّمْسُ أَتْنِي عَشْرَةَ

مرة، واحتيج إذا آنساق هذا الفضل إلى استعمال القفل الذى يطابق إحدى السنين بالأخرى إذا افرقتا، ويُدانى بينهما إذا هماوَتَا .

وما زالت الأُمّ السالفة تُكَيِّس زياداتِ السنين على اثنتانٍ من طُرُقها ومذاهبا، وفى كتاب الله عز وجل شهادةٌ بذلك إذ يقول فى قِصَّةِ أهل الكهف : ﴿ وَابْنُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴾ . فكانت هذه الزيادة بأن الفضل فى السنين المذكورة على تَقْرِيبِ التقريب .

فأما القُرْسُ فإنهم أجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التى شهورها اثنا عشر شهرا، وأيامها ثلثمائة وستون يوما، ولَقَبُوا الشهورَ اثنيَ عشرَ لَقَبًا، وسمَّوْا أيامَ الشهر منها ثلاثين اسمًا ، وأفردوا الأيامَ الخمسةَ الزائدة ، وسمَّوها المسترقَّةَ وكَبَسُوا الرُّبْعَ فى كلِّ مائةٍ وعشرين سنةً شهرا .

فلما آقرض مُلْكُهُمْ ، بطل فى كَبَسِ هذا الربيع تديُرُهُمْ ، وزال نورُ وُزُهُم عن سُنَّتِهِ ، وأفرج ما بينه وبين حقيقَةِ وَقْتِهِ ، انخرجا هو زائدٌ لا يَقِفُ ، ودائر لا ينقطع ، حتَّى إِنَّ موضوعهم فيه أن يقع فى مَدخلِ الصيف وسيتهى إلى أن يقع فى مَدخلِ الشتاء ، ويتجاوز ذلك ، وكذلك موضوعهم فى المهرجان أن يقع فى مدخل الشتاء^(١) وسيتهى إلى أن يقع فى مَدخلِ الصيف ويتجاوزهُ .

وأما الروم فكانوا أتمنَّ منهم حِكْمَةً وأبعدَ نظرا فى عاقبةٍ : لأنهم رَبَّوْا شهورَ السنة على أُرصادٍ رَصْدُوها ، وأنوَّاءٍ عَرَفُوها ، وفَضُّوا الخمسةَ الأيامَ الزائدةَ على الشهور ، وساقَوها معها على الدُّهُورِ ، وكَبَسُوا الرُّبْعَ فى كلِّ أربعِ سِنِينَ يوما، وسمَّوْا أن يكون إلى شَبَاطَ مضافا هَـزَبوا ما بَعْدَهُ غَيْرُهُمْ ، وسَهَّلوا على الناس أن يَحْتَقُوا أَرْهَمَ ، لاجرم

(١) الزيادة من "المقرئى" ص ٢٧٩ ج ١ ومن الرسائل وهى من سقطات النسخ .

أن [المعتضد بالله صلوات الله عليه على أئمة بني] ، ولما لم آخذى^(١) في تصديره
توزيره اليوم الحادى عشر من حزيران ، حتى سلم مما لحق النواريز في سالف
الأزمان ، وتلاقوا الأمر في تجزئتي الهلال عن سني الشمس ، بأن جبروها بالكبس ،
فكلما أجمع من فضول سني الشمس ما بقي بتمام شهر جعلوا السنة الهلالية التي
يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا ، فربما تم الشهر الثالث عشر في ثلاث سنين
وربما تم في سنتين بحسب ما يوجب الحساب ، فتصير سنة الشمس والهلال عندهم
متقاربتين أبدا لا يتأخدا ما بينهما .

وأما العرب فإن الله جل وعز فضلها على الأمم الماضية ، وورثها ثمرات مساعيها
المتعبة ، وأجرى شهر صيامها ومواقف أعيادها وزكاة أهل متبها ، وجزية أهل
ذمتها ، على السنة الهلالية ، وتعبدها فيها برؤية الأهلة ، إرادة منه أن تكون مناهجها
واضح ، وأعلامها لائح ، فيتكافأ في معرفة الفرض ودخول الوقت الخاص منهم
والعام ، والناقض الفقه والنام ، والأثني والذكر ، وذو الصغر والكبر ، فصاروا حينئذ
يحبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة ونراج الأرض المسوحة ، ويحبون
في سنة الهلال الجوالي والصدقات والأرجاء والمقاطعات والمستغلات ، وسائر^(٢)
ما يجري على المشاهرات ، وحدث من التعاظم والتداهل بين السنين ما لو استمر
لقبح جدا ، وازداد بعدا ، إذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي تنهي إليها تنسب
في التسمية إلى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلقى ، ويجاوز إلى
ما بعدها ويخطئ ، ولم يميز لهم أن يقتلوا بمخالفهم في كبس سنة الهلال بشهر ثالث
عشر ؛ لأنهم لو فعلوا ذلك لترجحت الأشهر الحرم عن مواعيدها ، وانحرفت المناسك

(١) الزائد من "رسائل الصابي" و"القريزي" .

(٢) كذا في القريزي أيضا والذي في الرسائل الخلية «والأرحام» .

عن حفاظها ، ونقصت الجباية عن سني الأهلة القبطية بيسط ما استغرقه الكبس منها ، فانتظروا بذلك الفضل إلى أن نيم السنة ، وأوجب الحساب المقرّب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين سنة هلالية ، فقلّوا المتقدمة إلى المتأخرة قليلا لا يتجاوز الشمسية ، وكانت هذه الكلفة في دنيانهم مستهلة مع تلك النعمة في دينهم .

وقد رأى أمير المؤمنين قل سنة خمسين وثلاثة الخراجية إلى سنة إحدى وخمسين وثلاثة الهلالية جمعا بينهما ، ولزوما لتلك السنة فيهما .

فاعمل بما ورد به أمر أمير المؤمنين عليك ، وما تضمنه كتابه هذا إليك ، ومري الكتاب قبلك أن يحتدوا رسمه فيما يكتبون به إلى عمال نواحيك ، ويخلدونه في الدواوين من دكورهم ورؤوعهم ، ويقررونه في دروج الأموال ، وينظمونه في الدفاتر والأعمال ، ويدنون عليه الجماعات والحسابات ، ويوعزون بكتبه من الروزنامات والبرآت ، وليكن المنسوب كان من ذلك إلى سنة خمسين وثلاثة التي وقع النقل [عنها معدولا به إلى سنة إحدى وخمسين التي وقع النقل ^(١) إليها ، وأقيم في نفوس من بحضورك من أصناف الجند والرعية وأهل الملّة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسما ، ولا يلحق بهم ثلما ، ولا يعود على قايضي العطاء بتقصان ما استحقوا قبضه ، ولا على مؤدى حق بيت المال بإغضاء عما وجب أدائه ، فإن قرائح أكثرهم فقيرة إلى إفهام أمير المؤمنين الذي يؤثر أن ترّاح فيه إليه ، وتسد به منهم الخلّة ، إذ كان هذا الشأن لا يتجدد إلا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج إلى تعريف الناس ، وإذ كار الناس ، وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ، إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني

(مما كان يُكْتَب عن الخلفاء في تحويل السنين أن يُفْتَح ما يكتب بلفظ :
 « من فلان أمير المؤمنين إلى أهل الدولة » ونحو ذلك)
 ثم يُؤْتَى بالتحميد وهو المعبر عنه بالتصدير، وعليه كان يكتب خلفاء الفاطميين
 بالديار المصرية .

قال في «موادّ البيان» : والطريق في ذلك أن يفتح بعد التصدير والتحميد ^(١) ...

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَب في الدولة الأيوبية)

وكانت العادة فيه أن يفتح بخرجت الأوامر ونحو ذلك ، ثم يذكر فيه نحواً
 مما تقدم .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية [إلى السنة العربية] ، من إنشاء
 القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب » تقدمه الله
 برحمته ، وهي :

خرجت الأوامر الصلاحية بكتب هذا المنشور وتلاوة مودعه بحيث يستمر،
 ونسخه في الدواوين بحيث يستقر، ومضمونه .

إن نظرنا لم يزل 'تجلى' له الجلائل والدقائق ، ويتوحن من الحسنات ما تسيربه
 الحقائق والحقائق ، ويجلد من الأخبار المشروعة ، كل عذب الطرائق رائق ، ويجتد

(١) هنا بياض في الأصل بقدر كلمات ولعل بعدها وهر على ضربين «الضرب الخ .

من الآثار المتبوعة، ما هو بقاء الخلائق لائق، ولا يُفادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً من الخير إلا جَهْدًا أن نَكْسِبَهَا، ولا يُتَوَبُّ بها الداعي إلى مَتُوبَةٍ إلا رأينا أن نَحْتَسِبَهَا، لا سيما ما يكون للسنين الماضية مُمَضِيًا، وإلى القضايا العادلة مُقْضِيًا، ولِحَاسِنِ الشريعة مُجَلِّيًا، ولِعَوَاضِ الشُّبهِ رَافِعًا، ولتَنَافُضِ الْخَبَرِ دَافِعًا، ولَأَبْوَابِ الْمَعَامَلَاتِ حَافِظًا، ولَأَسْبَابِ الْمَغَالِطَاتِ لَافِظًا، ولِلْخَوَاطِرِ مِنْ أَمْرَاضِ الشُّكُوكِ مَصْحَحًا، وعن حَقَائِقِ الْيَقِينِ مُنْصِحًا، وللأَسْمَاعِ مِنْ طَيِّفِ الْاِخْتِلَافِ مُعْغِيًا، وَلِغَايَةِ الْاِشْكَالِ مِنْ طُرُقِ الْاِنْفَاهِمِ مَعْفِيًا .

ولما أَسْتَهْلَتْ سَنَةً كَذَا الْهَلَالِيَّةُ، وَقَدْ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السَّنَةِ الْخُرَاجِيَّةِ إِلَى أَنْ صَارَتْ غَلَاتِهَا مَنْسُوبَةً إِلَى مَا قَبْلَهَا، وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ: مِنْ أَخْذِ الدَّرْهَمِ الْمَقْشُودِ، عَنْ غَيْرِ الْوَقْتِ الْمَقْشُودِ، وَتَسْمِيَةِ بَيْتِ الْمَالِ مُمْتَطِلًا وَقَدْ ائْتَجَزَ، وَوَصْفِ الْحَقِّ الْمُتَلَفِّ بِأَنَّهُ دَيْنٌ وَقَدْ ائْتَجَزَ، وَأَكْلِ رِزْقِ الْيَوْمِ وَتَسْمِيَتِهِ مَنْسُوبًا إِلَى أَمْسِهِ، وَإِخْرَاجِ الْمَعْتَدِ لِسَنَةِ هَلَالِهِ إِلَى حَسَابِ الْمَعْتَدِ إِلَى سَنَةِ شَيْئِهِ .

وكان الله تعالى قد أجرى أمرَ هذه الأئمةِ على تاريخٍ مَرَّهٍ عَنِ اللَّبْسِ، مُوقَّرٍ عَنِ الْكِبْسِ، وَصَرَّحَ كِتَابُهُ الْعَزِيزُ بِتَحْرِيمِهِ، وَذَكَرَ مَا فِيهِ مِنْ تَأْخِيرِ وَقْتِ النَّسِيءِ وَتَقْدِيمِهِ، وَالْأئِمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدْرِكَهَا الْكُسْرُ، كَمَا أَنَّ الشَّمْسَ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ، وَسُنَّتُهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَارِقَةٌ، وَمَسَّتُهَا أَبَدًا سَاقِيَةٌ، وَالسَّنُونَ بَعْدَهَا لِاحِقَةٌ، يَتَعَاوَرُهَا الْكُسْرُ الَّذِي يُزْخِرُحَ أَوْقَاتَ الْعِبَادَاتِ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَلَا يُدْرِكُ عَمَلُهَا إِلَّا مَنْ دَقَّ نَظْرُهُ، وَاسْتَفْرَغَتْ فِي الْحَسَابِ فِكْرُهُ، وَالسَّنَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَقْطَعُ بِمَخَارِجِ أَهْلِهَا الْأَشْشَبَاءِ، وَتَرُدُّ شَهُورَهَا حَالِيَةً بِمَقُودِهَا مَوْسُومَةَ الْحَبَاءِ، وَإِذَا تَقَاعَسَتِ السَّنَةُ الشَّمْسِيَّةُ عَنْ أَنْ تَطْلَأَ أَعْقَابُهَا، وَتَوَاطَى حِسَابُهَا، اجْتَنَبَتْ قِرَاقَهَا قَسْرًا، وَأَوْجِبَتْ

لحقها ذكرا، وتزوجت سنة الشمس سنة الهلال وكان الهلال بينهما مهرا؛ فسقطت المؤنثة وستنا المذكرة، وآية الهلال هنا دون آية الليل هي المبيصرة، وفي السنة العربية إلى ما فيها من عربية الإفصاح، وراحة الإيضاح، الزيادة التي تظهر في كل ثلاث وثلاثين سنة توفي على عدد الأمم قطعا، وقد أشار الله إليها بقوله: ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَافِرَتِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْمًا﴾. وفي هذه السنة الزائدة زياده، من لطائف السعادة، ووظائف العباد، لأن أهل ملّة الإسلام يمتازون على كل ملّة بسنة في نظير تلك المدة قصدوا صلاحها، وأدّوا زكاتها، وجمّوا فيها البيت العتيق الكريم، وصاموا فيها الشهر العظيم، واستوجبوا فيها الأجور الجليله، وأبست فيها أسماعهم بالأعمار الطويله، ومخالفوهم فيها قد عطّلت صحائفهم في عدوانهم، وإن كانت عاطله، وخلت موافقهم في أديانهم، وإن لم تكن قط أهله.

وقد رأينا باستخارة الله سبحانه والتمن باتباع العوائد التي سلكها السلف، ولم تسلك فيها السرف، أن ينسخوا أسماءها من الخراج، ويذهب ما بين السنين من الاضطراب والاعوجاج، لاسيما والشهور الخراجية قد وافقت في هذه الشهور الشهور الهلالية، وألقى الله في أيماننا الوفاق بين الأيام، كما ألقى باعتلائنا الوفاق بين الأنام، وأسكن بنظرنا ما في الأوقات من اضطراب وفي القلوب من اضطرام.

فليستأنف التاريخ في الدواوين المعموره، لاستقبال السنة المذكوره، بأن تؤسم بالهلالية الخراجية لإزالة الانباس، وإقامة القسطاس، وايضا [ح] لمن أمره عليه عمه من الناس، وعلى هذا التقرير، تكتب سجلات التحضير، وتنظم الحسابات المرفوعة، والمشاريع الموضوعه، وتطرد القوانين المشروعه، وتثبت المكلفات المقطوعه، ولو لم يكن بين دواعي قلبها، وعوارض زليها وزوالها، إلا أن الأجناد

إذا قبضوا واجباتهم عن منشور إلى سنة خمس في أواخر سنة سبع وسقط ساقطهم بالوفاة، وجرى بحكم السمع لا بالشرع إلى أن يرث وارثه دون بيت المال مستغل السنة الخراجية التي يلتقى فيها تاريخ وفاته من السنة الهلالية وفي ذلك ما فيه، مما يبين الإنصاف وينافيه [لكفى] .

وإذا كان العدل وضع الأشياء في مواضعها فلما تحريم أيماننا المحترمة بزماننا، مارزقته ابتأؤها من عدل أحكامنا، بل نخلع عن جديدها المس كل المس، و[نمنع] تبعه الضلال أن تُسند مهادنته إلى نور الشمس، ولا نجعل أيماننا معمورة بالأسقاط التي تجمعها، بل معمورة بالأقساط التي تنفعها، فليبين التاريخ على بُنائه وليحسم الخلف الواقع في السنين، بهذا الحق الصادع المبين، وليُتسَخ المشهود به في جميع الدواوين، وليُكاتب بحكمه من الخراج إلى من يملكه من المستخدمين - ومنها أن المستجدة من الأجناد لو جُمِل على السنة الخراجية في استغلاله، وعلى الهلالية في استقباله، لكان محالاً على ما يكون محالاً، وكان يتمجّل استقبالا، ويُباطن استعمالاً، وفي ذلك ما ينافر أوصاف الإنصاف ويصون الفلاح إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(ما يُكْتَب به في زماننا)

وقد جرت العادة أن يُكْتَب في قطع الثلث وأنه يفتح بخطبة مفتحة «الحمد لله» ثم يقال : وبعد فإننا لما اختصنا الله تعالى به من النظر في أمر الناس ومصالحهم، ويذكر ما منح له من ذلك ثم يُقال : ولما كان، ويذكر قصة السنين : الشمسية والقمرية، وما يطرأ بينهما من التباعد الموجب لتقل الشمسية إلى القمرية،

ثم يقال : أقتضى الرأي الشريف أن يحول مُغل سنة كذا إلى سنة كذا وتذكر نسخة ذلك ، ثم يقال : فريسم بالأمر الشريف الفلاني لا زال أن تحول سنة كذا إلى سنة كذا .

وهذه نسخة مرسوم بتحويل السنة القبطية إلى العربية ، وهى :

الحمد لله الذى جعلَ الليلَ والنهارَ آيتين ، وصيرَ الشهورَ والأعوامَ لابتداءِ المُنَدِّ وانتهاءِ غايتين ، ليعلمَ خلقُه عدَدَ السنينَ والحساب ، وتعملَ بريئته على توفيةِ الأوقاتِ حقَّها من الأفعالِ التى يحصلُ بها الاعتدادُ ويحسنُ بها الاحتساب .

نحمده على ما خصَّ أيامنا الزاهرة من إنباعِ النظرِ فى مصالحِ خلقه ، وإمعانِ الفكرِ فى تشييدِ ما بسطَ لهم من رزقه ، وإزالةِ الضررِ فى تيسيرِ القيامِ بما أوجبَ عليهم من حقِّه ، ونشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له شهادةً عاصمةً من الزيغِ ذا هوى ، معتصمةً من التوفيقِ بأقوى أسبابِ التوثيقِ وأوثقِ أسبابِ القوى ، شافعةً حسنَ العملِ فى مصالحِ العبادِ بحسنِ النيةِ ، فإنَّ الأعمالَ بالنياتِ وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه الله رحمةً للعالمين ، وحجةً على العالمين ، ونشرَ دعوته فى الآفاقِ فأَيَّدَه لإقامتها بنصره وبالمؤمنين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أُسروا فاطاعوا ، ونُهِوا فاجتنبوا ما نُهِوا عنه ما أَسْطاعُوا ، صلاةً تَمِّى نَماءَ البُذورِ ، وتبقى بقاءَ الدُّهورِ ، وتُطَوَّى بنشرها مراحلُ الأيامِ إلى يومِ النُّشورِ .

وبعد ، فإنَّنا لَمَّا اخْتَصَّنا اللهُ تعالى به من التوفُّرِ على مصالحِ الإسلامِ ، والتناولِ لما تنشرُ به فى مواقفِ الجهادِ ، صدُّورُ السيوفِ وتسطُّقُ به فى مصالحِ العبادِ ، السنةُ الأفلامِ ، تَبَّعَ كُلَّ امرٍ فَتَسُدُّ خَلَّاهُ ، وَتُثَقِّفُ مِيْلَهُ ، وَتُحْيِي أَوْدَهُ ، وَتَنْظُرُ لِيَوْمِهِ

بما يصلح به يومه ولفده بما يصلح غده ، إصلاحاً لكل حال بحسبه ، وقريباً لكل شيء على ما هو أليق بشأنه وإقراراً لكل أمر على ما هو الأحسن به .

ولما كان الزمن مقسوماً بين سنين شمسية يتفق فيها ما أخرج الله تعالى من الرزق لعباده ، ويحصل بها ميقات القوت الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ وقرية لا يُعَوَّل في أحكام الدين إلا عليها ، ولا يرجع في تواريخ الإسلام إلا إليها ، ولا تُعتبر العباد الزمانية إلا بأهلتها ، ولا يُهتدى إلى يوم الحج الأكبر إلا بأدلتها ، ولا يعتد في العدد التي تحفظ بها الأنساب إلا بأحكامها ، ولا تُعلم الأشهر الحرم إلا بوجودها في الأوقات المخصوصة من عامها . وكان قد حصل بينهما من تفاوت الأيام في المدد ، واختلاف الشهور الهلالية في العدد ، ما يلزم منه تداخل مُغل في مُغل ، ونسبة شيء راح وأتقضى إلى ما أدرك الآن وحصل ، ويؤدى ذلك إلى إبقاء سنة غير خراج ، وحذر ما يجب تركه فليس الوقت إليه محتاج ، وإنهاء ما يتعين إلغاؤه ، وإسقاط ما تلفت إليه الأذهان وهو لا يمكن رجأؤه ، وإن كان ذلك الإسقاط لأضرر فيه على العباد والبلاد ، ولا نقص ينتج منه للأمراء والأجناد ، ولا حقيقة له ولا معنى ، ولا إهمال شيء أفقر تركه ولا إبقاؤه أغنى ، ولكن صار ذلك من عوائد الزمن القديمه ، ومُصطلحاً لا تزال العقول بالاحتياج إلى فصله عليه ، وأمرها لا بد لذلك منه ، وحالاً لا مندوحة للدول عنه ، لتغزو التصرفات على الاستقامة ماشيه ، والمعاملات من الحق ناشيه ، ويُعنى رسم ما لم يكن في الحقيقة رابط ، ويزال أسم ما لو توسمه الفضل لأضحي كأنه يُغالط . أقتضى حسن الرأي الشريف أن تحول هذه السنة التي يحصل بها الكؤس ، وأن يدحضها يقين النفس ، وأن يُرفع ما بها من أشكال الإشكال ، ويُزال هذا السبب الذي نشأ عنه دخول الأكثر باستدراج الأقل فلا يكون للأذهان عليه أنكامل .

نظراً بذلك في مصالح الأمة ، ودفعاً لما يحدونه من أوهام مُذهِّمَةٍ ، وعملاً يطابق به الدليلُ حكمه ، ويوافقُ فيه اللفظُ معناه والفعلُ أفعاله ، وتخفيفاً عن الرعية من لزوم ما لا يلزم في الحقيقة عملاً بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ .

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف - لازل عدله سائر في الأيام والأشهر ، وفضله [سائداً] بالرِّفق الذي تغدو به العقول والعيون كأنها من الأمن في مقام - أن يُحوَّل مُغلٌ سنة تسع وأربعين وسبعمائة بالديار المصرية المحروسة ، لمُغلٌ سنة خمسين وسبعمائة ، ويُغلى اسمُ مُغلٍ السنة المذكورة ، من الدواوين المعمورة ، ولا يُنسب إليها مُغلٌ بل يكون مُغلٌ سنة خمسين وسبعمائة تالياً لمُغلٍ سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتستقر السنة حينئذٍ هلاليةً تراجعيةً بحكم دورانِ السنين ، واستحقاقِ هذا التحويل من مدة خمس عشرة سنة ، حيث اتَّفَقَ مبدأ السنين الشمسية والقمرية ، ووقوع الإغفال عن هذا المَبْهَم في الدول الماضية ، لتكون هذه الدولة الشريفة قائمة بما قعد عنه من مَضَى من الدول ، مُقومةً بمَوْنِ الله لكل متأوِّدٍ من الزَّيغ والخلل ، لما في ذلك من المصلحة العامة ، والمنفعة التامة ، والحق الواضح ، والقصد الناجح ، والمنهج القويم ، والصراط المستقيم ، والاعتقاد على الشهور القمرية قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ .

فليُتَمَدَّ حُكْمُ مَا قَرَّرْنَاهُ ، وليُتَبَلَّ أمرُ مَا أَمَرْنَاهُ ، وليُثَبَّتْ ذلك في الدواوين ، وليُشَهِرَ نَبْؤُهُ المين ، وليُسَقَطَ ما تَخَلَّلَ بين هاتين السنتين من المُغل الذي لاحقيقة له ، وليُتْرَك ما بينهما من التفاوت الذي لا تُعرفُ الحُساباتُ مُعْذِلَه ؛ ويُجْعَل اسمُ هذه الأيام من الدفاتر ، ويُنسَحَ حكمُها فإنها أولى بذلك في الزمن الآتي والتأخر ؛ فليس المُغل سوى للعام الذي وُجِدَ فيه سببه ، وظهر فيه حصوله وتعيَّن طلبه ، وأدرك في إِبْأانه ، وجاء

في زمانه ، وأنبغ به ثمر غرسه ، وأسحق في وقته لا كما يلزم أن يكون اليوم في أمسه ؛ وفي ذلك من الأسباب الباعثة على ممارستها به ، والدواعي اللازمة لنهائه ، والبراهين القاطعة بقطعه ، والدلائل الواضحة على دفعه ، ما قدمناه : من المصالح المعينة ، والطرق الميينة ، وإزالة الأوهام ، وتأكيد الأنهام ، وإراحة الخواطر ، وإزاحة ما تشوق إليه الظنون في الظاهر ؛ وليُتَظَلَّ ذلك من الارتخاعات بالكليّة ، ويُسَقَطَ من الجرائد لتغزو الحسابات منه خليه ، ولا يذكر مغل السنة المدحوضة في سجل ولا مشروح ، ولا مشهود يفتو حكمة وروح ، ولا مكلفات تُودعها الأقاليم شيئاً على التجاز وهو في الحقيقة مطروح ، لتثبت الحسنات لأيماننا الزاهرة في هذا المحو ، ويكشف ما ينتج بساء العقل من غيم الجهالة بما وضح من هذا الصحو ، ويتمسك في صحة العبادات والمعاملات بالسنيين العربية من غير خروج عن ذلك النحو ، والله تعالى يبين بنا طرق الصواب ، ويحسن ببقاء ملكنا الشريف المال والمآب ، ويعمل دولتنا توضح الأحكام على اختلاف الجديدين : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختلاف الليل والنهار لآياتٍ لأولى الأبصار ﴾ .

والاعتماد فيه على الخط الشريف - أعلاه الله تعالى - أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

حادى عشرين جمادى الأولى سنة خمسين وسبعائة ^(١) .

حسب المرسوم الشريف ؛ بالإشارة الكافية السفيّة ، كافل الممالك الشريفة الإسلامية ، أعز الله تعالى نصرته ؛ ثم الحمدلة والتصليّة والحسبلة .

قلت : وهذه النسخة صدرها إلى قوله : والشهور الهلالية أجنبي عما بعد ذلك من ثمة الكلام . وذلك أنى ظفرت بجزء النسخة ، وهو المكتتب في تحويل

(١) كذا في الأصل بآيات النون وهو كثير في كتابات الكتاب وهو لمن .

سنة تسع وأربعين في نفس المرسوم الشريف الذي شملته العلامة الشريفة ، وقد قُطِعَ أوله فَرَكَّبَهَا على هذا الصدر .

ومن عجيب ما يُذكر في ذلك أن سنة تسع وأربعين التي حُوِّلَتْ إلى سنة خمسين هي السنة التي وقع فيها الطاعونُ الجارفُ الذي عمَّ الأقطارَ خلا المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخلها الطاعون ، وكثر فيها الموتُ حتى آتته إلى عشرين ألفاً في اليوم الواحد ، وكان يُقال في هذه السنة لما حُوِّلَتْ : [مات كلُّ شيء حتى السنة] لإلغائها . وجعل مُغلَّ سنة خمسين ثانياً لِمُغلَّ سنة ثمانٍ وأربعين كما تقدّم .

الفصل الثاني

من الباب الرابع من المقالة السادسة
(فيما يُكتب في التذاكر)

والتذاكر جمع تَذَكُّرة .

قال "في موادّ البيان" : وقد جرت العادة أن تُضمَّنَ جملَ الأموال التي يُسافر بها الرسولُ ليعودَ إليها إن أغفل شيئاً منها أو نسيه ، أو تكونَ حجةً له فيما يُورده ويُصدره ، قال : ولا غنى بالكاتب عن العلم بعُنواناتها وترتيبها .

فأما عُنوانُ التَذَكُّرة فيصدرها تَلَوُّ البسملة ، فإن كانت للرسول يُعمل عليها ، قيل : تَذَكُّرة مُنْجِحة صدرت على يد فلان عند وصوله إلى فلان بن فلان ، ويتنهي بمشبهة الله تعالى إلى ما تُصَّ فيها . وإن كانت حجةً له يَرْضَاهُ للشَّهَد بصدق

ما يورده، قيل : تذكرة مُبَيَّنة صدرت على يد فلان بن فلان بما يحتاج إلى عَرْضِهِ على فلان .

وأما الترتيبُ فيختلف أيضا بحسب اختلاف العُنوان : فإن كانت على الرسم الأول ، كَانَ بصدرها « قد استخرنا الله عز وجل ونَدَبْنَاكَ ، أو عَزَّلْنَا عَلَيْكَ ، أو نَفَذْنَاكَ ، أو وَجَّهْنَاكَ إِلَى فلان : لإرسال ما أودَعْنَاكَ وشَافَهْنَاكَ بِهِ مِنْ كَذَا وَكَذَا » وَيُقْصُ جميع الأغراض التي أُلْقِيَتْ إِلَيْهِ بِجُمْلَةٍ . وإن كانت محمولةً على يده كالجُملة له فَمَا يَرْضَاهُ ، قيل : « قد استخرنا الله عز وجل وعَزَّلْنَا عَلَيْكَ فِي تَحْمِيلِ تَذَكُّرَاتِنَا هَذِهِ وَالشُّخُوصَ بِهَا إِلَى فلان ، أو التَّفُؤْذ ، أو التَّوَجُّه ، أو المَصِير ، أو القَصْدَ بِهَا وَإِصْلَاحَهَا إِلَيْهِ ، وَعَرْضَ مَا تَضَمَّنَتْهُ عَلَيْهِ ، مِنْ كَذَا وَكَذَا » وَيُقْصُ جميع أغراضها .

ثم قال : وهذه التذَاقِرُ أَحْكَامُهَا أَحْكَامُ الْكُتُبِ فِي التَّفُؤْذِ عَنِ الْأَعْلَى إِلَى الْأَدْنَى ، وَعَنِ الْأَدْنَى إِلَى الْأَعْلَى ، فَيَبْنِي أَنْ تُبْنَى عَلَى مَا يَحْفَظُ رَتَبَ الْكُتُبِ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ : فَإِنْ كَانَتْ صَادِرَةً عَنِ الْوَزِيرِ إِلَى الْخَلِيفَةِ مَثَلًا فَتُصَدَّرُ بِمَا مِثَالُهُ « قد استخرتُ الله تعالى ، وعَزَّلْتُ عَلَيْكَ فِي الشُّخُوصِ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - مَتَحَمَّلًا هَذِهِ التَّذَكُّرَ ، فَإِذَا مَثَلَتْ بِالْمَوَاقِفِ الْمَطْهُرَةِ ، فَوْقَهَا حَقُّهَا مِنَ الْإِعْظَامِ وَالْإِكْبَارِ ، وَالْإِجْلَالِ وَالْوَقَارِ ، وَقَدَّمَ تَحْمِيلَ الْأَرْضِ وَالْمُطَالَعَةَ بِمَا أَشَاءُ مُوَاسِلَتَهُ مِنْ شُكْرِ نِعَمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الضَّافِيَةِ عَلَى - المتَابَعَةِ لَدَيْ - ، وَإِخْلَاصِي لِعَاطَتِهِ ، وَاتِّصَابِي فِي خِدْمَتِهِ ، وَتَوْفِيرِي عَلَى الدَّعَاءِ بِنَيَاتِ دَوْلَتِهِ ، وَخُلُودِ مَمْلَكَتِهِ ، وَطَالِبِ بَكَذَا وَكَذَا » وَعَلَى هَذَا النِّظَامِ إِلَى آخِرِ الْمَرَاتِبِ يَعْنِي مَرَاتِبِ الْمَكَاتِبَاتِ . (

قلت : والذي جرى عليه اصطلاحُ كُتَابِ الزَّمانِ فِي التَّذَاكُرِ أَنَّ التَّذَكُّرَ تَكْتُبُ فِي قِطْعِ الشَّامِي ، تُكْتَمَرُ فِيهَا الْفَرَحَةُ الْكَامِلَةُ نَصْفَيْنِ ، وَتَجْعَلُ دَقْرًا وَوَرَقَةً إِلَى جَنْبِ

أخرى لا كُرَّاسَةً بعضها داخل بعض ، وتكون كتابتها بقلم الرِّقَاع ، وتكون البسملة في أعلى باطن الورقة الأولى بياض قليل من أعلاها وهامش عن يمينها ؛ ثم يُكْتَب السطر التالي من التذكرة على تمت البسملة ملاصقاً لها ، ثم يُحْلَى قدرُ عرض إصبعين بياضاً ويكتب السطر التالي ، ثم يُحْلَى قدرُ إصبع بياضاً ويكتب السطر التالي ؛ ويمر في باقي الأسطر على ذلك حتى يأتى على آخر الورقة ، ثم يُكْتَب باطنُ الورقة التي تليها كذلك ، ثم ظاهرها كذلك ، ثم الورقة الثانية فما بعدها على هذا الترتيب إلى آخر التذكرة ، ثم يكتب « إن شاء الله تعالى » ثم التاريخ ، ثم الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم الحسيلة ، على نحو ما تقدم في المكتبات والولايات وغيرها على ما تقدم بيانه في المقالة الثالثة في الكلام على الخواصم .



وهذه نسخةُ تذكرة أنشأها القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، سيرها صحبة الأمير شمس الدين الخطيب : أحد أمراء الدولة الصلاحية إلى أبواب الخلافة ببغداد في خلافة الناصر لدين الله ، وهي :

تَذَكُّرٌ مباركٌ ولم تزل الذِّكْرَى للمؤمنين نائمه ، ولعوارض الشكِّ دافعه ؛ صُمِّنت أغراضاً يُقَيِّدها الجَلْبَاب ، إلى أن يُطْلَقَهَا الخطاب . على أن السائر سيار البيان ، والرسول يَمْضِي على رسل التبيان ؛ والله سبحانه يُسَدِّدُهُ قَائِلًا وفاعلاً ، ويَحْفَظُهُ بَادِئًا وعائداً ومقيماً وراحلاً .

الأميرُ الفقيهُ شمسُ الدين خطيبُ الخطباء - أدام الله نعمته ، وكتب سلامته ، وأحسن صحابته - يتوجّه بعد الاستغارة ويقصد دار السلام ، والخطبة التي هي عُشُّ بيضة الإسلام ؛ ويجتمع رجاء الرجال ، ومتسع رحاب الرجال ؛ فإذا نظر تلك الدار

الدَّارَ سَحَابُهَا ، وشَاقَّةَ الْبَازِفَرِ مَعَالَمَ ذَلِكَ الْحَرَمِ الْمُحَرَّمِ عَلَى الْخَطُوبِ خِطَابُهَا ، وَوَقَفَ
 أَمَامَ تِلْكَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَحْسُدُ الْأَرْجَلَ عَلَيْهَا الرُّعُوسُ ، وَقَامَ بِتِلْكَ الْمَنَازِلِ الَّتِي تُتَافَسُ
 الْأَجْسَامُ فِيهَا النُّفُوسُ ، فَلَوْ اسْتَطَاعَتْ لَزَارَتْ الْأَرْوَاحُ مُحَرَمَةً مِنْ أَجْسَادِهَا ،
 وَطَافَتْ بِكَعْبَتِهَا مَتَجَرِّدَةً مِنْ أَغْشَادِهَا ، فَلْيُمِطِرِ الْأَرْضَ هُنَاكَ عَنَّا قُبَلًا تُحَضُّهَا ،
 بِأَعْدَادِ لَا تُحْصَلُهَا ؛ وَلْيَسَلِّمْ عَلَيْهَا سَلَامًا تَقْتُلُهُ مِنْ شِعَائِرِ الدِّينِ الْإِلَازِمَةِ ، وَسُئِنَ الْإِسْلَامِ
 الْقَائِمَةِ ، وَلْيُورِدْ عَنَّا تَحِيَّةَ يَسْتَنْزِلُهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَحِيَّةً مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ، وَصَلَاةَ تَخْتَرِقُ
 أَنْوَارُهَا الْأَسْتَارَ الْمُحْجَبَةَ ، وَلْيُصَاغِ عَنَّا بِوَجْهِهِ صَفْحَةُ الثَّرَى ، وَلْيَسْتَشْرِفْ عَنَّا بِنَظَرِهِ
 قَعْدَ ظَفِيرِ بَصِيحِ السَّرَى ، وَلْيَسْتَلِمِ الْأَرْكَانَ الشَّرِيفَةَ ، فَإِنَّ الدِّينَ إِلَيْهَا مُسْتَنِدٌ ، وَلْيَسْتَدِمِ
 الْمُلَاحِظَاتِ اللَّطِيفَةَ ، فَإِنَّ النُّورَ مِنْهَا مُسْتَمَدٌّ ، وَإِذَا قَضَى التَّسْلِيمَ وَحَقَّ الْلِقَاءَ ،
 وَاسْتَدْعَى الْإِخْلَاصَ جَهْدَ الدَّعَاءِ ، فَلْيَعُدْ وَلْيَعُدْ حَوَادِثَ مَا كَانَتْ حَدِيثًا يُفْتَرَى ،
 وَجَوَارِي أُمُورٍ إِنْ قَالَتْ مِنْهَا كَثِيرًا فَكَثُرَ مِنْهُ مَا جَرَى ، وَلْيُشْرَحْ صَدْرُهَا مِنْهَا لَعَلَّهُ
 يَشْرَحُ مِنْهَا صَدْرًا ، وَلْيُوضَّحِ الْأَحْوَالُ الْمُسْتَسْرَةُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْبَدُ سِرًّا :

وَمِنَ الْفَرَائِبِ أَنْ تَسِيرَ غَرَائِبُ * فِي الْأَرْضِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا الْمَأْمُولُ

كَالْعَيْسِ أَقْبَلُ مَا يَكُونُ لَهَا الظَّلَامُ * وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

فَإِنَّا كَمَا هَتَمَسَ النَّارَ بِأَيْدِينَا ، وَغَيْرِنَا يَسْتَنِيرُ ، وَنَسْتَنْبِطُ الْمَاءَ بِأَيْدِنَا ، وَغَيْرِنَا يَسْتَعِيرُ ،
 وَنَلْقَى السَّهَامَ بِمُخُورِنَا ، وَغَيْرِنَا يَغَيِّرُ التَّصْوِيرَ ، وَنُصَاغِ الصَّفَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَغَيْرِنَا يَدْعَى
 التَّصْدِيرَ ، وَلَا بَدَأَ أَنْ نَسْتَرِدَّ بِضَاعَتَنَا ، بِمَوْقِفِ الْعَدْلِ الَّذِي تُرَدُّ بِهِ النُّصُوبُ ، وَنُظَاهِرُ
 طَاعَتَنَا ، فَتَأْخُذُ بِحِظِّ الْأَسْنَةِ كَمَا أَخَذْنَا بِحِظِّ الْقُلُوبِ ، وَمَا كَانَ الْعَاقِبُ إِلَّا أَنَّا كَمَا نَنْظُرُ
 ابْتِدَاءً مِنَ الْجَانِبِ الشَّرِيفِ بِالنِّعْمَةِ ، يُضَاهِي ابْتِدَاءَنَا بِالْخِدْمَةِ ، وَإِعْجَابًا لِلْحَقِّ ، يَسْأَلُ
 إِعْجَابَنَا لِلْسَّبْقِ ، إِلَى أَنْ يَكُونَ سَحَابُهَا بِغَيْرِ يَدٍ مُسْتَتَرًّا ، وَرَوْضُهَا بِغَيْرِ غَرْسٍ مُطْفَلًا .

كان أول أمرنا أنا نُكِّمُ في الشام فتَحَ الفتوحاتِ مبشرين بأفئسنا ومجاهد الكفار متقدمين لساكره نحنُ والدُّنا وعمُّنا، فأى مدينة فُتِحَتْ، أو معقلُ مُلِكٍ، أو عسكر للعدوِّ كُسر، أو مَصَافٍ للإسلام معه ضرب، فإيجهل أحد، ولا يحدِّد عدو، أنا نصْطلي الجُرَّه، ونملك الكُسر، ونتقدِّم الجساعة، ونرتب المقاتلة، ونذر التعبئة، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجراها، ولا يضُرنا أن يكون لغيرنا ذِكْرُها .

وكانت أخبار مصر تتصل بنا بما الأحوال عليه فيها من سوء التدبير، ومما دُوِّثا عليه من غلبة صغير على كبير، وأن النظام قد فسد، والإسلام بها قد ضعف عن إقامته كل قائم بها وقعد، والفرنج قد احتاج من يدبرها إلى أن يقطعهم بأموال كثيره، لها مقادير خطيره، وأن كلمة السنة بها وإن كانت مجعوه، فإنها مقموعة، وأحكام الشريعة وإن كانت مُسَمَّاه، فإنها متعاماه، وتلك البدع بها على ما يعلم، وتلك الضلالات فيها على ما يُفْتَى منها بفران الإسلام ويُحْكَم، وذلك المذهب قد خالط من أهله الخُم والدم، وتلك الأنصاب قد نصبت آلهة تُخَدُّ من دُون الله تُعْظَم وتُفَخَّم، فتعالى الله عن شبه العباد، وويل لمن غره قلب الذين كفروا في البلاد .

فسمت هِمَمنا دُون هِمَم ملوك الأرض إلى أن نستفتح مُقفَلها ونسترجع للإسلام شاردَها ونعيد على الدبر ضالَّته منها فَمِرنا إليها بساكر خفَّته، وجموع جمه، وبأموال آتَهكت الموجود، وبلغت من المجهود، وأنفقناها من خالص ذِمِّنا وكَسب أيدينا، ومن أسارى الفَرنج الواقعين في قبضتنا، فعرضت عوارض منعت، وتوجهت للمصريين حبل باستجداد الفَرنج تمت : (ولكل أجل كتاب) . ولكل أمل باب .

وكان في تقدير الله سبحانه أنا نملكها على الوجه الأحسن، ونأخذها بالحقم الأقوى الأمكن، فسدر الفَرنج بالمصريين غزوة في هُدنة عظم خطبها وخبطها،

وُلِّمَ أَنْ اسْتِصَالَ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ مَحْطَهَا ، وَكَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنْ مِصْرَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، كَمَا كَاتَبْنَا الْمُسْلِمُونَ مِنَ الشَّامِ فِي هَذَا الْأَوَّانِ ، بَأَنَّا إِنْ لَمْ نُدْرِكِ الْأَمْرَ وَإِلَّا نَخْرُجَ مِنَ الْيَدِ ، وَإِنْ لَمْ نُدْفَعْ غَزِيمَ الْيَوْمِ لَمْ يُمِهِلْ إِلَى الْفَسَدِ ، فِيسَرْنَا بِالْعَسَاكِرِ الْمَوْجُودَةِ وَالْأُمَرَاءِ الْأَهْلِ الْمَعْرُوفَةِ إِلَى بِلَادٍ قَدْ تَمَهَّدَ لَنَا بِهَا أُمْرَانِ ، وَتَهَرَّرْنَا فِيهَا فِي الْقُلُوبِ وَدَانِ : الْأَوَّلُ لِمَا عَلِمُوهُ مِنْ إِيثَارِنَا الْمَذْمُوبَ الْأَقْوَمَ ، وَإِحْيَاءِ الْحَقِّ الْأَقْدَمِ ، وَالْآخَرُ لِمَا يَرْجُوهُ مِنْ فَكِّ إِسَارِهِمْ ، وَإِقَالَةِ عِتَارِهِمْ ، فَعَمِلَ اللَّهُ مَا هُوَ أَدْلُهُ ، وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى الْعَدُوِّ فَأَنْقَطَعَ حَبْلُهُ ، وَضَاقَتْ بِهِ سُبُلُهُ ، وَأَفْرَجَ عَنِ الدِّيَارِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ ضِبَاعُهَا وَرَسَائِقُهَا وَبِلَادُهَا وَإَقْلِيمُهَا قَدْ تَقَدَّتْ فِيهَا أَوَامِرُهُ ، وَخَفَقَتْ عَلَيْهَا صُلبَانُهُ ، وَأَمِنَ مِنْ أَنْ يُسْتَرْجَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ حَاصِلًا ، وَأَنْ يُسْتَنْقَذَ مَا صَارَ فِي مِلْكِهِمْ دَاخِلًا ، وَوَصَلْنَا الْبِلَادَ وَبِهَا أَجْتَادُ عِدَدِهِمْ كَثِيرٌ ، وَشَوَادُهُمْ كَثِيرٌ ، وَأَمْوَالُهُمْ وَاسِعَةٌ ، وَكَلِمَتُهُمْ جَامِعَةٌ ، وَهُمْ عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ أَقْدَرُ مِنْهُمْ عَلَى حَرْبِ الْكُفْرِ ، وَالْحِيلَةُ فِي السَّرْمَنِهِمْ أَفْضَلُ مِنَ الْعَزِيمَةِ فِي الْجَهْرِ . وَبِهَا رَاجِلٌ مِنَ السُّودَانِ يَزِيدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ أَغْنَاءُ أَعْجَامٍ ، إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ، لَا يَفْرُقُونَ رَبًّا إِلَّا سَاكِنَ قَصْرِهِ ، وَلَا قِبْلَةً إِلَّا مَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ مِنْ رُكْنِهِ . وَبِهَا عَسْكَرٌ مِنَ الْأَرَمَنِ يَأْقُونَ عَلَى النَّصْرَانِيَةِ مَوْضُوعَةً عَنْهُمْ الْحَزِينَةُ كَانَتْ لَهُمْ شَوْكَةً وَشِكَّةً ، وَحِيَّةً وَحُمَةً ، وَلَمْ يَحْوَشِ لِقَصْرِهِمْ مِنْ بَيْنِ دَائِعٍ تَلَطَّفَ فِي الضَّلَالِ مَدَاخِلَهُ ، وَتُصِيبُ الْعُقُولَ مَخَاتِلُهُ ، وَمِنْ بَيْنِ كُتَابِ أَفْلَاهُمُ فَعَمِلَ أُنْعَالَ الْأَسَلِ ، وَخُدَامٌ يَجْمَعُونَ إِلَى سَوَادِ الْوُجُوهِ سَوَادَ النَّحْلِ ، وَدَوْلَةٌ قَدْ كَبَّرَ عَلَيْهَا الصَّغِيرُ ، وَلَمْ يَعْرِفْ غَيْرَهَا الْكَبِيرُ ، وَمَهَابَةٌ تَمْنَعُ خَطَرَاتِ الصَّغِيرِ ، فَكَيْفَ لِحَطَّاتِ التَّنْدِيرِ .

هذا إلى استباحة للحارم ظاهرة ، وتعطيل للفرائض على عادة جارية ، وتحريف للشريعة بالتأويل ، وعُدُولُ إِلَى غَيْرِ مُرَادِ اللَّهِ فِي التَّنْزِيلِ ، وَكُفْرٌ شَمِيٌّ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، وَشَرْعٌ يُسْتَبْرَهُ وَيُحْكَمُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ .

فما زلنا نَسَحْنَهُمْ تَحْتَ الْمِبَادِ الشَّفَار ، وَتَحَقِّقُهُمْ تَحِيفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَار لِلْأَعْمَار ،
بِعِجَابٍ تَدِير ، لَا تَحْتَمِلُهَا الْمَسَاطِير ، وَغَرَائِبٍ تَقْرِير ، لَا تَحْمِلُهَا الْأَسَاطِير ، وَلُطْفٍ
تَوْصِلُ مَا كَانَ فِي حِيلَةِ الْبَشَر وَلَا قُدْرَتِهِمْ إِلَّا إِمَاعُهُ الْمَقَادِير ، وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ اسْتَجِدُّوا
عَلَيْنَا الْقَرْعَ دَفْعَةً إِلَى بُلَيْس ، وَدَفْعَةً إِلَى دِمَاط ، فِي كُلِّ مِنْهُمَا وَصَلُوا بِالْعُدُوِّ الْمُجْهَر ،
وَالْحَشْدِ الْأَوْفَر ، وَخُصُوصًا فِي تَوْبَةِ دِمَاطِ فَإِنَّهُمْ نَازَلُوهَا بِحَرًّا فِي أَلْفِ مَرَكِبٍ مُقَاتِل
وَحَامِل ، وَبَرًّا فِي مِائَةِ أَلْفِ فَارَسٍ وَرَاجِل ، وَحَصَرُوهَا شَهْرَيْنِ بِيَاكُوتِهَا وَبِرُوحِوتِهَا ،
وَيُمَاسُونَهَا وَيُصَاحِجُونَهَا ، الْقِتَالُ الَّذِي يُصَلِّيه الصَّلِيب ، وَالْقِرَاعُ الَّذِي يُنَادِي بِهِ مِنْ
مَكَانٍ قَرِيب ، وَنَحْنُ مُقَاتِلُ الْعُدُوِّينَ : الْبَاطِنِ وَالظَّاهِر ، وَنُصَارُ الضَّئِيفِينَ : الْمَنَاقِقِ
وَالْكَافِر ، حَتَّى آتَى اللَّهُ بَأْمَرَهُ ، وَأَيَّدَنَا بِنَصْرِهِ ، وَخَابَتِ الْمَطَامِعُ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَمَنْ
الْقَرْعِجِ وَمَنْ مَلَكَ الرُّومَ وَالْجَنْوِيِّينَ وَأَجْنِاسَ الرُّومِ لِأَنَّ أُنْفَارَهُمْ تَنَافَرَتْ ، وَنَصَارَاهُمْ
تَنَاصَرَتْ ، وَأَنَاجِلُ طَوَاغِيَتِهِمْ رُفِعَتْ ، وَصُلْبَ صَالِبِيَتِهِمْ أُخْرِجَتْ ، وَشَرَعْنَا فِي تِلْكَ
الطَّوَائِفِ مِنَ الْأَجْنَادِ وَالسُّودَانِ وَالْأَرْمَنِ فَانْخَرَجْنَاهُمْ مِنَ الْقَاهِرَةِ تَارَةً بِالْأَوَامِرِ
الْمُرْهِقَةِ لَهُمْ ، وَبِالذُّنُوبِ الْفَاضِحَةِ مِنْهُمْ ، وَبِالسُّيُوفِ الْمَجْرَدَةِ وَبِالنَّارِ الْمُحْرِقَةِ ، حَتَّى بَقِيَ
الْقَصْرُ وَمَنْ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ قَدْ تَفَرَّقَتْ شِسْعُهُ ، وَتَمَزَّقَتْ يَدْعُهُ ، وَخَفَّتْ دَعْوَتُهُ ،
وَحَفِيتْ ضَلَالَتُهُ . فَهَنَّا لِكَلِمَةِ الْكَلْبَةِ وَالْجَهْرُ بِالْخَطْبَةِ وَالرَّفْعُ لِلِوَاءِ السَّوَادِ
الْأَعْظَمِ ، وَالْجَمْعُ لِكَلِمَةِ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَعَاجَلَ اللَّهُ الطَّاعِيَةَ الْأَكْبَرَ بِفَنَائِهِ ، وَبَرَّأَنَا
مِنْ عُهُدِهِ يَمِينٍ كَانَ حِثُّهَا أَيْسَرَ مِنْ إِمَامٍ لِبَقَائِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ عُوِجِلَ لِقَرَطِ رَوْعَتِهِ ، وَوَاقَى
هَلَاكَ شَخْصِهِ هَلَاكَ دَوْلَتِهِ .

وَمَا خَلَا دَرَعُنَا ، وَرَحَّبَ وَسْعُنَا ، نَظَرْنَا فِي الْفَزَوَاتِ إِلَى بِلَادِ الْكُفَّار ، فَلَمْ
تَخْرُجْ سَنَةً إِلَّا عَنْ مُسْنَةٍ أُقِيمَتْ فِيهَا بَرًّا وَبِحَرًّا ، وَمَرَجًا وَظَهْرًا ، إِلَى أَنْ أَوْسَعْنَاهُمْ
قَتْلًا وَأَسْرًا ، وَمَلَكًا رَقَابَهُمْ قَهْرًا وَقَسْرًا ، وَفَتَحْنَا لَهُمْ مَعَاقِلَ مَا خَطَرَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِيهَا

مَنْدُ أَخَذَتْ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَمَا أَوْجَعَتْ فِيهَا خَيْلُهُمْ وَلَا رِكَابُهُمْ مُدَّ مَلَكُهَا أَعْدِيَهُمْ ،
فِيهَا مَاحَكَتْ فِيهِ يَدُ الْخِرَابِ ، وَمِنْهَا مَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ يَدُ الْاِكْتِسَابِ ، وَمِنْهَا قَلْعَةٌ
بَشَرُ أَيْلَةٍ كَانَ الْعَدُوُّ قَدْ بَنَاهَا فِي بَحْرِ الْهِنْدِ ، وَهُوَ الْمَسْلُوكُ مِنْهُ إِلَى الْحَرَمَيْنِ وَالْبَيْنِ ،
وَعِزًّا سَاحِلَ الْحَرَمِ فَسَبَى مِنْهُ خَلْقًا ، وَتَحَرَّقَ الْكَفَرُ فِي هَذَا الْجَانِبِ تَحَرُّقًا ، فَكَادَتْ
الْقِبْلَةُ أَنْ يُسْتَوْلَى عَلَى أَصْلَافِهَا ، وَمَسَاجِدُ اللَّهِ أَنْ يَسْكُنَهَا غَيْرُ أَهْلِهَا ، وَمَقَامُ الْخَلِيلِ
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ مَنْ نَارُهُ غَيْرُ بَرْدِ وَسَلَامٍ ، وَمُضْجِعُ الرَّسُولِ شَرْفُهُ اللَّهُ أَنْ
يَنْطَرُقَهُ مَنْ لَا يَدِينُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، فَفَتَحَ اللَّهُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ وَصَارَتْ مَقِيلًا
لِلْجِهَادِ ، وَمَوْثِلًا لِسُفَّارِ الْبِلَادِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِ الْعِبَادَةِ ، فَلَوْ شَرَحَ مَا تَمَّ بِهَا لِلْمُسْلِمِينَ
مِنَ الْاَثَرِ الْجَلِيلِ ، وَمَا اسْتَدَّتْ مِنْ خَلَاتِهِمْ ، وَأَحْرَقَ مِنْ زُرُوعِ الْمُشْرِكِينَ وَرُغَى مِنْ
خَلَاتِهِمْ ، إِلَى أَنْ ضَعُفَتْ ثَقُورُهُمْ ، وَأَخْثَلَتْ أُمُورُهُمْ ، لاحتجيج فيه إِلَى زَمَنِ يُسْغَلُ
عَنِ الْمَهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ لِسَبَاحِ مَوْرَدِهِ ، وَإِبْضَاحِ مَقْصِدِهِ .

وَكَانَ بِإِيْنٍ مَا عِلِمَ مِنْ آيِنٍ مَهْدَى الضَّالِّ وَلَهُ آثَارٌ فِي الْإِسْلَامِ ، وَثَارٌ طَالِبُهُ النَّبِيُّ
عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لِأَنَّهُ سَبَى الشَّرَائِفَ الصَّالِحَاتِ وَبَاعَهُنَّ بِالْثَمَنِ الْبَخْسِ ،
وَأَسْتَبَاحَ مَنْزِلٍ كُلِّ مَا لَاقَتْ عَلَيْهِ نَفْسٌ ، وَكَانَ يَبْدِعُهُ دَعَا إِلَى قَبْرِ أَبِيهِ وَسَمَاءِ كَعْبَةٍ ،
وَأَخَذَ أَمْوَالَ الرِّعَايَا الْمَعْصُومَةِ وَأَجَاحَهَا ، وَأَحْلَلَ الْفُرُوجَ الْمُحْتَرَمَةَ وَأَبَاحَهَا ، فَانْهَضْنَا
إِلَيْهِ أَخَانًا بِعَسْكَرِنَا بِمَدِّ أَنْ تَكَلَّفْنَا لَهُ نَفَقَاتٍ وَاسِعَةٍ ، وَأَسْلَحَةٍ رَائِعَةٍ ، وَسَارَ فَاخْذَنَاهُ
وَقِهِ الْحَمْدَ ، وَأَنْجَحَ اللَّهُ فِيهِ الْقَصْدَ ، وَوَرَدَتْنا كُتُبُ عَسَاكِرِنَا وَأَمْرَاتِنَا بِمَا نَفَّذَ فِي آيِنٍ
مَهْدَى وَبِلَادِهِ الْمَفْتُوحَةِ وَمَعَاقِلِهِ الْمُسْتَضَافَةِ ، وَالْكَلِمَةُ هُنَالِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ إِلَى الْهِنْدِ
سَارِيَةً ، وَإِلَى مَا لَمْ يَقْتَضِ الْإِسْلَامُ عُذْرَتَهُ مُدَّ أَقَامَ اللَّهُ كَلِمَتَهُ مُمَّادِيَةً .

وَلَنَا فِي الْمَقَرِّبِ ، أَثَرُ أَغْرَبِ ، وَفِي أَعْمَالِهِ أَعْمَالٌ دُونَ مَطْلَبِهَا كَمَا يَكُونُ الْمَهْلَكُ
دُونَ الْمَطْلَبِ ، وَذَلِكَ أَنَّ نَبِيَّ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ قَدْ ائْتَسَّرَ أَنْ أَمْرَهُمْ أَمْرٌ ، وَمُلْكُهُمْ

قد عمّر، وجيوشهم لا تُطاق، وأوامرهم لا تُشاق، ونحن والحمد لله قد ملكنا مما
يُجاورنا منه بلاداً تزيد مسافتها على شهر، وسيرنا عسكرياً بعد عسكر رجع بنصر بعد
نصر، ومن البلاد المشاهير، والأقاليم الجاهير—ألك—برقة—قفصة—قسطليّة—
توزر؛ كلّ هذه تُقام فيها الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بالله سلام الله عليه،
ولا عهد للإسلام باقامتها، وتنفذ فيها الأحكام بتمامها المنصور وعلامتها. وفي هذه
السنة كان عندنا وفدٌ قد شاهدته وفود الأمصار، مقداره سبعون راجعاً كلّهم يطلب
لسلطان بلده تقليداً، ويرجو منا وعداً ويخاف وعيذاً.

وقد صدرت عنا بحمد الله تهابلدها، وألقيت إلينا مقاليدها، وسيرنا الخلع
والألوية، والمناشير بما فيها من الأوامر والأفضية.

وأما الأعداء الذين يُحْدِقُونَ بهذه البلاد، والكُفَّار الذين يُهاولونها بالمالك العظام
والعزائم الشداد، فهم صاحب قُسطنطينية وهو الطاغية الأكبر، والجبّار الأَكْفَر،
وصاحب المملكة التي أكلت على الدهر وشربت، وقائم النصرية التي حكمت دولته
على ممالكها وغلبت، وحرّت لنا معه غزوات بحرية، ومناقلات ظاهرية وسرية،
وكانت له في البلاد مطامع منها أن يجبي خراجاً، ومنها أن يملك منها فجاجاً، وكانت
غصّة لا يُسيبها الماء، وداهية لا تُرحى لها الأرض بل السماء، فأخذنا والله الحمد
بكتامه، وأقناه على قدمه، ولم نخرج من مصر، إلى أن وصلتنا رسله في جمعة واحدة
في نوبتين بكتابين كلّ واحد منهما يُظهر فيه خفض الجناح، وإلقاء السلاح،
والانتقال من مُهاداه، إلى مُهاداه، ومن مناصحه، إلى مناصحه، حتى إنه أنذر
بصاحب صقيلية وأساطيله التي يردّ ذكرها، وعساكره التي لم يخف أمرها.

ومن هؤلاء الكفار صاحبُ صِغْلَةٍ هذا كان حينَ علم أن صاحبَ الشام وصاحبَ قُسْطَنْطِينِيَّةٍ قد اجتمعَا في توبةٍ دِمَاطٍ فَعَلِيا وهُرَما وكُسَرا، أراد أن يُظهر قُوَّةَ المستَقِلَّةِ بِفَرْدِها، وعزَمَتَه القاعةُ يَجَرِّدُها، فَعَمَّرَ أسطولاَ اسْتَوْعَبَ فيه مالهَ وزَمَانَه: فإنه الى الآنَ منذُ خمسِ سنينَ يَكْثُرُ عُدَّتُه، وَيَنْتَجِبُ عُدَّتَه، وَيَجْتَلِبُ مَقَاتِلَتَه الى أن وصل منها في السنة الخالية إلى إسكندرية أمرُ رَئِيعٍ، وخطبُ هائلٍ، ما أَهْزَلَ ظهرَ البحرِ مثلُ جِملِه، ولا مَلَأَ صدرَه مثلُ خيلِه ورجلِه، ما هو إقْلِمٌ بل أَقْلِمٌ قُلُه، وجيشٌ ما أَحْتَلَّ مَلِكٌ قَطُّ بنظيرِه لولا أَنَّ اللهَ خَذَلَه ؛ ولو ذهبنا نَصِفُ ما ذهبَ فيه من ذَهَبٍ ؛ وما أَخَذَ منه من سِلَاحٍ وخيلٍ وعُدَدٍ ومجانيقٍ، وَمَنْ أُسِرَ منه من خِالَةِ بَكَارٍ، ومَقْدَمِينَ ذَوِي أَقْدَارٍ، وملوكٌ يُقَاطِعُونَ بالِجَلِ التي لها مِقْدَارٌ ؛ وكيف أَخَذَه وهو في العُدَدِ الأَكْثَرِ بِالْعَدَدِ الأَقْلَ من رجالنا، وكيف نصر الله عليه مع الأَصْعَبِ من قتاله بالأسهلِ من قتالنا، لَعَلِمَ أَنَّ عنايةَ الله بالإسلام تُغْنِيه عن السلاحِ، وكفايةَ الله لهذا الدِّينِ تَكْفِيه مَشُونَةَ الكِفَاحِ ؛ ومن هؤلاء الجنوِّينَ الذين يُسَرُّونَ الجيوشَ - البنادقةَ - البياشنةَ - الجنويةَ كُلَّ هؤلاء تارةً لَأُطَاقَ ضراوةَ ضُرِّهم، ولا تُطْفَأُ شرارةُ شرِّهم ؛ وتارةً يَجْهَزُونَ سَفَارا يَحْتَكُونَ على الإسلامِ في الأموالِ المجلوبةِ، وتَقْصُرُ عنهم يدُ الأحكامِ المرهوبةِ ؛ وما منهم الآنَ إلا من يَجْلِبُ إلى بلدنا آلَةَ قتالِه وجِهادهِ، ويتقَرَّبُ إلينا بإهداء طرائفِ أَعْمالِه وبلادِه ؛ وكلُّهم قد قرَّرت معه المواصقةَ، وانتظمت معه المسالمةَ ؛ على ما نريدُ وَيَكْرَهُونَ، وتُؤَيِّزُونِ .

ولما قضى الله بالوفاةِ الثَّوْرِيَّةِ، وكُنَّا في تلكَ السنة على نيةِ الغزوِ، والعساكرُ قد ظَهَرَتِ، والمُضَارِبُ قد بَرَزَتِ، ونَزَلَ الفَرَجُ بِأَنْيَاسٍ وأشرفوا على أختِيارِها، ورَأَوْها فرصةً مَدُّوا إليها يدَ اتِّهازاها، استصرخَ بنا صاحبُها للمَناصَهِ، واستنهَضنا لنفَرِجِ الكَرْبِ الواقعِ ؛ فسرنا مراحلَ اتِّصَلِ بالعدُوِّ أمرُها، وعُوجِلَ بالمُدَّةِ النَّمَشِقِيَّةِ

التي لولا مسيرنا ما انتظم حكمها ولا قُبل كثيرها ولا قليلها ؛ ثم عدنا إلى البلاد
فوافقت إلينا الأخبار بما الدولة النورية عليه من تشعب الآراء وتوزعها ، وتشقت
الأموار وتقطعها ؛ وأن كل قلعة قد حصل فيها صاحب ، وكل جانب قد طمّح إليه
طالب ؛ والفرنج قد بنوا بلادا يتحيفون بها الأطراف الإسلامية ، ويضاقون بها
البلاد الشامية ؛ وأمراء الدولة قد سجن أكابرهم وعوقبوا وصودروا ، والمالِكُ
الذين للتوفى أغرارُ خَلِقُوا للأطراف لا للصُدُور ، وجعلوا للقيام لا للجُلُوس في المحل
المحصور ؛ وقد مدّوا الأعيُن والأيدى والسُّيُوف ، وساءت سيرتهم في الأمر بالمنكر
والهبي عن المعروف ؛ وكل واحد يتخذ عند الفرنج يدا ، ويحملهم لظهره سندا ؛
ويرفع عنهم ذخيرة كانت للإسلام ، ويفرج لهم عن أسير من أكابر الكفار كان
مقامه بمایدق شرا ، ولا يزيد نار الكفر جحرا ، وإطلاقه يحلب قطيعة تقوى إسلاما
وتضعف كفرا ؛ فكثر إلينا مكاتبات أهل الآراء الصائبة ، ونظرنا للإسلام ولنا
ولبلاد الإسلام في العاقبة ؛ وعرفنا أن البيت المقدس إن لم تيسر الأسباب لفتحه ،
وأمر الكفر إن لم يجرّد العزم في قلعه ؛ وإلا ثبتت عروقه ، وآدمت على أهل
الدين ثروقه ؛ وكانت الحجة لله قائمه ، وهم القادرين بالفعود آئمه ؛ وإذا لا تمكن
بمصر منه مع بُعد المسافة ، وأقطع العارة وكلال الدواب ، وإذا جاورناه كانت
المصلحة بادية ، والمنفعة جامعة ، واليد قادرة ، والبلاد قريبة ، والفرقة ممكنة ؛
والدية متسعة والخيل مستريحة ، والعساكر كثيرة ، والجنوع متيسرة ، والأوقات
مساعدة ؛ وأصلحنا ما في الشام من عقائد متله ، وأمور مختله ؛ وآراء فاسده ، وأمراء
متحاسده ؛ وأطاع غالبه ، وعقول غائبه ؛ وحفظنا الولد القائم بعد أبيه ، وكفَلناه
كفالة من يقضى الحق ويؤفبه ؛ فإنا به أولى من قوم يأكلون الدنيا باسمه ،
ويظهرون الوفاء بخدمته وهم عاملون بظلمته ؛ والمراد الآن هو كل ما يقوى الدولة ،

ويؤكد الدعوة، ويجمع الأمة، ويحفظ الألفه، ويضمن الزنه، ويفتح بقية البلاد،
ويطبق بالاسم العباسي كل ما تحفظه العباد - ونحن نقترح على الأحكام المهدودة،
وننتظر أن يأتي الإنعام على الغايات المزيدة؛ وهو تقليد جامع لمصر والمغرب واليمن
والشام، وكل ما تشتمل عليه الولاية النورية، وكل ما يفتح الله للدولة بسيفونا
وسيف عساكرنا، ولن نقيم من أخ وولد من بعدنا، تقليدا يضمن للنعمة
تخليدا، وللدعوة تجديدا؛ مع ما نتم به من السمات التي يقتضيها الملك، فإن الإمارة
اليوم بحسن نيتنا في الخدمة تُصرف بأقلامنا، ونستفاد من تحت أعلامنا، ويتبين
أن أمراء الدولة النورية يحتاج اليهم في فتح البلاد القدسية ضرورة: لأنها منازل
العساكر، وجمع الأتقار والعشار؛ فحق لم يكن عليهم يد حاكمه، وفيهم كلمة نافذة؛
منهم ولادة البلاد، وبناة العباد.

وبالجملة فالشام لا ينتظم أمره بمن فيه، وفتح بيت المقدس ليس له قرن يقوم به
ويكفيه؛ والقرن فمهم يعرفون منا خصما لا يمل الشر حتى يملوا، وقرنا لا يزال يحرم
السيف حتى يحلوا؛ حتى إننا جاورناهم في هذا الأمد القريب، وعادوا أن
المصحف قد جاء بأيدينا يُحاصم الصليب؛ استشعروا بفراق بلادهم، وتهادوا التمازي
لأرواحهم بأجسادهم، وإذا سدد رأينا حسن الرأي ضربنا بسيف يقطع في غمده،
وبلغنا المنى بمشيئة الله ويد كل مسلم تحت برده، وأستقننا أسيرا من المسجد
الذي أصرى الله إليه بعبده.

هذا ما لاح طلبه على قدر الزمان، والأنفس تطلب على مقدار الإحسان؛ فإن
في استنهاض نيات الخدام بالإتمام ما يعود على الدولة منافعه، وتثكا الأعداء مواقعه؛
وتبعث المزائم من موت منامها، وتفض عن البصائر غبار ظلامها؛ والله تعالى مجيد
إرادتنا في الخدمة بمضايفة الاقتدار، ومساعدة الأقدار، إن شاء الله تعالى.

الضرب الثاني

(ما كان يُكتب لنواب السلطنة بالديار المصرية عند سفر السلطان

عن الديار المصرية)

والعادة أن يُكتب فيما يتعلق بمهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب فيها ، وما يُشئ على حاكمه بمصر والقاهرة المحروستين ، وسائر أعمال الديار المصرية ، وما تبرز به المراسيم الشريفة في أمورها وقضاياها ، وأسخراج أموالها ومحمولها ، وعمل جسورها وحفائرها ، وما يتجدد في ذلك ، وما يجري هذا المجرى من سائر التعلقات ، وتصدر بذلك التذكرة .

وهذه نسخة تذكرة سلطانية كُتب بها عن السلطان الملك الصالح على ، ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، لكافل السلطنة بالديار المصرية ، الأمير زين الدين كتبغا ، عند سفر السلطان الملك الصالح الى الشام ، واستقرار كتبغا المذكور نثبا عنه في سنة تسع وتسعين وستمائة ، من إنشاء أحمد بن المكرم بن أبى الحسن الأنصارى ، أحد كُتاب الدرج يومئذ ومن خطه نقلت ، وهى :

تذكرة نافعة ، لخيرات جامعہ ، يعتمد عليها المجلس العالى ، الأميرى ، الزينى ، كتبغا المنصورى ، نائب السلطنة الشريفة - أدام الله عزه - فى مهمات الديار المصرية وأحوالها ومصالحها ، وما يترتب بها ، وما يُت و يُفصل فى القاهرة ومصر المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية ، صانها الله تعالى ، وما تُستخرج به المراسيم الشريفة ، المولوية ، السلطانية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية - أنفذها الله تعالى - فى أمورها وقضاياها ، ولاياتها وولاياتها ، ومحمولها وحفيرها وحفظها ومتجدداتها على ماشرح فيه :

فصل الشرع الشريف :

يَسْتَدُّ مِنْ حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ فِي تَنْفِيزِ قَضَائِهِ وَتَصْرِيفِ أَحْكَامِهِ ، وَالشَّدَّ مِنْهُ فِي قَضَائِهِ وَإِبْرَامِهِ .

فصل العدل والانصاف والحق :

يَعْتَمِدُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْمَمْلَكَةِ الشَّرِيفَةِ : مُدْنِيهَا وَقُرَاهَا وَأَعْمَالِهَا وَوِلَايَاتِهَا : بِحَيْثُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الرِّعَايَا مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ ، وَبَعِيدٍ وَقَرِيبٍ ، وَغَائِبٍ وَحَاضِرٍ ، وَوَارِدٍ وَصَادِرٍ ، وَيَسْتَجِيبُ الْأَدْعِيَةَ الصَّالِحَةَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ ، وَيَسْتَنْطِقُ الْأَلْسِنَةَ بِذَلِكَ ، فَإِنَّ الْعَدْلَ حِجَّةُ اللَّهِ وَعَجَبَةُ الْخَيْرِ ، فَيُدْفِعُ كُلَّ ضَرَرٍ وَيَرْفَعُ كُلَّ ضَيْرٍ .

فصل الدماء :

يَعْتَمِدُ فِيهَا حَكَمُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ . وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ قِصَاصٌ يَسْلَمُ لِفَرِيْمِهِ لِيَقْتَصَّ مِنْهُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ ، وَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْقَطْعُ يَقَطَعُ بِالشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فصل الأمور المختصة بالقاهرة ومصر المحروستين رحمهما الله تعالى :

لَا يَتَجَوَّهُ فِيهَا أَحَدٌ ، وَلَا يَقْوَى قَوْيٌ عَلَى ضَعِيفٍ ، وَلَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ جَمْلَةً كَافِيَةً .

فصل

يَتَقَدَّمُ بَأَن لَّا يَمْشِي أَحَدٌ فِي الْمَدِينَةِ وَلَا ضَوَاحِيهَا فِي الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْأَحْكَارِ فِي اللَّيْلِ إِلَّا لِنُضْرُورَةٍ ، وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِهِ لِنُفْرُورَةٍ مَأْسِيَةٍ ، وَالنِّسَاءُ لَا يَنْصُرِفْنَ فِي اللَّيْلِ وَلَا يَخْرُجْنَ وَلَا يَمْشِينَ جَمْلَةً كَافِيَةً .

فصل الجبوس :

تُحْرَسُ وَتُحَفَظُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَتَحَاقُّ لِحَى الْأَسَارَى كُلِّهِمْ : مَنْ فَرَّجَ وَأَنْطَاكِيَّ
وغيرهم ، وَيُتَعَهَّدُ ذَلِكَ فِيهِمْ كَمَا تَبَيَّنَتْ ، وَيُحْتَزَّرُ فِي أَمْرِ الدَّخَالِ إِلَى الْجُبُوسِ ،
وَيُحْتَزَّرُ عَلَى الْأَسَارَى الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُونَ ، وَالرِّجَالُ الَّذِينَ يُخْرَجُونَ مَعَهُمْ ، وَتُقَامُ الضَّمَانُ
النِّقَاطُ عَلَى الْجَانْدَارِيَّةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ غَرِيبٌ ، وَلَا مَنْ فِيهِ رِيَّةٌ ،
وَلَا تَبَيَّنَ الْأَسَارَى الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُونَ إِلَّا فِي الْجُبُوسِ ، وَلَا يُخْرَجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِحَاجَةٍ
تَخْتَصُّ بِهِ وَلَا لِحَمَامٍ وَلَا كَنِيسَةٍ وَلَا فُرْجَةٍ ، وَتُنْفَقُ قِيُودُهُمْ وَتُوثَقُ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

وَيُضَاعَفُ الْحَرَسُ فِي اللَّيْلِ عَلَى خِزَانَةِ الْبُودِ بَاطْهَارِ ظَاهِرِهَا وَعُلُوِّهَا وَحَوْلَهَا
وَكَذَلِكَ خِزَانَةُ الشَّمَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْجُبُوسِ .

فصل

يُرْتَبِّعُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنْدِ مَعَ الطُّوُوفِ فِي الْمَدِينَةِ لِكَشْفِ الْأَزْقَةِ وَغَلَقِ الدُّرُوبِ وَتَقَدُّ
أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ، وَتَأْدِيبِ مَنْ يُخِلُّ بِمَرْكَزِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَرْبَاعِ ، وَتَكُونُ الدُّرُوبُ
مَغْلُوقَةً . وَكَذَلِكَ تَجَرَّدُ جَمَاعَةُ الْحُسَيْنِيَّةِ وَالْأَحْكَارِ وَجَمِيعُ الْمَرَكَزِ ، وَيَتِمَّدُ فِيهَا هَذَا
الاعْتِمَادُ ، وَمَنْ وَجَدَ فِي اللَّيْلِ قَدْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ وَبِمَشْيٍ لَغِيْرٍ عُذْرُ يُمْسِكُ وَيُؤَدَّبُ .

فصل

يُحْتَزَّرُ عَلَى الْأَبْوَابِ غَايَةَ الْإِحْتِرَازِ ، وَيَتَفَقَّدُ فِي اللَّيْلِ خَارِجُهَا وَبَاطِنُهَا وَعِنْدَ
تَنْحَاطِهَا وَغَلَقِهَا .

فصل

الْأَمَّا كُنُى التِّى يَجْتَمِعُ فِيهَا الشَّبَابُ وَأَوَّلُو الدَّعَاةِ وَمَنْ يَتَعَمَّقُ السَّيِّئَ وَالزُّنْطَرَةَ ،
لَا يُقَسَّحُ لِأَحَدٍ فِي الْجَمَاعَةِ بِهَا فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ ، وَيَكْثُرُونَ الْأَكْثَفُ اللَّتَامَ بِمِثِّ
تَقْوَمِ الْمَهَابَةِ وَتَعْظُمُ الْحَرَمَةُ ، وَيَتَزَجَّرُ أَهْلُ النَّفَى وَالْعَيْتِ وَالْعَيْتِ .

فصل

يُرتَّبُ المَجْرَدُونَ حَوْلَ المَدِينَتَيْنِ بالقاهرة ومصر المحروستين على العادة، وكذلك جهةُ القَرَّافَةِ وخَلْفَ القَلْعَةِ وجهةُ البحر، وخارجُ الحُسَيْنِيَّةِ، ولا يَهْمَلُ ذَلِكَ لَيْلَةً وَاحِدَةً، وَلَا يَفَارِقُ المَجْرَدُونَ مَرَاكِبَهُمْ إِلَّا عِنْدَ السُّفُورِ وتكاملِ الضوء .

فصل

يَتَقَدَّمُ بَأَن لَا يَجْتَمِعُ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ فِي لَيَالِي الْجُمُعِ بالقراطين، وَيُمنَعُ النِّسَاءُ مِنْ ذَلِكَ .

فصل

مُهِدَّاتُ الْغَائِبِينَ فِي الْيِّكَارِ الْمَنْصُورِ تُلَحَّظُ وَيُسْتَدُّ مِنْ تَوَابِهِمْ فِي أُمُورِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ ، وَيَسْتَخْلَصُ حَقُوقَهُمْ لِنَوَابِهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ وَوُكَلَائِهِمْ ؛ وَنَ كَانَتْ لَهُ جِهَةٌ يَسْتَخْلَصُ حَقَّهُ مِنْهَا وَلَا يَتَعَرَّضُ إِلَى جِهَاتِهِمِ الْمُسْتَقَرَّةِ فِيمَا يَسْتَحِقُّونَهُ ؛ وَيُقَوِّى أَيْدِيَهُمْ ، وَيُؤَخِّذُ الْحُجَّجَ عَلَى وَكَلَائِهِمْ بِمَا يَقْبِضُونَهُ حَتَّى لَا يَقُولَ مُوَكَّلُوهُمْ فِي الْيِّكَارِ : إِنْ كُنْتُ بَ وَكَلَاثًا وَرَدَّتْ بَانِهِمْ لَمْ يَقْبِضُوا لَنَا شَيْئًا ، فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِرَدِّ شَكَاوِيهِمْ .

فصل

خَلِيجُ الْقَاهِرَةِ وَمَصْرَ المحروستين يُرْسَمُ بِعَمَلِهِ وَحَفَرُهُ وَإِنْقَانُهُ فِي وَقْتِهِ : بِمِثْ يَكُونُ عَمَلًا جَيِّدًا مُتَقَنًا مِنْ ذِيَرِ حَيْفٍ عَلَى أَحَدٍ ، بَلْ كُلُّ أَحَدٍ يَعْمَلُ مَا يَلِزِمُهُ عَمَلًا جَيِّدًا .

فصل

جُسُورُ ضَوَاوِي الْقَاهِرَةِ يُبْنَى فِي إِتْقَانِهَا وَتَعْرِيفِهَا ، وَيُحْتَدُّ فِي حُسْنِ رَصْفِهَا وَفَتْحِ مَشَارِبِهَا ، وَحِفْظِهَا مِنَ الطَّارِقِ عَلَيْهَا ، وَتَقَى مُتَقَنَةً مَكْمَلَةً إِلَى وَقْتِ النَّيْلِ الْمُبَارَكِ ؛ وَلَا يُخْرَجُ مِنْ أَمْرِهَا عَنِ الْعَادَةِ ؛ وَلَا يَحْتَمِي أَحَدٌ عَنِ الْعَمَلِ فِيهَا بِمَا

يلزمه ، ويحمل الأمر في جراريها ومقللاتها على ما تقدمت به المراسيم الشريفة في أمر الجسور القريبة والبعيدة .

فصل في الأعمال والولايات .

تُنجز الأمثلة الشريفة السلطانية ، الملووية ، الملكية ، الصالحية ، الفلانية ، شرفها الله تعالى ، بإتقان عمل الجسور وتجويدها وتعريضها وتفقد القناطر والتزاع ، وعمل ما تهتم منها وتزيم ما وهى ، وإصلاح ما تشعث من أبوابها ، وتحصيل أصنافها التي تدعو الحاجة إليها في وقت النيل ، وتعمد المراسيم الشريفة من أن أحدا لا يعمل بالجاه ، ومن وجب عليه فيها العمل يعمل على العادة في الأيام الصالحة ، ويؤكد على الولاية في مباشرتها بنفوسهم ، وأن لا يتكلموا على المشدين ، وأى جهة حصل منها نقص أو خلل كان قبالة ذلك رُوح وإلى ذلك العمل وماله ، ويُشدّد على الولاية في ذلك غاية التشديد ، ويحذّر أتم التحذير ، وتؤخذ خطوط الولاية بأن الجسور قد أُتقن عملها على الوضع المرسوم به ، وأنها أُتقنت ولم يبق فيها خلل ، ولا ما يخشون ناقبة . ولا ما يخافون دركه ، وأنها عميت على ما رُسِم .

فصل

يتقدم إلى الولاية ويستخرج الأمثلة الشريفة السلطانية بترتيب الخفراء على ما كان الحال رتب عليه في الأيام الظاهرية : أن يُرتب من البلد إلى البلد خفراء يتزلون بديوت شعر على الطرقات على البلدين ، يتفرون الراح والغادي ، وأى من عدم له شئ يلزمه دركه ، ويئادى في البلاد أن لا يسافر أحد في الليل ولا يغتر ، ولا يسافر الناس إلا من طلوع الشمس إلى غروبها ، ويؤكد في ذلك التأكيد التام .

فصل الثغور المحروسة :

يُلاحظُ أمورَها ومهمَّاتها، ويستخرج الأُمثلة الشريفة السلطانية في مُهمَّاتها وأحوالها وحفظها، والاحتراز على المعتقلين بها، والاستظهار في حفظهم، والتقيُّظ لمهمَّات الثغر، واستجلاب قُلُوب التجار، وأسماة خواطِرهم، ومعاملتهم بالرِّفق والعدل حتى تتواصل التجار وتعمُر الثغور؛ ويؤكد عليها في المستخرج وتحصيل الأموال، وأصناف الذخائر، وأصناف الخزائن المعمورة والحوائج خاناه، ويوعز إليهم بأنَّ هذا وقتُ انفتاح البحر وحضور التجار وتزجيج الأموال، وصلاح الأحوال، والنهضة في تكثير الحُمُول، ويؤكد عليهم في المواصلَة بها، وأن تكون حُمُولًا متوقِّرة، وأنه لا يفرط في مستخرج حقوق المراكب الواصلة، ولا يُقلِّل متحصِّلها، ولا ينقص حِمْلها، ويسير بِحِمْلها حَمَلًا إلى بيت المال المعمور على العادة، ويؤكد عليهم في الاستعمالات، وتحصيل الأقسمة والأمتعة على اختلاف أصنافها وإزالة الأعذار فيها : بحيث لا يتوقف أمر الاستعمالات ولا يؤثر مهمُّها عن وقته، ومهمَّا وصل من الممالك والجواري والحرير والوبر والأطلس والفضة المنجبر، وأقصاب الذهب المغزول يعتمد في تحصيله العادة .

فصل

يؤكد على ولاة الأعمال في استخلاص الحقوق الديوانية من جهاتها، والمواصلَة بالحمول في أوقاتها، ومباشرة أحوال الأقصاب ومعاييرها في أوقاتها، واعتناء مصلحة كل عمل على ما يناسبه وتفضيه مصلحة : من مستخرج ومستغل، ومحمول ومزدرع، ومستعمل ومُنق، ويحذِّرهم عن حصول خلل، أو ظهور عجز، أو قُتور عزم، أو تقصير رأى، أو ما يقتضي الإنكار ويوجب المؤاخذه، ويشدّد في ذلك ما تقتضيه فرص الأوقات التي ينبغي آتئازها على ما يطالعون به .

فصل [أموال] الخراج الديوانية :

يُحْتَرَزُ عليها وَتُرَبَّى وَتَمْتَّى، ولا يَطْلُقُ منها شيءٌ إلا بِمِرسومٍ شريفٍ مِنَّا، وَيُطَالِجُ
بأنَّ المرسوم ورد بكذا وكذا ويعود الجواب بما يَتَمَدُّ في ذلك .

فصل حقوق الأمراء والبحرية والحلقة المنصورة والجند وجهاتهم :

يَسْتَخْلَصُ أموالهم ووكلائهم، وَيُوجَدُ الشهادات بما عليهم من غلَّةٍ ودراهم، وغير
ذلك، ولا يَحْجُجُ الوكلاء إلى شكاوى منهم تتصل بمن هو في اليكار، ويَحْسِمُ هذه
المادة، وَيَسُدُّ أبواب الماطلة عنهم .

فصل

يَتَقَدَّمُ إلى الولاية والنظار والمستخدمين بعمل أوراق بما يَحْصُلُ للمقطعين الأصلية (؟)
في كل بلد، ولِقَطْعِ الجهة، ولن أفرِّد له طابِعٌ بجهة، وإن جِهِتْهُ على الرسوم : لِيُعْلَمَ
حَالُ المَقْطُوعِينَ في هذه السنة الجِشِيَّةِ والجهاتية وما تَحْصُلُ لكل منهم، ولا يَحْصُلُ
من أحد من الولاية مكاشرة ولا إهمالاً، ولا يَطْمَعُ في الوكلاء لأجل غِيبةِ الأمراء
والمقطعين في اليكار، ولا يُحْجِجُ أحدٌ من المَقْطُوعِينَ إلى شكاوى بسبب متأخر
ولا ظليمة ولا إجحاف .

فصل

إذا نرج جاندار من مصر إلى الأعمال لا يُعْطَى في العمل أكثر من درهين نُقْرَةً،
ويَوْصَلُ الحق الذي جاء فيه لِمَسْتَحَقِّهِ، فإن حصل منه قائلٌ وقيلٌ أَوْحِيْفٌ أوتعتت
يُرسَمُ عليه، وَيُسَيَّرُ الحق مع صاحبه معه، وَيُطَالِجُ بأن فلانا الجاندار حضر وجرى
منه كذا وكذا، وَيُسْرَحُ الصورة ليَحْسِمَ المواد بذلك .

فصل

إذا سَيرَ أحدٌ من الولاة رسولا بسبب خلاص حقٍّ من بعض قرى أعماله فيكون ما يُعطى الجاندار عن مسافة سفر يوم نصف نُقْرة ، وعن يومين درهمٌ واحدٌ لا غير ، وأى جاندار تمضى وأخذ غير ذلك يؤدَّب ويُصرف من تلك الولاية .

فصل :

تُكتبُ الحجج على كل وكيل يقبضُ لمخدومه شيئا من مُغَلِّه أو جهته : من الديوان أو القلاحين ، ولا يسلم له شيء إلا بشهادةٍ بحجج مكتوبة عليه ، تُخلدُ منها حجة الديوان المعمور بما قبضه من جهته أو إقطاعه ، وتبقى الحجج حاصلة حتى إذا شكا أحد إلينا وسيرنا عرفناهم بمن يشكون تأثر حقه ، يطالعوننا بأمر وكيله وما قبض من حقه ، ونُسِر الشهادة عليه على مطالعته ، (ويُحترز من الشهادات) بما وصل لكل مُقطع ، حتى إنا نعلم من مضمون الحجج والشهادات متحصّل المُقطعين من البلاد والجهات مُفصّلا وجملة ما حصل لكل منهم : من عين وغلة وما تأثر لكل منهم ، ويعمل بذلك صورة أمور البلاد والمُقطعين وأحوالهم ، ويُزيلُ شكوى من تجب إزالة شكواه ، وتعلم أحوالهم على الجليّة .

فصل

تقرأ هذه التذكرة على المنابر فصلا فصلا ، ليسمعها القريبُ والبعيدُ ، ويُبلغها الحاضر والغائب ، ويعمل بمضمونها كل أحد . ومن خرج عنها أو عمل بخلافها فهو أخير بما يلقاه من سطواتنا وشدة بأسنا ، والسلام .

الضرب الثالث

(ما كان يُكْتَب لِنُؤاب القِلاع وولائتها : إما عند استقرارِ النائب بها ، وإما في خلال نيابته)

والعادةُ فيها أن يُكْتَب فيها باعتماد الكَشَف عن أحوال القلعة وأسوارها وعرض حواصِلها ، ومقدّمى رجالها ، وترتيب الرجال في مراكزهم ، وكشف مَقَالِم الرعايا ، والنظر في الاحتراز على القلعة وعلى أبوابها ، والاحتفاظ بمفاتيحها على العادة ، وتحصيل ما يُحتاج إليه فيها من الزاد والحطب والملح والقمح وغير ذلك . والمطالعة بمتجددات الأخبار .



وهذه نسخةُ تذكِرة كُتِب بها عن السلطان الملك المنصور قلاوون بسبب قلعة صَرخَد من الشام ، عند استقرار الأمير سيف الدين باسلى نائباً بها ، والأمير عز الدين والياً بها في سنة تسع وسبعين وستمائة ، من إنشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالأبواب السلطانية ، وهى :

تذكِرة مباركة نافعه ، لكثير من المصالح جامعَه ، يعتمد عليها الأميران : سيف الدين وعز الدين عند توجُّههما إلى قلعة صَرخَد المحروسة :

يعتمدان العدل فى الرعيه ، وسألوك منتهج الحق فى كل قضيه ، وأعتاد ما يرضى الله تعالى ويرضينا ، وليكن الإنصاف لها عقيدة والتقوى ديناً ، ولا يتطلع أحدهما إلى ما فى يد أحد من مال ولا نسب ، ولا يمارض أحدٌ أحداً بلا سبب ؛ وليتقوا الله ويخشوه ، ويحببوا الباطل ولا يقشوه ؛ ولا يظن أحدٌ منهم أن قد بُدّ عنا فيطمع إلى الظلم أو يطمع ، فإنا منهم برأى ومسمع ؛ وليكُونوا على المصالح متفقين ، وبأذial الحق متعلقين ، وعلى الرعية مشفقين .

فصل

يَتَقَدِّمَانِ بِكُتُفِ أسوار القلعة المنصورة وأبراجها وبدانتها وأبوابها ، وما يحتاجُ إلى إصلاح وترميم وعمارة ، ويحرران أمرَ ذلك تحريراً ، ويحتشدان في إصلاح ما يجب إصلاحه وترميم ما يجب ترميمه ، والمطالعة بما كشفاه وما اعتمدها .

فصل

يَتَقَدِّمَانِ بِمَرْضِ حَوَاصِلِ القلعة المنصورة ، والخزانة المعمورة ، ويحققون ما بها من الأموال والغلال والذخائر والحواصل ، ويعملون بذلك أوقافاً محزنة ، ويُسيرون نسختها إلى الباب الشريف .

فصل

يَتَقَدِّمَانِ بِمَرْضِ مَقْدَمِي رجال القلعة ، وأرباب الجامعيات والرواتب بها ، ويحرران أمرَ مقرراتهم : من جامكية وحراية ، ويحرران في صرف ذلك على العادة الجارية المستقرة .

فصل

يَسْتَوْضَحَانِ مِنَ الأميرِ عَزَّ الدِّينِ والأميرِ عَلِمَ الدِّينِ المنصرفين عن المصالح المختصة بهذه القلعة وعن أمورها ، جليلها وحقيريها ، فإنهما قد أحسنا في ذلك التدبير ، وأجلا التأثير ، وسلكا أجملَ مسلك ، وهتديان بما يوضحانه لهما من المصالح والمهمات ليكون دخولهما في هذا الأمر على بصيرة .

فصل

يَكُونُ أَمْرُ النِّيَابَةِ والحُكْمِ العامِّ في القلعة المنصورة ، وتنزيل الرجال واستخدامهم وصرف من يجب صرفه - للأمر سيف الدين - بسطى بمشاركة الأمير عَزَّ الدِّينِ في أمر الرجال والاستخدام والصرف ، ويكون أمر النِّيَابَةِ واجعا للأمر سيف الدين

باسطى والحكم فيها له ، ويكون أمر ولاية القلعة للأمير عز الدين ، ويخريان في ذلك على عادة من تقدمهما في هذه النيابة والولاية ، ويكون الأمير سيف الدين في الدار التي كانت يسكنها الأمير عز الدين ، وحكمه في النيابة حكمه ، ويسكن الأمير عز الدين في الدار التي كان يسكن فيها الأمير علم الدين ، وحكمه في الولاية حكمه . ولا يتعدى أحد طوره ، ولا يخرج عما قرّر فيه ، ويرعى كل منهما لصاحبه حقه فيما رتب فيه ، ويتفقان على المصالح كلها ، ويكونان كزوجين في جسد واحد .

فصل

يتقدمان بأن يترتب الرجال في مرا كرم ومنازلهم على العادة في الليل والنهار ، والحرسية على العادة في الليل والنهار . وإن كان تم خلل في ذلك أو تغريباً أو إهمالاً ، فليستدرك الفارط ويرتب الأمر فيه على أحسن ترتيب .

فصل

ينصبان في أوقات العادة في باب القلعة لكشف مظالم الرعية في القلعة والبر ، ويعتمدان إنصافهم ، وتولية داعيهم ، وسماع كلمهم ، وكف ظالمهم وإعانة مظلومهم ، واعتماد ما يجب من العدل وبسطه في الرعية ، وكف الأيدي العادية .

فصل

أبواب القلعة إذا أغلقت في كل ليلة تُتيت المفاتيح عند النائب في المكان المعتاد بعد ختم الوالى عليها على العادة ، وإذا تسلمها يتسلمها بختمها على العادة .

فصل

الذخائر والغلل يُحتد في تحصيلها بالقلعة ، ولا تُخزن غلة جديدة على غلة عتيقة . وكل هري يُخزن فيه غلة يحزر أمرها وتُسأل عيبتها في كيس وتجعل في الخزانة ويُحتم عليها ، ولا يُصرف من الحديد قبل نفاد العتيق ، ولا يُترك العتيق ويُصرف من الحديد . وكذلك بقية الحواصل يُسلك فيها هذا المسلك .

فصل

مَهْمَا جرت العادةُ بِتَثْمِينِهِ عَلَى أَرْبابِ الْجَامِيكَاتِ وَالْمَقَرَّاتِ ، فَلْيَجْرِ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى الْعَادَةِ مِنْ غَيْرِ حَيْفٍ ، وَلْيَدْخُلِ الدِّوَانُ وَالْمُبَاشِرُونَ فِي التَّثْمِينِ لثَلَاثِ أَسْوَاقٍ أَمْرُ التَّثْمِينِ عَلَى الرِّجَالَةِ وَالضُّعَفَاءِ مَعَ قَلَّةِ مَعْلُومِهِمْ وَيُوفَّرُ مِنْ ذَلِكَ أَرْبابُ الدَّوَاوِينِ مَعَ كَثَرَةِ مَعْلُومِهِمْ ، بَلْ يَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يُثَمِّنُّ عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ : مِثْلُ رَاجِلٍ ضَعِيفٍ أَوْ رَبٍّ مَعْلُومٍ قَلِيلٍ ، فَلْيُفَرِّقْ بِهِ فِي ذَلِكَ ، نَظَرًا فِي حَقِّ الضُّعَفَاءِ .

فصل

يُكْثَرُونَ مِنَ الْأَحْطَابِ وَمِنَ الْفَقْمِ وَالْمَلْعِ بِالذِّخَائِرِ ، وَكَذَلِكَ مِنْ كُلِّ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَيَحْتَسِبُونَ فِي تَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ وَتَوْفِيرِهَا بِالْخِزَانَةِ الْمَعْمُورَةِ : بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لَهَا شُغْلٌ يَسْغُلُهَا عَنْ ذَلِكَ ، بَلْ يَصْرِفَانِ الْهَمَّةَ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهَا إِلَى الْفِكْرِ فِي مَالٍ يَحْصُلُونَهُ ، أَوْ صِنْفٍ يَذْخَرُونَهُ ، وَلَا يَهْمِلَانِ ذَلِكَ .

فصل

يُطَالَمَانِ الْأَبْوَابَ الْعَالِيَةَ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهَا بِمَا يَتَجَدَّدُ عِنْدَهُمَا مِنَ الْمَصَالِحِ ، وَبِمَا يَتَمَيَّزُ مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَ[بِمَا] حِمْلٌ إِلَى الْخِزَانِ وَإِلَى الْأَهْرَاءِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَالِ . وَكَذَلِكَ يُطَالَمَانِ نَائِبَ السُّلْطَانَةِ بِدَمَشْقٍ الْمَحْرُوسَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ ، وَلَكِنْ مَطَالَعَتُهُمَا جَامِعَةٌ وَعَلَيْهَا خُطُومُهُمَا . وَمَنْ لَاحَتْ لَهُ مَصْلَحَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَأَخْتَارَ أَنْ يُطَالِعَ بِاتِّهَادِهِ فَلْيُطَالِعْ .

فصل

لَا يُمْكِنُ أَحَدًا مِنَ الرِّجَالِ الْمُرْتَبِينَ بِالْقُلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَرْبابِ التُّنُوبِ أَنْ يُجِلَّ بِنُوبَتِهِ وَلَا يَفَارِقَهَا ، وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْقُلْعَةِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا بِدُسْتُورٍ وَيَعُودُ فِي يَوْمِهِ وَآلِهَ الْمَوْفِقِ .

قلت : وبالجملـة فالـتذاكر مـنـوطة بحال المـكتـوب له التذكرة ، والمـكتـوب بسببه ؛ فيختلف الحال باختلاف الأسباب ، ويُؤتى لكل تذكرة بفصول تُناسبها بحسب ما تدعو الحاجة إليه .

وأعلم أن اللاحق بالتذاكر الخارجة من ديوان الإنشاء أن تكون في الفصاحة والبلاغة على حدّ الرسائل ، فيعلو شأن التذكرة باعتبار أشتمالها على الفصاحة والبلاغة ، ويختص بفواتهما ؛ وأنظر إلى تذكرة القاضي الفاضل المبتدأ بها ، وما أشتملت عليه من الفصاحة والبلاغة ، وأين هي من التذكرتين اللتين بعدها ؛ فإنه قد أهمل فيهما مراعاة الفصاحة والبلاغة جملة ، بل لم تراعى في الأخيرة منهما قوانين النحو ، إذ يكون يتكلم بصيغة التثنية على سياق ما عُدت له التذكرة لا شتمالها على اثنين فإذا هو قد عدل إلى لفظ الجمع ، ثم يعود إلى لفظ التثنية ، هذا ، وهي منسوبة إلى القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، صاحب ديوان الإنشاء يومئذ ، وهو من بيت الكتابة والبلاغة ، إلا أنه قد يُريد بسدوله من التثنية إلى الجمع أن ينتقل إلى خطاب جمع المتحدثين في القلعة فيما يتعلق بذلك الفصل الذي يكون فيه ، وإلا فلا يجوز صدور مثل ذلك عنه وتكراره المرة بعد الأخرى .

المقالة السابعة

في الإقطاعات والقَطَّاع ، وفيها بابان

الباب الأول

في ذكر مقدمات الإقطاعات ، وفيه فصلان

الفصل الأول

في ذكر مقدمات تتعلَّق بالإقطاعات ، وفيه ثلاثة أطراف

الطرف الأول

(في بيان معنى الإقطاعات وأصلها في الشرع)

أما الإقطاعاتُ فجمعُ إقطاع ، وهو مصدرُ أقطع ، يقال : أقطعه أرضاً كذا يقطعه إقطاعاً ، وأستقطعه إذا طَلَبَ منه أن يَقطعه ، والقَطِيعَةُ الطائفةُ من أرض الخراج .

وأما أصلُها في الشرع فإرواه الحافظُ ابنُ عساكر في تاريخِ دِمَشق بسنده إلى ابنِ سيرين عن تميم الدارِيِّ أنه قال : « أَسْتَقَطْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أرضاً بالشَّام قبل أن تُفْتَحَ فأعطانيها ، ففتحتها عمرُ بنُ الخطاب في زمانه فأتيتُه ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، بفعلِ عمر ثلثها لابنِ السَّيْل ، وثلثها لمارتها ، وثلثاً لنا » .

وفي رواية : أَسْتَقَطْتُ أرضاً بالشَّام فأقطعنيها ، ففتحتها عمرُ في زمانه فأتيتُه ، فقلتُ : إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أعطاني أرضاً من كذا إلى كذا ، بفعلِ عمر ثلثها لابنِ السَّيْل ، وثلثها لمارتها ، وترك لنا ثلثاً .

وذكر الماوردي في "الأحكام السلطانية" : أَنَّ أبا ثعلبة الخُشَنِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقِطِعَهُ أَرْضًا كَانَتْ بَيْنَ الرُّومِ فَأَعْجِبَهُ ذَلِكَ ، وَقَالَ أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ ؟ فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَيُفْتَحَنَّ عَلَيْكَ ، فَكَتَبَ لَهُ بِذَلِكَ كِتَابًا .

وَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَقْطَعَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رَكْضَ فَرَسِهِ مِنْ مَوَاتِ الْبَقِيعِ فَأَجْرَاهُ وَرَمَى بِسَوْطِهِ رَغْبَةً فِي الزِّيَادَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَعْطَوْهُ مِنْتَهَى سَوْطِهِ» .

وَذَكَرَ أَنَّ الْأَبْيَضَ بْنَ حَمَّالٍ اسْتَقَطَعَهُ مِلْحَ مَارِبٍ فَأَقْطَعَهُ ، فَأَخْبَرَهُ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسٍ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ [وَهُوَ بَارِضٌ لَيْسَ فِيهَا غَيْرُهُ مِنْ وَرَدِهِ أَخَذَهُ ، وَهُوَ مِثْلُ الْمَاءِ الْعِدِّ بِالْأَرْضِ ، فَاسْتَقَالَ الْأَبْيَضُ فِي قِطْعَةِ الْمِلْحِ فَقَالَ قَدْ أَقْلُتُكَ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ مِنِّي صَدَقَةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : هُوَ مِنْكَ صَدَقَةٌ ، وَهُوَ مِثْلُ الْمَاءِ الْعِدِّ مِنْ وَرَدِهِ أَخَذَهُ ^(١)] .

وَذَكَرَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ "الأوائل" : أَنَّ أَوَّلَ مَنْ أَقْطَعَ الْقَضَائِعَ بِالْأَرْضِينَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَلَا وَجَّهَ لَهُ بَعْدَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ أَنْ عَثَانَ أَوَّلَ مَنْ أَقْطَعَ الْقَطَائِعَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، فَإِنَّ مَا أَقْطَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ كَمَا تَقَدَّمَ .

قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ : وَيُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَقْطَعَ قَطَائِعَ فَاقْتَدَى عُمَانُ بِهِ فِي ذَلِكَ وَأَقْطَعَ خُبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ

(١) ترك في الأصل بياضا في هذا الموضع وقد تداركناه من كتاب الأحكام السلطانية ص ١٧٤

والزَّيْرَ، وأقطع طلحةَ أجمَةَ الجُرُفِ^(١) : وهو موضع النَّشَاجِجِ ، فكتب إلى سعيد
ابن العاص وهو بالكوفة أن يَنقُذها له .

الطرف الثاني

(في بيان أول من وَضَعَ ديوانَ الجيش ، وكيفية ترتيب منازل الجند
فيه ، والمساواة والمفاضلة في الإعطاء)

ذكر أبو هلال السكري في "الأوائل" والماوردي في "الأحكام السلطانية"
أن أول من وَضَعَ الديوان في الإسلام أمير المؤمنين عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه .
قال الماوردي : وأختلف [الناس] في سبب وضعه [له] : فقال قومٌ : سببه أن
أبا هريرة قَدِمَ عليه بمالٍ من البَحْرَيْنِ ، فقال له عمر : ما جِئْتَ به ؟ قال تَحْمِيْلَةٌ
ألفِ دِرْهَمٍ ، فَاسْتَكْرَهَ عُمَرُ ، وقال : أُنَدِرِي مَا تَقُولُ ؟ قال نَعَمْ ! مائَةُ أَلْفِ نَحْمَسَ
مِرات ، فقال عمر : أَطِيبُ هو ؟ قال لا أَذْرى . فصعد عمرُ المنبرَ ، فحمد الله
وأثنى عليه ، ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ! قد جاءنا مالٌ كثيرٌ ، فإن شِئتمْ كَلْنَا لَكُمْ كَيْلًا ،
وإن شِئتمْ عَدَدْنَا لَكُمْ عَدًّا ، فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين : رَأَيْتُ الْأَطْعِمَ
يُدَوِّنُونَ دِيوَانًا ، فَدَوِّنْ أَنْتَ لَنَا دِيوَانًا .

وذهب آخرون إلى أن سَبَبَ وَضْعِ الديوان أنَّهُ عَمِرَ بَثْ بَقْشاً وعنده
المُرْمُزَان ، فقال لعمر : هَذَا بَثٌّ قَدْ أُعْطِيَتْ أَهْلَهُ الْأَمْوَالُ ، فإن تَخَلَّفَ منهم
رجلٌ وَأَخْلَلَ بِمَكَانِهِ ، فَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ صَاحِبُكَ بِهِ ؟ فَأَنْتِ لَهم دِيوَانًا ، فَسأله عن
الدِّيوان فَفَسَّرَهُ لَهُ .

(١) في الأوائل "الجرف" .

وروي أن عمر رضي الله عنه استشار المساهين في تكوين الدواوين، فقال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه: تقيم كل سنة ما اجتمع اليك من المال، ولا تمسك منه شيئا. وقال عثمان: أرى مالا كثيرا يسع الناس، فإن لم يحصوا حتى يعلم من أخذ ممن لم يأخذ، خشيت أن يتشتر الأمر. فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها دقوا ديوانا وجندوا جنودا، فدقوا ديوانا وجندوا جنودا؛ فأخذ بقوله ودعا عقيل بن أبي طالب، وعثمة بن نوفل، وجبير بن مطعم؛ (وكانوا من شباب قريش) فقال: أكتبوا [الناس] على منازلهم، فبدعوا بني هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، [ثم عمر وقومه] وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم رفعوه إلى عمر، فلما نظر فيه، قال: لا! وما وعدت أنه هكذا، ولكن أبدعوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله. فشكره العباس على ذلك، وقال: وصلتك رحم.

وروي زيد بن أسلم عن أبيه: أن بني عدي جاءوا إلى عمر، فقالوا: إنك خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الذين كتبوا؟ فقال: بئح يا بني عدي!! إن أردتم ألا الأكل على ظهري، وأن أذهب حسنتي لكم، لا والله! حتى تأتيكم الدعوة ولو أنطبق عليكم الدفتر. يعني ولو أن تكتبوا آخر الناس. إن صاحبي سلكا طريقا، فإن خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا والآخرة، ولا نرجو الثواب عند الله على عملنا إلا بمحمد صلى الله عليه وسلم، فهو أشرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب فالأقرب، ووالله لئن جاءت الأعاجيم بعمل وجئنا بعمل دونهم، ثم أولى بمحمد صلى الله عليه وسلم منا يوم القيامة: فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.

وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرَادَ وَضَعَ الدِّيَّانَ، قَالَ : بَيْنَ أَيْدِيٍّ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : أَيْدِيًّا بِنَفْسِكَ، فَقَالَ عُمَرُ : أَذْكَرَ أَتَى مُحَضَّرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَتَبَدَّأُ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَبَدَأَ بِهِمْ عُمَرُ، ثُمَّ بَيْنَ إِلَيْهِمْ مِنْ قِبَائِلِ قُرَيْشٍ بَطْنًا بَعْدَ بَطْنٍ، حَتَّى أَمْسَتَوْفِي جَمِيعِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَقَالَ عُمَرُ : أَيْدِيًّا أَوْ بِرَهْطِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مِنَ الْأَوْسِ، ثُمَّ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبُ لِسَعْدٍ .



وَأَمَّا الْمُسَاوَاةُ وَالْمُفَاضَلَةُ فِي الْمِطَاءِ فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ : فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرَى التَّسْوِيَةَ [بَيْنَهُمْ] فِي الْمِطَاءِ [وَلَا يَرَى التَّفْضِيلَ بِالسَّابِقَةِ] كَمَا حَكَاهُ عَنْهُ الْمَسْأُورِدِيُّ فِي "الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ" .

قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي "الْأَوَائِلِ" : وَقَدْ رَوَى عَنْ عَوَانَةَ أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ مَالٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَآوَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ، فَفَضَّيْتُ الْأَنْصَارَ، وَقَالُوا لَهُ : فَضَّلْنَا، فَقَالَ : إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَفْضَلَكُمْ فَقَدْ صَارَ مَا عَمِلْتُمُوهُ لِلدُّنْيَا، وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ مَا عَمِلْنَاهُ إِلَّا لِلَّهِ ! وَأَنْصَرَفُوا . فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَوْ شِئْتُمْ [أَنْ] تَقُولُوا : إِنَّا أَوْيَاكُمْ وَشَارِكَاكُمْ أَمْوَالَنَا وَنَصَرْنَاكُمْ بِأَفْئِسْنَا لِقَتْمٍ، وَإِنَّ لَكُمْ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يَحْصِي لَهُ عَدَدٌ، وَإِنْ طَالَ الْأَمَدُ، فَتَحْنُ وَأَنْتُمْ كَمَا قَالَ الْغَنَوِيُّ :

بَرَئَ اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزَلَّتْ * بَنَّا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَرَلَتْ
أَبَاؤُنَا يَمْلِكُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمْنًا * تُلَاقِيَ الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلَّتْ
هُمْ أَكُنُونَا فِي ظِلَالِ بَيْوتِهِمْ * ظِلَالِ بَيْوتِ أَدْفَاتٍ وَأَكُنَّتْ

قال الماوردي : وإلى ما رأى أبو بكر رضى الله عنه ذهب على رضى الله عنه في خلافته ، وبه أخذ الشافعي ومالك .

وكان عمر رضى الله عنه يرى التفضيل بالسابقة في الدين ، حتى إنه ناظر أبا بكر رضى الله عنه في ذلك ، حين سوى بين الناس ، فقال : أئساوى بين من هاجر المهجرتين وصلى إلى القبلتين وبين من أسلم عام الفتح خوف السيف ؟ ! - فقال أبو بكر : إنما عملوا لله ، وإنما أجورهم على الله ، وإنما الدنيا [دار] بلاغ [للاركب] ^(١) ، فقال له عمر : لا أجعل [من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه ؛ فلما وضع الديوان جري] ^(١) على التفضيل بالسابقة ؛ ففرض لكل رجل شهيد بدرًا من المهاجرين [الأولين] خمسة آلاف درهم كل سنة ، ولكل من شهيد بدرًا من الأنصار أربعة آلاف درهم ، ولكل رجل هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم ، ولكل رجل هاجر بعد الفتح ألفين ؛ وفرض لفلان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار أسوة من أسلم بعد الفتح ؛ وفرض للناس على منازلهم ، وقراءتهم القرآن ، وجهادهم بالشام والعراق ؛ وفرض لأهل اليمن وقيس : لكل رجل من أئمة درهم إلى ألف درهم ، إلى خمسمائة درهم ، إلى ثمانية درهم ، ولم ينقص أحدا عنها ، وقال : لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم : ألفا لفرسه ، وألفا لسلحه ، وألفا لسفره ، وألفا يخافها في أهله ؛ وفرض للنفوس مائة درهم ، فإذا ترعرع فرض له مائتين ، فإذا بلغ زاده . وكان لا يفرض للولود شيئا حتى يقطم ، إلى أن سمع ليلة امرأة تكبره ولدها على القطام ، وهو يسكى ، فسألها عنه - فقالت : إن عمر لا يفرض للولود حتى يقطم فانا أنكره على القطام حتى يفرض له - فقال يابج عمر ! كم احتقبت من

وَزَرَّ وَهُوَ لَا يَدْرِي؛ ثُمَّ أَمَرَ مُتَابِعًا فَيُنَادِي: أَلَا لَا تُعْجِلُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْعِطَامِ، فَإِنَّا نَفْرَضُ لِكُلِّ مُوَلَّدٍ فِي الْإِسْلَامِ . قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ : ثُمَّ رُوِيَ فِي التَّفْضِيلِ عِنْدَ اقْتِرَاضِ أَهْلِ السَّوَابِقِ التَّحْدِثُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْبَلَاءِ فِي الْجِهَادِ .



وَأَمَّا تَقْدِيرُ الْعَطَاءِ فَمُعْتَبَرٌ بِالْكَفَايَةِ حَتَّى يَسْتَفْتِيَ بِهَا عَنْ أَتَمِّاسِ مَادَّةِ تَقْلَعِهِ عَنْ حِمَايَةِ الْيَتِيمَةِ . ثُمَّ الْكَفَايَةُ مُعْتَبَرَةٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ : أَحَدُهَا عَدَدُ مَنْ يُؤُولُهُ مِنَ الذَّرَارِيِّ وَالْمَهَالِكِ - وَالثَّانِي عَدَدُ مَا يَرْتَبِطُ مِنَ الْخَيْلِ وَالظَّهْرِ - وَالثَّلَاثُ : الْمَوْضِعُ الَّذِي يَحُلُّهُ فِي الْغَلَاءِ وَالرُّخْصِ فَتَقْدَرُ [كِفَايَتُهُ فِي] نَفَقَتِهِ وَكُسُوتِهِ لِعَامِهِ كُلِّهِ . ثُمَّ تُعْتَبَرُ حَالُهُ فِي كُلِّ عَامٍ ، فَإِن زَادَتْ نَفَقَاتُهُ زِيدَ ، وَإِن قَصَّصَتْ قُصِّصَ ؛ فَلَوْ تَخَدَّرَ رِزْقُهُ بِالْكَفَايَةِ ، فَنَحَى الشَّافِعِيُّ مِنْ زِيَادَتِهِ عَلَى الْكَفَايَةِ وَإِن أَسْعَى الْمَالُ ، لِأَنَّ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ لَا تَوْضَعُ إِلَّا فِي الْحَقُوقِ الْإِلَازِمَةِ ؛ وَأَجَازَ أَبُو حَنِيفَةَ زِيَادَتَهُ حِينَئِذٍ .

الطرف الثالث

(فِي بَيَانِ مَنْ يَسْتَحِقُّ إِثْبَاتَهُ فِي الدِّيَّانِ ، وَكَيْفِيَّةَ تَرْتِيبِهِمْ فِيهِ)

فَأَمَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ إِثْبَاتَهُ فِي الدِّيَّانِ ، فَفِيهِ خَمْسَةُ أُمُورٍ :

أَحَدُهَا — الْبُلُوغُ . فَلَا يَحُوزُ إِثْبَاتُ الصَّبِيِّ فِي الدِّيَّانِ ، وَهُوَ رَأْيُ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَبِهِ أَخَذَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، بَلْ يَكُونُ جَارِيًا فِي جُمْلَةِ عَطَاءِ الذَّرَارِيِّ .

الثَّانِي — الْحُرِّيَّةُ . فَلَا يُثَبَّتُ فِي الدِّيَّانِ مَمْلُوكٌ ، بَلْ يَكُونُ تَابِعًا لِسَيِّدِهِ دَاخِلًا فِي عَطَائِهِ ، خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ فَإِنَّهُ جَوَّزَ إِفْرَادَ الْمَمْلُوكِ بِالْعَطَاءِ ، وَهُوَ رَأْيُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الثالث — الإسلام، لِيَدْفَعُ عن المِلَّةِ باعتقاده، حتَّى لو أُثْبِتَ فيهم ذمِّي لم يجز، ولو آرتد منهم مُسْلِمٌ سَقَطَ .

الرابع — السَّلامَةُ من الآفاتِ المانعة من القتال . فلا يجوز أن يكون زِمَنًا ولا أَعْمَى ولا أَقْطَع، ويجوز أن يكون أحرس أو أصم . أما الأعمى، فإن كان فارساً جاز إثباته أو راجلاً فلا .

الخامس — أن يكون فيه إقدامٌ على الحرب ومعرفةٌ بالقتال، فإن ضَعُفَتِ هِمَّتُهُ عن الإقدام، أو قَلَّتْ معرفته بالقتال لم يجز إثباته .

فإذا وُجِدَتْ في هذه الشروط، أَعْتُرِفَ فيهِ خُلُوهُ عن عملٍ وطلبُ الإثباتِ في الديوان؛ فإذا طَلَبَ فعلى ولى الأمرِ الإجابةُ إذا دَعَتِ الحاجةُ إليه . ثم إن كان مشهورَ الأسمِ فذلك، وإلا حُلِّ وَنِعْتُ، بذكرِ سِنِّه وَقَدِّه وَلَوْنِهِ وصفةِ وجهه، ووُصِفَ بما يُمَيِّزُ به عن غيره، كى لا تنفق الأسماءُ، أو يَدَّعَى في وقتِ المعطاء، ثم يُصَمُّ إلى تَقْيِيبِ عليه أو عَرِيفٍ يكونُ مأخوذاً بِدَرْكِهِ .



وأما ترتيبُهم في الديوان فقد جعلهم الماوردى في "الأحكام السلطانية" على ضربين :

الضرب الأول — الترتيبُ العام . وهو ترتيبُ القبائل والأجناس حتَّى يُنْزِلَ كُلُّ قبيلةٍ عن غيرها وكلِّ جنسٍ عن مخالفة، فلا يُجْمَعُ بين المختلفين، ولا يُفَرَّقُ بين المؤتلفين : لتكونَ دعوةُ الديوان على تَسْقِيقِ معروفِ النسب يزولُ فيه التنازعُ والتجاذبُ . فإن كانوا عَرَباً رُوِيَ فيهم القُربُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، كما فعل عمرُ

رضى الله عنه : فُقَدِمُ الْعَرَبُ الْمُسْتَعْرَبَةُ : وَهُمْ عَدَنَانُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ : وَهُمْ بَنُو حِطَّانَ عَرَبِ الْيَمَنِ : لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَدَنَانَ . ثُمَّ عَدَنَانُ تَجْمَعُ رِبْعَةً وَمُضَرَ ، فَتُقَدَّمُ مُضَرُّ عَلَى رِبْعَةٍ : لِأَنَّ النَّبُوَّةَ فِي مُضَرَ ، وَمُضَرُّ تَجْمَعُ قُرَيْشًا وَغَيْرَ قُرَيْشٍ ، فَتُقَدَّمُ قُرَيْشٌ عَلَى غَيْرِهِمْ : لِأَنَّ النَّبُوَّةَ فِيهَا ، فَيَكُونُ بَنُو هَاشِمٍ هُمْ قُطْبُ التَّرْتِيبِ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ مِنْ أَقْرَبِ الْأَنْسَابِ إِلَيْهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ قُرَيْشًا ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ فِي النَّسَبِ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ مُضَرَ ، ثُمَّ مِنْ يَلِيهِمْ حَتَّى يَسْتَوْعِبَ جَمِيعَ عَدَنَانَ .

وإن كانوا عَجَمًا لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى سَبِّ ، فَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِهِمْ : إِمَّا أَجْنَسًا وَإِمَّا بِلَادَ ، فَالْمُمَيِّزُونَ بِالْأَجْنَسِ كَالْتُّرْكِ وَالْهِنْدِ ، ثُمَّ تُمَيِّزُ التُّرْكُ أَجْنَسًا ، وَالْهِنْدُ أَجْنَسًا . وَالْمُمَيِّزُونَ بِالْبِلَادِ : كَالدَّيْلَمِ وَالْجَبَلِ ، ثُمَّ تُمَيِّزُ الدَّيْلَمُ بُلْدَانًا ، وَالْجَبَلُ بُلْدَانًا . فَإِذَا تُمَيِّزُوا بِالْأَجْنَسِ أَوِ الْبُلْدَانِ : فَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا عَلَيْهَا فِي الدَّيْوَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ سَابِقَةٌ تَرْتَّبُوا بِالْقُرْبِ مِنْ وَلِيِّ الْأَمْرِ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا فَبِالسَّبْقِ إِلَى طَاعَتِهِ .

الضرب الثاني . الترتيبُ الخاصُّ : وَهُوَ تَرْتِيبُ الْوَاحِدِ بَعْدَ الْوَاحِدِ ، فَيُقَدَّمُ فِيهِ بِالسَّابِقَةِ بِالْإِسْلَامِ كَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنْ تَسَاوَوْا تَرْتَّبُوا بِالدِّينِ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا فِيهِ رُتَّبُوا بِالسِّنِّ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا بِالسِّنِّ رُتَّبُوا بِالشَّجَاعَةِ ، فَإِنْ تَقَارَبُوا فِيهَا ، كَانَ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَنْ يَرْتَّبَهُمُ بِالْقُرْعَةِ أَوْ عَلَى رَأْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ

الفصل الثانى

من الباب الأول من المقالة السابعة

(فى بيان حكم الإقطاع)

قال فى "الأحكام السلطانية" : وإقطاع السلطان مختص بما جاز فيه تصرفه ،
وفقدت فيه أوامرته ، دون ماتين ماله وتميز مستحقه .

ثم الإقطاع على ضربين :

الضرب الأول

(إقطاع التملك)

والأرض المقطعة بالتملك إما موات ، وإما عامر ، وإما مدين .

فأما الموات فإن كان لم يزل مواتاً على قديم الزمان ، لم تجر فيه عمارة ، ولم تثبت
عليه ملك ، فيجوز لسلطان أن يقطعه من يحميه ويعمره . ثم مذهب أبى حنيفة
أن إذن الإمام شرط فى إحياء الموات ، وحينئذ فيقوم الإقطاع فيه مقام الإذن .
ومذهب الشافعى أن الإقطاع يجعله أحق بإحيائه من غيره . وعلى كلا المذهبين
يكون المقتطع أحق بإحيائه من غيره .

وأما إن كان الموات عامراً غريب وصار مواتاً عاطلاً ، فإن كان جاهلياً : كأرض
حاذي وعمود ، فهى كالموات الذى لم تثبت فيه عمارة فى جواز إقطاعه . قال صلى الله
عليه وسلم : « عادت الأرض لله ولرسوله ، ثم هى لكم مئى ، مئى أرض عاد » .
وإن كان الموات إسلامياً جرى عليه ملك المسلمين ، ثم حارب حتى صار مواتاً عاطلاً ،

فذهب الشافعي أنه لا يملك بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومذهب مالك أنه يملك بالإحياء، عُرِفَ أربابه أم لم يُعرفوا؛ ومذهب أبي حنيفة أنه إن عُرِفَ أربابه لم يملك بالإحياء، وإلا مَلَكَ . ثم إذا لم يميز أن يملك بالإحياء على مذهب الشافعي، فإن عُرِفَ أربابه لم يميز إقطاعه، وإن لم يُعرفوا جاز إقطاعه وكان الإقطاع شرطاً في جواز إحيائه . فإذا صار الموات إقطاعاً لمن خصه الإمام به لم يستقر ملكه عليه حتى يُحييه ويكمل إحياءه، فإن أمسك عن إحيائه كان أحق به بدأ وإن لم يصِرْ له ملكاً .

وأما العامر : فإن تعين مالكوه، فلا نظار للسلطان فيه إلا ما تعلق بتلك الأرض من حقوق بيت المال إذا كانت في دار الإسلام، سواء كانت لمسلم أو ذمّي، وإن كانت في دار الحرب التي لم يثبت عليها للمسلمين يدٌ جاز للإمام أن يقطعها لملكها المقتطع عند الظفر بها، كما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تيمماً وأصحابه أرضاً بالشام قبل فتحه، على ما هتدم ذكره في أول الباب .

وإن لم يتعين مالكوه: فإن كان الإمام قد أصطفاه لبيت المال من قُوح البلاد: إما بحق الخمس، أو باستطابة نفوس الفايدين، لم يميز إقطاع رقبته : لأنه قد صار باصطفائه لبيت المال ملكاً لكافة المسلمين، فصار على رقبته حكم الوقف المؤبد؛ والسلطان فيه بالخيار بين أن يستغله لبيت المال وبين أن يتغيره من ذوى المكنة والعمل من يقوم بعبارة رقبته، ويأخذُ خراجها، ويكون الخراج أجرة عنه تُصرف في وجوه المصالح .

(١) عبارة الأحكام السلطانية «وان لم يميز على مذهبه أن يملك» الخ والضمير عائد على أبي حنيفة، وحرر.

(٢) عبارة «الأحكام» السلطانية «بغيري على رقبته حكم الخ» وهي أوضح .

وإن كان العامر أرض خراج لم يُجز إقطاع رقبها تملكاً .

وأما إقطاع خراجها فسيأتي في إقطاع الاستغلال فيما بعد، إن شاء الله تعالى .

وإن كان الموات قد مات عنه أربابه من غير وارث، صار ليئت المال ملكاً لعامة المسلمين . ثم قيل : تصير وفقاً على المسلمين بمجرد الانتقال إلى بيت المال، لا يجوز إقطاعها ولا بيعها . وقيل : لا تصير وفقاً حتى يقفها الإمام، ويجوز للإمام بيعها إذا رأى فيه المصلحة ويصرف ثمنها في ذوى الحاجات . ثم قيل : يجوز إقطاعها كما يجوز بيعها، ويكون تملك رقبته بالإقطاع كتمليك ثمنها . وقيل : لا يجوز إقطاعها وإن جاز بيعها : لأن البيع معاوضة والإقطاع صلّة .

الضرب الثاني

(من الإقطاع إقطاع الاستغلال)

وهو : إما خراج أو عشر .

فاما الخراج : فإن كان من يُقطع الإمام من أهل الصدقات لم يجوز أن يُقطع مال الخراج : لأن الخراج فيّه لا يستحقه أهل الصدقة كما لا يستحق الصدقة أهل الفئ . وأجاز إقطاعه أبو حنيفة .

وإن كان من أهل المصالح ممن ليس له رزق مفروض فلا يصح أن يُقطع ماله الإطلاق وإن جاز أن يُعطى من مال الخراج : لأنهم من قُل أهل الفئ لا من فرضه، وما يُعطونه إنما هو من غلات المصالح ، فإن جُعِل لهم من مال الخراج شيء أُجرى عليه حكم الحوالة لأحكام الإقطاع .

وإن كان من مُرْتَقَةٍ أَهْلِ النَّبِيِّ، وهم أَهْلُ الْبَيْتِ، فهم أَخَصُّ النَّاسِ بِمَوَازِ
الْإِقْطَاعِ : لأنَّ لَمْ أَرْزَاقًا مَقْدُورَةً تُصْرَفُ إِلَيْهِمْ مُصْرَفُ الْأَسْتَحْقَاقِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّمَا
أَعْوَاضٌ عَمَّا أَرْضَدُوا نَفْسَهُمْ لَهُ مِنْ حِمَاةِ الْبَيْضَةِ وَالذَّبِّ عَنِ الْحَرَمِ .

ثم الْخِرَاجُ : إِمَّا جَزِيَّةٌ وَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِمَّا أَجْرَةٌ وَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَى
رِقَابِ الْأَرْضِ . فَإِنْ كَانَ جَزِيَّةً لَمْ يُمِزْ إِقْطَاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَسْنَةٍ ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مَوْثُوقٍ
بِاسْتِحْقَاقِهِ بَعْدَهَا لِاحْتِمَالِ أَنْ يُسْلِمَ الذِّمِّيُّ قَتْلَ الْجَزِيَّةِ عَنْهُ . وَإِنْ كَانَ أَجْرَةً جَازَ
إِقْطَاعُهُ مَسْنَةً لِأَنَّهُ مُسْتَقَرُّ الْوُجُوبِ عَلَى التَّائِيدِ .

ثم له ثلاث أحوال :

أحدها - أَنْ يُقَدَّرَ بِسَنِينَ مَعْلُومَةٍ، كَمَا إِذَا أَقْطَعَهُ عَشْرَ سَنِينَ مَثَلًا، فَيَصِحُّ، بِشَرْطِ
أَنْ يَكُونَ رِزْقُ الْمُتَقَطِّعِ مَعْلُومًا الْقَدْرَ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَأَنْ يَكُونَ قَدْرُ الْخِرَاجِ مَعْلُومًا عِنْدَ
الْإِمَامِ وَعِنْدَ الْمُقْطَعِ، حَتَّى لَوْ كَانَ مَجْهُولًا عَنْدهمَا أَوْ عِنْدَ أَحدهمَا لَمْ يَصِحَّ . ثم بعد
صِحَّةِ الإِقْطَاعِ يُرَاعَى حَالُ الْمُقْطَعِ فِي مُدَّةِ الإِقْطَاعِ : فَإِنْ بَقِيَ إِلَى أَنْقِضَاءِ مُدَّةِ الإِقْطَاعِ
عَلَى حَالِ السَّلَامَةِ فَهُوَ حَتَّى اسْتِحْقَاقِ الإِقْطَاعِ إِلَى أَنْقِضَاءِ الْمُدَّةِ، وَإِنْ مَاتَ قَبْلَ
أَنْقِضَاءِ الْمُدَّةِ بَطَلَ الإِقْطَاعُ فِي الْمُدَّةِ الْبَاقِيَةِ، وَيَعُودُ الإِقْطَاعُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ . وَإِنْ
كَانَ لَهُ ذَرِيَّةٌ دَخَلُوا فِي عَطَاءِ الذَّرَارِيِّ دُونَ أَرْزَاقِ الْأَجْنَادِ، وَيَكُونُ مَا يُعْطَوْنَهُ
تَسْبِيًا لَا إِعْطَاًا . وَإِنْ حَدَثَ بِالْمُقْطَعِ زَمَانَةٌ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ قُبِيَاقِ الإِقْطَاعِ قَوْلَانِ :
(أحدهما) أَنَّ إِقْطَاعَهُ بَاقٍ عَلَيْهِ إِلَى أَنْقِضَاءِ الْمُدَّةِ (والثاني) أَنَّهُ يُرْتَجِعُ مِنْهُ .

الثانية - أَنْ يُقْطَعَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ لَعَبَهُ وَوَرِثَتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَا يَصِحُّ : لِأَنَّهُ
يُخْرَجُ بِذَلِكَ عَنْ حَقُوقِ بَيْتِ الْمَالِ إِلَى الْأَمْلاكِ الْمَوْثُوتَةِ، فَلَوْ قَبِضَ مِنْهُ شَيْئًا بَرِئَ
أَهْلُ الْخِرَاجِ بِقَبْضِهِ : لِأَنَّهُ عَقْدٌ فَاسِدٌ مَادُونٌ فِيهِ وَيُحَاسَبُ بِهِ مِنْ جَمَلَةِ رِزْقِهِ : نَازِلٌ

كان أكثر ردّ الريادة، وإن كان أقل رجح بالباقي، وعلى السلطان أن يظهر فساد الإقطاع حتى يمتنع هو من القبض ويمتنع أهل الخراج من الدفع ولم يبرؤوا بما دفعوه إليه حينئذ .

الثالثة - أن يُقطع مدة حياته . ففي صحّة الإقطاع قولان للشافعي بالصحة والبطلان، ثم إذا صحّ الإقطاع فالسلطان استرجاعه منه فيما بعد السنة التي هو فيها، ويؤدّ رزقه إلى ديوان العطاء . أما السنة التي هو فيها : فإن حلّ رزقه فيها قبل حلول خراجها لم يسترجع منه في سنته لاستحقاق خراجها في رزقه، وإن حل خراجها قبل حلول رزقه جاز استرجاعه منه : لأنّ تعجيل المؤجل وإن كان جائزا فليس بلام .

وأما العشر فلا يصحّ إقطاعه، لأنه زكاة الأصناف، فيعتبر وصف استحقاتهم عند دفعها إليهم، وقد يجوز أن لا يوجد فلا يجب .

قلت : هذا حكم الإقطاع في الشريعة، وعليه كان عمل الخلفاء والملوك في الزمن السالف، أما في زماننا فقد فسّد الحال وتغيّرت القوانين، ونخرجت الأمور عن القواعد الشرعية، وصارت الإقطاعات تردّ من جهة الملوك على سائر الأموال : من نراج الأرضين، والحزبية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعشر، وغير ذلك . ثم تفاخّش الأمر وزاد حتى أقطعوا الكؤوس على اختلاف أصنافها، وعمت بذلك البلوى، واثقه المستعان في الأمور كلّها ! .

الباب الثاني من المقالة السابعة

(فيما يُكْتَب في الإقطاعات في القديم والحديث ، وفيه فصلان)

الفصل الأول في أصل ذلك

والأصل فيه ما رَوَى أن النبي صلى الله عليه وسلم أقطع تَمِيمًا الدَّارِيَّ أرضًا بالشَّام وكَتَبَ له بها كِتَابًا .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق فيه طُرُقًا مختلفة . فروى بسنده إلى زياد بن فائد ، عن أبيه فائد ، عن جده زياد بن أبي هند ، عن أبي هند الدارِيَّ أنه قال : قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ وَنَحْنُ سِتَّةٌ نَقَرُ : تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ ، وَنَعِيمُ بْنُ أَوْسٍ أَخُوهُ ، وَزَيْدُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَبُو هِنْدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَدِيثِ ، وَأَخُوهُ الطَّيِّبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ [كَانَ أَسْمُهُ بَرًا] فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَفَاكَهُ بْنُ النِّعْمَانِ ، فَاسْلَمْنَا وَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْطِعَنَا أَرْضًا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ » . فَقَالَ تَمِيمٌ : أَرَى أَنْ نَسْأَلَهِ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَكُوْرَهَا ، فَقَالَ أَبُو هِنْدٍ : [هَذَا مَحَلُّ مُلْكِ الْعَجَمِ] وَكَذَلِكَ يَكُونُ فِيهَا مُلْكُ الْعَرَبِ وَأَخَافُ أَنْ لَا يَتِمَّ لَنَا هَذَا ، فَقَالَ تَمِيمٌ : فَنَسْأَلُهُ

(١) في "سيرة ابن هشام" عدم ثمانية .

(٢) الزيادة من "سيرة ابن هشام" ج ٢ ص ١٩٥ وهي لازمة لصحة المقام .

(٣) في "سيرة ابن هشام" - عبد الله - وأن الذي سماه عبد الرحمن إنما هو عروة بن مالك ولم يذكر هنا .

(٤) الزيادة من "السيرة الحلبية وتاريخ ابن عساكر المحفوظ بدار الكتب الأزهرية" . -

بيت جبرين وكورتها ، فقال أبو هنيذ : هذا أكبر وأكبر . فقال : فأين ترى أن نسأله ؟ فقال : أرى أن نسأله القرى التي يقع فيها تل مع آثار إبراهيم . فقال تميم : أصبت ووقفت . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تميم : « أُنحِبُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ أَوْ أَخْبِرَكِ ؟ » - فقال تميم : بل تُخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدَادُ إِيْمَانًا - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرَدْتُمْ أَمْرًا فَأَرَادَ هَذَا غَيْرُهُ » وَنِعْمَ الرَّأْيُ رَأًى - قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وَطْعَةَ جَلْدٍ مِنْ أَدَمَ ، فَكَتَبَ لَنَا فِيهَا كِتَابًا نُسَخْتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا [كِتَابٌ] ^(١) ذِكْرٌ [فِيهِ] مَا وَهَبَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لِلدَّارِئِينَ إِذَا «
« أَعْطَاهُ اللَّهُ الْأَرْضَ . وَهَبَ لَهُمْ بَيْتَ عَيْثُونَ وَحَبْرُونَ ، وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ
« بِمَنْ فِيهِمْ لَهُمْ أَبَدًا » .

« شَهِدَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَجَهْمُ بْنُ قَيْسٍ ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ ^(٢)
« حَسَنَةً ، وَكَتَبَ » .

قال : ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرُقعة وَغَنَاهُ بَشْيَءٍ لَا يَعْرِفُ ، وَعَقَدَهُ مِنْ خَارِجِ الرُقعة بِسَيْرِ عَقْدَتَيْنِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهَا بِهَ مَطْوِيَةً وَهُوَ يَقُولُ :
(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)

(١) الزيادة من "السيرة الحلبية" ج ٣ ص ٢٩٦ وتاريخ ابن عساكر .

(٢) في "السيرة الحلبية" ص ٢٩٦ ج ٣ « وتزمية بن قيس » .

(٣) بياض في الأصل بمقدار كلمة ، والتصحيح من تاريخ ابن عساكر .

ثم قال : أَنصِرُوا حَتَّى تَسْمَعُوا بِى قَدْ هَاجَرْتُ . قال أبو هند : فانصَرَفْنَا . فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، قَدِمْنَا عليه فسالناه أَن يُخَدِّثَنَا كِتَابًا ، فكتب لنا كِتَابًا نُسَخِّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا مَا أَنْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ »
 « وَأَصْحَابِهِ ، إِنِّى أَنْطَيْتُكُمْ عَيْنُونَ وَحَبْرُونَ وَالرُّطُومَ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ »
 « وَجَمِيعَ مَا فِيهِمْ نَظِيَّةَ بَيْتٍ ، وَفَقَدْتُ وَسَلَّمْتُ ذَلِكَ لَهُمْ وَلَا عَقَابِهِمْ مِنْ »
 « بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْأَبَدِ ، فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهَا آذَاهُ اللَّهُ » .

« شَهِدَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خُفَافَةَ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، »
 « وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَكَتَبَ » .
 فلما قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ ، وَجَّهَ الْجَنُودَ إِلَى الشَّامِ ،
 فَكَتَبَ لَنَا كِتَابًا نُسَخِّتُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ إِلَى عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ »
 « أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » .

« أَمَا بَعْدَ ، أَمْنَعُ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْفَسَادِ »
 « فِي قُرَى الدَّارِيِّينَ ؛ وَإِنْ كَانَ أَهْلُهَا قَدْ جَلَوْا عَنْهَا وَأَرَادَ الدَّارِيُّونَ »

« أَنْ يَزْعُوهَا فَلْيَزْعُوهَا ، فَإِذَا رَجَعَ أَهْلُهَا إِلَيْهَا فَهِيَ لَهُمْ وَأَحَقُّ بِهِمْ »
« وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .

وروى بسنده أيضا إلى الزهريّ وثور بن يزيد عن راشد بن سعد ، قال : قام تميم الداريّ وهو تميم بن أوس ، رجل من نلّم ، فقال يا رسول الله ، إنّ لي جيرة من الروم بفلسطين لم قرية يقال لها حبري ، وأخرى يقال لها بيت عيّنون : فإن فتح الله عليك الشام فهبما لي ، قال : هما لك ، قال : فاكتب لي بذلك ، فكتب له :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ »
« الدَّارِيّ ، إِنَّ لَهُ قَرْيَةَ حَبْرَى وَبَيْتَ عَيْنُونِ قَرِيبَتَا كُلِّهَا سَهْلَاهَا وَجَبَلَاهَا »
« وَمَاءُهَا وَحَرَّتَاهَا وَأَنْبَاطُهَا وَبَقَرُهَا وَلَعِقَبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَا يُحَاقُّهُ فِيهَا أَحَدٌ »
« وَلَا يَلْبِغُهُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بَظُلْمٍ . فَمَنْ ظَلَمَهُمْ أَوْ أَخَذَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئًا »
« فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » وَكَتَبَ عَلَى .

فلما ولي أبو بكر كتب لهم كتابا نُسخته :

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ أَمِينِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي »
« أَسْتَخْلِفُ فِي الْأَرْضِ بَعْدَهُ ، كَتَبَهُ لِلدَّارِيِّينَ أَنْ لَا تُفْسَدَ عَلَيْهِمْ مَأْتَرُهُمْ »
« قَرْيَةُ حَبْرَى وَبَيْتُ عَيْنُونِ ، فَمَنْ كَانَ يَسْمَعُ وَيُطِيعُ فَلَا يُفْسِدُ مِنْهَا شَيْئًا »
« وَلْيَقُمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَيْهِمَا فَلْيَمْنَعَهُمَا مِنَ الْمُفْسِدِينَ » .

وروى ابن منده بسنده إلى عمرو بن حزم رضى الله عنه أنه قال : أقطع النبي صلى الله عليه وسلم تيماً الدارى، وكتب :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«هذا كتاب من محمد رسول الله تميم بن أوس الدارى، إن له صهيون»
 «قريتها كلها سهلها وجبلها وماءها وكرومها وأنباطها وورقها، ولعقبه من»
 «بعده لا يحاقه فيها أحد، ولا يدخل عليه يظلم، فمن أراد ظلمهم»
 «أو أخذ منهم فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» .

قلت : وهذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن، وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليَقَفَ عليها ويكف عنهم من يظلمهم . وقد أخبرني برؤيتها غير واحد، والأديم التي هي فيه قد خَلِقَ لطول الأمد .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة السابعة

(في صورة ما يُكْتَب في الإقطاعات ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(فيما كان يُكْتَب من ذلك في الزّمن القديم)

وكانت الإقطاعات في الزّمن الأوّل قليلةً ، إنّما كانت تُجْعَلُ الأموالُ إلى بيت المال ثم يُنْفَق منه على الجُند على ما تَهْتَم ذِكْره ، ورُبَّمَا أَقْطَعُوا القريّة ونحوها وقزروا على مُقْطَعِهَا شيئاً يقومُ به لبيت المال في كل سنة ، ويسمّون ذلك المقاطعة .

ثم ما كان يُكْتَب في ذلك على ضررين ، كلاهما مفتّح بلفظ « هذا » :

الضرب الأول

(ما كان يُكْتَب عن الخلفاء ، ولهم فيه طريقتان)

الطريقة الأولى

(طريقة تُكَّاب الخلفاء العباسيين ببغداد)

وكان طريقهم فيها أن يُكْتَب « هذا كُتِب من فلان (يَلْقَب الخليفة) إنك ذكرت من أمر ضيّعتك القلانية كذا وكذا ، وسألت أمير المؤمنين في كذا وكذا ، وقد أجابك أمير المؤمنين إلى سؤالك في ذلك ونحوه » .

وهذه نسخة مقاطعة ، كُتِب بها عن المُطِيع لله الخليفة العباسي ، من إنشاء أبي إسحاق الصابي ، وهي :

هذا كتاب من عبد الله الفضل، الإمام المطيع لله أمير المؤمنين، لفلان بن فلان .
 إنك رقت قصتك تذكر حال ضيعتك المعروفة بكذا وكذا، من رشتاق كذا وكذا،
 من طسوج كذا وكذا ، وأنها أرض رقيقة قد توالى عليها الخراب ، وأنفلق أكثرها
 بالسد والدغل ، وأن مثلها لا يتسع يد الليالى للإتفاق عليه ، وعلب بالاسله (؟) واستخراج
 سدوده وقفل أرضه ، ولا يرغب الأكرة في أزديراعه والمعاملة فيه . وإن أمير المؤمنين
 مقاطعك عن هذه الضيعة على كذا وكذا من الورق المرسَل في كل سنة ، على استقبال
 سنة كذا وكذا الخراجية ، مقاطعة مؤبده ، ماضية مقررة نافذة ، يُستخرج مالها
 في أول المحرم من كل سنة ، ولا تُتبع بتقيض ولا يتأول فيها متأول ، ولا تُتمرض
 في مستأنف الأيام ، [إن] أجهدت في عمارتها ، وتكلف الإتفاق عليها واستخراج
 سدودها ، وقفل أراضيها وأحيفار سواقيها ، وأجتلاب الأكرة إليها ، وإطلاق البثور
 والتقاوى فيها ، وإرغاب المزارعين بتخفيف طسوقها بحق الرقة ومقاسماتها ، وكان
 في ذلك توفير لحق بيت المال وصلاح ظاهر لا يحتل .

وسالت أمير المؤمنين الأمر بذلك والتقدم به والإسجال لك به ، وإثباته في ديوان
 السواد ودواوين الحضرة وديوان الناحية ، وتصديره ماضياً لك ولعقبك وأعقابهم ،
 ومن لعل هذه الضيعة أو شيئاً منها ينتقل إليه ببيع أو ميراث أو صدقة أو غير ذلك
 من ضرروب الانتقال .

وإن أمير المؤمنين بإيثاره الصلاح ، وأعتاده أسبابه ، ورغبته فيما عاد بالتوفير على
 بيت المال ، والمهارة والترفيه للرعية ، أمرنا بالنظر فيما ذكرته ، واستقصاء البحث عنه ،
 ومعرفة وجه التدبير ، وسبيل الحظ فيه ، والعمل بما يوافق الرشد في جميعه . فرجع
 إلى الديوان في تعريف ماحكيته من أحوال هذه الضيعة ، فأفخذ منه رجل مختار ثقة

مامون، من أهل الخبرة بأمور السواد وأعمال الخراج: قد عَرَفَ أمير المؤمنين أمانته وعِلْمَهُ ومعرفة، وأمر بالمصير إلى هذه الناحية، وجمع أهلها: من الأدلاء والأكرّة والمزارعين، وثقات الأمتاء والمجاورين، والوقوف على هذه الأفرحة، وإيقاع المساحة عليها، وكشف أحوال عامريها وغايريها، والمسير على حدودها، وأخذ أقوالهم وآرائهم في وجه صلاح وعمارة قراج قراج منها، وما يوجب صواب التدبير فيما أتمسته من المقاطعة بالمبلغ الذي بذلته. وذكرت أنه زائد على الارتفاع، والكاتب بجميع ذلك إلى الديوان، ليوقف عليه ويُنْهَى إلى أمير المؤمنين فينظر فيه: فما صحَّ عنده منه أمضاء، وما رأى الاستظهار على نظر الناظر فيه استظهر فيما يرى منه، حتى يقف على حقيقته، ويرسم ما يعمل عليه.

فذكر ذلك الناظر أنه وقف على هذه الضيعة، وعلى سائر أقرحتها وحدودها ونطاقها، بمشهد من أهل الخبرة بأحوالها: من ثقات الأدلاء والمجاورين، والأكرّة والمزارعين، والأمتاء الذين يرجع إلى أقوالهم، ويعمل عليها، فوجد مساحة بطون الأفرحة المزدرة من جميعها، ثون سواقيها وبرورها وتلايلها وجنائها وستقعاتها، وما لا يعتمد من أرضها، بالجرىب الهاشمي الذي تُمسح به الأرض في هذه الناحية كذا وكذا جريباً: منها جميع اقراج المعروف بكذا وكذا، ومنها قراج كذا وكذا، ومنها الحصن والبيوت، والساحات، والقراعات، والخزانات؛ ووجد حالها في الخراب والآنسداد، وتعدّر العارة، والحاجة إلى عظيم انشونة وقرط الثقة على ما حكيتة وشكوتها؛ ونظر في مقدار أصل هذه الخزانات من هذه الضيعة، وما يجب عليها، وكشف الحال في ذلك.

ونظر أمير المؤمنين فيما رفعه هذا المؤمن المتخذ من الديوان، وأستظهر فيه بما رآه من الاستظهار، ووجب عنه من الاحتياط، فوجد مرقعه صحيفاً صحفة عرفها أمير المؤمنين وعلمها، وقامت في نفسه، وثبتت عنه، ورأى إيقاع المقاطعة التي أتمستها على حق بيت المال في هذه الضيعة، فقاطعت عنه في كل سنة حلائية، على أمستقبال مسنة كذا وكذا الخراجية، على كذا وكذا: يزهما صحاحاً مرسلة بغير كسر ولا كمانه (٩) ولا حق حرب ولا جهنزة، ولا نحاسية ولا زيادة، ولا ثني من جميع المئون وسابق النواقيع والرؤوم. تؤدى في أول المحرم من كل سنة، حسب ما تؤدى المقاطعة، مقاطعة ماضية مؤبدة، نافذة ثابتة، على مضي الأيام، ولزوم الأعوام، لا تنقض ولا تنسخ، ولا تنبع، ولا يتأول فيها، ولا تغير. على أن يكون هذا المال: وهو من الوريق المرسيل كذا وكذا في كل سنة مؤدى في بيت المال، ومصححاً عند من تورد عليه في هذه الناحية أموال نراجيم ومقاطعاتهم وجباياتهم، لا يتسل فيها بأفة تلتحق الغلات، سماوية ولا أرضية، ولا بتعطيل أرض، ولا بقصور عمارة، ولا نقصان ربيع، ولا بانحطاط سحر، ولا بتأخر قطر، ولا بشرب غلة، ولا حرق ولا شرق، ولا بغير ذلك من الآفات بوجه من الوجوه، ولا بسبب من الأسباب؛ ولا يحتاج في ذلك بحجة يحتج بها التنا (٩)، والمزارعون، وأرباب الخراج في الاكتواء بما عليهم، وعلى أن لا يدخل عليك في هذه المقاطعة يد مايع ولا يمن، ولا حازر، ولا مقدم، ولا أمين، ولا حاطر، ولا ناظر، ولا منبّع، ولا متعرف لحال زراعة وعمارة، ولا كاشف لأمر زرع وغلة، ماضياً ذلك لك ولعليك من بعدك، وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، أبداً ما تناسلوا، وإن عصى أن تنقل هذه الأقرحة أو شئ منها إليه باريث، أو بيع، أو هبة، أو تحل، أو صدقة، أو وقف، أو مئاقلة، أو إجارة، أو مهايأة، أو تملك، أو إقرار، أو بغير ذلك من الأسباب التي تنقل بها

الأملاك من يد إلى يد، ولا ينقص ذلك ولا شيء منه، ولا يغير ولا يفسخ، ولا يزال ولا يبدل، ولا يعقب، ولا يعترض فيه بسبب زيادة عمارة، ولا ارتفاع سعر ولا وفور غلة، ولا زكاء ربيع، ولا إحياء مَوَاتٍ، ولا اعتيال مُعْطِلٍ، ولا عمارة نراب، ولا استخراج غامري، ولا صلاح شرب، ولا استحداث غلات لم يتجر الرسم باستحداثها وزراعتها، ولا يُعد ولا يُمنح ما عسى أن يُفرض بهذه الأفرحة : من النخل وأصناف الشجر المَعْدُود والكَمْ؛ ولا يُتَأَوَّل عليك فيما لعل أصل المساحة أن تزيد به فيما تُعمره وتستخرجه من الجبَّائِن^(١) والمستقعات، ومواضع المشارب المُستغنى عنها، إذ كان أمير المؤمنين قد عَرَفَ جميع ذلك، وجعل ما يجب على شيء منه عند وجوبه داخلاً في هذه المقاطعة، وجارياً معها .

على أنك إن فصلت شيئاً من مال هذه المقاطعة على بعض هذه الأفرحة من جميع الضيعة، وأفردت باقي مال المقاطعة بباقيها عند ملك ينقل منها عن بدل، أو فعل ذلك غيرك ممن جعل له في هذه المقاطعة ما جعل لك من ورسك وورثتهم، وعقبك وأعقابهم، ومن لعل هذه الضيعة أو شيئاً من هذه الأفرحة ينتقل إليه بضرب من ضروب الانتقال، قيل ذلك التفصيل منكم عند الرضا والاعتراف ممن تفصلون باسمه، ويحملون عليه، وعوملتم على ذلك، ولم يتأوَّل عليكم في شيء منه .

وعلى أنك إن التمسست أو التمس من يقوم مقامك ضرب منّا على هذه الضيعة، تُعرف به حدودها ورسومها وطرقها، ضرب ذلك المنار أى وقت التمسوه، ولم يُمنعوا منه، وإن تأثر ضرب المنار لم يتأوَّل عليكم به، ولم يجعل حلة في هذه المقاطعة، إذ كانت مشهورة هذه الضيعة وأفرحتها في أماكنها، ومعرفة مجاورها بما ذكر من تسميتها ومساحتها، تُفنى عن تحديدها أو تحديد شيء منها، وتقوم مقام المنار

في إيضاح معاملها ، والدلالة على حُدُودِها وحُقُوقِها ورُسُومِها . وقد سَوَّكَ يافلانُ
أبنَ فلانٍ أميرَ المؤمنين وعَقِبَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَعْقَابَهُمْ ، وَوَرَثَكَ وَوَرَثَهُمْ أَبَدًا
ماتَسَلُّوا ، وَمَنْ تَنَقَّلَ هَذِهِ الْأَقْرَحَةُ أَوْ شَيْءٌ مِنْهَا إِلَيْهِ - جَمِيعَ الْفَصْلِ بَيْنَ مَا كَانَ يَلْزَمُ
هَذِهِ الضَّيْعَةَ وَأَقْرَحَتَهَا مِنْ حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ وَتَوَابِعِهِ ، عَلَى الْوَضِيعَةِ التَّامَةِ ، وَعَلَى
الشَّرْطِ الْقَدِيمَةِ ، وَيَنْ مَا يَلْزِمُهَا عَلَى هَذِهِ الْمَقَاطِعَةِ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ خَارِجًا عَنْ حَاصِلِ
طَسُوجٍ كَذَا وَكَذَا ، وَعَمَا يَرْفَعُهُ الْمُؤَمَّنُونَ ، وَيُؤَافِقُ عَلَيْهِ الْمُتَضَمِّنُونَ ، عَلَى غَيْرِ الدَّهْرِ
وَمَرِّ السِّنِينَ ، وَتَعَاقِبِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ .

فَلَا تُقْبَلُ فِي ذَلِكَ سِعَايَةُ سَاعٍ ، وَلَا قَدْحُ قَارِحٍ ، وَلَا قَرْفُ قَارِفٍ ، وَلَا إِغْرَاءُ مُغْرٍ ،
وَلَا قَوْلُ مُعْتَفٍ ، وَلَا يُرْجَعُ عَلَيْكَ فِيمَا سَوَّغْتَهُ وَنَظَرْتَكَ بِهِ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ ،
وَلَا يُرْجَعُ فِي التَّقْرِيرَاتِ ، وَلَا تَنْفَضُ بِالْعَامَلَاتِ وَرَدَّهَا إِلَى قِيَامِ أَصُولِهَا ، وَلَا ضَرْبِ
مِنْ ضُرُوبِ الْجُحِّجِ وَالتَّأْوِيلَاتِ ، الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْعَدَلِ عَلَى سَبِيلِ الْحُكْمِ وَالنَّظَرِ ،
وَأَهْلُ الْجَوْرِ عَلَى سَبِيلِ التُّدْوَانِ وَالظُّلْمِ . وَلَا تَكْلَفُ يافلانُ بَنَ فُلانٍ ، وَلَا عَقِبُكَ مِنْ
بَعْدِكَ ، وَلَا وَرَثَتِكَ ، وَلَا أَعْقَابَهُمْ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ تَخْرُجِ هَذِهِ الضَّيْعَةِ أَوْ هَذِهِ الْأَقْرَحَةِ
أَوْ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَيْهِ ، عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ كُلِّهَا - إِخْرَاجِ تَوْفِيقٍ ، وَلَا كِتَابِ مُجَدِّدٍ ،
وَلَا مَنْشُورٍ بِإِغَاذِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَلَا إِحْضَارِ سَجِّلٍ بِهِ ، وَلَا إِقَامَةِ حُجَّةٍ فِيهِ فِي وَقْتٍ
مِنَ الْأَوْقَاتِ .

وَعَلَى أَنْ لَا يَلْزَمَكَ وَلَا أَحَدًا مِنْ يُقُومُ مَقَامَكَ فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعَةِ مَثُونَةً ، وَلَا كُفْلَةً ،
وَلَا ضَرِيئَةً ، وَلَا زِيَادَةً ، وَلَا تَقْسِيطَ كَرَاهٍ مِنْهُ ، وَلَا مَصْلَحَةً ، وَلَا عَامِلُ بَرِيدٍ ،
وَلَا نَفَقَةٍ ، وَلَا مَثُونَةً جَمَاعَةً ، وَلَا خِفَارَةً ، وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ . وَلَا يَلْزَمُ بَوَجهُ مِنَ الْوُجُوهِ
فِي هَذِهِ الْمَقَاطِعَةِ زِيَادَةٌ عَلَى الْمَبْلَغِ الْمَذْكُورِ الْمُؤَدَّى فِي بَيْتِ الْمَالِ فِي كُلِّ سَنَةٍ خَرِاجِيَّةً ،

وهو من الورق المرسل كذا وكذا، ولا تمنع من روزه جُهْد أو مُجْه كاتِب أو عامل بما لهذه المقاطعة إذا أدبته أو أدبت شيئا منه أولا أولا، حتى يتكَل الأداء، وتحصل في يدك البراءة في كل سنة بالوفاء بجميع المسال بهذه المقاطعة .

وعلى أن تعاونوا على أحوال العارة ، وصلاح الشرب ، وتوفر عليكم الضيافة والجماه ، والذب والرعاية .

ولا يتعقب ما أمر به أمير المؤمنين أحد من ولاة اليهود والأمراء والوزراء وأصحاب الدواوين، والكُتَّاب والعَمَّال والمُشْرِفين، والضُمَناء والمؤتمنين، وأصحاب الخراج والمعانين، وجميع طبقات المعاملين، وسائر صنوف المتصرفين - يُبطله أو يُزيله عن جهته، أو يُنقضه، أو يفسخه، أو يغيره، أو يبدله، أو يوجب عليك أو على عَقَبِكَ من بعده وأعقابهم وورثتهم أبدا ما تاسلوا ومن تخرج هذه الضيعة أو شيء منها [إليه] حجة على سائر طرق التأويلات؛ ولا يلزمك شيئا فيه، ولا يكلفكم عَوْصًا عن إمضاءه؛ ولا ينظر في ذلك أحد منهم نظر تَبِع ولا كَشَف، ولا بَحْث، ولا حَقْص . فإن خالف أحد منهم ما أمر به أمير المؤمنين، أو تعرض لكشف هذه المقاطعة أو مساحتها أو تخمينها أو اعتبارها والزيادة في مبلغ مالها، أو ثبت في الدواوين في وقت من الأوقات شيء يخالف ما رسمه أمير المؤمنين فيها : إما على طريق السهو والغلط، أو العُدوان والظلم والعناد والتقصّد، فذلك كله مردود، وباطل، ومُنْفَسَخ، وغير جائز، ولا سائغ، ولا فادح في صحّة هذه المقاطعة وثبوتها ووجوبها، ولا معطل لها، ولا مانع من تلافى السهو واستدراك الغلط في ذلك، ولا مغير لشيء من شرائط هذه المقاطعة . ولا حجة تقوم عليك يا فلان بن فلان، ولا على من يهوم في هذه المقاطعة بشيء من ذلك : إذ كان ما أمر به أمير المؤمنين

من ذلك على وجه من وجوه الصلاح، وسبيل من سبله وأمضاها، وقطع
بهما كل اعتراض ودعوى، واحتجاج وقذف، وأزال معهما كل بحث وخص، وتبعية
وعلاقة، وإن كان من الشرائط فيما سلف من السنين وخلا من الأزمان ما هو أوكد
وأتم وأحكم وأحوط لك، ولعقبك وورثتك، وأعقابهم وورثتهم؛ ومن تنقل هذه
الأفرحة أو شيء منها إليه مما شرط في هذا الكتاب بحال، أوجبها لك الاحتياط على
اختلاف مذاهب الفقهاء والكتاب وغيرهم مما خلفاء أن يفعلوه وتقد في أمورهم،
وحملت وحملوا عليه، وهو مضاف إلى شروط هذا الكتاب التي قد أتى عليها الذكرك،
ودخلت تحت الحصر، ولم يكلف أحد منكم إخراج أمر به .

وإن اتهمت [أنت] أو أحد من ورثتك وأعقابك، ومن عسى أن تنقل هذه
الضيعة والأفرحة أو شيء منها إليه في وقت من الأوقات بتجديد كتاب بذلك،
ومكتبة طليل أو مشرف، أو إخراج توقيع ومثبور إلى الديوان بمثل مانعته هذا
الكتاب، أوجبتم إليه ولم تمنعوا منه .

وأمر أمير المؤمنين بإثبات هذا الكتاب في المداوين، وإقراره في يدك، مجة لك
ولعقبك من بعدك وأعقابهم، وورثتك وورثتهم، ووثيقة في أيديكم، وفي يد من
عسى أن تنقل هذه الضيعة أو الأفرحة أو شيء منها إليه، بضرب من ضروب
الانتقال التي ذكرت في هذا الكتاب والتي لم تذكر فيه، وأن لا تنكفوا إيراد [حجة]
من بعده، ولا يتأول طيكم متأول فيه .

فمن وقف على هذا الكتاب وقرأه أو قرئ عليه : من جميع الأمراء، وولاة اليهود
والوزراء، والمعمال، والمشرفين، والمتصرفين، والناظرين في أمور الخراج، وأصحاب
السيف على اختلاف طبقاتهم، وتباين منازلهم وأعمالهم . فليمتثل ما أمر به أمير

الطريقة الثانية

وهو على نحو ما كان يُكتب عن خلفاء بني العباس .

ولما كان فلانُ بنُ فلانٍ ممن غرس أمير المؤمنين [إحسانه] لدينه فأثمر، وأولاده طوَّله فسكر، وراه مستَقِلًّا بالصَّنيعه، حافظًا للوديعه، مقيلاً العارفة بالإخلاص في الطاعة، مستنيرًا بالانقياد والتَّباعه، أخلاقَ الفضلِ والنَّعمه (ويوصف الرجل

المقطع بما تقتضيه منزلته) ثم يقال : رأى أمير المؤمنين مضاعفة أيديه لده ، ومواصلته إنعامه إليه ؛ وإجابة سؤاله ، وإنالته أفاضى أماله ؛ وتويله ما تحت إليه أمانته ، وطمحت نحوه راحته ؛ وإسعافه بما رغب فيه من إقطاعه الناحية الفلانية ، أو الدار أو الأرض ؛ أو تسويفه ما يجب عليه من خراج ملكه ، وما يجرى هذا المجرى . ثم يقال : ثقة بأن الإحسان مغروس منه في أكرم مغرس وأزكاه ، وأحق منزلة بالتزويل وأولاه . وخرج أمره بإنشاء هذا المنشور بأنه قد أقطع الناحية الفلانية ، لاستقبال سنة كذا بحقوقها وحدودها ، وأرضها العامرة ووجوه جباياتها ، وينص على كل حق من حقوقها وحد من حدودها (فإذا استوفى القول عليه ، قال : إنعاماً عليه ، وبسطاً لأمله ، وإبانة عن خطره .

فليعلم ذلك كافة الولاة والنظار والمستخدمين من أمير المؤمنين ورسنه ، ليعملوا عليه وبحسبه ، وليحذروا من تجاوزه وتعديه ، وليقرّ بيده بعد العمل بما نص فيه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : والتحقيق أن لم في ذلك أساليب : منها ما يفتح بلفظ « هذا » المعروف أنه كان يسمى ما يكتب في الاقطاعات عندهم بـ « حيلات كالذى يكتب في الولايات .



وهذه نسخة منشور من مناشيرهم ، من إنشاء القاضي الفاضل لوليد من أولاد الخليفة اسمه حسن ولقبه حسام الدين مفتوح بلفظ « هذا » وهي :

هذا كتاب من أمير المؤمنين لوليد الذي جل قدرنا أن يسامى ، وقر في ناظر الإيمان نوراً وسلته يد الله حساماً ، وحسن به الزمان فكان وجوده في عطفه

حليّة والغزوة أيتساما، وأضاعت وجوه السعادة لمسحها بكريم اسمه آتساما، وتبّيات
 الأقدار لأن تجرى على قش خاتم إرادته آميناً وآرتساما - الأمير فلان، جرّاً على عادة
 أمير المؤمنين التي أوضح الله فيها إشراف العوائد، وأتباعاً لسنة آبائه التي هي سنن المكارم
 والمرشد، وآرتقاداً مع آرتياح [إلى موارد] كرمه التي هي موارد لا يُحلاً عنها وإرد،
 واختصاصاً بفضل له كفاه من الشرف أنه له والد، وعموماً بما يسوقه الله على يده
 من أرزاق العباد، وإنعاماً جعل نجله طريقه إلى أن يُفيض على كل حاضر وبّاد .
 وأمير المؤمنين بحرٌ يبتشى من آله السحاب المتزل، ويمتدّهم جواد العطاء الأجل .
 أمر بكتبه لما عُرضت لمقامه رُقعةً بكنا وكذا، ونرج أمر أمير المؤمنين إلى وليّه
 وناصره، وأمينه على ما أستاذنه الله عليه وموازيره؛ السيد الأجل الذي لم تزل أراؤه
 ضوامن للصالح كوافل، وشهبٌ تديره من سماء التوفيق غير غارية ولا أوافل، وخدمته
 لأمر المؤمنين لا تقف عند الفرائض حتى تغطّي إلى النوافل، وجاد فأخلاف النعم
 به حوافل، وأقبل فأحزاب الخلاف به جوافل، وأيقظ عيوننا من التدير على الأيام
 لا تدعى الأيام أنها غوافل؛ بأن يُوعز إلى ديوان الإنشاء بإقطاع ناحية كذا بحدّها،
 والمعتاد من وصفها المعاد، وما يدلّ عليه الديوان من صبرتها، ويحصل له من عيناها
 وغلتها؛ إلى الديوان الثلاني: إقطاعاً لا يتقطع حكمه، وإحساناً لا يعفور ستمه، وتسويفاً
 لا يطيش ستمه، وتكليلاً لا يُنحى ستمه، ونحويلاً لا يُثنى عزّه؛ يتصرف فيه
 هذا الديوان ويستبدّ به مالكا، ويُفاوض فيه مُشاركاً، ويزرعه متعملاً ومضمناً،
 ويستثمره عادلاً في أهله محسناً؛ لانتعابه الدواوين بتأويل ما، ولا الأحوال بتحوّل ما،
 ولا الأيام بتقلّبها، ولا الأغراض بتعقّبها؛ ولا اختلاف الأيدي بتقلّبها، ولا تنقضه
 الأحكام بتأويلها .

وقد أوجب أمير المؤمنين على كلِّ والٍ أن يتحاشى هذه الناحية بضربه، ويقصدها
بجميل أثره، ويحيطها بحسن نظره، ويتقن فيها ركوب عواقب غرره، ويتجنب فيها
مطالب وزده وصدره، وتزول مستقره؛ ولا يمكن منها مستخدما، ولا يكلف أهلها
مغرما، ويحررها مجرى ما هو من الباطل حمى؛ ما لم يقل فيها بيل، أو يخف من سبلها
سبيل، وله أن يتطلب الجاني بعينه، ويقضي به بأداء ما استوجب من دينه، وأخذه
مسوقا بجرائم ذنبه إلى موقف حينه، فن قرأه فليعمل به .



وهذه نسخة سجل بإقطاع، عن العاضد آخر خلفاء الفاطميين أيضا لبعض أمراء
الدولة، من إنشاء القاضي الفاضل أيضا، وهي :

أمير المؤمنين - وإن عمَّ جوده كما عمَّ فضل وجوده، وسار كثير إحسانه ورَّه
في سهول المعمر وتجوده، ورحم الله الخلق بما آتاه دون الخلاق من قربه
في تجوده - فإنه يخص بنى القرى من جدّه، والضاريين معه في أنصاء تجده؛ من
سلالته الزكية، وطينته المسكية؛ وأعراقه الشريفة، وأنسابه المنيقة؛ فكل غراء
لا تخفى أوضاعها، إلا إذا فاضت أنوارهم، وكل عذراء لا يعهد إسماعها، إلا إذا
راضت أخطارهم .

ولما عرضت بحضرته ورقة من ولده الأمير فلان الذي أقر الله به عين الإسلام،
وأنجز به دين الأيام؛ وأطلعه بدرًا في سماء الحسب، وجلا بأنواره ظلام التوب؛
وأنتاح من منبع النبوة وأرتوى، وأستولى على خصائص الفضل الجلي وأحتوى،

وأعد الله لسعد الأئمة ذا مرة شديدة القوى ، وأدنى الاستحقاق من الغايات حتى تأهب لأن يكون بالوادي المقدس طوي ، وأصحت كافة المؤمنين مؤمنين على مكارمه ، وأمسّت كافة الخافين خافين من سيل أنفُسهم على صَوَارمه ؛ وأراؤه أعلى أن يُضاهيها [رأى] وإن جلَّ خطره ، وأعطيته أرقى أن يُدانيها عطاءً وإن حسن في الأحوال أثره ، وإنما يُنسج بملكه منها ما راق بعين اختياره وإشاره ، وسعد بالانتظام في سلك جوده الذي يرضه أبداً لا ينتاره ، وتضمنت هذه الرقعة الرغبة في كذا وكذا ، وذكر الديوان كذا .

خرج أمر أمير المؤمنين إلى قتاه وناصره ، ووزيره ومُظَاهيره ؛ السيد الأجل الذي انتصر الله به لأمر المؤمنين من أعدائه ، وحتم بحسامه ما أعطل من عارض الخطب ودائه ، ونطق بفضله ألسن حُصَّاده فضلاً عن ألسنة أودائه ، وبخيت الملوك بأنفسها أن تكون فداءً له إذا حوزها المجد في فِدائه ؛ الذي ذخره الله لأمر المؤمنين من آدم ذخيرته ، وجمع له في طاعته بين إيقاظ البصيرة وإخلاص السريره ، وفُضِّلَت أيامه على أيام أوليائه بما حلَّاه من جميل الأخدوت وحسن السيرة ؛ وسهل عليه التقوى في المنافع والعكوف على المصالح ، وأجنى من أفعاله ورياحه ثمرات النّصائح ، وفاز بما حاز من ذخائر العمل الصالح بالمتجر الرّايح ؛ وألمه من حراسة قانون الملك ما قضى بحفظ نظامه ، ولم ينصرف له عزم إلا إلى ما صُير إليه رضا ربّه ورضا إمامه .

ونفذت أوامره بأن يُوعز إلى ديوان الإنشاء بكتب هذا السّجل إلى الديوان الفلاني بإقطاعه الناحية وما معها منسوباً إليها وداخلاً فيها لاستقبال [سنة] كذا ، منحةً سائمه ، لا يعترضها التكدير ، ونعمةً سائمه ، لا ينقضها التّغيير ؛ وجاء موصول

الأسباب، وعطاءً بغير منٍّ ولا حساب ؛ يتحكَّم فيه على قضايا الاختيار ، وتنفَّذ فيه أوامره الميمونة الإيراد والإصدار .

ومنها - أن يفتح السَّجَل بلفظ : « إنَّ أمير المؤمنين » ويذكر من وصفه ما سَنَح له ، ثم يذكر حكم الإقطاع ، وكيفية خروجه .

وهذه نسخة سجِّل من ذلك كُتِب به لبعض وزرائهم ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهي :

إنَّ أمير المؤمنين لمَّا أطلق الله يدَّه من أميالٍ تبدُّو على الأحوال شواهد آثارها ، وترويض الآمال صحائفها بسائب مِدرارها ، وتنتزه مواعدها عن إنظارها ، ومواردها عن أن يُوقَى بأنظارها ، ويقوم بناصيرها فيكون أقوى أعوانها على الشكر وأنصارها ؛ وألمسه من مواصلة المنن التي لا تنقطع روائتها ولا تنتهي مراتبها ، وموالة المنج التي تُهَبُّ على جَناب الخير شمائلها وجنائبها ، وتنتفي في مسارج المدائح غرائبها ودرغائبها ؛ وحبيبه إليه من آتهاز فُرص المكارم في الأكارم ، وأبتداء المعروف وأبتداء مقامه التي لا تقبها مقام - يُولي آلاءه من - يجزي عن حسنتها عشرًا ، ويعقل عقائلها عند من يسوق إليها من استحقاقها مهرا ، ويقابل بالإحسان إحسان أجَل أوليائه قدرا ، ويضعف الامتنان عند من لم يضعف في مؤازرته أزرًا ، ويودع ودائع جوده في المغارس الجيدة بالزكاء والثناء ، ويُرزق أصول معروفة لمن يفخر بالانضواء إلى موالايته والائتماء ، ويستكرم مستقر منه وآلائه ، ويؤمن إلى الإحسان ثم ينتهج بموالايته لديه وإيلائه .

ولما كان السيد الأجل أمير الجيوش آية نصر أمير المؤمنين التي آنبرت فما تُبارى ، ونعمة الله التي أشرقت أنوارها وأورت فما تنوارى ؛ وسيف حقه الذي

لَا تَكِلْ مَقَاطِعَهُ ، وَبِحَرْجُوهِ الذِّى لَا تُكَدِّرُ مَشَارِعُهُ ؛ وَالمُسْتَقْلَّ مِنَ الدَّفَاعِ عَنْ حَوْزَتِهِ بِمَا تَعَجَزَتْ عَنْهُ الْأُمَمُ ، وَالْعَلَى عَلَى مِقْدَارِ الْإِقْدَارِ إِذَا تَعَاوَيْتَ قِيمَ الْهِمَمِ ، وَالكَاشِفَ الْجُلَى عَنْ دَوْلَتِهِ وَقَدْ عَظُمَتْ مَظَالِمُ الظُّلْمِ ، وَالجَامِعَ عَلَى الْمُمَارَاةِ وَالْمُوَارَاةِ قَلْبَ الْمُؤَالَفِ وَالْمُخَالَفِ وَلِسَانَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ؛ وَالمَتَّبِئَى مِنَ الْمُلْكِ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالمَتَّوْقَلَ مِنَ الْفَخْرِ مَحَلًّا لَا يَطْمَعُ النَّجْمُ فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَالمُغِيرَ عَلَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ بِقَبْلِيَّةِ الْبَكْرِ ، وَالمُنْضَدَّ بِمَتَدَعِ الْعَزَمَاتِ مَا لَوْلَا وَقُوعُهُ لَمَّا وَقَعَ [فِي] الْفِكَرِ ، وَالقَاضِىَ لِلَّذِينَ بَحَدَّ سُبُوفَهُ مَطْلُوعَ حَقِّهِ وَمَمْطُوعَ دَيْنِهِ ، وَالقَائِمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَقَامًا قَامَ بِهِ أَبُوهُ فِي نُصْرَةِ جَدِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا يَوْمَ بَدْرِهِ وَيَوْمَ حُنَيْنِهِ .

وَلَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ آيَاتِ نَصَارَةِ نَظَرِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَاخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَأَزَيَّنَتْ ، وَابْتَدَتْ أَيْدِيهِ الْخَلْقَ فَتَظَاهَرَتْ أَدْلَتُهَا عَلَى دَوْلَتِهِ وَتَيَّنَتْ ؛ وَاسْتَلَامَتِ الْمَمْلَكَةُ مِنْ تَدْيِيرِهِ بِجُنَّةِ تَقَامَاهَا الْإِقْدَارُ وَهِيَ سِهَامٌ ، وَوَقَّعَتْ مِنْ عَنَانِهِ إِلَى هَجْرِ الْخُطُوبِ بِمَا يُعِيدُ نَارَهَا وَهِيَ بَرْدٌ وَسَلَامٌ ؛ وَمَا ضَرَّهَا مَعَ تَيَقُّظِ جَفْنِهِ أَنْ يَهْجَعَ فِي جَفْنِهِ طَرْفُ الْحُسَامِ ، وَلَا أَحْتَاجَتْ وَقْلَهُ يُسَاوِرُ جَسِيمَ أُمُورِهَا أَنْ تَتَّعَبَ فِي وَأَدِّهَا الْأَجْسَامِ ؛ فَأَيُّ خَيْرٍ يُؤَلَى - وَإِنْ عَظُمَ - يَنَاهِضُ أَسْتَحْقَاقَهُ ؟ وَأَيُّ غَايَةٍ وَإِنْ جَلَّتْ تَرْوُمُ نَيْلِ مَدَى مَسْعَاهِ وَلِحَاقِهِ ؟ ؛ وَأَيُّ لَأَعْرَاضِ الدُّنْيَا أَنْ تُهْدَى لِحَوْرِهِ عَرَضًا ، وَلَا تَبْلُغُ مَبَالِغُ النِّعَمِ الْجَلَالِ أَنْ تَمُدَّ الْيَوْمَ مِنْ مَسَاعِيهِ عَوْضًا ؟ ؛ وَهَلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعْمَالٌ فِي مُجَازَاتِهِ عَنْ قِيَامِهِ بِغَمْدِ رَأْيِهِ وَبِجَرْدِ عَضْبِهِ ، وَدِفَاعِهِ عَنْ حَوْزَةِ عُدَّتِهِ وَدَبِّهِ ، وَكَرِّهِ فِي مَوَاقِفِ كَرِّهِ ، وَكِفَايَتِهِ لِلْأُمَّةِ فِي سِلْمِهِ وَحَرْبِهِ ، وَلِإِلَاتِهِ الَّتِي خَصَّ الْأَرْضَ مِنْهَا فَضْلُ خِصْبِهِ ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ قَلْبُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَنْ يَرْفَعَ الْحُجُبَ عِنْدَ كُلِّ سُؤَالٍ كَمَا يَرْفَعُ اللَّهُ عِنْدَ دَعَائِهِ مُسْتَلْبِلَ مُجِبِهِ ؟ .

وَعُرِضَتْ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَطَالَعَةً مِنْهُ عَنْ خَيْرِ بِاسْمِهِ الْكَرِيمِ مَقْصُورٍ عَلَى
الرَّغْبَةِ فِي خُرُوجِ الْأَمْرِ بِتَمْلِكِ جِهَتِهِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهَا عِدَّةُ أَثَرٍ، مُسْتَخْرِجًا بِهَا الْخَطَّ
الشَّرِيفَ بِإِمضاءِ التَّمْلِكِ وَإِجَازَتِهِ، وَقَسَمَ الْمَلِكُ وَحِيازَتِهِ .

فَتَلَقَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الرِّغْبَةَ بِإِفْرَازِ جَرَى فِيهِ مِنَ الْأَوَامِرِ عَلَى أَفْضَلِ سَنَنِ ،
وَقَبَّالَهَا مِنْهُ بِقَبُولِ حَسَنِ ، وَتَهَلَّلَتْ عَلَيْهِ لِسْؤَالِهِ مَصَابِيحُ الطَّلَاقَةِ وَالْبَشَرِ ، وَفَضَلَتْ^(١)
مَوَاقِعُ تَوْقِيعِهِ مَا لَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ مَاءِ الْمُنَنِ فِي الْبَلَدِ الْقَفَرِ . وَتَمَلَّهَ خَطُّهُ الشَّرِيفُ بِمَا
نُسَخَتْهُ : نَرَجُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ أَنْ يُوعَزَ إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ بِكُتُبِ هَذَا السَّجَلِ بِتَمْلِكِ
الْجِهَةِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهَا بِجَمْعِ حُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا ، وَظَاهِرِهَا وَبَاطِنِهَا ، وَأَعَالِيهَا وَأَسَافِلِهَا ،
وَكُلِّ حَقٍّ لَهَا ، دَاخِلٍ فِيهَا وَخَارِجٍ عَنْهَا ، وَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ بِهَا وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهَا ، تَمْلِكًا
مُخَلَّدًا ، وَإِنَّمَا مَوْبَدًا ، وَحَقًّا مُؤَكَّدًا ، يَجْرِي عَلَى الْأَصْلِ وَالْفَرَعِ ، وَيُحْكَمُ أَحْكَامَ
الْكَرَمِ وَالشَّرْعِ ، مَاضِيًّا لَا تُتَعَقَّبُ حُدُودُهُ بِفَسْخٍ ، جَائِزًا لَا تُتَجَاوَزُ عَقُودُهُ بِنَسْخٍ ،
مَوْصُولَةٌ أَسْبَابُهُ فَلَا تُنْطَرَقُ أَسْبَابُ التَّنْفِيرِ إِلَيْهَا ، مَوْرُوثًا حَتَّى يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ
وَمَنْ عَلَيْهَا .

فَلْيَعْتَمِدْ كَافَّةُ وِلَاةِ الدَّوَاوِينِ ، وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُتَصَرِّفِينَ ، حَمْلَ الْأَمْرِ عَلَى مُوجِبِهِ ،
وَالْحَذَرَ مِنْ تَعْدِيهِ وَتَعَقُّبِهِ ، وَأَمْتَتَالِ مَارِسَمِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَدِّهِ ، وَالْوَقُوفَ عِنْدَ أَمْرِهِ
الَّذِي عَدِمَ مِنْ مَالٍ فَرَدَّهُ ، وَلَيَقَرَّ فِي يَدِ الدِّيْوَانِ مُجْمَعَةً لِمُودَعِهِ بَعْدَ نَسْخِهِ فِي الدَّوَاوِينِ
بِالْحَضْرَةِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(بما كان يكتب في الإقطاعات في الزمن المتقدم ما كان يكتب
عن ملوك الشرق القائمين على خلفاء بني العباس)

وطريقتهم فيه أن يكتب في الابتداء : « هذا كتاب » ونحو ذلك ، كما كان يكتب عن خلفاء بني العباس في ذلك ، ثم يذكر عرض أمره على الخليفة ، واستكشاف خبر ما تقع عليه المقاطعة من الدواوين ، ومواقفة قولهم بما ذكره في رفقته ، ويدكر أن أمير المؤمنين وذلك السلطان أمضياً أمر تلك المقاطعة وقرراه . ثم ربما وقع تسويغ ما وجب لبيت المال لصاحب المقاطعة زيادة عليها ليكون في المعنى أنه بأمرها .

وهذه نسخة مقاطعة بضيعة كُتب بها عن صمصام الدولة بن ركن الدولة بن بويه ، وهي :

هذا كتاب من صمصام الدولة ، وشمس الملة ، أبي كاليجار ، بن عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ، بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين ، لمحمد بن عبد الله ابن شهرام .

إنك ذكرت حال ضياعك المعروفة برسدولا والبديرة من طسوج نهر الملك ، والخطائر والحصة بنهر قلا من طسوج قظر بل ، وما لحقها : من اختلال الحال وتقصان الارتفاع ، وأندواب المشارب ، واستنجام المزارع ، وطمع المجاورين ، وضعف الأكرّة والمزارعين ، وظلم العمال والمتصرفين ، لتطاول غيبتك عنها ، وأقطاعاتك بالأسفار المتصلة عن استيفاء حقوقها ، وإقامة عماراتها ، والإنفاق على

(١) كذا بالأصل ، ولا معنى لها ولعلها : « واندثار المشارب » .

مصلحتها، والإِتِّصاف من المجاورين لها والمُعَامِلِينَ فيها، ووصفَت ما تحتاج إلى تكلفه من الجملة الوافرة: لِإِحْتِقَارِ أَنْهَارِهَا، وإِحْيَاءِ مَوَاتِهَا، وَأَحْتِمَالِ مُتَعَطِّلِهَا، وإعادة رُسُومِهَا، وإِطْلَاقِ الْبُذُورِ فِيهَا، وَابْتِنَاعِ الْعَوَامِلِ لَهَا، وَاخْتِلَافِ الْأَنْكَرَةِ إِلَيْهَا .

وسألت أَنْ تُقَاطَعَ عَنْ حَقِّ بَيْتِ الْمَالِ فِيهَا وَجَمِيعِ تَوَابِعِهِ، وَسَائِرِ لُزُومِهِ، عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ، مَعُونَةً لَكَ عَلَى عِمَارَتِهَا، وَتَمَكِّنًا مِنْ إِعَادَتِهَا إِلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهَا، وَتَوْسِيعَةً عَلَيْكَ فِي الْمَعِيشَةِ مِنْهَا .

فأنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله، وأَقْضَيْنَا بِحَضْرَتِهِ فِيمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ الْخِلَافَةِ الْحَمِيدَةِ، وَالطَّرَاقِ الرَّشِيدَةِ، وَمَا لَكَ مِنْ الْخِدْمَاتِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ، الْمَوْجِبَةِ لِأَنْ تُلْحَقَ بِنَظَرَايِكَ مِنَ الْخِدْمِ الْمُخْتَصِّينَ، وَالْحَوَاشِيِ الْمُسْتَخْلَصِينَ، بِإِجَابَتِكَ إِلَى مَا سَأَلْتَ، وَإِسْعَافِكَ بِمَا أَلْتَمَسْتَ . ففُرج الأمر - لازال عالياً - بالرجوع في ذلك إلى كُتُبِ الدَّوَاوِينِ، وَعُمَالِ هَذِهِ النَّوَاحِي، وَتَعَرُّفِ مَا عِنْدَهُمْ فِيهِ مِمَّا يُوَدُّ بِالصَّلَاحِ، وَيُدْعَوُ إِلَى الْإِحْتِيَاطِ . فُرِجَ إِلَيْهِمْ فِيمَا ذَكَرْتَهُ وَحَكَيْتَهُ، فَصَدَّقُوكَ فِي جَمِيعِهِ، وَشَهِدُوا لَكَ بِصِحَّتِهِ، وَتَرَدَّدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ خِطَابٌ فِي الْإِرْتِفَاعِ الْوَافِرِ الْقَدِيمِ، وَمَا تُوجِبُهُ الْعِبَرُ لِمَتَدَةِ سِنِينَ؛ إِلَى أَنْ أَسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنْ تَوْقَعْتَ عَلَى هَذِهِ الضِّيَاعِ الْمَسْمُومَةِ فِي هَذَا الْكَتَابِ خَمْسَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَرِقًا مَرَسَلًا بِغَيْرِ كَسَرٍ، وَلَا كِفَايَةٍ، وَلَا حَقٍّ نَزَنَ، وَلَا جَهْدَةً وَلَا مُحَاسَبَةً، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُؤَنِّ كُلِّهَا .

ثم أنهينا ذلك إلى أمير المؤمنين الطائع لله، فأمر - زاد الله أمره علواً - بِإِمضاء ذلك، عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَالُ، وَهُوَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ مُؤَدَّى فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُفْتَحُ فِيهِ الْمُقَاطَعَاتُ: وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ الْحَزَمِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، عَلَى أَسْتِقْبَالِ السَّنَةِ الْجَارِيَةِ، سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِينَ الْخَرَاجِيَّةَ، عَنْ الْخَرَاجِ فِي الْغَلَّاتِ الشَّتَوِيَّةِ

والصيفية، والمحدثه والمبكرة الجارية على المساحة، والحاصل من الغلات الجارية على المقاسمة والجوالى، والمرأى، والأزحاء، وسائر أبواب المال، وجوه الحبايات، وتقسيط المصالح، والحماية، مع ما يلزم ذلك من التوابع كلها : قليلها وكثيرها، والرسوم الثابتة فى الدواوين بأسرها، وعن كل ما أحدث ويحدث بعدها على زيادة الارتفاع وتقصانه، وتصرف جميع حالاته : مقاطعة مقررة مؤبده، مضمادة مخلده، على مرور الليالى والأيام، وتعاقب السنين والأعوام. لك ولولئك، وعقبك من بعدك، ومن عسى أن تتقل هذه الضياع إليه بميراث، أو بيع، أو هبة، أو تملك، أو مناقلة، أو وقف، أو إجارة، أو مبادرة، أو مزارعة أو غير ذلك من جميع الوجوه التى تتقل الأملاك عليها، وتجرى بين الناس المعاملات فيها، لا يفسخ ذلك ولا يغير، ولا ينقض ولا يبدل، ولا يزال عن سبيله، ولا يحال عن جهته، ولا يعترض عليك ولا على أحد من الناس فيه ولا فى شيء منه، ولا يتأول عليك ولا على غيرك فيه، بزيادة عمارة، ولا زكاء ربيع، ولا غلؤ سعر، ولا إصلاح شرب، ولا اعتيال نحراب، ولا إحياء موات، ولا بغير ذلك من سائر أسباب وفور الارتفاع ودور الاستغلال.

وحظر مولانا أمير المؤمنين الطائى لله، وحظرنا بحظه على كُتاب الدواوين : أصولها وأزمته، وعمل النواحي، والمشرفين عليها، وجميع المتصرفين على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، الاعتراض عليك فى هذه المقاطعة، أو إيقاع بمن أو مساحة على ما كان منها جارياً على الخراج، أو تقرير أو حري، أو قسمة على ما كان منها جارياً على المقاسمة، أو أن تدخلها يد مع يدك لناظر أو حاظر أو مستظهر أو معتبر أو متصفح، إذ كان ما يظهر منها من الفضل على مرور السنين مسوغاً لك، لأطالَب به، ولا بمرقي عنه، ولا على ما ظهر عليه وعلى شيء منه، ولا يمتس منك تجديد كُتاب،

ولا إحضار حجة، ولا توقيع به ولا منشور بعد هذا الكتاب : إذ قد صار ذلك لك وفي يدك بهذه المقاطعة، وصار ما يحب من الفضل بين ما توجب المسامحة والمقاسمات وسائر وجوه الجبايات، وبين مال هذه المقاطعة المحدودة المذكورة في هذا الكتاب خارجاً عما عليه العمال، ويرفعه منهم المؤتمنون، ويوافق عليه المتضمنون ؛ على مرور الأيام والشهور، وتعاقب السنين والدهور؛ فلا تقبل في ذلك نصيحة ناصح، ولا توفير موفر، ولا سعاية ساج، ولا قنف قاذف، ولا طعن طاعين .

ولا يلزم عن إمضاء هذه المقاطعة مشونة، ولا كلفة، ولا مضاعة، ولا مصالحة، ولا ضريبة، ولا تقسيط، ولا عمل بريد، ولا مصلحة من المصالح السلطانية، ولا حق حماية، ولا خفارة، ولا غير ذلك من جميع الأسباب التي يتطرق بها عليك، ولا [على من] بعدك، لزيادة على ما لها المحصور المذكور في هذا الكتاب، ولا حق خزن ولا جهنمة، ولا محاسبة ولا مشونة ولا زيادة . ومتى استخرج منك شيء أو من أحد من أنسابك، أو ممن عسى أن تنتقل إليه هذه المقاطعة بشيء زائد عليها على سبيل الظلم والتأول والتعنّت لم يكن ذلك فاسخاً لصدقها، ولا مزيلاً لأمرها، ولا قادحاً في صحتها، وكان لك أن تطالب برّد المأخوذ زائداً على ما لها، وكان على من ينظر في الأمور إنصافك في ذلك وردّه عليك، وكانت المقاطعة المذكورة ممضاة على تصرف الأحوال كلها .

ثم إنّا رأينا بعد ما أمضاه مولانا أمير المؤمنين، وأمضيناه لك من ذلك وتمايمه وإحكامه ووجوبه وثبوته، أن سوغناك هذه الخمسة آلاف درهم المؤداة من هذه المقاطعة على استقبال سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة الخراجية، تسوية مؤبداً، ماضياً على مر السنين : ليكون في ذلك بعض العوض عن باقي أملاكك وضياحك التي

فُضِّتْ عَنْكَ ، وَبَعْضُ الْمَعُونَةِ فِيمَا أَنْتَ مَتَّصِفٌ عَلَيْهِ مِنْ خِدْمَتِنَا ، وَمَتَرَدِّدٌ فِيهِ مِنْ مَهْمَاتِ أُمُورِنَا ، وَأَوْجِبْنَا لَكَ فِي هَذَا التَّسْوِيعِ جَمِيعَ الشُّرُوطِ الَّتِي تُشْتَرَطُ فِي مِثْلِهِ ؛ مِمَّا ثَبَتَ فِي هَذَا الْكِتَابِ وَمِمَّا لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ ؛ لِيُنْجِمْ عَنْكَ نَتِيجَ الْمُتَّبَعِينَ ، وَتَعْقِبَ الْمُتَعَقِّبِينَ ، وَتَأْوُلَ الْمُتَأَوِّلِينَ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ .

وَأَمْرُنَا - مَتَى وَقَعَ عَلَى مَالِ هَذَا التَّسْوِيعِ (وَهُوَ خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ) أَنْتَجَاعٌ ، بِحَدِّثِ يَحْدُثُ عَلَيْكَ ، أَوْ بَعْوِضِ تَعَوُّضٍ عَنْهُ ، أَوْ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُوجِبُ أَنْتَجَاعَهُ - أَنْ يَكُونَ أَصْلُ الْمُقَاطَعَةِ مَمْنُوعًا لَكَ ، وَرِثْمُهَا بَاقِيًا عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ تَنْتَقِلُ هَذِهِ الضِّيَاعُ إِلَيْهِ بَعْدَكَ ، عَلَى مَا خَرَجَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، مِنْ غَيْرِ تَقْيُضٍ وَلَا تَأْوِيلٍ فِيهِ ، وَلَا تَغْيِيرٍ لِرِسْمٍ مِنْ رِسْمِهِ ، وَلَا تَجَاوُزٍ لِحَدِّ مِنْ حُدُودِهِ ، عَلَى كُلِّ وَجْهِ وَسَبَبٍ .

فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ مَنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِ لِلَّهِ وَأَمْرِهِ ، وَمَنْ أَمْتَنَّا وَإِمَضَانَا ، وَلْيَعْمَلْ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ : مِنْ طَبَقَاتِ الْكُتَّابِ ، وَالْعَمَالِ ، وَالْمُشْرِفِينَ ، وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِ الْخِرَاجِ وَالْحِمَايَةِ وَالْمَصَالِحِ ، وَغَيْرِهِمْ . وَلْيَحْذَرُوا مِنْ مَخَالَفَتِهِ ، وَلْيَمْنُضُوا بِأَمْرِهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَهْرَامٍ وَمَنْ بَعْدَهُ جَمِيعَهُ ، وَلْيَحْمِلُوهُ عَلَى مَا يُوجِبُهُ . وَلْيَقَرَّ هَذَا الْكِتَابُ فِي يَدِهِ وَأَيْدِيهِمْ بَعْدَ حِجَّةٍ لَهُ وَلَهُمْ ، وَلْيُنْسخَ فِي جَمِيعِ الدَّوَاوِينِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطريقة الثانية

(مما كان يُكْتَب في الإقطاعات في الزمن المتقدم - ما كان يُكْتَب
عن الملوك الأيوبيين بالديار المصرية)

وكانوا يُسمّون ما يُكتب فيها توافيق ، ولم فيه أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يُفتح التوقيع المكتوب بالإقطاع بخطبة مفتحة بـ «الحمد لله»)

وكان من عادة خطّهم أن يؤتى فيها بعد التّحميد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يؤتى ببغدية ، ثم يذكر ماسح من حال السلطان ، ثم يوصف صاحب الإقطاع بما تقتضيه حاله من صفات المدح ، ويُرتب على ذلك استحفاؤه للإقطاع . وقد كان من عادتهم أنهم يأتون بوصية على ذلك في آخره .

وهذه نسخة توقيع على هذا الأسلوب ، كُتِب به عن السلطان صلاح الدين «يوسف بن أيوب» رحمه الله ، لأخيه العادل «أبي بكر» بإقطاع بالديار المصرية ، وبلاد الشام ، وبلاد الجزيرة ، وديار بكر ، في سنة ثمانين وخمسمائة ، بعد الانفصال من حرب الكفار بكمًا وعقد الهدنة معهم ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أيامنا حسنا ، وأعلى لنا يداً ولسانا ؛ وأطابّ مجتدنا أوراقا وأغصانا ، ورفع مجتدنا لواءً وجلدنا برهانا ؛ وحقّق فينا قوله : ﴿ سَنَشُدُّ وَضُدَّكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَاُ سُلْطَانًا ﴾ .

نحمده على سُبُوغ نعمته ، ونسأله أن يجعلنا من الداخلين في رحمته .

ثم نُصلى على رسوله محمد الذي أيّده بحجّته ، وَصَمَمَه من الناس ببعْضته ، وأخرج به كلّ قلب من ظلمته ؛ وعلى آله وأصحابه الذين خَلَقُوهُ فأحسنوا الخِلافة في أمته .

أما بعد ، فإن فروع الشجرة يأوى بعضها إلى بعض لمكان قُربهِ ، ويؤثر بعضها
بعضاً من فضل شربهِ ؛ ونحن أهل بيت عُرف منا وفاق القلوب وذا ، وإثارة
الأيدي رِفداً ؛ وذلك وإن كان من الحسنات التي يكثر فيها إثبات الأعلام ، فإنه من
مصالح الملوك التي دلت عليها تجارب الأيام ؛ وكلا هذين الأمرين مشكورةٌ مَدَاهِبُهُ ،
محمودةٌ عَوَاقِبُهُ ، مرفوعةٌ على رؤوس الأشهاد مَنَاقِبُهُ ؛ وما من أحد من أَدَانِيَنَا
إلا وقد وسمناه بوارق يختال في ملابسها ، ويُسرِّي كل حين بزفاف عرائسها ،
ولم ترَضَ في بل أرحامهم بمواصلة سلامها دون مواصلة برِّها وإدناء مجالسها ؛
ولإخوتنا من ذلك أوفر الأقسام ، كما أنَّ لهم منا رجماً هو أقرب الأرحام ؛ وقد أمرنا
بتجديد العارفة لأخينا الملك العادل ، الأجل ، السيد ، الكبير ، سيف الدين ،
ناصر الإسلام « أبي بكر » أبقاه الله . ولو لم فعل ذلك قضاءً لحق إخوانه الذي ترِفُّ
عليه حوائِ الأضالع ، لفعلاه جزاءً لذائع خِدمته التي هي نِعم الذرائع ؛ فهو في لزوم
آداب الخدمة بعيدٌ وقف منها على قَمَمِ الاجتهاد ، وفي لُحمة شوايك النسب قريبٌ
وصل حُرمة نَسَبِهِ بِحُرمة الوداد ؛ وعنده من الفناء ما يحكم لآماله بَسْطَةَ الخييار ،
ويرفع مكائنه عن مكانة الأشباه والأنظار ، ويجعله شريكاً في الملك والشريك
مساوٍ في النقص والإمرار ؛ فكم من موقف وقفه في خِدمتنا بفعل وعمر سهلاً ،
وفاز فيه بارضائنا وبفضيلة التقدم فاقلب بالمجدين إرضاءً وفضلاً ؛ ويمكن من
ذلك ما أبلاه في لقاء العدو الكافر الذي استشرى في هِجَايِهِ ، وتمادى في لجَايِهِ ،
ونزل على ساحل البحر فاطل عليه بمنل أمواجه ، وقال : لا أبرح ، دون استفتاح ،
الأمر الذي عسرت معالجة رِجَايِهِ ؛ وتلك وقائعُ استصنائنا فيها برأيه الذي ينوب
متاب الكين في مضمرة ، وسيفه الذي ينسب من الأسم إلى أبيضه ومن اللون إلى
أخضره ؛ ولقد استغنيناهما بنصرة لقيه الذي تولت يدُ الله طبع فضله ، وعينت يدُ

السَّيَادَةِ بِرَوْتَقٍ صَفْلَةٍ ؛ فَهُوَ يَقْرِى قُلُوبَ الْأَعْدَاءِ قَبْلَ الْأَجْسَادِ ، وَيَسْرِى إِلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ حَامِلٍ لِمَنَاطِ النَّجَادِ ، وَيَسْتَقْصِي فِي أَسْبِلَابِهِمْ حَتَّى يَنْتَرِعَ مِنْ عُيُونِهِمْ لَذَّةَ الرَّقَادِ ؛ وَلَيْسَ لِلْحَلِيدِ جَوْهَرٌ مَعْدِنِهِ الْمُسْتَخْرَجُ مِنْ زَكَاةِ الْحَسَبِ ، وَإِذَا اسْتُنْجِدَ قِيلَ لَهُ : يَاذَا الْمَعَالِي ! كَمَا يُقَالُ لِسَمِيَّةٍ : يَاذَا الشُّطْبُ ؛ وَلَوْ أَخَذْنَا فِي شَرْحِ مَنَاقِبِهِ لَفُظَّ الْقَلَمُ وَاقْفَا عَلَى أَعْوَادِ مِثْرِهِ ، وَأَمْتَدَّ شَاؤُ الْقَوْلِ فِيهِ فَلَمْ يَنْتَهِ مَوْرِدُهُ إِلَى مَصْدَرِهِ ؛ فَهَمَّا خَوْلَانَاهُ مِنَ الْعَطَايَا فَإِنَّهُ يَسِيرُ فِي جَنْبِ غَنَائِهِ ، وَمَهْمَا أَتَيْنَا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ سَطَرٌ فِي كِتَابِ شَانِهِ .

وقد جعلنا له من البلاد ما هو مقتسم من الديار المصرية والشامية ، وبلاد الجزيرة وديار بكر : ليكون له من كلِّ منها حظٌّ يُقْبِضُ يَدُهُ فِي أُمُوالِهِ ، وَيَرْكَبُ فِي حَشِيدٍ مِنْ رِجَالِهِ ؛ وَيُصْبِحُ وَهُوَ فِي كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ مُلْكِنَا كَالطَّلِيعَةِ فِي تَقَلُّمِ مَكَانِيهَا ، وَكَالْزَيْتَةِ فِي إِسْهَارِ أَجْفَانِهَا .

فَلْيَسَلِّمْ ذَلِكَ بِيَدِ مَعْظَمِ قَدَرَاءِ ، وَلَا يَسْتَكْثِرْ كَثْرَاءِ ، وَيَجْعَلْ مِنْهَا رِفْدًا غِيثًا أَوْ بَحْرًا ؛ وَكَذَلِكَ فَلْيُعْدِلْ فِي الرِّعْيَةِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَهُ وَدَائِعُ ، وَلْيَجَاوِزْهُمْ دَرَجَةَ الْعَسَلِ إِلَى إِحْسَانِ الصَّنَائِعِ ؛ فَإِذَا أَسْنَدَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَى وَلَاتِهِ فَلْيَكُونُوا ثِقَاةً لَا يَبْغِدُ الْهَوَى عَلَيْهِمْ سَيْلًا ، وَلَا يَبْغِدُ الشَّيْطَانُ عَنْهُمْ مَقِيلًا ، وَإِذَا حُمِّلُوا ثِقَلًا لَا يَمْدُدُونَ حِمْلَهُ ثِقِيلًا .

وقد فَشَا فِي هَذَا الزَّمَنِ أَخْذُ الرِّشْوَةِ وَهِيَ تُنَحْتُ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنَيْدُهُ ، وَنَهْيُ عَنْ أَخْذِهِ ؛ وَعَنِ الرِّغْبَةِ فِي تَدَاوُلِهِ ، وَهُوَ كَأَخْذِ الرَّبَا الَّذِي قُرِئَتْ اللَّعْنَةُ بِمُؤْكَلِهِ وَأَكْلِهِ .

وَأَمَّا الْقَضَاةُ الَّذِينَ هُمْ لِلشَّرِيعَةِ أَوْثَادُ ، وَلِلْإِمْضَاءِ أَحْكَامُهَا أَجْنَادُ ، وَلِحِفْظِ عُلُومِهَا كَنْوَزُ لَا يَنْتَرْقُ إِلَيْهَا التَّغَادُ ؛ فَيَبْنِي أَنْ يُعْمَلَ فِيهِمْ عَلَى الْوَاحِدِ دُونَ الْآخَرِينَ ، وَأَنْ يُسْتَعَانَ مِنْهُمْ فِي الْفَصْلِ بِيَدِي الْأَيْدِي وَفِي الْيَقَظَةِ بِيَدِي الْيَدَيْنِ ، وَمَنْ رَامَ هَذَا

الْمَنْصِبَ سَائِلًا قَلْبَهُ وَلِيُغْلِظَ الْقَوْلَ فِي تَجْرِيعِ مَلَامِهِ ، وَلِيَعْرِفَ أَنَّهُ مُمْرٍ رَامِ
أَمْرًا فَأَخْطَأَ الطَّرِيقَ فِي اسْتِجْلَابِ مَرَامِهِ ؛ وَأَمْرُ الْحُكَّامِ لَا يَتَوَلَّاهُ مِنْ سَالِهِ ، وَإِنَّمَا
يَتَوَلَّاهُ مَنْ غَفَلَ عَنْهُ وَأَغْفَلَهُ .

وَإِذَا قَضَيْنَا حَقَّ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْوَصَايَا فَلْنَعْتَظِفْهَا عَلَى مَا يَكُونُ لَهَا تَابِعًا ، وَلِقَوَاعِدِ
الْمُلْكَ رَافِعًا ، وَذَاكَ أَنَّ الْبِلَادَ الَّتِي أَضْفَنَاهَا إِلَيْكَ : فِيهَا مَدَنٌ ذَاتُ أَعْمَالٍ وَاسِعَةٍ ،
وَمَعَاوِلُ [ذَاتِ] حَصَانَةٍ مَانَةٍ ؛ وَكُلُّهَا يَفْتَقِرُ إِلَى اسْتِخْدَامِ الْفِكْرِ فِي تَشْيِيرِهِ ، وَتَصْرِيفِ
الزَّمَانِ فِي تَعْمِيرِهِ ؛ فَوَلِّ وَجْهَكَ إِلَيْهَا غَيْرَ وَإِنْ فِي تَكْثِيرِ قَلِيلِهَا ، وَتَرْوِضِ مُجْلِيهَا ؛
وَبَثِّ الْأَمْنَةِ عَلَى أَوْسَاطِهَا ، وَإِهْدَاءِ الْغَيْبَةِ إِلَى أَفْتَدَةِ أَهْلِهَا حَتَّى تَسْمَعَ بِاِغْتِبَاطِهَا ؛
وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَحَدَّثُ كُلُّ مِنْهُمْ بِلِسَانِ الشُّكُورِ ، وَيُمَثِّلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ
وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يُجَاوِزُكَ فِي بَعْضِهَا جِيرَانُ دُوِلَادِهِ وَعَسَاكِرُهُ ، وَأَسِرَةٌ وَمَنَارٍ ، وَأَوَائِلُ
لَلْجِدِّ وَأَوَانِحِرُ ؛ وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يَتَمَسَّكَ مَتْنًا بَوْدٍ سَلِيمٍ ، وَعَهْدٍ قَدِيمٍ ، وَلَهُ مُسَاعَدَةٌ
تَعْرِفُ لَهُ حَقَّهَا (وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ) .

فَكُنْ لِمَوْلَا جَارًا يَوَدُّونَ جَوَارَهُ ، وَيَحْمَدُونَ آثَارَهُ ؛ وَإِنْ سَأَلُوكَ عَهْدًا نَابِذَهُ لَمْ
يَذَلَّ وَفِي وَاقِفٍ عَلَى السَّنَنِ ، مَسَاوِينَ السَّرِّ وَالْعَلَنِ ؛ وَلَا يَكُنْ وَفَاؤُكَ لَخُوفِ تَشَقُّقِ
مَرَايِدِهِ ، وَلَا لِرَجَاءِ تَرْقُبِ فَوَائِدِهِ ؛ فَاللَّهُ قَدْ أَغْنَاكَ أَنْ تَكُونَ إِلَى الْمُعَاهَدَةِ لَاجِيًا ،
وَجَعَلَكَ بَنًا مَخُوفًا وَمَرْجُوًّا لِأَخَانَتِنَا وَلَا رَاجِيًا ؛ وَقَدْ زِدْنَاكَ فَضْلَةً فِي مَحَلِّكَ تَكُونَ بِهَا
عَلَى غَيْرِكَ مُفَضَّلًا ، وَقَدْ كُنْتَ مِنْ قَبْلُهَا أَغْرًا فَافُوقْتَ بَكَ أَغْرًا مَحْجَلًا ؛ وَذَاكَ أَنَا
جَعَلْنَاكَ عَلَى آيَةِ الْخَلِيلِ تَقْوِدُهَا إِلَى خَوْضِ النَّارِ ، وَتُصَرِّفُهَا فِي مَنَازِلِ الْأَسْفَارِ ، وَتَرْتَّبُ
قُلُوبَهَا وَأَجْنِحَتَهَا عَلَى آخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْأَطْوَارِ ، فَتَحْنُ لِأَنْفُلِي عُدُوًّا وَلَا تَنْهَدُ إِلَى

بلدٍ إلا وأنت كوكبنا الذى نهدي بمطلعه، ومفتاحنا الذى نستفتح المغلق يُمنّ موقعه، ونوقن بالنصر فى ذهابه وبالفنيمة فى مَرَجِه ؛ والله يشرح لك صدرا، ويُسرّ لك مَنّا أمرا، ويُسَدُّ أزرنا بك كما شدّ لموسى بأخيه أزرًا، والسلام .

الأسلوب الثانى

(أن يُفَتِّحَ التوقيع بالإقطاع بلفظ : « أما بعد فإن كذا »)

ويذكرُ مَسَاحَ له من أمر السلطان أو الإقطاع أو صاحبه، ثم يتعرض إلى أمر الإقطاع، وهو دون الأسلوب الذى قبله فى الرتبة .

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا الأسلوب، كَتَبَ بها لأمير قدم على الدولة فاستخدمته، وهى :

أما بعدُ ، فإن لكلَّ وسيلةٍ جزاءً على نِسْبَةِ مكانها ، وهى تتفاوتُ فى أوقات وجوبها ومناقيل ميزانها ؛ ومن أوجبها حقًا وسيلةُ المعجزة التى طوى لها الأملُ من شُقَّتْها ما طوى، وبَعَثَ بها على صِدْقِ النيةِ «ولكلِّ أمرئٍ ما نَوَى» ؛ فالأوطانُ إليها مُودَعه، والخطواتُ مُودَعه، والوجوه من برد الليل وحرّ النهار مُلَمَّعُه ؛ وقد توخاها قومٌ فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظوا فى الدنيا باعْتِلَاءِ النَّارِ، وفى الآخرة بِعُقْبَى الدارِ، وقَدَّمُوا على مَنْ آوى ونَصَرَ فقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ من المُهاجرين والأنصارِ . ثم صارت هذه سنةٌ فيمن هاجر من أقوام إلى أقوام ، واستبدلَ بأنام عن أنام ؛ وكذلك فعلتْ أُنْبا الأُميرُ فلان - وفقك الله - وقد تُلَقِّتْ هجرتك هذه بالكرامه، وزُنْزِرَتْ لها دارُ الإقامه ؛ فإِبتَغَيْتْ بها بُغْيَةً إلا سَهَلَتْ لك بِفَاجْئِها ، أو عَاجَ عليك مَعْجَاجُها، وَحَمِدَ لَدَيْكَ تَأْوِيلُها وإِدْلاجُها ؛ وأصبحتَ .

وقد وجدتَ خَفْضاً غِيبَ السَّرى، وَخِطَّتْ مِنْكَ الْجُفُونُ عَلَى أَمْنِ الْكَرَى، وَتَبَوَّاتِ
كَتَفَ الدَّوْلَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الدُّوَلِ إِذْ صِرْتَ إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْقُرَى، وَنَحْنُ قَدْ
أَذْنَيْنَاكَ مِنَّا إِذْ نَاءَ الْخَلِيطُ وَالْعَشِيرُ، وَرَفَعْنَاكَ إِلَى عِلِّ الْأَخْتِصَاصِ الَّذِي هُوَ الْمَحَلُّ
الْأَثِيرُ، وَأَخَيْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَطَايَانَا كَمَا وَوَحَى بَيْنَ الصُّحَابَةِ النَّبَوِيَّةِ يَوْمَ الْغَدِيرِ.

هَذَا وَلَكَ وَسِيلَةٌ أُخْرَى تُعَدُّ مِنْ حِسَانِ الْمُنَاقِبِ، وَتُوصَفُ بِالصِّفَاتِ الْأَطْيَابِ؛
وَمَا يُقَالُ إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الْأَطْلُودِ الرَّوَاسِ، وَأَنَّهُ تَبَرَّزَ فِي اللَّبَاسِ الْأَحْمَرِ وَغَيْرِهَا لَا يَبْرُزُ
فِي ذَلِكَ اللَّبَاسِ؛ وَهِيَ الَّتِي تَجْعَلُكَ بَوَحْدَتِهَا فِي كَثَرِهِ، وَتُنَازِمُ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ؛
وطلبا أَطَالَتْ يَدُكَ بِمَنَاطِ الْبَيْضِ الْحِدَادِ، وَفَرَّجَتْ لَكَ ضَيْقَ الْكَرِّ وَقَدْ عَصَّ
بِهَوَادِي الْحِيَادِ، وَحَسَنَتْكَ الْعُيُونُ وَقَدْ رُمِيتْ مِنْكَ بِشَرِّ الْقَدَا وَنَبَوَةِ الشُّهَادِ؛
وَمِنْ شَرَفِ الْإِفْدَامِ أَنَّ الْعَدُوَّ يُحِبُّ الْعَدُوَّ مِنْ أَجْلِهِ، وَيَضْطَرُّهُ إِلَى أَنْ يَقَرَّ بِفَضْلِهِ؛
وَمَذْ وَصَلَتْ إِلَيْنَا وَصْلَانَاكَ بِأَمْرَانَا الَّذِينَ سَلَقَتْ أَيَّامُهُمْ، وَثَبَّتَتْ فِي مَقَامَاتِ الْغَنَاءِ
أَفْدَانُهُمْ؛ وَتَوَسَّعْنَا أَنَّكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَزُكُّ لَدَيْكَ الصَّنِيعُ، وَأَنَّكَ سَتَشْفَعُهُ بِحَقِّهِ
خِدْمَتِكَ الَّتِي هِيَ نِعْمُ الشَّفِيعِ.

وَقَدْ عَجَّلْنَا لَكَ مِنَ الْإِفْطَاعِ مَا لَا نَرْضَى أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ شَاكِراً، وَجَعَلْنَاهُ لَكَ أَوَّلًا
وَأِنْ كَانَ لِنَفْسِكَ آخِرًا؛ وَهُوَ مُثَبَّتٌ فِي هَذَا التَّوْقِيعِ بِقَلَمِ الدِّيَوَانِ الَّذِي أُقِيمَ لِقَرَضِ
الْجُنْدِ كِتَابًا، وَلِمَعْرِفَةِ أَرْزَاقِهِمْ حِسَابًا، وَهُوَ كَذَا وَكَذَا.

فَتَنَاوَلْ هَذَا التَّخْوِيلَ الَّذِي حُوِّلَتْهُ بِالْيَمِينِ، وَأَسْمِسْكَ بِهِ أَسْمِسَاكَ الصُّبْحَيْنِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَ الْحَوَاسِدُ لِمَا مَدَدْنَاهُ مِنْ صُنْعِكَ، وَبَسْطْنَاهُ مِنْ دَرَكِكَ؛
فَأَشْجَحْ حُلُوقَهُمْ بِالسَّعْيِ لِاسْتِحْقَاقِ الْمَزِيدِ، وَأَرْقُ فِي دَرَجَاتِ الصُّعُودِ وَأَرْزُهُمْ صَفْحَةً
الصَّعِيدِ.

والذى نأمرك به أن [تعدّ] نفسك للخدمة التى جعلت لها قرنا وأنت بها أغنى، وأن تنهى فيها إلى الأمد الأقصى دُونَ الأدنى؛ فلا تَضُمَّ جناحك إلّا على قوائم من الرجال لا على خَوَاف، وإذا استغفرت فأغفرَ بِقَالٍ من الخيل وخَفَافٍ؛ وكُنْ مدْخُورا لواحدةٍ يقال فيها: يا عَزَائِمُ اغْضَبِي، ويا خَيْلَ النَّصْرِ ارْكَبِي؛ وتلك هى التى تَنْظُمُ بها الجاهِلُ من الضَّراب، وتَلَقُّ فيها عَصَبُ الغِرْبَانِ والذُّباب؛ ولا تحتاجُ مع هذه إلى مَنَقِبَةٍ تجعلُ بتغويها، وتكثرُ به ريفها، وتنمى إلى تلبيدها باستحداث طريفيها.

والله تعالى يَسُدُّ بك أذرا، ويملأ بك عينا وصدرا، ويعمل الفلج مقرونا برأيك ورايتك حتى يقال: «مَكْرُوا مَكْرًا» وجرّدنا أيضا ومُثْمَرًا؛ والسلامُ إن شاء الله تعالى.

الأسلوب الثالث

(أن يفتح التوقيع المكتتب بالإقطاع بما فيه معنى الشجاعة والقتال
وما فى معنى ذلك ، وهو أدنى من الذى قبله رتبة)

وهذه نسخة توقيع بإقطاع من هذا النمط ، كُتِبَ به لبعض الأمراء الصغار ،
وهى :

القلم والرُخْ قَلَمَانِ كَلَامُهُمَا أَشْمَرُ ، وكما تشابهتا فى المنظر فكذلك تشابهتا فى الخبر ،
غير أن هذا يركب فى عسكر من القول وهذا يحل فى عسكر ؛ وقد نطق أحدهما
بالثناء على أخيه فأحسن فى نطقه ، وأقرله بالفضيلة ومن الإنصاف أن يقر
لدى الحق بحقه ، غير أن هذه الفضيلة تُعزى إلى من يُهيم أود الساعى بتقويم

أودِه، ولا يرى لها سبيلاً قصداً إلا بالوطء على قصده، وهو أنت أيها الأمير فلان
أيذلك الله ! .

وقد اخترناك لخدمتنا على بصيره، وأجريناك من أعتائنا على أكرم وتيره، ورفعنا
دَرَجَتَكَ فوق درجة المولى لمن سبقك وإنها لكبيرة .

ولم يكن هذا الاختيار إلا بعد اختبار لا يحتاج معه إلى شهادة ، ولو كشف
النطاء لم يجد اليقين من زياده ؛ فطالما تحجّت تبعتك ، ويئمت طلعتك ، ولم تعرض
سيلة الغناء إلا نفقت سلعتك ؛ ومثلك من تباهى الرجال بمكانه ، وتخلّى له فضلة
عنانه ، ويتسع ميدان القول في وصفه إذا ضاق بغيره سعة ميدانه ؛ وما يقال إلا
أنك الرجل الذى تقذف الجانب المهم بزمك ، وترى برأيك قبل رماء سهمك ؛
وبك يحسر دجى الحرب الذى أعوزّه الصباح ، ويحمى عقابها أن يحصّ له جناح ؛
فأسباب الاعتضاد بك إذن كثيرة الأعداد ، وأنت الواحد المشار إليه ولا تكثر
إلا مناقب الآحاد .

وقد بدأناك من العطاء بما يكون يسم الله فى صدر الكتاب ، وجعلناه كالقائمة
التي تأتى أولاً بالفطار ثم تأخذ فى الأتسكاب ؛ وخير العطاء ما ربّ بعد ميلاده ،
وأنيح ثمره بعد جداده ؛ وإن صادف ذلك وسائل خدم مستأنفة كان لها قرانا ،
وصادف الإحسان منه إحسانا ؛ وقد ضمن الله تعالى للشاكر من عباده مزيدا ،
ولم يرض له بأن يكون مُبْدِئاً حتى يكون مُعِيداً ؛ وكذلك ذأبه فيمن عَرَفَ مواقع
نعمه ، وعلم أن صحتها لا تفارقه مالم يُعِدّها بسقيمه .

ونحن أولى من أخذ بهذا الأدب الكريم ، وألزم نفسه أن تتحلّى بحلقه وإنه
للتألق العظيم ؛ وعطاؤنا المنعم به عليك لم يُذكر فى هذا التوقيع على حكم الأمتنان ،

بل إثباتاً لحساب الجُند الذين هم أعوانُ الدولة ولا بد من إحصاء الأعوان ؛ وهو كذا وكذا .

فأمْدُدْ له يدًا تجمع من الشُّكْرُ موَاطِبَه ، ومن الطَّاعَةِ مُرَاقِبَه ؛ وَكُنْ في التَّأَهُّبِ
لِلخِدْمَةِ كَالسَّهْمِ المَوْضُوعِ في وَرَثَه ، وَأَصْحِ بِسَمْعِكَ وَبَصِيرِكَ إِلَى مَا تُؤَمِّرُ بِهِ فَلَا آتِمَارَ
لِمَنْ لَمْ يُصَيِّحْ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ .

وَمِلَاكُ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ تَتَكَثَّرَ مِنْ قُرْصَانِ النِّوَارِ ، وَحِمَاةِ الدِّمَارِ ، وَالَّذِينَ هُمْ زِينَةُ سِلْمٍ
وَمُقَرَّرُ حِدَارٍ ؛ وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يَضُمُّهُمْ جَيْشٌ إِلَّا تَقَلَّعَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ ، وَدَارَتْ
مِنْهُ الْحَرْبُ عَلَى قُطْبِهَا وَلَا تَكُورُ رَحَى إِلَّا عَلَى قُطْبٍ ؛ وَإِذَا سَارُوا خَلْفَ رَأْيِكَ
تُسِرَّتْ ذَوَائِبُهَا عَلَى غَايَةِ مِنَ الْآسَادِ ، وَخَفَقَتْ عَلَى بَحْرِ مِنَ الْحَدِيدِ يَسِيرُهُ طُودٌ
مِنَ الْجِيَادِ .

وَمِنْ أَمْرِ الوَصَايَا إِلَيْكَ أَنْ تُضَيِّفَ إِلَى غَنَائِهِمْ غِنَى يُرْزَمُ فِي زَهْرَةٍ مِنَ اللَّبَاسِ ،
وَيُعِينُهُمْ عَلَى إِعْدَادِ الْقُوَّةِ لِيَوْمِ الْبَاسِ ، وَيُقَصِّرَ لَدَيْهِمْ شُقَّةَ الْأَسْفَارِ الَّتِي تَنْهَبُ بِتَرَقَاتِ
النِّشَاسِ ، وَيَنْقَطِعُ دُونَ قَطْعِهَا طَوْلُ الْأَنْفَاسِ ؛ وَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي عَسْكَرٍ يَأْخُذُ بَعْدَ الْمَسْرِى
فِي حَوْرِهِ ، وَلَا يَزِيدُ صَبْرَهُ بَزَادَةَ سَفَرِهِ ، وَيَكُونُ حَافِزُهُ وَخُفَّهُ سَوَاءً فِي أَنْتَسَابِ كُلِّ
مِنْهُمَا إِلَى شِدَّةِ حَجَرِهِ .

فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ نَظَرَ مَنْ طَالَ عَلَى تَحْبِيهِ بِالْكَفِّ الْأَوْسَعِ ، وَعَلِمَ مَا يَضُرُّ
فِيهِمْ وَمَا يَنْفَعُ ؛ وَاللَّهُ يَمْنَحُكَ مِنْ لَدُنْهِ تَوْفِيقًا ، وَيَسَّلكُ بِكَ إِلَى الْحَسَنِ طَرِيقًا ،
وَيَجْعَلَكَ خَلِيقًا بِمَا يُصْلِحُكَ وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ بِصَلَاحِهِ خَلِيقًا ، وَالسَّلَامُ .

الطرف الثاني

(ما يُكْتَبُ في الإقطاعات في زماننا)

وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما يُكْتَبُ قبل أن يُنْقَلَ إلى ديوان الإنشاء)

وفيه جملتان :

الجملة الأولى — في ابتداء ما يُكْتَبُ في ذلك من ديوان الجيش .

إِعلم أَنَّ مِطْنَةَ الإقطاعات هو ديوانُ الجيش دُونَ ديوان الإنشاء، وما يُكْتَبُ فيه من ديوان الإنشاء هو فرع ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش .
ثم أول ما يُكْتَبُ من ديوان الجيش في أمر الإقطاع إما مِشَالٌ ، وإما قِصَّةٌ ،
(١)
وإما نزول .

فأما المِشَالُ ، فإنه يُكْتَبُ ناظرُ الجيش في نِصْفِ قَائِمَةٍ شامِيٍّ ، بعد تركِ الثلثين من أعلاها بياضا ، في الجدول الأيمن من القائمة ماصوره :

« حَبْرُ فلان المتوفى إلى رحمة الله تعالى » أو « المرسوم أرتجاعه » أو « المستقل لغيره » ونحو ذلك . ويكون « حَبْرُ » سطرا ، وباقي الكلام تحته سطرا . وتحت ذلك ماصوره :
« عبرة كذا وكذا دينارا » بالقلم القبطي . وفي الجدول الأيسر ماصوره :

« بأسم فلان الفلاني » وإن كان زيادة عَيْنٍ ، ثم يسمِّله الخط الشريف السلطاني بما مثاله : « يُكْتَبُ » ثم يُكْتَبُ تحته ناظرُ الجيش ما مثاله : « يُمَثِّلُ المرسوم »

(١) أى إلهاد بزول كما يؤخذ من التفصيل الآتي .

الشریف» وُعيِّنَ على مَنْ يَخْتَارُهُ مِنْ كُتَّابِ الْجَيْشِ، ثُمَّ يُرَكَّبُ بَعْدَ ذَلِكَ بِدِيَوَانِ
النَّظَرِ، وَيُكْتَبُ تَارِيخُهُ بِحُطٍّ كَاتِبِ نَاطِرِ الْجَيْشِ بِذَيْلِ الْمِثَالِ، وَيُخَلِّدُهُ الْكَاتِبُ
الْمُعَيَّنُ عَلَيْهِ، وَيَكْتُبُ بِذَلِكَ مَرَّةً، عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ .

وَأَمَّا الْقِصَصُ فَتَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْحَالِ : فَتَارَةً يُنْهَى فِيهَا وَقْفَةً مَنْ كَانَ يَسِدُهُ
الْإِقْطَاعَ، وَتَارَةً أُنْتَقَلَهُ عَنْهُ، وَتَارَةً ارْتِجَاعُهُ، وَتَارَةً طُلِبُ إِعَادَةِ مَا خَرَجَ عَنْهُ، وَتَارَةً
طُلِبُ تَجْدِيدِهِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

وَيَكْتُبُ نَاطِرُ الْجَيْشِ عَلَى حَاشِيَتِهَا بِالْكَشْفِ . وَيُكْتَبُ الْكَشْفُ بِذَيْلِ ظَاهِرِهَا
مِنْ دِيَوَانِ الْجَيْشِ بِمَا مِثَالُهُ :

« رَافِعُهَا فَلَانِ أَنْهَى مَا هُوَ كَذَا وَكَذَا، وَسَأَلَ كَذَا وَكَذَا » وَيَذْكُرُ حَالَ
الْإِقْطَاعِ . ثُمَّ يَسْمَلُهَا الْخَطُّ الشَّرِيفُ السَّاطِنِي بِمَا مِثَالُهُ : « يَكْتُبُ » وَبَاقِي الْأَمْرِ
عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ الْمِثَالِ .

وَأَمَّا الْإِشْهَادَاتُ فَتَكُونُ تَارَةً بِالزُّوْلِ، وَتَارَةً بِالْمَقَايِصَةِ؛ وَرَبَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ بِالشَّرَكَةِ،
ثُمَّ يَكْتُبُ نَاطِرُ الْجَيْشِ عَلَى ظَاهِرِ الْإِشْهَادِ بِالْكَشْفِ، وَيُعْمَلُ فِيهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ
فِي الْقِصَّةِ .

الجملة الثانية — فِي صُورَةِ مَا يَكْتُبُ فِي الْمَرْبَعَةِ الْجَيْشِيَّةِ .

قَدْ جَرَتْ عَادَةُ دِيَوَانِ الْجَيْشِ أَنَّهُ إِذَا عَيَّنَ نَاطِرُ الْجَيْشِ الْمِثَالَ أَوِ الْقِصَّةَ أَوِ الْإِشْهَادَ
عَلَى أَحَدٍ مِنْ كُتَّابِ دِيَوَانِ الْجَيْشِ، يَخَلِّدُهُ الْكَاتِبُ ذَلِكَ عَنْدهُ، ثُمَّ تُكْتَبُ بِهِ مَرَّةً
مِنْ دِيَوَانِ الْجَيْشِ وَتُكْمَلُ بِالْخَطِّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، وَتُجَهَّزُ إِلَى دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ، فَيُعَيِّنُهَا
كَاتِبُ السَّرِّ عَلَى مَنْ يَكْتُبُ بِهَا مَشُورًا عَلَى مَا سَيَأْتِي .

وصورة المربعة أن يكتُبَ في ورقة مربعة، يجعلُ أعلى الورقة الأولى منها بياضا، ويكتُبُ في ذيلها معترضا: أخذنا من جهة أسفل المربعة إلى أعلاها أسطرا قصيرة على قدر عرض ثلاثة أصابع ما صورته :

«مثال شريف — شرفه الله تعالى وعظمه — بما رُسم به الآن : من الإقطاع باسم من عين فيه من الأمراء أو من الممالك السلطانية بالديار المصرية ، أو بالملكة الفلانية ، أو من الحلقة المصرية أو الشامية، أو نحو ذلك «على ما شرح فيه حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

وتحت ذلك كله ما صورته :

(١) يحتاج الشريف أعلاه الله تعالى» .

ثم يكتُبُ داخل تلك الورقة بعد إخلاء هامش عرض إصبعين البسملة ، وتحتها في سطر ملاصق لها : «المرسومُ بالأمر الشريف العالي ، المولوي ، السلطاني» ثم ينزل إلى قدر ثلثي الصفحة ، ويكتب في السطر الثاني بعد البياض الذي تركه على مُسامنة السطر الأول : «الملكي الفلاني الفلاني» بقلب السلطنة : كالتاثيري ، ولقب السلطان الخاص كالزبيدي «أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأقذه وصرّفه ، أن يُقطع من يذكّر : من رجال الحلقة بالديار المصرية أو بالملكة الشامية أو نحو ذلك ، ما رُسم له به الآن في الإقطاع ، حسب الأمر الشريف شرفه الله تعالى وعظمه» .

ثم يكتُبُ في الصفحة الثانية مقابل البسملة : «فلان الدين فلان الفلاني ، المرسوم إثباته في مجلة رجال الحلقة المنصورة بالديار المصرية أو الشامية ، بمقتضى المثال

(١) بياض في الأمل ولعله «إلى الخط الشريف» .

الشَّريف أو المَرْبُعة الشَّريفة المشمولة بالخط الشَّريف . ثم يكتب تحت السَّطر الأخير في الوسط ماصورته : « في السنة كربستا » إن كان جميع البلد أو البلاد المقطعة لا يُستثنى منها شيء ، أو يكتب : « خارجاً عن الملك والوقف » أو نحو ذلك « على ما يقتضيه الحق » .

ثم يكتب تحت ذلك على حِمال السُّطور ممتداً من أول السَّطر إلى آخره :
« خبر » .

ثم يكتب تحته : « فلان بن فلان الفلاني ، بحكم وفاته ، أو بحكم نزوله برضاه » ونحو ذلك على عادته - ناحية كذا . ناحية كذا . ناحية كذا .

وإن كان فيه نقد ونحوه ذكره ، ويستوفى ذلك إلى آخر : « بعد الخط الشَّريف - شرفه الله تعالى - إن شاء الله تعالى » .

ثم يُوزَّع في سَطْرَيْن قصيرين ويُحَضَّر إلى صاحب ديوان الإنشاء ، فيعيَّنه على مَنْ يَكْتَبُه من كُتَّاب الإنشاء ، على ما سيأتي بيانه .

الضرب الثاني

(فيما يكتب في الإقطاعات من ديوان الإنشاء ، وفيه خمس جمل)

الجملة الأولى

(في ذكر أسم ما يكتب في الإقطاعات من ديوان الإنشاء)

قد اصطلح كُتّاب الزمان على تسمية جميع ما يكتب في الإقطاعات : من عاليها ودانيتها ، للأمرء والجنّد والعربان والترُكّان وغيرهم - مناشير - جمع منشور . والمنشور في أصل اللغة خلاف المطوي . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴾ .

وأعلم أن تخصّيص ما يكتب في الإقطاعات باسم المناشير مما حدث الاصطلاح عليه في الدولة التُركية .

أما في الزمن المتقدم فقد كانوا يطلقون أسم المناشير على ما هو أعم من ذلك : مما لا يحتاج إلى ختم : كالكتوب بالإقطاع على ما تقدّم ، والكتوب بالولاية ، والكتوب بالحماية ، وما يجرى بجرى ذلك . وربما سُمي ما يكتب في الإقطاع مُقاطعةً ، وربما سُمي بِحِيلةٍ وغير ذلك .

أما الآن فإذا أُطلقت المناشير لا يفهم منها إلا ما يكتب في الاقطاعات خاصّة ، وخصّصوا كلّ واحد مما عداها باسمه ، على ما هو مذکور في مواضعه دون ما عداها ، ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى .

قلت : ومن خاصّة المناشير أنها لا تُكتب إلا عن السلطان مشمولّة بِخطّه ، وليس لغيره الآن فيها تصرّف ، إلا ما يكتب فيه النائب الكافل ابتداءً .

الجملة الثانية .

(في بيان أصناف المناشير، وما يُخَصُّ كُلُّ صِنْفٍ منها : من مقادير قَطْعِ الورق،

وما يَخْتَصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ منها من طَبَقَاتِ الأُمراء والْخُند)

إِعلم أَنَّ المناشيرَ المصطَلَحَ عليها في زماننا على أربعة أصناف : يَخْتَصُّ بِكُلِّ صِنْفٍ منها مقدارٌ من مقادير قَطْعِ الورق .

الصِّنْفُ الأوَّلُ — ما يَكُتَبُ في قَطْعِ الثُّلُثين وهو لأعلى المراتب من الأُمراء .

قال في ”التعريف“ : ومن كان مُؤَهَّلًا لَأَن يَكُتَبَ له تَقْلِيدٌ كان مَنشورُهُ من نومه ومن دُونِ ذَلِكَ إلى أَدْنَى الرُّتَبِ .

قال في ”التعريف“ : وفي قَطْعِ الثُّلُثين يُكُتَبُ لمُسَدِّمِي الأُلوف بالديارِ المِصرِية ، سواء كان من أولاد السلطان أو الخاصِكيَّة أو غيرهم ، وكذلك جَمِيعُ التُّوَابِ الأَكابر بالممالك الإسلامية ، والمَقَدِّمُونَ بِدِمَشقَ . وكلُّ من له تَقْلِيدٌ في قَطْعِ الثُّلُثين يكون مَنشورُهُ في قَطْعِ الثُّلُثين .

الصِّنْفُ الثاني — ما يُكُتَبُ في قَطْعِ النِّصْفِ .

قال في ”التعريف“ : وفيه يُكُتَبُ لأُمراءِ الطَّبِيعَاتِ بِمِصر والشام ، سواء في ذلك الخاصِكيَّة وغيرهم . وكذلك الأُمراء المَقَدِّمُونَ من تُوَابِ القِلَاعِ الشامية . وفي معانهم المَقَدِّمُونَ بِحَلَبَ وغيرها : من تُوَابِ القِلَاعِ وغيرهم .

الصِّنْفُ الثالث — ما يُكُتَبُ في قَطْعِ الثُلثِ .

قال في ”التعريف“ : وفيه يُكُتَبُ لأُمراءِ العِشْرَاتِ مطلقًا بِسائرِ الممالك ، يعني مِصرَ والممالك الشامية بجملة . قال : وكذلك الطَّبِيعَاتُ من التُّرْكان والأكراد بالممالك الإسلامية .

الصنف الرابع — ما يكتب في قِطْعِ العادة المنصوري .

قال في "التحيف" : وفيه يُكْتَبُ للمالك السلطانية، ومقدّمِي الحلقة، ورجال الحلقة . إلا أنه يَخْتَلِفُ الحَالُ بين الممالك السلطانية، ومقدّمِي الحلقة، وبين رجال الحلقة بزيادة أوصال الطُّزّة، والإتيان بالدُّعاء المناسب : يعني أنه يُتْرَكُ في طُزّة مناشير الممالك السلطانية ثلاثة أوصال بياضاً، وفي مناشير رجال الحلقة وصلان . قلتُ : ولا فرق في ذلك بين حلقة مصر وغيرها من الممالك الشامية .

الجملة الثالثة

(في بيان صورة ما يكتب في المناشير في الطُّزّة والمُتَن)

قال في "التحيف" : إن كان المنشور في قطع الثلثين، كُتِبَ في طرته من يمين الورق بغير هامش ما صورته :

« منشورٌ شريفٌ بأن يجرى في إقطاعات المقرّ الكريم » أو « الجنب الكريم العالي الأميري الكبير » وإن كان نائباً زيد بعدها : « الكافلي الفلاني » يعني بلقبه الخاص « فلان الفلاني » بَلَقَبَ الإِضافة إلى لَقَبِ السلطان : كالناصرى ونحوه . ثم الدعاء بما جرت به عادته دَعْوَةً واحدة « ما رُسِمَ له به الآن من الإقطاع » ويشرح ما تضمنته المربعة إلى آخره، فمن ذلك جميعه سطران بقلم الثلث .

قال : والأحسن أن يكون آخر السطر الثاني الدعاء والتسمة بالقلم الرِّقاع أسطراً قصاراً بهامش من الجانبين، ثم يكتب في الوسط سطرًا واحدًا بالقلم الغليظ : « والعدة » وتحت بالقلم الدقيق « خاصته، ومائة طواشي أو تسعون طواشيًا أو ثمانون طواشيًا أو سبعون طواشيًا » حسب ما يكون في المربعة . ويترك ثلاثة أوصال بياضاً بما فيه من وصل الطُّزّة؛ ثم تُكْتَبُ البسملة في أوّل الوصل الرابع، وبعدها

خطبة مفتحة بالحمد، ويكمل بما يناسبه، ثم يقال: «أما بعد» ويذكر ما ينبغي ذكره على نحو ما تقدم في التقاليد.

قال في «التعريف»: إلا أن المناشير أخصر، ولا وصايا فيها.

قال في «التتيف»: ثم يذكر بعد ذلك اسمه بأن يقول: «ولما كان الجنب» وبقية الألقاب والنعوت والدعاء - ولا يزداد على دعوة واحدة - هو المراد بهذه المدح، والمختص بهذه المنح - أو نحو ذلك - «أقتضى حسن الرأي الشريف أن نحوله بمزيد النعم».

وإن كان المنشور في قطع النصف كُتِبَ على ما تقدم، إلا أنه لا يقال: «أن يجرى في إقطاعات». بل إن كان مقدما بحلب أو غيرها أو طبخاها خاصيكا، أو كان من أولاد السلطان، كُتِبَ: «أن يجرى في إقطاع المجلس العالي أو السامي». وإن كان طبخاها ممن عدا هؤلاء، كُتِبَ «منشور شريف بما رُسم به من الإقطاع للمجلس السامي» والتمة على حكم ما تقدم من غير فرق.

وأما ما يكتب في قطع الثلث فيكتب: «منشور شريف بما رُسم به من الإقطاع لمجلس الأمير».

وأما التجديدات فيكتب في طرتها: «منشور شريف رُسم بتجديده بأسم فلان بن فلان الفلاني، بما هو مستقر بيده من الإقطاع الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت» ويشرح حسب ما تضمنته المربعة، ثم يقال: «على ما شُرح فيه».

وأما الزيادات والتعويضات، فقال في «التعريف»: إذا رُسم للأمير بزيادة أو تعويض: فإن كان من ذوى الألواف: كالنواب الأكابر، ومقدمي الألواف بمصر والشام، كُتِبَ له في قطع الثلث الطرة على العادة، وبعد البسملة: «نخرج الأمر

الشریف العالی، المولوی، السلطانی، المَلِکی، الفلانی، الفلانی، ویُدْعَى له بما یناسبُ الحالَّ «أن یُجرى فی إقطاعات المقرِّ الفلانیّ أو الجَنابِ الفلانی». وفی التَّیمَّة نظیرُ ما تقدّم فی المناشیر المفتحة بالخطبة، علی ما تقدّم بیانه .

والذی ذکره فی «التعریف» : أنه یُکَتَّب فی ذلك لمقدّمی الاُتوف أو من قاربهم : «أما بعد حمد الله» .

وإن کان من أمراء الطلخاناه الصفار قن دوتهم حتّی جُند الحلقة، کتب له فی قطع العادة : «خرج الأُمُر الشریف» .

قال فی «التثقیف» : وكذلك الزیادات والتعویض، سواءً فی ذلك کبرهم وصغیرهم . قال : ویمکن أن یمیزَ أميرآل فضل فیکتَب له ذلك فی قطع الثلث . قال فی «التعریف» : أما إذا انتقل الأميرُ من إقطاع إلى غیره، فإنه یُکَتَّب له كأنه مبتدأً علی ما تقدّم أولاً .

وأعلم أنه لم تُجرِ العادة بأن تُکَتَّب فی أعلى الطرة إشارةً إلى العلامَة السلطانیة، كما یُکَتَّب فی الولايات الاسمُ الشریف فی أعلى الطُرة . قال فی «التثقیف» : والسببُ فیهِ أنَّ العلامَة لانخرُج عن أحدِ ثلاثةِ أمور : إما الاسمُ الشریف مفرداً، كما فی الأمثلة السلطانیة إلى من جرّت العادة أن تكونَ العلامَة له الاسمُ الشریف، وما یتعلّق بالتقالید والتواقیع والمراسیم الشریفَة، وأوراقِ الطریق . أو یضافُ إلى الاسمِ الشریف والدّه، أو أخوه، وذلك ممّا یتعلّق بالأمثلة الشریفَة خاصةً إلى من جرّت عادتهُ بأن تكونَ العلامَة إلیه كذلك . وذلك بخلاف المناشیر فإنَّ العلامَة فیها علی ما جرّت به العوائد، أن یُکَتَّب السلطانُ : «اللهُ أَمَلِی» أو «اللهُ وَلِیّی» أو «اللهُ حَسْبِی» أو «الملکُ لله» أو «المنّة لله وحده» لا یُختلَفُ فی ذلك علی

(١) لعله «وذلك مما یتعلّق» الخ .

ولا أدنى، فلا يُحتاج إلى إشارة بسببها يُنبه عليها، لأن ترك الإشارة إليها دليلٌ عليها، وإشارةٌ إليها، كما ذكر النعانة علامات الاسم والفعل ولم يذكروا الحرف علامةً، فصار ترك العلامة إليها علامةً، بخلاف الأمثلة : فإنها تختلف : فتكون العلامة فيها تارة الاسم، وتارة أخود، وتارة والده .

الجملة الرابعة

(في الطغرى^(١) التي تكون بين الطرة المكتبة في أعلى المنشور وبين البسملة)

قال في "التعريف" : قد جرت العادة أن تكتب للناسير الجكار كقذبي الألوف والطلخانات طُغرى بالألقاب السلطانية، ولها رجل مفرد بعملها وتعملها بالديوان . فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطغراوات واحدةً، وألصقها فيما كتب به . قال في "التعريف" : وتكون فوق وصل بياض فوق البسملة . قال في "التتيف" : فبعد وصلين أو ثلاثة من الطرة .

قلت : ولم تر هذه الطغرى مستعملة في المناسير إلى آخر الدولة الأشرفية «شعبان بن حسين» ثم تركت بعد ذلك ورُفض استعمالها وأهميتها . ولا يخفى أنه يرد عليها السؤال الوارد على الطغرى المكتبة في أول المكاتب إلى سائر ملوك الكفر من تقديم اسم السلطان على البسملة، على ما تقدم بيانه في موضعه .

وقد هدم الاحتجاج لذلك بقوله تعالى في قصة يلقينس : ﴿ إِنِّي أَنبِئُكَ بِكَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . وأنه يحتمل أن يكون قوله :

(١) نص في الساج على أن الطغرى بضم الطاء، وسكون الميم وقح الراء مقصورة كلمة أجمية استعملها العرب .

(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ) حكاية عن قول يَفْقِيسَ ، ويكونُ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هو أوَّلُ الْكِتَابِ ، فلا يكون في ذلك حجة على تقدم الإسم على البسملة . وأنه إنما يتجبه الاحتجاج بذلك على القول بأن قوله : (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمٍ) من كلام سُلَيْمَانَ عليه السلام . وأنه إنما قَدَّمَ اسْمَهُ على البسملة وقايةً لاسم الله تعالى ، من حيث إنه كان عادة ملوك الكُفَرَانِهِمْ إذا لم يَرْضُوا كِتَابًا مَرْقُوهَ أَوْ تَقْلُوهَا فِيهِ ، فجعل اسمه حالاً محل الوقاية . ولا شك أن مثل ذلك لا يبيحُ هنا ، لأن المحذور فيه مفقود ، من حيث إن هذه المناشير إنما تُلْقَى إلى المسلمين القائمين بتعظيم البسملة والمؤيدين لها حقها . وحينئذ فيكون لترك استعمالها وجهٌ ظاهرٌ من جهة الشرع ، بخلاف ما في المكاتبات إلى ملوك الكُفَرَانِهِمْ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الطُّغْرَاوَاتِ تَخْتَلِفُ تَرْكِيبَاتُهَا بِاعْتِبَارِ كَثَرَةِ مَتَصِيبَاتِهَا مِنَ الْحُرُوفِ وَقِلَّتِهَا ، بِاعْتِبَارِ كَثَرَةِ آبَاءِ ذَلِكَ السُّلْطَانِ وَقِلَّتِهِمْ ، وَبِحَاجَةِ وَاضِعِهَا إِلَى مُرَاعَاةِ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ قَلَّةِ مَتَصِيبَاتِ الْكَلَامِ وَكَثَرَتِهَا . فَإِنْ كَانَتْ قَلِيلَةً أُنِيَ بِالْمَتَصِيبَاتِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ بِقَلَمٍ جَلِيلٍ مَبْسُوطٍ ، كَمَخْتَصَرِ الطُّومَارِ وَنَحْوِهِ ، لِنَمْلَأَ عَلَى قَلَّتِهَا فُضَاءَ الْوَرَقِ مِنْ قَطْعِ الثَّلَاثِينَ أَوْ النِّصْفِ . وَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً أُنِيَ بِالْمَتَصِيبَاتِ بِقَلَمٍ أَدَقٍّ مِنْ ذَلِكَ ، بِكَلِيلِ الثَّلَاثِ وَنَحْوِهِ أَكْتِفَاءً بِكَثَرَةِ الْمَتَصِيبَاتِ عَنْ بَسْطِهَا .

ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْحَالُ فِي طُولِ الْمَتَصِيبَاتِ وَقَصَرِهَا بِاعْتِبَارِ قَطْعِ الْوَرَقِ : فَتَكُونُ مَتَصِيبَاتُهَا فِي قَطْعِ النِّصْفِ ثَوْنِ مَتَصِيبَاتِهَا فِي قَطْعِ الثَّلَاثِينَ .

ثُمَّ قَدْ أَصْطَلَحَ وَاضِعُهَا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا لَهَا هَامِشًا أَيْضًا مِنْ كُلِّ مِنَ الْجَانِبَيْنِ بِتَدْرِيسِ عَيْنَيْنِ مَطْبُوقَتَيْنِ ، وَطَرَّةٍ مِنْ أَعْلَى الْوَصْلِ قَدْرَ ثَلَاثَةِ أَصَابِعَ مَطْبُوقَةٍ .

ثم إن كانت في قَطْع النصف جُمُعات متصِّباتُها مع تصوير الحروف بأسفلها
في الطول بقدر ^(١) ذراع، وفي العرض بقدر ^(١) ذراع .

وإن كانت في قطع الثلثين جُعِلَ طولُها مقدار ^(١) ذراع، وعرضها
مقدار ^(١) ذراع . ثم تارة تكون متصِّباتٌ مَحْضَةٌ يَقْتَصِرُ فيها من أسمِ السلطان
على ما هو مذكور من أسميه وأسمِ أبيه، وتارة يجعلُ أسمُ السلطان وأسمُ أبيه بأعلى
المتصِّباتِ في الوَسَطِ بقلمِ الطُّومارِ قاطعاً ومقطوعاً، بحيث يكونُ ما بين أعلى الأسمِ
وآخرِ أعلى المتصِّباتِ قدرُ أربعة أصابعٍ أو خمسة أصابعٍ مطبوقة . ثم إذا انصَقَ
الكَاتِبُ الطُّغْرَى، كَتَبَ بأسفلها في بَقِيَّةِ وَصْلِها في الوَسَطِ، بعد إخلاء قدرِ إبهامٍ
بِياضٍ ماضُورُهُ : « خَلَّدَ اللهُ سُلْطَانَهُ » .

وهذه صورة طُغْرَى منشورٍ بالقباب السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون »
مضمونها .

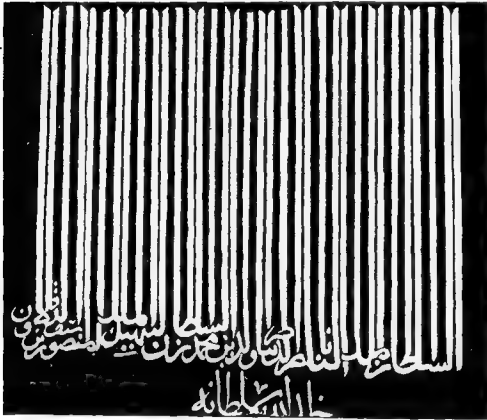
« السلطانُ الملكُ الناصرُ، ناصرُ الدُّنيا والدِّينِ، محمدُ ابنُ السلطانِ الشهيد الملكِ
المنصورِ، سيفُ الدينِ قلاوون » .

وعددُ متصِّباتِها من الألف وما في معناها خمسةٌ وثلاثون متصِّباً بقلمِ النِّصْفِ،
وهو بقدرِ قلمِ الثَلَاثِ الثَّقِيلِ وقدرِ نصفِهِ .

وترتيبُ متصِّباتِها [متصِّبانِ] متقاربانِ بينهما بياضٌ لطيفٌ بقدرِ مرودٍ دقيقٍ؛
ثم متصِّبٌ يحفه بياضان، كلُّ منهما أعرضُ من المتصِّبِ الأسودِ يسيراً . وبعد
ذلك مُتَصِّبانِ متقاربانِ بينهما على ما تقدَّم . وكذلك إلى آخرِ المتصِّباتِ، فَتُخْتَمُ

(١) بياض في الأصل في هذه المواضع .

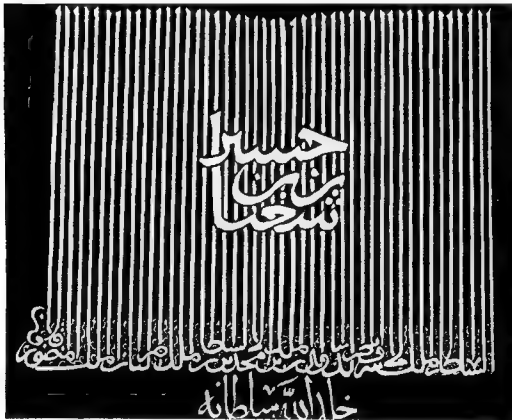
بمئة صين مَرْدُوجِينَ، كما أَفْتَحَتْ بمئة صين مَرْدُوجِينَ، على ما أَقْضَاهُ تحريرُ التَّقْسِيمِ،
وهي في طُولِ نَصْفِ ذِرَاعِ بِذِرَاعِ الْقَائِسِ الْقَاهِرِيِّ مع زيادة نحو نصف قيراط،
وعَرْضِ مِثْلِ ذَلِكَ . وتَحْتَهَا في الْوَسْطِ بِقَلَمِ الثَّلَاثِ الْجَلِيلِ بعدُ عَوْضُ إصْبَعٍ
بِيَاضًا ما صورته : « خَلَّدَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ » وهي هذه :



وهذه نسخة طغرئى منشور أيضاً بالقباب السلطان الملك الأشرف
شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، مضمونها .
« السلطان الملك الأشرف ناصر الدنيا والدين آبن الملك الأجد آبن السلطان
الملك الناصر آبن الملك المنصور قلاوون » .

وعدد متصباتها من الألفات وما في معناها خمسة وأربعون متصباً، بقلم جليل
الثُلث، بين كل مُتصِبَيْنِ قَدْرُ مُتصِبٍ مَرَّتَيْنِ بِيَاضًا ، وطولُها ثلثُ ذراعٍ وربعُ
ذراعٍ بالذراع المقسّم ذكره، وعرضُها كذلك؛ وأسمُ السلطان بأعلىها بقلم الطّومار
بالخبر قاطع ومقطوع كما أشار إليه في التعريف .

مثاله : شعبان بن حسين - الشين والعين والباء والألف سَطْر ، والنون
من شعبان وآبن سَطْرٍ مركب فوق الشين والعين ، وحسين سَطْرٍ مركبٌ فوق ذلك ؛
وطولُ ألف شعبان تقديرُ سُدُسِ ذراعٍ ، وقد قطعت النون الألف وخرجت عنها
بقدر يسير ، وأَوَّلُ الاسم بعد المتصّب السادس عشر من المتصّبات ، وآخرُ النون
من حسين البارزة عن ألف شعبان إلى جهة اليسار بعدها أحدُ عشر متصباً من
جهة اليسار ، وهي هكذا :



الجملة الخامسة

(في ذكر طَرف من نُسخ المناشير التي تُكُتَب في الإقطاعات في زماننا)

قد تقدّم الكلامُ في الجملة الثالثة على صورة ما يُكُتَب في المناشير وما تفتَح [به] وذكر ترتيبها ، واختلاف حالها باختلاف حال مراتب أصحابها صُودًا وهبوطًا ، فأغنى عن ذكر إعادته هنا .

وأعلم أن الأحسن بالمناشير أن تكون مبتكرة الإنشاء ، يُراعى فيها حال المكتوب له في براعة الاستهلال وغيرها من المناسبات والمطابقات . فإن تعدّد ذلك فالأحسن أن تكون براعة الاستهلال منقولة في الاسم والكُنية واللَّقب ونحوها ليكون ذلك أقرب إلى الغرض المطلوب . فإن تعدّد ذلك فينبغي أن تكون براعة الاستهلال قاصرة على معنى الإقطاع وما ينجزُ إليه من ذكر كرم السلطان ومنه وإحسانه إلى أخصّائه ، وما يَغْرِط في هذا السلك .

ثم نُسخ المناشير على ثلاثة أنواع :

النوع الأول

(ما يفتَح : « الحمد لله » ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(مناشيرُ أولاد المُلُوك)

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نُسخة منشورة ، كُتِب به عن الملك المنصور قلاوون لأبنته الناصر محمد في سلطنة أبيه المذكور ، من إنشاء القاضي مُحيي الدين بن عبد الظاهر ، وهي :

الحمد لله الذى زين سماء الملك بأنوار كوكب بزغ، وأعز ملك نبع، وأشرف سلطان بلغ إلى ما بلغ ذؤو الأكتهال من آختبار شرف الخلال وما بلغ .

نحمده حمداً يزيد به النعماء ونسبحه ، ونهمل به الآلاء ونسبحه ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من كل ريب، واقصة كل عيب؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه الله تعالى بمكارم الأخلاق، ومُعَادَاة ذوى الشقاق، وسأوى بين الصغير والكبير من أولى الاستحقاق، فى الإرفاد والإرفاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مارقاً نسيماً وراق، وما خُصِفَتْ أوراق .

وبعد ، فإن الموانيف أين ما تشدو، إذا حَفَّت الرياض بها من كل جانب، والسماء أحسن ما تبدو، إذا تربنت بالكواكب السيارة والشهب الثواقب، والسعادة أحمد ما تمحو، إذا خُصِّصَتْ بمن إليه، وإلا ما تُشَدُّ الركائب، وعليه، وإلا ما تُثْبِتُ الحقائق والحقايب؛ ومن هو اللك فلذة كبد، ونور مقلته وساعد يده؛ ومن تميم السلطنة بملاحظة جبينه الوضى، وتستنير بالأنور المضى، ومن تغضب الدنيا لنفسيه وتزهي إذا رضى؛ ومن نشأ فى روض الملك من خير أصيل زكى، وفاحت أزاهره بأعطر أرج وأطيب نثر ذكى؛ وطلع فى سماء السلطنة نجماً ما لا ينيرن ما له من الإضاءة، ويزيد عليهما بحسن الوضاه؛ ومن تشوف النصر له من مهده، وتشوق الظفر إلى أنه يكون من جنته؛ واستبشرت السلطنة بأن صار لها منه فرع باسق، ويعقد متناسق؛ وزند وإير وجتاح وإرف، ونخار تليد وعمر طارف، وطرفان معلبان تُشرفهما المطارف .

ولهذه المحاسن التى تُشرب إلى قصيدها آمال الخلاق المتحجة - أفضى حسن البر الوصول، وشرف الإقبال والقبول، أن نرج الأمر العالى - لا برحت مرأسه

مترينة زينة السماء بكواكبها، ومزاجية سيمك السماء بمناكبها - أن يُحرى في ديوان
الجناب العالي المروى، الملكى، الناصرى

قلت : كما أن هذا المنشور منشور سلطان فهو في البلاغة لحسن إنشائه سلطان
المناشير .

الضرب الثانى

(من نسخ المناشير المفتحة بالحمد مناشيرُ الأمراءِ مقدّمى الألوفا)

وهذه نسخ مناشير منها .

نُسخة منشور، كُتب به للأمير بدر الدين بيدرا استادار الملك المنصور قلاوون،
من إنشاء القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين تمامًا على الذى أحسن، وإمامًا تقتدى النجوم
منه بالضيء الأبين والنور الأزين، ونظامًا يجمع من شمل الدرى ما يغلو به حماء
الأخى وجنابه الأصون .

نحمده حمد من أعلى صوته وصيته أعلن، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تقنو وتبدو عند الدب وفى القلب مكانها الأمكن، ونشهد أن محمدا عبده
ورسوله ونبيه الذى أوهى الله به بناء الشرك وأوهن . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
ورضى عمن آمن به وعمن آمن .

وبعد، فإن خير التناء ما أتى به على التدريج، وأتى كما يأتى الفيتك بالقطر والقطر
لإنبات كل زوچ بهيج، وأقبل كما تقبل الزيادة بعد الزيادة فينا يقال : هذا خليج

يَكْنَهُ الْبَحْرُ إِذْ يُقَالُ : هَذَا بَحْرٌ يَسْتَمِدُّ مِنْهُ كُلُّ خَلِيجٍ ، وَيُنَا يُقَالُ : هَذَا الْأَمِيرُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا الْمُعِيرُ ، وَيُنَا يُقَالُ : هَذَا الْهَلَالُ ، إِذْ يُقَالُ : هَذَا هُوَ الْبَدْرُ الْمُتِيرُ .

وَلَمَّا كَانَ فَلَانٌ مِنْ هَذِهِ الدَّوْلَةِ بِوَضْعِ الْغُرَّةِ مِنَ الْبَحْسِينَ ، وَمَكَانِ الرَّاحَةِ مِنَ الْيَمِينِ ، وَلَهُ سِوَابُ خِدْمَةِ لَا يَزَاحِمُهُ أَحَدٌ فِي طُرُقِ طُرُوقِهَا ، وَلَا تُسْتَكْتَرَلُهُ زِيَادَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُوجِبَاتِ حَقُوقِهَا ، وَهُوَ مِنَ التَّقْوَى بِالْمَحَلِّ الْأَشْمَى ، عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الطَّرَاقِ ، وَالْمَكَانِ الْأَشْمَى ، الَّذِي مَكَانُهُ مِنْهُ - وَإِنْ كَانَ أَمِيرَ مَجْلِسٍ - صَدْرُ الرُّوَاقِ ؛ وَلَهُ الْكَرَامَاتُ الَّتِي تَرَى الْخُدُودَ لَهَا ضَعْفًا ، وَكَمْ سَقَتْ مِنْ سِيمِ الْعُدَاةِ دَافَةَ الذُّعْرِ ؛ وَكَمْ قَابِلُ نُورِهِ نَارًا فَصَارَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا ، وَكَمْ تَكَلَّمَ عَلَى خَاطِرٍ فَشَاهَدَ النَّاسُ مِنْهُ شَيْئًا مِنْ حَيْثُ الشَّيْبَةِ أَجَلَ اللَّهُ قَدْرَهُ غُلَامًا ؛ فَهُوَ الْمَجَاهِدُ لِلْكُفَّارِ ، وَهُوَ الْمُتَجَبِّدُ فِي الْإِنْفِصَارِ ، وَهُوَ حَاكِمُ الْفُقَرَاءِ وَإِنْ كَانَ سُلْطَانُهُ جَمَلُهُ أَسْتَادُ الْبَارِ ؛ وَهُوَ صَاحِبُ الْعَصَا الَّتِي أَصْبَحَ بِجَهْلِهَا مِزَافَةٌ إِلَى السَّيْفِ يَتَشَرَّفُ ، وَمُعْجِزُهَا لَا يُسْتَكْتَرَلُهُ أَنَّهَا لِكُلِّ حَيَّةٍ تَتَلَفُّ ، وَهُوَ الَّذِي تَجِدُ الْكُشُوفَ وَالسُّيُوفَ قُتُوحَهُ وَقَعَهُ ، وَالَّذِي يَشْكُرِيدهُ عِنَانُ كُلِّ سَائِحٍ وَزِمَامُ كُلِّ سُبْحَةٍ ؛ وَكَمْ أَسَالُ بِيَدَيْهِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعْدَاءِ مَاءً جَرَى ، وَعَمِلَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِلْفُقَرَاءِ مَا جَرَى ، وَكَمْ وَلَّى اللَّهُ خَفِيَ شَخْصَهُ فَاظْهَرَ مَحْضَهُ فَقَالَ الْوَلِيُّ : وَمَا أَدْرَى دَرًا لَوْلَا يَسْدَرَا - أَقْتَضَى حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفُ أَنْ يَحْمَلَ إِحْسَانُ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ لَهُ عَمَلًا ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَهُ عِلًّا وَهَلَا ، وَأَنْ يَخَارَلَ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْعَصَا كَمَا اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا .

وَنَزَحَ الْأَمْرُ الْعَالِي - لَا زَالَ ظِلُّهُ ظَلِيلًا ، بِامْتِدَادِ النَّهْيِ بَعْدَ النَّهْيِ ، وَعِطَاوُهُ جَزِيلًا ، بِتَوِيلِ النَّهْيِ بَعْدَ النَّهْيِ - وَهُوَ ذُو الْكَرَمِ وَالْكَرَامَاتِ ، وَصَاحِبُ الْعَصَا بِالْأَسْتَادَارَةِ وَلَا يُسْتَكْتَرَلُ لَهَا صَاحِبُهَا مَحَرُّ الْحَيَاتِ .



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه سيف الدين، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله، وهي :

الحمد لله الذي جرد في دولتنا القاهرة سيفاً ماضياً ، ووفق من جعل فعله لمزيد النعم متفاضياً ، وأسعد بإقبالنا الشريف من أصبح به سلطاناً مرضياً وعيشه راضياً .

نحمد على نعمه التي تسر موالياً وتسوء معادياً ، وتقدم من أوليائنا من يقوم مقامنا إذا سيع منادياً ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة كم أروث في موارد الوريد من الرماح صادياً ، وأورث هادياً ، ورفع من أعيان الأعلام هادياً ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل القرآن بصفاته حالياً ، وأحلنا ببركة المشاركة في اسمه المحمدي مكاناً عاليًا . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يرح كل لسان لها تالياً ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن صدقاتنا الشريفة لم تزل تُجسد إماماً ، وتزيد إكراماً ، وتضاعف لكل من أضحى ناصرنا بحقيقة ولايته إجلالاً وإعظاماً ؛ ليترقى إلى أعلى الدرج ، ويعلم أنه قد ورد البحر فيحدث عن كرمه ولا حرج ؛ ومن رأى التقرب إلى الله تعالى بمراضينا الشريفة تقرب إليها ؛ وأقبل بقلب مُخلص عليها ؛ وأشبه البؤور في مواقفه توشماً ، وحكى السيف بارق نوره لما أومض في حومة الحرب متقماً ، وأقدم حين لم يجد بداً أن يكون مقدماً ، ووصفت الطعنات التي أطلعت أسيحتها الكواكب بها درية ، والتملات التي تخر العدا لفعلاتها أنها بهادريه ؛ كم له من مجاسين ، وكم عرفت له من مكائمين ؛ وكم له من صفات كالعقود يصنق بها من قال : الرجال معادن ؛

كم له من همة ترقى به إلى المعالي، كم له من عزيمة يروى حديثها المسند عن العوالي؛
كم به أمور تُسَّاط، وكم جمهور يُحاط، كم له من احتفاء واحتفال، وكم له من
قبول وإقبال، وكم له من وثبات وثبات، وكم له من صفات وصفات، وكم له
إماتة كُماة؛ كم له من مناقب تُصيح وتُحيى، وكم له من معارف لها علم بها مِلِكُهُ
- خلد الله ملكه - قال الملك: آتوني به أستخلصه لنفسي .

فلذلك لا تزال آراؤنا العالية تعقد له في كل وقت رايه، وتسعى به إلى أبعد غاية،
وتتبع له عناية بعد عنايه، حتى لا تخلو دولتنا الشريفة من سيف مشهور، وعلم
منشور، وبطل لا يرد عن الصميم تصميما، ولا تمد أكابر الأمراء إلا ويكون على
العساكر مقدما وعلى الجيوش زعيما : ليعلم كل مأمور وأمير، وكل مُسائل ونظير،
أن حسن نظرها الشريف يضاعف لمن تقرب إلينا بالطاعة إحسانا، ويوجب على
من وجد الميسور بهذا المنشور امتنانا : (لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَزَادَادَ الَّذِينَ
آمَنُوا إِيمَانًا) .

ولما كان فلان هو المعنى بهذه المقاصد، والمخصوص بهذه المصاح والمحامد،
والواحد الذي ما قدم على الألف إلا وكالألف ذلك الواحد .

فلذلك نخرج الأمر الشريف - لا زالت أيامه موصولة الخلود، موسومة بمزايا
الجلود - أن يُجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور من ذلك لمن لقبه «شمس الدين» كُتب به في الدولة الناصرية

«محمد بن قلاوون» وهي :

الحمد لله الذى جعل دولتنا القاهرة مَطْلَعَ كُلِّ قُرُونٍ، وجمعَ كُلِّ مأمور وأمر، وموقعَ كُلِّ سحابٍ يظهر به البرقُ فى وجه السحاب المطير؛ الذى شرف بنا الأقدار، وزاد الأقدار، وجعل ممالكنا الشريفة سماء تُشرق فيها الشمس والأقمار .

نحمده على نعمه التى تختال أوليائنا بها فى ملايسها، وتختص بفائسها؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجرد سيف الدين لإقامتها، وتحافظ بوقائمه فى الحرب على إدامتها؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى خصه بمزية التقريب، وشرفه على الأنبياء بالمكان القريب؛ صلى الله عليه وعلى آله الذين عظمهم بقربه، وكرمهم بحبه، وقدمهم فى السلف الصالح إذا جاء كل ملك بأتباعه وكل ملك بصحبه، وسلم .

وبعد، فإن أولى الأولياء أن تسلمه صدقاتنا الشريفة بحسن نظرنا الشريف، وبرفعة قدره المنيف؛ لئيم له إحسانها، ويزيد إمكانها؛ حتى ينتقل هلاله إلى أكل مراتب البدور، ويمتد بحضنه المستظل به كثير من الجمهور؛ ويتقدم فى أماننا الشريفة إلى الغاية التى يرجوها، ويقدم قدمه إلى مكانة أمثاله الى حلوها، ونسجل بنا نعمة الله: ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) - الناصرى بحقيقة ولائه، البهادرى بشجاعة فى لقائه؛ من تكفلت صدقاتنا العظيمة له بما لم يكن فى أماله، وجلت حاميتنا الشريفة عايطه بأبهى ما يتسجه الربيع من حلله، وتوسمنا فيه من معرفة تقرب إلى امراضنا الشريفة بها دريا، وهمية جردنا بهامنه سيفا بها دريا، وطلعية أطلعت منه بالهاء كوكبا دريا مع ما نخول فيه من نعمنا الشريفة، وقام به فى أبوابنا المالية من أحسن القيام فى كل وظيفة .

ولما كان فلان هو الذى أشرنا إليه ، وبها مقل النجوم عليه . فاقصصت آراؤنا الشريفة أن نبغاه أقصى رتب السعادة ، ونجعل له بحظ الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ؛ ليعد في أكابر أمراء دولتنا الشريفة إذا ذكروا ، والمقدمين على جيوشنا المنصورة إذا بادروا إلى مهم شريف أو ابتدروا ؛ ليعلم كل أحد كيف يجازى كل شكور ، وكيف يتحل بنعمنا الشريفة كل سيف مشهور ، وكيف نذكر واحدا منهم فيؤدو في زعماء العساكر المؤيدة وهو مذكور ؛ ليسئلوا في خدمة أبوابنا الشريفة جهدهم ، ويتوكلوا على الله تعالى ثم على صدقاتنا العظيمة التي تحقق قصدهم .

فلذلك خرج الأمر الشريف



وهذه نسخة منشور من ذلك ، كتبت به في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون »
لمن لقبه « بدر الدين » وهى :

الحمد لله الذى زين أفق هذه الدولة القاهرة بسندرها ، وسيره في درج أوجها ونصرها ، وقله في بروج إشراقها ومنازل نفورها .

نحمده على نعمه المنهلة ببرها ، المتهلة بيسرها ؛ المتريدة كلبا زينا في حمدا وشكرا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق بها القلوب في سرها وجهرها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلى الأمم بأسرها .
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تملأ الوجوه بأجرها ، وتضمن لأمتها النجاة يوم حشرها .

وبعد ، فإن أولى من شغمت النعمى بتواليها عليه ومرها ، وخير من استقرت الخيرات عنده في مستقرها ، وأعلى من عمته السنة الأعلام ببدايع نظمها ونفورها ،

وخصصنه بحامد تتأرجح المناشير بفشرها - من كان للدولة القاهرة يشرح صدرها ،
بتيسير أمرها ، ويسد أزرها ، بحمل وزرها ، ويتكفل بأداء فرائض إتمامها
ونفهرها ، ويوصل حمل ما يفتح من الحصون الضيقة إلى مضرها .

ولما كان فلان هو بدر هذه السماء ومينر زهرها ، ونير نجوم هذه المقاصد ومبتدا
نقرها ، وفريدة عقد هذه الفلائد وريمة درها ، وصاحب هذه الألفاظ ومفتاح
سرها - اقتضت الآراء الشريفة أن تُرف إليه عرائس العوارف ، ما بين عوانها
وبكرها ، وترَف عليه نفائس اللطائف ، ما بين شفعها وترها ، وتهادى إليه الهدايا
ما بين صفرها وممرها ، وتتوالى عليه الآلاء ما بين تمرها وزهرها ، وأن تزداد عدته
المباركة في كبتها وقدرها ، وأن تُكَلَّ عشراثة التسع بعشرها ، ليعلم أنه لا يرح
في خلدها وسرها ، وأنها لا تُخلية ساعة من سعيد فكرها .

فلذلك نرج الأمر العالى - لا زالت الأقدار تُخص دولته القاهرة بإطابة ذكرها ،
وإطالة عمرها ، ولا يرح الأملك كفيلا بنصرها ، بعبء يعضها وإعمال شمرها -
أن يجرى



وهذه نسخة منشور من ذلك كُتب به في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون »
لمن لقبه « صلاح الدين » وهى :

الحمد لله الذى أتحف المسالك الشريفة من سعيد تدبيرنا ، بصلاحها ، وصرف
حميد تأثيرنا ، بإنجاب الأولياء وإنجاحها ، وأسعف طرائح أمانيتهم : من أقتربهم من
خواطرن الشريفة فى بدمهم وتدانيتهم باجابة سؤالنا وإصابة أقتراحها .

نحمده على أن جعل نصر دولتنا الشريفة قريبا من نصاحها ، ونشكره على أن
وصل أراجيم بآرباحها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُحسن

الْمَالِ وَالْعَاقِبَةُ لَذَوِي الْإِخْلَاصِ كَمَا أَحْسَنْتَ فِي أَبْتَدَائِهَا وَأَفْتَتِاحِهَا، وَيُؤْذِنُ حَسَنُ
 أَعْتِنَاهَا لِأَحْوَالِ أُولَى الْأَخْتِصَاصِ بِإِصْلَاحِهَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا عَمَّادَ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ
 الَّذِي عَمَّتْ مَوَاهِبُهُ، بَارِقَ سَمَائِهَا وَإِغْدَاقَ سَمَاحِهَا، وَسَمَّتْ مَنَاقِبُهُ، بِإِتِّلَاقِ غُرَرِهَا
 وَإِشْرَاقِ أَوْضَاحِهَا، وَأَمَّتْ مَوَاقِبَهُ، دِيَارَ الْعِدَا فَشَدَّتْ عَلَيْهِمْ شُهُورَ قِرَاعِهَا وَمَنْصُورَ
 كِفَاحِهَا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَصَابَتْ أَكُفَّهُمْ فِي السَّلَامِ بِمُسْعِفَاتِ
 أَفْلَاحِهَا وَصَالَتْ أَيْدِيهِمْ فِي الْحَرْبِ بِمُرْهَفَاتِ رِمَاحِهَا، مَا جَرَتْ الْأَقْدَارُ بِمُنَاحِهَا،
 وَسَرَتْ الْمُبَارُزُ بِمُنَاحِهَا، وَظَهَرَتْ آثَارُ الْإِقْبَالِ التَّمُّ عَلَى مَنْ لَهُ بِمُضْمَنَاتِ أَهْيَامٍ وَأَحْفَالٍ
 فَلَاحَ عَلَى مَقَاصِدِهِ مَعْهُودُ فَلَاحِهَا . وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ لَحَظْنَا الشَّرِيفُ حَيْثُ كَانَ، وَرَجَّحَ فِكْرُنَا الْحَسَنُ
 الْجَمِيلُ فَتَنَعَ الْإِجْمَالَ وَالْإِحْسَانَ، مَنْ لَمْ يَزَلْ شُكْرُهُ أَرْجَا بِكُلِّ مَكَانٍ، وَذِكْرُهُ يَهْجَا
 تَسْرِي بِهِ الرَّاكِبُ وَتَسِيرُ بِهِ الرُّجَانُ، وَصَدْرُهُ الرَّحِيبُ مُسْتَوْدِعُ الْأَسْرَارِ فَلَا تُصَابُ
 إِذْ كَانَتْ فِيهِ تُصَانُ، وَقَدْرُهُ عِنْدَنَا الْمَحْفُوظُ الْمَكَانَةُ، فَإِنَّ بَعْدَ نَهْوٍ قَرِيبٍ دَانَ، وَأَمْرُهُ
 مَنَا الْمَحْفُوظُ بِالْإِعَانَةِ، فَلَا نَزَالَ نُؤْلِيهِ الرَّوْعَى لَهُ الشَّانُ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ



وهذه نسخة منشورة، كُتِبَ به للأبير سعد الدين مسعود بن الخطايري، من إنشاء
 الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء، وهو :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي زَادَتْ سَعُودًا، وَضَاعَفَتْ صُعُودًا، وَكَرَّمَتْ فِي أَيَّامِنَا مَنْ
 لَا حَاجِبَ لَهُ عَنْ أَنْ نَمُنَّحَهُ مِنْ إِيْمَانِنَا مَزِيدًا، وَقَدَّمَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةَ مِنْ
 أَوْلِيَانِنَا مَنْ غَدَا قَدْرُهُ عِنْدَنَا خَطِيرًا وَحَفْظُهُ لَدَيْنَا مَسْعُودًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ أُنْجِزَ لِأَصْفِيائِنَا مِنْ وَفَائِكَ وَوُودَا، وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَحْمَدُ لِمُخْلِصِنَا صُدُورًا وَوُودًا، وَتَقَى مُؤْمِنَهَا بِالْإِشْرَافِ إِذَا جَمَعَ
الْمَوْقِفَ وَوُودًا، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَ بِإِنْجَادِهِ مَطْرُودًا، وَأُرْدَفَ
بِالْمَلَائِكَةِ جُنُودًا، وَأَوْصَلَ بِهِ حُقُوقًا وَأَقَامَ حُدُودًا، وَحَسَّبَ بِبَرَكَاتِهِ وَفَتْكَاتِهِ الْأَسْوَءَ
فَقَدَا الْعَدْلُ مَوْجُودًا، وَأَخْصَى الْحُكْمَ مَقْصُودًا . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ
مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وَعَلَى الْمُشْرِكِينَ شَدِيدًا .

أما بعدُ ، فَنِعْمَتَا إِذَا أَوْلَتْ وَلِيًّا ، مَنَحَهَا وَالَّتْ ، وَإِذَا قَدَّمْتَ صَفِيًّا ، وَهَبْتَهُ
مَزِيدَهَا وَأَنَالَتْ ، وَإِذَا أَقْبَلْتَ بَوَاجِهُ إِقْبَالَهَا عَلَى مُخْلِصٍ تَابَعَتْ إِلَيْهِ الْمَسَرَّاتِ
وَأَنْتَأَلَتْ ، لَا سِيَّيَا مِنْ أَطَابَتِ الْأَلْسِنَةُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَأَطَالَتْ ، وَجِيلَتْ سَجَايَاهُ عَلَى
الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ فَمَا حَاقَتْ وَلَا مَالَتْ ، وَأَوْصَلَتْ رَأْفَتَهُ مِنَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ وَعَلَى الْمُجْرِمِينَ
سَطْوَتُهُ صَالَتْ ، فَيُسَمِّنُ مَقَاصِدِهِ هَانَتْ الْخَطُوبُ وَإِنْ كَانَتْ فَتَكَاتُهُ فِي الْحُرُوبِ كَمْ
هَالَتْ ، وَهَمُّهُ فِي السَّلَامِ قَدْ جَلَّتْ وَيَوْمَ الرُّوْعِ كَمْ جَالَتْ ، وَعِزُّهُ كَمْ غَارَتْ فَأَغَارَتْ
وَالْعَتِيدِينَ كَمْ غَالَتْ ، وَكَمْ سَبَقَ إِلَى خِدْمَتِنَا صَاحِبُ الشَّمْسِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الْبَدْرُ
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَإِنْ هِيَ زَالَتْ .

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي تَقَلَّنَاهُ فِي دَرَجَاتِ التَّقْدِيمِ حَتَّى كَلَّ بَدْرُهُ ، وَوَقَلَّنَاهُ فِي مَرَاتِبِ
التَّكْرِيمِ حَتَّى أَصْبَحَ هُوَ الْمَسْعُودُ حَفْظُهُ الْمَحْمُودُ ذِكْرُهُ ، وَخَوْثُنَاهُ مَوَاهِبَ جُودِنَا
الْعَمِيمَةِ فَاسْتَدَّ بَاعُهُ وَأَسْتَدَّ أَزْرُهُ .

فَلَنُكَلِّمْ نَحْرَ الْأَمْرِ الشَّرِيفُ - لَا يَرْجُحُ إِنْعَامُهُ يَجِلُّ عَنِ الْحَضَرِ ، وَدَوَلَّتْهُ يَحْدُمُهَا
الْعِزُّ وَالنَّصْرُ ، وَإِكْرَامُهُ يَقْضِي بِمَسَرَّاتِ الْأَوْلِيَاءِ بِالْجَمْعِ وَيُقْضَى إِلَى أَعْمَارِ الْأَعْدَاءِ
بِالْقَصْرِ -



وهذه نسخة منشور، كُتِبَ به لعلاء الدين إيدغمش أمير اخور الناصري [كُتِبَ به في الدولة الناصرية] محمد بن قلاوون، من إنشاء الشريف، وهو :

الحمد لله الذي زادَ علَاءَ دَوْلَتِنَا الشَّرَفَ ، وأفادَ النِّعَاءَ التَّامَّةَ مَنْ قامَ بينَ أَيْدِينَا أَتَمَّ قِيَامٍ فِي أَتَمِّ وُظَيْفِهِ ، وأجادَ الآلَاءَ الْمُتَوَالِيَةَ بَيْنَ أَعْنَتِ الْجِيَادِ بِإِشَارَتِهِ مُصَرَّفَةً وَمِنَّةَ الْجُودِ بِسِفَارَتِهِ مَصْرُوفَةً ، وأرادَ الإصْطِفَاءَ لِأَعَزِّ هِمَامٍ : فِي قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ لَهُ حُبَّةٌ وَفِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مِنْهُ خِيفَةٌ ، وَأَبَادَ أَوْلَى الْعِنَادِ بَفَتْكَاتِهِ الَّتِي بِهَا الْفَوَائِلُ مَكْفِيَّةٌ وَالطَّوَائِلُ مَكْفُوفَةٌ ، وشادَ الْمُلُوكَ الْأَعَزَّ بِإِرْفَادٍ وَلَّى لَهُ الشَّجَاعَةُ الْمَشْكُورَةُ وَالطَّاعَةُ الْمَعْرُوفَةُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى أَنْ جَعَلَ اخْتِيَارَاتِنَا بِالتَّسْيِيدِ مَحْفُوظَةً وَبِالتَّأْيِيدِ مَحْفُوفَةً ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةُ السَّرَائِرِ لِإِخْلَاصِهَا الْوَفَى ، وَالضَّمَائِرِ عَلَى اخْتِصَاصِهَا مَعْطُوفَةً ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي نَسَلَهُ مِنَ النَّبِيِّ الْأَخْيَرِ ، وَأَرْسَلَهُ بِالشَّرْعَةِ الْحَنِيفَةِ ، وَفَضَّلَهُ بِالرُّفْعَةِ عَلَى ظَهْرِ الْبُرَاقِ إِلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ وَجُنُودِ الْأَمْلَاقِ بِهِ مُطِيفَهُ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ذَوِي الْمَهَمِّ الْعَلِيَّةِ وَالشِّمِّ الْعَفِيفَةِ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ لَوْ اتَّفَقَ أَحَدٌ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ، صَلَاةٌ تُبَيِّضُ بِالْأَجُورِ الصَّحِيفَةَ ، وَتَعَوِّضُ بِالْوُفُورِ مِنْ مَرَاتِنَا الْجَلِيلَةِ بِفِكْرَتِنَا الْجَمِيلَةِ اللَّطِيفَةِ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أما بعدُ ، فَكَرَّمْنَا يُسَبِّحُ الْمَوَاهِبَ وَالْمَنَاجِحَ ، وَنِعْمُنَا تُبَلِّغُ الْمَارِبَ وَالْمَنَاجِحَ ؛ فَلَا نَبْرَحُ نَتَّقِلُ فِي دَرَجَاتِ الصُّعُودِ مَنْ هُوَ فِي خِدْمَتِنَا لَا يُبَارِحُ ، وَبِتَكْفُلُ صَالِحُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ صَلَاحِ حَالٍ مَنْ أَجْمَلَ النَّصَائِحَ وَأَثَلَ الْمَصَالِحَ ؛ فَكَمْ رَاضٍ لَنَا مِنْ جَائِحٍ ، وَخَاضَ بَحْرَ الْوَعَى عَلَى ظَهْرِ سَائِحٍ ، وَحَمَى رُواقَ الْإِسْلَامِ مِنْ رُعْبِهِ بِذَنْبٍ وَرَمَى

أعناق الكُفَّار من عَضِيهِ بذابح ، وأصمى المقاتِل بكل نابل يَسْتَجِنُّ في الجَوَانِح ،
وَأَنْتَى إلى سعادة سُلْطَانِنَا الناصر الفاتح ، وَسَمَّا عَزَمُ إعلائه بتقريبه وإدناؤه إلى
السَّامِكِ الرامح . طاملاً مَسَّ الكُفَّارَ الضُّرَّ إذ مَسَّاهم بالعاديات الضَّوابع ، وأَحَسَّ كُلُّ
منهم بالدمار لما ظَنَّ أَنَّهُ لَحْرَبُهُ يُكَادِ ويلْزِمُهُ يُكَافِحُ ، وصَبَّحَهُم بِإِغَارَاتِهِ عَلَى المَوْرِيَّاتِ
قَدْحاً فَأَغْرَى بِهِم الخُطُوبَ القَوَادِحَ ، وطَرَحَهُم بِالْفَتَكَاتِ إِلَى المَلَكَاتِ فصاحَتِ
[رِقَابُهُمْ] رِقَابَ الصَّفَاحِ ، وأَخْلَى من أَهْلِ الشُّرْكِ المَسَارِبَ والمَسَارِحَ ، وأَجْلَى أَهْلَ
الإفْكِ عن المطارد والمطارِحِ .

ولمَّا كَانَ فلان هو الذي آسْتَارَ إِلَيْهِ شَأْنُ هَذِهِ المَدَائِحِ ، وسارَ بِذِكْرِهِ وشُكْرِهِ كُلَّ
غَادٍ ورائِحِ .

خرج الأمر الشريف - لا بَرَحَ سبيلُ هُذَاهُ الواخِشِ ، وَجَزِيلُ نَدَاهُ يَنْدُو كَالنَّوَادِي
بِالعائِدِ والبَادِي من فَضْلِهِ وهو الناصح ،



وهذه نُسخَةٌ مَنْشُورٌ ، كُتِبَ بِهِ لِلأمير شَمِيسِ الدِّينِ مستقر البكتوق الشهير
بِالمَسَّاحِ ، وهى :

الحمد لله الذى أَجَزَلَ المَوَاهِبَ ، وَجَدَّدَ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا تَرَالُ الأَيْسَنَةُ تُتَحَدَّثُ
عَنْ بَحْرُهَا بِالعجائبِ ، وَأَظْلَعُ فِي أَفْقِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ شَمْسًا تَسْتَمِدُّ مِنْ أنوارِهَا
الكَوَاكِبِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمٍ يَتَوَالَى دُرُّهَا تَوَالِي السَّحَابِ ، وَيُنَالِي دُرُّهَا عَنْ أَنْ تُطَوَّقَ بِهِ الأُذُنَانِ^(١)
وَالْتَرَائِبُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَخْتَصُّ قَائِلَهَا مِنْ

(١) المراد بالطريق هنا مطلق الصلابة وكان الأولى «أن تهرط به الأذنان وتعلق به الأعناق وتعلي به الترائب» .

درجات القبول والإقبال بأسمى الدرجات وأسنى المراتب ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أصطفاه من لؤى بن غالب ، وصان بعثته الشريفة رداء النكس عن كل جاذب ، وخصه بأشرف المواهب ، وصبر الإيمان بنور هدايته واضح السبل والمذاهب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يمضي جزء من الدهر إلا ووجودها فيه وجود القرض الراتب ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد ، فإن أحق من حُلِّي من النعماء بأفضل العقود ، وخص بأضنى ملايس الإقبال وأضنى مناهل الإفضال : فاستعذب من هذه الورود ، وأختال من هذه في أحمل البرود ، ومنع من الإقبال بكل غادية تُجبل السحاب إذ يمحود ، وإن رقت بها الأقلام سطورا في طُروس أزرت بالزهر اليناع والروض المجود ، وقيل قدره من منزل عز إلى منزل أعز فكان كالشمس تنقل في منازل الشرف والسعود . من ظهرت مكارم سماته ، وأشتهرت محاسن صفاته ، وطلعت في سماء العجاج نجوم ثمره بانه ولعت في دجى النقع بروق طباته ، وقدم على الجيوش والمخافل فظهرت نتائج التأيد والتسديد من تقدمه وتقدماته ، وهزم جيوش الأعداء في موافق الهجاء ، ببات أقدامه في إقدامه ووثباته ، وتجزد في المهيمات والمليبات تجرد الماضيين : من سيوفه وعزماته .

ولما كان فلان هو الموصوف بهذه الأوصاف الجلية ، والمنعوت بهذه الحاسن الجيلة ؛ والمشار إليه بهذه المحامد والمنادح التي ترهو على زهر الكواكب ، وتسمو بما له من جميل المآثر والمناقب . أوجب له الاختيار المزيد ، وقضى له الامتنان بتقويله نعماً وتثويله منّا : تضحى هذه عقدا في كل جيد ، وتسمى هذه مقربة له من

الآمال كلَّ بعيد - وأقتضى حسنُ الرأى الشريف أن يُمنَح بهذا المنشور : ليُخصَّ
من الأولياء بالسعد الجديد والجدِّ السعيد .
فلذلك خرج الأمر الشريف



وهذه نسخة منشورة، كُتِبَ به للأمير خاص تُرك في الرُّوك الناصري، وهي :
الحمد لله على نِعَمِهِ التي سَرَتْ إلى الأولياء رِكاثُها ، وَهَمَّتْ على رياضِ الأصفياءِ
سَحائِها، وتَوَالَّتْ إلى مَنْ أخلص في الطاعة بفرائِجِ الإحسان رِغائُها، وَتَكَفَّلَتْ لِمَنْ
خُصَّ بِأَسْنَى رُتَبِ البرِّ الحِسانِ مكارِهُها المِعمِةُ ومَواهِبُها، وَغَمَرَتْ بِحَارِ كَرَمِها الزائِرَةُ
مَنْ يُحَدِّثُ عَنْ شِجَاعَتِهِ وَلَا حَرَجَ كَمَا يُحَدِّثُ عَنْ الْبُحُورِ التي لَا تَفْنَى عِجائِبُها .

نَحْمَدُهُ على نِعَمِهِ التي إِذَا أَغْبَقْنَا سَحَابُ النَّدى أَعْقَبَتْ سَحَابُ، وَخَصَّتْ الْخَوَاصَّ
مِنْ دَرَجِ الْأَمْتَانِ بِمَرَاتِبِ تَرَاخُها الْكُواكِبُ على نَهْرِ الْمَجَرَّةِ بِالْمَنَّاكِبِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهِادَةً لَا يَزَالُ الْجِهَادُ يَرْفَعُ أَلْوِيَتَها، وَالْجِلَادُ يَعْمُرُ
بُوفُودِ الْإِخْلَاصِ أُنْدِيَتَها، وَالْإِيْمَانُ يُسَيِّدُ فِي الْأَفَاقِ أَرْكَانَها الْمُوطَّئَةُ وَأُيُنِيَتَها؛ وَنَشْهَدُ
أَنَّ عَمْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَيْدَهُ اللَّهُ بَنَصْرِهِ ، وَخَصَّصَهُ بِمِزْيَةِ التَّقَدُّمِ على الْأَنْبِيَاءِ مع
تَأَخُّرِ عَصْرِهِ ، وَأَتَاهُ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا تَكِلُّ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ عَنْ إِحْصَائِهِ وَحَصْرِهِ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَاطُوا دِينَهُ بِالْمَحَافِظَةِ على جِهَادِ أَعْدَائِهِ ، وَأَيَّدُوا
مِلَّتَهُ بِإِعَادَةِ حُكْمِ الْجِلَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِبْدَائِهِ ؛ صَلَاةً لَا يَزَالُ الْإِيْمَانُ يقيمُ فَرَضَها،
وَالْإِيْمَانُ يَمَلَأُ بِها طَوْلُ الْبَسِيطَةِ وَعَرَضَها، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ، فإنَّ أَوَّلَى مَنْ ضُوعِفَتْ لَهُ النَّعْمُ، وَوُطِّدَتْ لَهُ الرُّتَبُ التي لَا تُنْزَلُ غَايَتُها
إِلَّا بِسَوابِقِ الْخِدْمِ، وَأَشْرَقَتْ بِهِ مَطَالِجُ السُّعُودِ، وَحُقِّقَتْ لَهُ مَطَالِبُ الْاِعْتِلَاءِ

والصُّعُود؛ وَرَفَعْتُهُ مَوَاقِعَ الْإِحْسَانِ إِلَى أَسْنَى الْمَرَاتِبِ الَّتِي هُوَ مَلِكٌ بِأَرْقَانِهَا، وَتَوَلَّتْ لَهُ
 هَوَامِجُ الْبِرِّ وَالْأَمْتَانِ أَنْتَقَاءَ فَوَائِدِ النِّعَمِ الَّتِي هُوَ حَقِيقٌ بِاخْتِيَارِهَا وَأَنْتَقَائِهَا؛ وَبَلَنْتَهُ
 الْعِنَايَةُ بِأَجَلٍ مِمَّا مَضَى قَدْرًا، وَأَسْتَقْبَلَتْهُ الرَّعَايَةُ مِنْ أَفْقَى الْإِقْبَالِ بِمَا إِذَا حَقَّقَ التَّامُّلُ
 وَجَدَ هَلَالَهُ بَدْرًا - مَنْ رَبُّي فِي ظِلِّ خِدْمَتِنَا الَّتِي هِيَ مَنْشَأُ الْآسَادِ، وَمَرْبَى فُرْسَانِ
 الْجِهَادِ، وَعَرِينُ لُبُوثِ الْوَعَى الَّتِي آجَامُهَا عَوَالِي الصَّعَادِ؛ وَبَرَانُهَا مَوَاضِي السُّيُوفِ
 الْحِدَادِ، وَفَرَانُهَا كُجَّةُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَمُحَامَةُ أَرْبَابِ الْعِنَادِ؛ فَكَمَّ لَهُ فِي الْجِهَادِ مِنْ
 مَوَاقِفٍ أَعَزَّتِ الدِّينَ، وَأَذَلَّتِ الْمُتَعِدِّينَ؛ وَزَلَزَلَتْ أَقْدَامَ الْأَبْطَالِ، وَزَحْزَحَتْ دَوَى
 الْإِقْدَامِ عَنْ مَوَاقِفِ الْمَجَالِ؛ وَحَكَّتْ صَفَاتَهُ فِي الْقِيَمِ، وَأَنْبَتَتْ صِفَاحَهُ فِي مَنَابِتِ
 الْحِمَمِ؛ وَفَرَّقَتْ مَا لِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ صُفُوفٍ، وَأَرَتَهُمْ كَيْفَ تُعَدُّ الْأُوفُ بِالْأَحَادِ
 وَآحَادُهَا بِالْأُلُوفِ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى مَنَاقِبِهِ، وَتَبَّ عَلَى شُهْرَةِ إِقْدَامِهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ
 يَمُنُّ عَوَاقِبِهِ، وَأُوِّمِيَ إِلَى خِصَائِصِ أَوْصَافِهِ الَّتِي مَا زَالَ النَّصْرُ يَلْحَظُهَا فِي مَشَاهِدِ
 الْجِهَادِ بِعَيْنٍ مُلَاحِظَةٍ وَمُرَاقِبَةٍ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةُ أَنْ تُجَدَّدَ أَعْلَاءُ مَجْدِهِ،
 وَتَزِيدَ فِي أَفْقَى الْأَرْتِفَاءِ إِضَاءَةُ إِقْبَالِهِ وَإِنَارَةُ سَعِيدِهِ .

فَلِذَلِكَ نَخْرِجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ لَا زَالَ :



وهذه نسخة منشورة كُتِبَ به في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون لجمال الدين
 أقبوش الأشرفي، المعروف بنائب الكرك عند خروجه من الحب، وهي :

الحمد لله مفرج الصلُوب، ومفرج الكُروب، ومُنْجِج النفوس بِهَابَ غِيَابِ
الخطُوب، ومُبَلِّغٌ مَنْ تَهَادَمَ عَهْدُهُ فِي حِفْظِ وَلَائِنَا نِهَايَةَ المَرْغُوب، وَغَايَةَ المَطْلُوب؛
الَّذِي أَعَادَ إِلَى الْمُخْلِصِينَ فِي طَاعَتِنَا النِّعْمَةَ بَعْدَ سُرُودِهَا، وَعَوَّضَهُمْ عَنْ تَقْطِيبِ الْأَيَّامِ
بِإِسْقَامِهَا وَعَنْ تَحْمُولِهَا بِسُغُودِهَا، وَأَلْقَى عَلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمْ جَمَالًا لَا يَسِيعُ الْإِذْهَانُ أَنْ
تُصَنَّفَ بِإِنْكَارِ حَقُوقِهِ وَبُحُودِهَا .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَهَبَنَا مِنَ الْإِنَاءَةِ وَالْحِلْمِ، وَخَصَّ بِهِ دَوْلَتَنَا مِنَ الْمَهَابَةِ الَّتِي تُخَشَى يَوْمَ
الْحَرْبِ وَالْمَوَاقِبِ الَّتِي تُرْجَى يَوْمَ السَّلَامِ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً تَكْفُلُ بِالنَّجَاةِ لِقَائِلِهَا، وَأَعْنَتْ مَنْ حَافِظَ طَلِبَهَا عَنْ ضَرَاعَاتِ النَّفُوسِ
وَوَسَائِلِهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِرِيعَاةِ الدِّينِ، وَالْمَنْعُوتُ بِحُسْنِ
الرَّافَةِ الَّتِي هِيَ شِعَارُ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالْكَرَمِ، [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ] وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَلَاقَتْ
الْأَقْدَارُ نَفُوسًا مِنَ الْعَدَمِ، وَتَوَاقَتْ الْأُمَامِيُّ وَالْمَنَاجِجُ فَاطْلَقَتْ مِنْ أَخْلَاصِ نَيْتِهِ الْجَمِيلَةِ
بِرَدِّ ضَالَّةِ النَّعَمِ، صَلَاةَ تَضَعِي عَلَى الْأَوْلِيَاءِ حُلُلَ الْقَبُولِ وَالرِّضَا، وَتُصَنِّفِي مِنَ الْأَكْدَارِ
مَنَاهِلَ سُرُورِهِمْ فَكَأَنَّ الْخَطْبَ أَهْرَقَ وَأَوْمَضَ فُضِي، وَسَلَمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ أُنْتَظِمَتْ بَعْدَ الشَّتَاتِ عُقُودُ مَسَارِهِ، وَأَبْتَسَمَتْ بَعْدَ
الْقُطُوبِ نُفُورُ مَبَارِهِ، وَأَشْتَمَلَتْ عَوَاطِفُنَا عَلَيْهِ بِغَلَبَتِ أَسْبَابِ مَنَافِعِهِ وَسَلَبَتِ جِلْبَابِ
مَضَارِهِ، وَأَحْفَلَتْ عَوَارِفُنَا بِالمَلَاظَمَةِ لِمَهْدِهِ الْوَثِيقِ الْعُرَا، وَالمَحَافِظَةِ عَلَى سَالِفِ
خِدْمَتِهِ الَّتِي مَا كَانَ صِدْقُ وَلَائِهَا حَدِيثًا يُفْتَرَى؛ وَسَبَقَ لَهُ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ
فِي الْإِخْلَاصِ مَا يَرْفَعُهُ مِنْ خَاطَرِنَا مَكَانَةً عَالِيَةَ الدَّرَجَةِ - مِنْ أَهْلِ السَّابِقِينَ
الْأَوَّلِينَ فِي الطَّاعَةِ، وَالْبَازِلِينَ فِي آدَاءِ الْخِدْمَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِدَوْلَتِنَا جُهِدَ الْأَسَاطِعَاءِ،
وَالْمَسَالِكِينَ لِلْمَالِكِ بِحُسْنِ الْخَلَّةِ وَجَمِيلِ الْأَعْتَرَامِ؛ وَالمَحَافِظِينَ عَلَى تَشْيِيدِ قَوَاعِدِ الْمُلْكَ

بآرائه ورأياته التي لا تُسَامى ولا تُسَام ، وأسمى هو الولي الذي لا يُشاركه أحدٌ
 في إخلاص الضمير في موالاتنا وصفاء النيّة ، ولا يُسَاهمه وليٌ فيما أشتغل عليه من
 صدق التّعبّد وجميل الطّويّة ، والمُخلَص الذي انفرد بخصائص الحقوق السابقة
 والآفّة ، وأمتاز بموجبات خديم لا تُجحدُ محافطتها الثالثة والطّارفة ، وطلعت شمس
 سعادته في سماء مملكتنا فلم يُسبِّها الغروب ، وأضاء بذره في أفق عزّه فكان سراره
 مُنْهياً لآعين الخطوب .

ولما كان فلان

الضرب الثالث — مما يفتح بالحمد مناشيرُ أمراء الطلبة خاتمه .

وقد تقدّم أنّها كناشير مقدّمة الألوّف في الترتيب إلا أنّها أخصّر منها .

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشور كُتِبَ به لبعض الأمراء ، وهي :

الحمد لله رافع الأقدار ، ومُجْزِل المَبَار ، وجاعل يمينِ كرمنا مهسّوطةً باليسار .

نحمده على غيث فضله الدّار ، ونشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 سرّت الأنصار ، وأذهب نورها ما كان للشرك من سرّار ، ونشهد أنّ محمدا عبده
 ورسوله الذي أنجد له في نصر الحق وأغار ، وأزهف من سيف النصر الفرار .
 صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من كان ثاني اثنين في الفار ، ومنهم من
 سبق له دعوة سيد المرسلين من سالف الأقدار ، ومنهم من كرم الله وجهه فكان له
 من أعظم الأنصار .

وبعدُ، فإنَّ العطايا أيسرُ ما يكونُ تنوُّلُها، وأسرُّ ما يُلغى نَحْوُها، إذا وَجَدَتْ
مَنْ هو لرايتها متلقِّيا، وفي ذُرَا الطاعة مترقِّيا، وَمَنْ إذا صدَحَتْ حمائمُ التأييدِ كانت
رِماحُه الأغصانَ، وألويتهُ الأفنانَ، وَمَنْ تَرَدَّى ثيابَ الموتِ حُرًّا فما يأتِي لها
الليلُ إلا وهي بالشهادة مُحضَّرةٌ من سُندُسِ الجنانِ، وإذا شَهِرَ عَضْبُه، أرضى رَبَّه،
وإذا هَزَّ رُجْمُه، حَمَى مَرَحُه؛ وإذا أطلقَ سَهْمُه، قَتَلَ شَهِمُه؛ وإذا جَرَّدَ حُسَامُه،
كان حَسَامُه؛ وإذا سافَرَتْ عزائمُه لَتَطْلُبَ نَصْرُه، حَلَّتْ سُيوفُه بَغْضاتِ بالأوجالِ
جمعا وبالأجالِ قَصْرًا .

ولما كان فلانٌ هو الذى جَمَعَ هذه المناقبَ الجمَّة، وأمتازَ بالصَّرامة وطُوقَ الهِمَّة،
أَسَحَقَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ بَعِيْنِ العِناية، وأن يُجْعَلَ أَبْتَدَاؤُه فى الإِمرَة دالًّا على أَسْعَدِ
نَهايَه .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال يرفع الأقدار، ويُخزِلُ المَبَارَّ، أن يُجَرِّى
فى إقْطاعِ



وهذه نسخة منشور لمن لَقِبَه زَيْنُ الدين، وهى :

الحمد لله الذى وهَبَ هذه الدولةَ من أوليائها أَحْسَنَ زَيْنَ، وَمَتَّعَهَا مِنْهُمْ مَنْ يَسْكُرُ
السَّيْفَ والعِنانَ مِنْهُ الْبَدَيْنَ، وَمَنْ يَمْلَأُ ولأُوهُ الْقَلْبَ وشأُوهُ السَّمْعَ وبهاؤُهُ العَيْنَ .

نحمده على نِعَمِهِ الّتى تَفَتَّ عَنْ نُورِ الْمُلْكِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، وَأَبَقَتْ لَهُ مِنْ كُنْهاتِهِ
وَسُحْراتِهِ مَنْ لَافَى إِخْلاصَه رَيْبٌ وَلَا فى عَاقِلَتِهِ مَيِّنٌ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهادَةً مُتَبَرِّئَةٍ مِنْ اتِّخَاذِ الْهَيْئِ اثْنَيْنِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
شَهادَةً مُتَمَسِّكٍ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ بِعُرْوَتَيْنِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَوَجَّعَهِ صَلَاةً دائِمةً

ما جَمَعَ المسافرين من الصلوات بين الأختين ، وما جلس خطيب بين خطبتين ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن خير من رَقَى خطيبُهُ إلى أرفع رُتبه ، وأنجح في تحويل النعم على كل طَلِبة ورَغبه ، لا بل أهديت إليه عرائس النعماء وقد ابتدأت هي بالخطبة ، وكثر له في معروف أصبح بيده معروف ، وأعين على جود أمسى به موصوفا ، وذلت له فطوب إحسان كم ذلل الأولياء [من أجله] في مراضى الدولة ومحابها فطوفا فطوفا - من خلف الملك أحسن الخلف ، ومن له بفعل الخير أعظم كلف ؛ ومن يشهد له بالشجاعة الخيل والليل والبيداء ، والسيف والرمح والأعداء ، فلا غزوة إلا له فيها تأثير وأثر ، ولا ندوة إلا وبها من وصفه بالذكر الجليل سمر ، تشوف إلى ملاحظة غرته كل عين ويتبين لجياطته في الوجود كل أثر ، ما أثار وجهه في نهار سلم إلا وقيل الشمس ولا بدا في ليل خطب إلا وقيل القمر .

ولما كان فلان هو بدر هذه المساله ، وجل هذه الجلاله ، ونور هذه المقله ، ولا يس هذه الحله - أقتضى حسن الرأي الشريف أن تكثر لديه النعم وأن يجرى بتنمية الإحسان هذا القلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا بريح يحود ، وبالخيرات يمود - أن يجرى في إقطاعه



وهذه نسخة مفشور من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذى أيد دولتنا القاهرة بكل راية تقعد ، وأمير يؤمر وجنود مجند ، وكل بطل إذا جرد عزمه سلم إليه المهند ، وأشتبه الرمح بمحاطفه فلم يدرأهما تأود .

نَحْمَدُهُ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَحْمَدَ ، وَنَعُدُّهُ بِمَا لَا يُبَالِغُهُ النَّاسُ الْمُنْصَدِّ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ أَفْضَلَ مَا بِهِ تَشْهَدُ ؛ وَنُصَلِّيْ عَلَى نَبِيِّهِ وَعَبْدِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ فِي كُلِّ مَقَالٍ يَتَجَدَّدُ ، صَلَاةً فِيهَا الْأَقْلَامُ لَا تَتَرَدَّدُ فِيهَا
تَرَدَّدٌ ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ أَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ وَكَرَّمُ وَجْهَهُ ، مَا غَرَبَ فَرَقَدُ وَطَلَعَتْ شَمْسُ
ثُمَّ مَا غَرَبَتْ شَمْسُ وَطَلَعُ فَرَقَدُ .

وبعد ، فَإِنَّ لَارَأَيْنَا الْعَالِيَةِ الْمَزِيدَ فِي كُلِّ مَا هَتَفْنَاهُ ، وَفِي كُلِّ مَنْ تَرَفُّضُهُ ، مِنْ
جَمِيعِ أَوْلِيَائِهَا ، لِجَمِيلِ آيَاتِهَا ، مِنْ فَاقِ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ ، وَكَانَ فِي أَمْثَالِهِ وَحِيدًا لِأَنَّهُ
لَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ وَهُوَ كَثِيرٌ بِنَفْسِهِ ، وَتَسَابَقَتْ الْخَيْلُ إِلَى أَرْقَائِهِ عَلَى صَهَوَاتِهَا ،
وَالْتَطَمَتِ بِحَارُ الْوُغَى لِمَا أَلْقَى لَهُ كُلُّ سَابِجٍ فِي غَمَرَاتِهَا ، وَأَفْتَحَتِ الْقَيْسَى بَمَدِّهِ الَّذِي
لَا تَخْرُجُ بِهِ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا ، وَالسِّيُوفُ لِأَنَّهُ إِذَا أَشْرَكَتْ مَعَهُ فِي لَقَبٍ كَانَ اسْمُهُ
مُسَمِّيَاتِهَا ، وَالرِّمَاحُ لِأَنَّهُ كَمَّ لَهُ عَلَيْهَا مِنْ مِئَةٍ لَمَّا أُطْلِقَهَا فِي الْحُرُوبِ مِنْ أَعْقَالِ رَايَاتِهَا ؛
وَتَجَدَّدَتِ الْأَمْنَةُ فَيَا تَلُوهُ مِنْ سُورَاتِ الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ آيَاتِهَا ، وَهُوَ الَّذِي أَنْتَظَمَتْ
بِهِ الْمَعَالِي وَالْعَوَالِي قَصْدَهَا الَّذِي بِهِ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ
إِهَالَاتِهَا^(١) ، مَعَ مَا لَهَا فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ سَوَائِقِ لَا تُجَارَى فِي مَسِيلِهَا ، وَلَا يَلْحَقُ لَهَا
شَأْوٌ أَشْهَبُ الصَّبْحِ وَلَا أَدْنَمُ اللَّيْلِ وَلَا أَشَقَرُ الْبَرْقِ وَلَا أَصْفَرُ الْأَصْبَلِ . فَاقْتَضَتْ
صِدْقَاتُ الشَّرِيفَةِ لَهُ الْإِحْسَانَ ، وَتَقَاضَتْ عَوَارِفُنَا الْحَسَانَ ، فَرَفَعَتْ لَهُ رَتَبَةً لَا يُلْتَفَتُ
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِاللِّسَانِ ، وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي حَسُنَ وَصْفُهُ ، وَشَكَرَتْ مَسَاعِيهِ
صَبَاحِيَاهُ وَهُوَ أَوْفَرُ وَأَوْفَى .

فَلَذَلِكَ خَرَجَ الْأَمْرُ الشَّرِيفَ

(١) يريد من هولها ولكن السجح أخطره إلى أن يجارى العوام في لغتهم .



وهذه نسخة منشور، وهي :

الحمد لله على نعمته التي أسنت المَوَاهِبَ ، وأغنت الأولياءَ بآلائها عن دَوْمِ الدِّيمِ
وسَمِّ السَّحَابِ .

نحمده على غرائب الرِّغَائِبِ ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تتكفل لقائنا ببلوغ المآربِ ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أفتخرت
باسمه المناقبَ ، وأتصرت بعزمه المقابِ ، وقهر بياسه كلَّ جانٍ وعمر بناسه كلَّ
جانِبٍ ، وكشف الله بركته الألوأ ، وغلب بفتكاته الأعداءَ ، وكيف لا وهو سيد
لؤيِّ بن غالب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أذلَّ بجهادهم المحاربَ ، وسلم
تسلما كثيرا .

وبعد ، فإنَّ أولى من أَعْدَبَ نَهْلَه ، وأنجَحنا أَمَلَه ، وأجزَلنا [له] من هبات
جُودِنَا [وأغدقنا عليه من مَنِّ عَطائِنَا ورفدنا - من نازل الأعداء يوم الوغى^(١) فراح]
إلى أعلامهم فنكسها وإلى أعناقهم فوقصها^(٢) ، وحكم سيفه في أشلائهم وأرواحهم :
فهذه أفتناها وهذه أقتنصها ، ما فوق يوم الرُّوع سَهْمَه إلا أصاب المقاتل ، ولا شَهَر
سيفه إلا قهر بياسه كلَّ بائِلٍ ، ولا سارت عِقْبَانُ رايته إلى معترك الحرب ضحى إلا
كُلَّلَ بعِقْبَان طَيْرٍ في السماء نواهِل .

ولما كان فلان هو الذي يُسِير إليه بَنَاتُ هذا المَنَح ، ويسير إليه إحسان
هذا المَنَح .

(١) زدنا هذه الكلمات لاحتياج المقام إليها .

(٢) في الأصل "فَنكسها" وهو لا يفيد ما يريد .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يرحت ظلال كرمه وإرفه، ويحائب نعمه
واكفه - أن يُجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور تصلح لمن مات أبوه، وهى :

الحمد لله الذى جعل سماء كرمنا، على الأولياء هامية السحاب، وعوارف نعمنا،
جميلة العقى للأعقاب، وعواطف أيماننا الشريفة تجزل العطاء وتجبر المصاب .

نحمده على نعمه التى ما تحنت العيون إلا أقرتها، ولا أكتابت النفوس بملمة إلا
سرتها، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يزال ربح الأنس بها
معمورا، وصدع النفس بها مجبورا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أصبح
شعث الإيمان به مأموما، وحزب الطغیان به مهزوما، وداء الهتان بحسامه محسوما .
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كان [هو] بذر السيادة وكانوا نجوما ، صلاة
لا يرحح ذكرها فى صحائف القبول مرقوما، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من دزت أخلاف جودنا خلفه، ورعى كرمنا خدم سلفه ،
وقلنا هلاله من تقربنا إلى منازل شرفه، وأجراه إحساننا على جميل عوائده، وسوغه
نوالنا أعتب موارده، وجمع له إنعائنا بين طارفه وتالده، من استمسك من سبب
إخلاصنا بآكده، وحذا فى ولائنا أحسن حذو ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده،
وأشتهر بالشهامة التى أغنت بمفردها عن الألوف ، وعُرف بالإقدام الذى طالمنا
فرق الجموع وأحترق الصفوف، مادنا من الأعداء إلا دنت منهم الختوف، ولا أظلم
ليل النقع إلا جلته أنجم الصعاد وأهله السيوف .

ولما كان فلان هو الممدوح يجمل هذه السِّمَ ، والمنحوخ جزيل هذه النِّعم ، والشَّيْءَ
في موالاتنا بأبيه ومن أشبه أباه فما ظلم .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يَرِحْتُ مُحِبُّ كرمه هاطلة الأنواء ، شاملة
الآباء والأبناء - أن يُجرى في إقطاعه

النوع الثاني

(من المناشير ما يفتتح به «أما بعد» ويختص بأمراء العشرات ومن في معناهم :
كأمراء العشرينات ونحوهم ممن لم يبلغ شأواً الطبلخانات)
وهي على ضربين :

الضرب الأول

(في مناشير العشرات كالتأ ذلك الأمير من كان)

وهذه نسخ مناشير من ذلك :

نسخة منشور من ذلك ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي لا تُعدُّها ، ويُعِيدها ، ويُقِيها ويُعيدُها ، ويُديمها
على من شكر ويزيدها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزلت لنصره ملائكةُ
السماء وجنودُها ، وأخذت على الإقرار بنبوته موافق الأملك وعهودُها ، وعلى آله
ومحببه الذين هم أمان هذه الأمة وشهودُها - فإن أحق من تقلب في إيماننا ، وتقدم
في أيامنا ، وتوالت إليه الآثُنا ترى ، وتكررت عليه نعاؤنا مرة بعد أخرى ، من
ظهرت آثار خدمته ، وصحَّت أخبار تجديده ، وشكرت مساعيه الجليله ، ومُجِدت

دَوَائِيهِ الْجَمِيلَةِ ، وَكَانَ لَهُ مِنْ صِفَاتِهِ الْحُسْنَى ، مَا يُبَسِّلُهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْأَعْلَى وَمِنْ الْمَطَالِبِ الْأَشْنَى .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ مِّنْ زَانَتِهِ طَاعَتُهُ ، وَقَدَّمَهُ إِقْدَامُهُ وَشِجَاعَتُهُ ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَوَاقِفُ الْحُرُوبِ ، أَنَّهُ مُجَلِّي الْكُرُوبِ ، وَأَقْرَلُهُ يَوْمَ الْوَعْدِ ، بِإِبَادَةِ مَنْ بَغَى ، وَكَانَ لَهُ مَعَ الشَّهَامَةِ الرَّأْيُ النَّاقِبُ ، وَالسَّهْمُ الصَّائِبُ ، يُصِيبُ وَلَا يُصَابُ ، جَدَّعُ الْقَرِيحَةِ ، رَابِطُ الْجَلَّاشِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَذْهَانِ الصَّحِيحَةِ - أَقْنَضَى حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تَرْفَعَ دَرَجَتُهُ ، وَتَعْلَى رُتَبَتُهُ ، وَيُنْظَمَ فِي عَقُودِ الْأَمْرَاءِ ، وَيُسْلَكَ بِهِ جَادَّةُ الْكِبَرَاءِ ، لَتَرْقِيَهُ فِي دَرَجِ السَّعَادَةِ ، وَتَبْلُغَ بِهِ رُتْبَةَ السِّيَادَةِ .

فَلِذَلِكَ نَخْرُجُ الْأَمْرَ الشَّرِيفَ - لَا يَرِحَتْ هَامِيَّةٌ غَوَادِي آلَائِهِ ، سَابِغَةً مَلَائِسُ تَعْمَائِهِ - أَنْ يُجَرِّى فِي إِقْطَاعِهِ



وهذه نسخة منشور من ذلك، وهي :

أَمَّا بَعْدُ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي فَسَّحَتْ فِي كَرَمِهَا بَحَالَ الْمَطَالِبِ ، وَفَتَحَتْ لَخْدَمِهَا أَبْوَابَ نَجْحِ الْمَآرِبِ ، وَحَقَّقَتْ فِي عَوَارِفِهَا آمَالَ مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ الْخِدْمَةِ وَالطَّاعَةِ بِأَنْجَحِ مَا تَقَرَّبَ الرَّاعِبُ إِلَى الرَّغَائِبِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي زَوَى اللَّهُ لَهُ [الْأَرْضَ] لِيَرَى مَا تَنْتَهَى إِلَيْهِ الْكَوَاكِبُ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَسْتَسْهَلُوا فِي جِهَادِ أَعْدَائِهِ الْمَصَابِعَ ، وَرَمَى اللَّهُ مَنَ الْخُدِّ فِي دِينِهِ مِنْ سَطَوَاتِهِمْ بِعَذَابٍ وَاصِبٍ ، فَإِنَّ أَوَّلَى مَنْ تَلَقَّاهُ وَجْهُهُ النَّعْمُ السَّوَافِرُ ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ نِعَمُ الْعَوَارِفِ الَّتِي هِيَ مِنْ غَيْرِ الْأُسْكَافِ تَوَافِرُ ، وَأَتَتْهُ السُّعُودُ الْمُقْبِلَةُ ، وَوَاتَتْهُ الْآلَاءُ الْمُقِيمَةُ وَالْمُسْتَقْبِلَةُ ، مَنَ صَحَّتْ شِجَاعَتُهُ فِي مَوَاقِفِ الْجِهَادِ الْمُذَلِّمَةِ ، وَتَمَحَّتْ شَهَامَتُهُ فِي الْوَعْدِ بِعِجَالِ السُّيُوفِ الْمُزْهِفَةِ

لنفع الخطوب المُلتهمة، وأقرت له أقرانه بأنه فارس هيجاتها الذي كم كَشَفَ بِاسِنَتِهِ
عن قلوب العدا للؤمنين غمَّ غَمِّهِ .

ولما كان فلان هو المشهود له بهذه المواقف، المشهور بالوقوف في المواطن التي
يُثبت بها وما بالحنف شك لواقف - آقتضى حُسن الرأى الشريف



وهذه نسخة منشور من ذلك، وهي :

أما بعد حمد الله على جيوش كثرتها، وجُيوبٍ للعدا بالأسنة زَرَزَها، وجُنُوبٍ
بالنوم على قُرُش الأيمن الوثيرة آثرها؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أيد الله
به الأمة وظفَّرها، وثبت مواقفه ونضرها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة
تستمدُّ الأيام والأنام من رُقيها أصالها وبُكرها - فإن من ورد البحر أغناه بمده،
ومن تعرَّض لسُفيا السحاب جادله بِرفده، ومن جاور كوكب السعد فاض عليه من
سَعده، ومن تيمَّ نادى الندى كان أدنى إلى نيل قصده، ومن يمتُّ بخدمة كان من
حقه رعاية عهده .

ولما كان فلان هو الذى قدَّم خدما شهدت بها غرر الأيام، ولسان كلِّ
ذابل وحُسام، وكلِّ كَيْتٍ لَوَتْ إلى قُواده من يده طيورُ سهام، وجربناه لحمدناه
بالتجريب، ودرَّبناه حتى ناهل للتأثير بالتدريب، وأستحقَّ المكافأة على ما آثره،
وكانت له خدمةٌ عندنا كالحسنة له عنها عشره .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا زال يمدُّ أوليائه ويُسعدهم، ويقرب أخصَّاءه
ولا يُبعدهم، أن يُجرى في إقطاعه



وهذه نسخة منشور من ذلك، وهى :

أما بعد حمد الله على نعم منحه، وأبواب فضله فتحها، وآمال الأولياء أنجحها،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى هدى الله به الأمة الإسلامية وأصلحها - فإن
أولى من همّت عليه صحائب الإحسان، واقتتحت أيماننا الشريفة بمقدمة كرم تميزه
بين الأقربان - من جعل الولاء له خير ذخيره، وأجل فيما أسره وأبداه من حسن
السيرة والمسيره؛ وكانت له الطاعة التى يُحسن فيها الاعتقاد، والشجاعة التى ظهرت
في مواقف الحروب والجهاد، والخدمة التى لم يزل فيها مشكور المساعى، والموالاة
التي لم يرح عليها مؤقر الدواعى .

ولما كان فلان ممن له الخدمة التى تقضى بالتقديم، وتوجب له على إحسان
دولتنا الشريفة رتبة القدر ومزيد التكريم - آقتضى حسن رأى الشريف أن يُجمله
مراتب ذوى الأمر والإمهر، وينظمه فى سلك من سره بإنعامه ورفق قدره .
فلذلك نخرج الأمر الشريف لآبرج

الضرب الثانى

(فى مناشير أولاد الأمراء، وهى كالتى قبلها إلا أنه يقع التعرض فيها
إلى الإشادة بأبائهم، وربما أُطيل فيها مُراعاة لم)

وهذه منخ مناشير من ذلك :

وهذه نسخة منشور، وهى :

أما بعد حمد الله الذى جعل سيف دولتنا للدين المحمدي ناصرا، وجمع ثقل
أعز الأولياء والأبناء فى خدمتنا على إناعامنا الذى أضفى بين الأئام مثلا سائرا،

وأقر الأعيان من دَرارى أصفياً بما يفوق الدَرارى التي غدا نورها في أنفها زاهياً زاهراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أيده الله من أوليائه بشيرته الأقرين، وشدة أزوه من أصحابه بالأبناء والبنين، وعلى آله وصحبه صلاة لا تزال بها في درج النصر مُرتقين، ولا يبرح لنا بها حسنُ العاقبة بالظفر على الأعداء والعاقبة للثقين - فإن أنمى الفروس من كان أصله في درج الولاء نائياً، وأزهى الثمر ما كان في أغصان الوفاء نائياً، وأهوى الأهل ما بزغ في سماء الإخلاص، وطلع أميناً من السرار والانتقاص؛ وأعز الأولياء من نشأ في ظل القرب والاختصاص؛ وتلقى ولّاءنا عن أبوة كريمة جمعت له من العلياء شمل طارفه وتآلده، وحذا في عبوديتنا حدّو والده، ولا غرو أن يحذو القتي حدّو والده؛ وتعلّى بطريقته المثلّ في الموالاة التي عُمِدَ له فيها المضاهي والمُمايل، ولاحت على أعطافه محاييل الإخلاص فيعرف فيه من تلك المحاييل .

ولما كان فلان هو جوهر ذلك السيف المشكور المضاء، عند الانتضاء، ونور ذلك البدر المشهور في أفق العلياء، بالنقاء والسناء؛ كم لأبيه في خدمتنا عند تزلزل الأقدام من مواقف، وكم أسلف في طاعتنا من محالصة عند الاختلاف وهو عليها ما كف؛ ما تقدّم في كتيبة الإقدام إلا والنصر له معاضد، ولا جرد فيهم إلا أغنى عما سواه وأستحق أن يُنشد « ولكن سيف الدولة اليوم واحد » .

أقتضى حسنُ الرأي الشريف أن تُنصّب لسعادتهما عقداً منقّداً، وأن نخصّ كلا منهما بإمرة حتى يقدّوا لنا من هذا والدنا من أعز الأنصار ومن هذا ولدنا .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يرح يفر لأوليائه، من الإحسان الممدد، ويكثر لأصفيائه، من الأعوان على الطاعة الممدد، ويشمل يره ومعروفه الوالد والولد .



وهذه نسخة منشور، وهى :

أما بعد حمد الله الذى زين سماء دولتنا من ذرارى أولياتنا بمن يفوق الدرارى
إشراقاً، وأثار مطالع مواكينا المنصورة من كواكب أصفيائنا بمن يهر العيون استلاقاً
وأنساقاً، وجمع شمل السعادة لأهل بيت أنسقت عقود ولأهم في طاعتنا لحسنت
في جيد الدهر انتظاماً وانتساقاً، جاعل سيوف دولتنا في مرأضينا مرهفة الغرار،
مرقبة الأعداء فما جردت عليهم إلا أرتهم مصارع الاعتزاز، والشهادة له بالوحدانية
التي تطلق بها لسان التوحيد والإقرار، وجعلت وسيلة إلى الخلود بدار القرار،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أنجده الله من خاصته بالأعوان والأنصار،
ورفع لواء نبوته حتى صار منشور الأعلام في الأمصار، وعلى آله وصحبه الذين ميزهم
الله بشرف قربه، وجعل للآباء منهم فضل المزية من قلبه، ورفع أقدارهم بأن جعل
منهم حبه وأبن حبه - فإن أولى من جميع شمل السعادة في إزاره، ورفعت رايه
الإمامة لقضاه، [من نشأ على إخلاص الولاء] الذى أشبه فيه أباه، [ولمعت] بروق
أسنته [إلى] [كم أعمدها في رقاب عداه]، كم جرد النصر لنا من أبيه سيفاً في مواقف
التأييد وأفضاه، كم زكا فرعه السامى في رياض الإخلاص، وأبدر هلاله المشرق
في مطالع الاختصاص .

ولما كان فلان هو الذى نشأ في خدمتنا وليداً، وغذى بلبان طاعتنا فامسى حفظه
سعيداً، وأضحى رأيته حميداً، ولم يزل لأبيه أعزّه الله حقوقاً ولأه ناكدت أسبابها،
ومئذ في مساحة الاعتداد أطناؤها، وحسن في وصف محافظتها إسهاب الألسنة

وإطناؤها - آتفتني حسنُ الرأي الشريف أن تُرقى هلاله إلى منازل البُدر، وأن تُظلمه في سماءٍ عَزَّ باديةِ الإنارةِ واصحةِ السُّور ، وأن تُعلي من ذلك قدره إلى محلِّ الإمارة، وأن تُتوجه منها بما يكون أعظمَ دليل على إقبالنا وأظهرَ أماره .
فلذلك خرج الأمر الشريف لازال



وهذه نسخة منشور، وهي :

أما بِمَدِّ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى آلائِهِ الَّتِي أَقَرَّتْ عَيُونَ أَصْفِيائِنَا بِمَا خَصَّتْ بِهِ آبَاءَهُمْ مِنْ عُمومِ النِّعمِ، وَسَمَرَتْ قُلُوبَنَا بِمَا جَدَّدَتْ لَدَرَارِيهِمْ مِنْ حُسْنِ التَّرَقُّى إِلَى مَا يَنَالُهُمْ مِنْ شَرِيفِ الخِدَمِ، وَأَنشَأَتْ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ أَوْلَادِ خَوَاصِنَا كُلِّ شَيْءٍ لَهُ مِنْ الظُّفْرِ طَفَرٌ وَمِنْ مُسْبَلِ الذَّوَابِ أَجْمٌ ، وَإِذَا شَاهَدَتْ الْأَسْوَدُ الْكَوَاسِرَ شِدَّةَ وَثَبَاتِهِ، وَثَبَاتِهِ، شَهِدَتْ بِأَنَّهُ أَشْبَهَ فِي أَقْرَاسِ الْفَوَارِسِ أَبَاهُ وَمِنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ؛ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي مَا زَالَ دِينَ اللَّهِ يَجَاهِدُهُ أَعْدَائِهِ مَرْفُوعَ الْعَلَمِ، وَنَصْرُ اللَّهِ بِأَفْيَا فِي أُمَّتِهِ يَتَنَقَّلُهُ مِنَ الْأَبْنَاءِ مَنْ كَانَ ثَابِتَ الْقَدَمِ مِنَ الْقَدَمِ، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ جَلَّوْا بِأَسْتِهِمْ وَمُسْتَهَبِ الظُّلَمِ - فَإِنْ أَوَّلَى مِنْ [و] طَلَّتْ لَهُ دَرَجُ السَّعُودِ لِيَتَوَقَّلَ فِي هِضْبِهَا، وَيَتَنَقَّلَ فِي رَتَبِهَا، وَيَتَلَقَّ بِوَادِرِ إِقْبَالِهَا، وَيَتَرَقَّى إِلَى أَسْنَى مَنَازِلِ السَّعْدِ مِنْهَا وَأَيَّامُ شَبِيحَتِهِ فِي اقْتِبَالِهَا، وَيُرْقَى فِي حُلِّ جَدَّتِهَا الْمُعْلَمَةِ الْمَلَابِسِ ، وَيَرْتَادُ فِي رِيَاضِ يُمْنِهَا النَّامِيَةِ الْمُنَابِتِ الزَّاكِيَةِ الْمَقَارِسِ - مَنْ نَشَأَ فِي ظِلِّ الْآلِيَّةِ، وَغُدَّى بِلَبَانِ وَلَآئِيَّةِ، وَلُتَّى فَرُوضِ طَاعَتِنَا نَاشِئًا فَهُوَ يَتَعَبَّدُ بِحِفْظِهَا، وَيَدِينُ بِالمَحَافِظَةِ عَلَى مَعْنَاهَا وَلَفْظِهَا، وَيَتَّقِلُ عَنْ أَبِيهِ قَوَاصِدَهَا وَأَحْكَامَهَا فَهُوَ الشَّيْءُ أَبْنُ اللَّيْلِ، وَالنَّدَى الصَّادِرُ عَنِ الْغَيْثِ ، وَالْفَرِيدُ الْمُنْتَسِبُ إِلَى مَعْدِنِ وَلَآئِنَا عُنُصْرُهُ ، وَالْمُحَلَّلُ الَّذِي مَبْضَعُهُ بِإِشْرَاقِ جُودِنَا عَلَيْهِ نَبْرُهُ .

ولما كان فلان هو الذى تَوَتَّعَ عَقْدَ هذا الثناء بِمِثْنِهِ ، وَرَتَّعَ لتناول راية الإمارة بِمِثْنِهِ ، وقابل إقبالَ طلعنا فاكسبه اشراقنا إثارةَ جبينه - أَقْضَى حَسَنُ الرأى الشريف أن تُضَمَّ عقود الإحسان بِتحلية تحره ، وأن تُضْفَى عليه ملابسُ جودنا وِرِّه .

فلذلك خرج الأمر الشريف لابرَح



وهذه نسخة منشور ، وهى :

أما بعد حمد الله منور الأهلَّة في آفاقها ، ومُنَوَّل عوارفه بأزراقها ، ومُكَلَّ عطاياه بإطلاقاتها ، ومنشئ ذراريِّ الأولياء كالذراريِّ في إشراقها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جمع القلوب بعد اقترافها ، وشَفَعَ في الخلقة إلى خَلْقِها ، وعلى آله وصحبه البحور في اندفاقها ، والبُدُور في اشتقاقها ، فإن أبناء الأولياء أشبالُ الأسود ، وطليهم عاطفتنا تجود ، قد أنشأت نِعْمًا آباءهم فأصبحوا للدولة أنصارا ، وألحقناهم بهم في التقديم فأقروا أبصارا ، وكان مَن تَرَصَّع ناشيا ، وغدا فرعا زاكيا ، وتدرَّب على الصَّوآت يمتطيها ، وتأهل لحلول النعم بِرضا مُقْضِيها ، ودلَّت حركاته على أنَّ الشجاعة سِجَّةُ طَباعه ، وأنه تَرَوَّى بلبان الطاعة من وَقت رِضا ع ، وأنَّ أباه ، أجلَّه الله أحسنَ مَرَباه ، فأشبهه بِجميلِ أتباعه ، وهو فلانُ المُنْتَخَب في الدولة الناضرة ، المُشْبِه في الاضاءة النجومَ السافره .

فلذلك خرج الأمر الشريف

النوع الثالث

(من المناشير ما يفتح بخرج الأمر الشريف)

وحكمها حكم أوامر المناشير المفتحة بالحمد لله ، وبأما بعد حمد الله ، يُقتصر فيها على هذا الافتتاح الذي هو آخر المناشير ، ويُدعى له بما يناسب .

وهذه نسخة منشور يُنسخ على مِنوالها ، وهي :

نخرج الأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى ، الفلانى ،
(بلقب السلطنة واللقب الخاص) أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه فى الآفاق
وصرفه ، أن يُقطع باسم فلان ، ثم يذكر ما أشتملت عليه المربعة الجبسية .

قلت : وقد هدم أن مناشير العُربان منها ما يفتح بالحمد لله ، ومنها ما يفتح
بأما بعد حمد الله ، ومنها ما يفتح بخرج الأمر الشريف ، ومناشير التُركان والأكراد
منها ما يفتح بأما بعد حمد الله ، ومنها ما يفتح بخرج الأمر الشريف على ما تقدم
بيانه ؛ ولا يخفى أن الترتيب فى مناشيرهم على ما تقدم ذكره فى جميع المراتب إلا أنه
قد تمتاز هذه الطوائف بالفاظ تُحْصم ، لاسيما مناشير العرب فانهم يمتازون بالفاظ
وألقاب تُحْصم .



وهذه نسخة منشور لأمير عرب مفتحة بالحمد لله يُنسخ على مِنوالها ، وهي :

الحمد لله الذى أرسل ديم كرمنا دائمة الإمداد ، وسيمل بيجودنا كل حاضر وباد ،
وجعل أيماننا الشريفة تحصى بطولها كل طيب التجار طويل التجاد .

نحمده حمدا يحلاه يزدان ومن جداه يزاد ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تمهد لقائنا خير مهاد ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الكريم الأجداد

الرجبُ الناد ، أرسله لإصلاح الفساد ، وإبراج الكساد ، وكشف العناء وإزالة
العناد ، صلى الله عليه وعلى آله الذين أزهقوا في جهاد أعداء الله البيض الحِداد ،
وأرعقوا السمر الصّعاد ، وعلى أصحابه الذين كانوا يومَ الفخار الساداتِ ويوم التّزال
الأساد ، وسلم تسلياً كثيراً .

وبعدُ ، فإنّ أولى من عمرنا بكرنا مربيه وناديه ، وأمطرنا ثرى أمله بغاديةٍ مُغادية ،
وسفرله وجهه إحساننا عن واضح أسرته ، وقابله إقباله فقدمه على قبيلته وميزه على
أسرته ، من أخلص في طاعتنا ضميراً ، واتّبع جادة مواليتنا فأصبح بتجديد نعمنا
جديراً ، وحذاً في خدمتنا أحسنَ حدو ، وعُرف بجميل المخالصة في الحضر والبدو ،
وأشتهر بالشجاعة التي طالما قرّقت جموعاً ، وأقفرت من الأعداء رُبوفاً ، وآتصف
بالإقدام الذي مالّف عن محارب رجوعاً ، كم أنهل متقفاته في دماء الثّحور ، وأشرع
صعاده فأوردتها الأوردة وأصدرها في الصدور ، ورفّع من أسبتها في ليل النّقع ناراً
قراها لحومُ العدا وأضيافها الأساد والنّسور .

ولما كان فلان هو المتنوّح هذا الإتمام القمر ، والممدّوح في مواقف الحروب
بإقدام عمرو .

فلذلك خرج الأمر الشريف - لا يرحت شاملة مواهبه ، هاملة صحائبه - أن يجرى
في إقطاع

أما الزبادات والتعويضات فإنها ان أقيمت بما بعد فعل ما تقدم في أمراء
العشرات إلا أنه يقال «أن يُجرى في إقطاعات» على الجمع ، وإن أفتحت بخرج
الأمر الشريف ، فعل ما تقدم في إقطاعات الأجناد إلا أنه يقال «أن يجرى»
ولا يقال أن يُقطع .

المقالة الثامنة

[في الإيمان] ، وفيها بابان

الباب الأول

في أصول يتعين على الكاتب معرفتها قبل الخوض
في الإيمان ، وفيه فصلان

الفصل الأول

فيما يقع به القسم ، وفيه طرفان

الطرف الأول

(في الأقسام التي أقسم بها الله تعالى في كتابه العزيز)

إعلم أنه قد ورد في القرآن الكريم أقسام أقسم الله تعالى بها إقامة للحجة على
المخالف بزيادة التأكيد بالقسم ، وهي على ضربين :

الضرب الأول — ما أقسم الله تعالى فيه بذاته أو صفاته والمقصود منه مجزئ
التأكيد .

وقد ورد ذلك في مواضع يسيرة من القرآن :

منها قوله تعالى : (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَا أَنْكُمْ تَتَّقُونَ) .
وقوله : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . وقوله : (فَوَرَبِّكَ
لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا) . وقوله : (فَلَا وَرَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) .

ومنها قوله تعالى : (يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) . وقوله : (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) . وقوله : (ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ) . وقوله : (حَم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ) .
الضرب الثاني — ما أقسم الله تعالى فيه بشيء من مخلوقاته ومَصْنُوعَاتِهِ .
والمقصود منه مع التأكيد التنبيه على عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَجَلَالَةِ عَظَمَتِهِ ، من حيثُ
إِبْدَاعِهَا ، تَعْظِيمًا لَهُ لَا لَهَا .

وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة من القرآن ، لاسيما في أوائل السور : فاقسم
تعالى بالسماء والأرض ، والشمس والقمر ، والنجوم والرياح ، والجال والبار ،
والنهار والليل والنهار ، وما تنزع عنهما من الأوقات المخصوصة ، وبالملائكة الكرام
المُسَخَّرِينَ فِي تَدْوِيرِ خَلْقِهِ ، إلى غير ذلك من الحيوان والنبات وغيرها . وقيل المراد
في القسم بها وقت كذا .

فأما ما في أوائل السور فقال تعالى : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ
ذِكْرًا) . وقال جل وعز : (وَالذَّارِيَاتِ ذُرًّا فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا
فَالْمَقْسِمَاتِ أَمْرًا) . وقال جلَّتْ عَظَمَتُهُ : (وَالطُّورِ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ
وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّفِّ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) . وقال : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) .
وقال : (لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) . وقال : (وَالْمُرْسَلَاتِ
عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْقَارِعَاتِ قَارِعًا فَالْمُفْلِقَاتِ ذِكْرًا) .
وقال : (وَالنَّازِعَاتِ غُرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّاعِيَاتِ سَبْعًا فَالْمُتَعَاتِرَاتِ سَعًّا
فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا) . وقال : (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) . وقال :
(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) . وقال : (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشِيرِ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ
إِذَا يَسِيرُ) . وقال : (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ) .

وقال : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) . وقال : (وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا يَجِيٓءُ) . وقال : (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) . وقال : (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) .

وأقسم بالملائكة القائمين في عبادته ، والمُسَحَّرِينَ في تدمير مخلوقاته في قوله : (وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) . قيل المراد بالصَّافَّاتِ : الصَّافُّونَ صُفُوفًا ، وبالزَّاجِرَاتِ الملائكة التي تَزَجِرُ السَّحَابَ . وفي قوله : (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) . قيل : المراد الملائكة التي تُقَسِّمُ الْأَرْزَاقَ عَلَى الْخَلْقِ . وفي قوله : (وَالتَّالِيَاتِ غُرْفًا وَالتَّالِيَاتِ نَسْطًا) . قيل : التَّالِيَاتُ الملائكة تَنْزِعُ رُوحَ الْكَافِرِ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَالتَّالِيَاتُ تَنْشِطُ رُوحَ الْمُؤْمِنِ كَمَا يَنْشِطُ الْعِقَالُ مِنْ يَدِ الْبَعِيرِ . وقوله تعالى : (وَالْمُرْسَلَاتِ غُرَفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالتَّائِيَاتِ تُنَادِي بِالنَّارِ فَالْمُقَرَّبَاتِ فَرَقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا) . وقوله تعالى : (وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشِيرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) . وقوله تعالى : (لَا أَقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٌ وَمَا وُلَدٌ) . وقوله تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاها وَاللَّيْلِ إِذَا يَشْهَاجُهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا) . وقوله تعالى : (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) . وقوله تعالى : (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) . وقوله تعالى : (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) . أقسم بالعصر وهو الدهر .

وأما في أثناء السور فمنه قوله تعالى : (فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) . وقوله : (فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) . وقوله : (لَا أَقْسِمُ بِالْشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) .

(١) من أول قوله تعالى : والقمر إلى قوله تعالى : والعصر إلى الإنسان في خمس ليس من القسم بالملائكة ، وقد تقدم بيانه قبل أسطر ، فاعادته هنا سهو .

الطرف الثاني

(في الأقسام التي تُقسَّم بها الخلق ، وهي على ضربين)

الضَّرب الأول

(ما كان يُقسَّم به في الجاهلية)

إِعلم أَنَّ مَبْنَى الْإِيمَانِ عَلَى الْحَلْفِ بِمَا يُعْظَمُ الْحَالِفُ وَيَحْرَزُ مِنَ الْحِنْثِ عِنْدَ الْحَلْفِ بِهِ . فَأَهْلُ كُلِّ مِلَّةٍ يَحْلِفُونَ بِمَا هُوَ عَظِيمٌ لَدَيْهِمْ فِي حُكْمِ دِيَارِهِمْ . وَلَا خَفَاءَ فِي أَنَّ كُلَّ مُعْتَرِفٍ لِلَّهِ تَعَالَى بِالرُّبُوبِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الدِّيَارَاتِ يَحْلِفُ بِهِ ، سِوَاهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَوْ مُشْرِكًا ، ضَرُورَةً اعْتَرَفَهُمْ بِالْوَهْيَةِ تَعَالَى ، وَالْإِقْبَادِ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ .

وقد حكى الله تعالى عن الكُفَّارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ رَعَايَةَ الْقَسَمِ بِاللَّهِ فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ . وَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ . وَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ .

ثم اليهود يحلفون بالتَّورَةِ ، والنصارى يحلفون بالإِنْجِيلِ ، وَعِبَدَةُ الْأَوْثَانِ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يَحْلِفُونَ بِأَوْثَانِهِمْ ؛ وَكَانَ أَكْثَرُ حَلْفِ عَرَبِ الْحِجَازِ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى . وَبِمَا جَنَحُوا عَنْ صَوْرَةِ الْقَسَمِ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّعْلِيْقِ . مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ فَضَلْتُ كَذَا فَعَلْتُ كَذَا ، أَوْ فَا كَذَا ، أَوْ فَاقُونَ كَذَا لَكَذَا أَوْ خَارِجًا عَنْ كَذَا أَوْ دَاخِلًا فِي كَذَا ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

وقد كانت العرب تأتي في نظمها وتثرها [عند] حلفها بالتعليق بإضافة المكروه إلى واقعة ما يحذرونه : من هلاك الأتقيس والأموال، وفساد الأحوال، وما يجري مجرى ذلك .

قال الجاحظ : قال الهيثم : يمين لا يحلف بها أعراي^١ أبدا ، وهي أن يقول : لا أورد الله لك صافيا ، ولا أصدر لك^(١) وأريدا ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك ، يعني إن فعلت كذا .

وقال النابغة الذبياني :

مَا إِنْ أَتَيْتُ بَشِيءَ أَنْتَ تَكْرَهُهُ * إِذَا فَلَا رَفَعْتَ سَوْطِي إِلَى يَدِي
وقال الأشتر النخعي :

بَقِيتُ وَفِرِي وَأَنْحَرَفْتُ عَنِ الْعُلَى ، * وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ !
إِنْ لَمْ أَشْنِ عَلَى ابْنِ حَرْبٍ غَارَةً * لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ !
وقال معد^(٢) [ان] بن جواس الكندي :

إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتَ عَنِّي ، فَلَا مَنِي * صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ !
وَكَفَنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا بِرِدَائِهِ * وَصَادَفَ حَوْطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلُ !
وقال مدني بن زيد :

فَإِنْ لَمْ تَهْلِكُوا فَتَكَلَّتْ عَمْرًا * وَجَانِبْتُ الْمُرُوقَ وَالسَّمَاعَا !
وَلَا مَلَكَتْ يَدَايَ عِنَانَ طَرْفٍ * وَلَا أَبْصَرْتُ مِنْ شَمْسٍ شُعَاعَا !

(١) كذا في الأصل ولعل الصواب «صادرا» كما يقتضيه المقام .

(٢) زيادة الألف والنون من ديوان الحساسة .

وَلَا وَضَعْتَ إِلَى عَلَى خَلَاءٍ * حَصَانٌ يَوْمَ خَلَوْتِهَا قَنَاعًا !
وقال عمرو بن قبيصة :

فَإِنْ كَانَ حَقًّا كَمَا خَبَرُوا * فَلَا وَصَلْتُ لِي يَمِينٌ شِمَالًا
وقال العلوي البصري :

وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ أَصْطَرِ لَشَبَا الْقَنَاءِ * فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْحَجْدِ إِنْ لَمْ تُنْقَرِ !
وَإِذَا تَأَمَّلْتُ شَخْصَ ضَيْفٍ طَارِقًا * مَتَسَرِّبًا مِرْبَالًا لَيْلٍ أَغْبَرًا !
أَوْمًا إِلَى الْكَوْمَاءِ هَذَا طَارِقٌ * عَزَّتِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِ !
وقال محمد بن الحصين الأنباري :

نَيْكَتْنِي الَّتِي تُؤْمَلُ إِدْرَا * لَكَ الْمُتَى بِي وَعَاجَلْتَنِي الْمُنُونُ !
إِنْ تَوَلَّى بظُلْمِنَا عَبْدٌ عَمْرُو * ثُمَّ لَمْ تَلْفِظِ السُّيُوفَ الْجُفُونُ !

الضرب الثاني

(الأقسام الشرعية)

والمرجوع فيه إلى صيغة الحلف وما يُحلف به .

فأما صيغة الحلف ففيه صريح وكناية : فالصريح يكون مع الإتيان بلفظ الحلف، كقوله : أحلف بالله لأفعلن كذا، وأقسم بالله لأفعلن كذا، [و] مع الإتيان بحرف من حروف القسم : وهى الواو كقوله : والله ، والباء الموحدة كقوله : بالله لأفعلن كذا، والتاء المثناة فوق كقوله : تالله لأفعلن كذا . وقد ورد القسم في القرآن الكريم بالواو، كما في قوله تعالى : ((ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ)) .

وبالثناء المثناة : كما في قوله تعالى حكايةً عن الخليل عليه السلام : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴾ . وقوله حكايةً عن إخوة يوسف عليه السلام خطاباً لأبيهم : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنُ تَذْكَرُ يَوْسُفَ ﴾ . وقوله حكايةً عنهم في خطاب يوسف عليه السلام : ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ طِينًا ﴾ . فإذا أتى باليمين بصيغة من هذه الصيغ انعقدت يمينه . نوى اليمين أو لم ينو .

والحكاية كقوله بلا ، بحرف القم وبالله ، ولعمرك الله ، وأيم الله ، وأشهد بالله ، وأعزم بالله . فإذا أتى بصيغة من هذه الصيغ ونوى اليمين انعقدت وإلا فلا . وفي معنى ذلك تعليق التزام فعل أو تركه ، بشرط أن يكون ذلك قرينة ، كقوله : إن فعلت كذا فعلت كذا ، أو يكون كفارة يمين ، مثل أن يقول : إن فعلت كذا فعلت كفارة يمين .

وأما ما يخلف به فهو على أربعة أصناف :

الصنف الأول — اسم الله تعالى الذي لا يشاركه فيه غيره ، وهو الله والرحمن . ولا نزاع في انعقاد اليمين به بكل حال إذ لا ينصرف بالنية إلى غيره ، قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَلِبْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ : أى هل تعلم أحداً تسمى الله غيره . وقال جل وعز : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ . فجعل اسمه الرحمن قريناً لاسمه الله . ولا عبرة بتسمية مسيئة الكتاب — لعنه الله — نفسه رَحْمَنَ إِيْمَامَةً تَجْهَرُهَا ، إذ لم يتسم به إلا مقيداً بإضافته إلى الإيمامة . وكذلك الأزل^(١) الذي ليس قبله شيء .

(١) لعل الأولى "الأزل" .

الصفنف الثاني — أسم الله تعالى الذى يسمى به غيره على سبيل المجاز، وعند الإطلاق ينصرف إلى الله تعالى : كالرحيم ، والعليم ، والحليم ، والحكيم ، والخالق ، والرازق ، والجبار ، والحق ، والرب . فإن قصد به الله تعالى انعقدت اليمين ، وإن قصد به غيره فلا تنعقد ، ويدين الحالف .

الصفنف الثالث — ما يستعمل فى أسماء الله تعالى مع مشاركة غيره له فيه : كالوجود ، والحق ، والتأطى ، ولا تعتقد به اليمين ، قصد الله تعالى أو لم يقصد : لأن اليمين إنما تعتقد بجرمة الاسم ، وإنما يكون ذلك فى الخاص دون المشترك .

الصفنف الرابع — صفات الله تعالى . فإن كانت الصفة المحلوف بها صفة لذاته كقوله : وعظمته الله ، وجلاله الله ، وقدرته الله ، وعزته الله ، وكبرياء الله ، وعلم الله ، ومشيئة الله ، انعقدت اليمين وإلا فلا . ولو قال : وحق الله ، انعقدت اليمين عند الشافعى ومالك وأحمد رحمهم الله . وذهب أبو حنيفة إلى أنها لا تعتقد : لأن حقوق الله تعالى هى الطاعات ، وهى مخلوقة ، فلا يكون الحلف بها يمينا . ولو قال : والقرآن انعقدت اليمين عند الشافعى رضى الله عنه خلافاً لأبى حنيفة .

وقد كان أكثر حلف النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « والذى نفسى بيده » وأيمان الصحابة فى الغالب : وربّ محمد ، وربّ إبراهيم . وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يحلف : « لا ومقلب القلوب » .

ثم اليمين الشرعية التى يحلف بها الحكماء : إن كان مسلماً أحلف بالله الذى لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، الذى أنزل القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . وإن كان يهودياً أحلف بالله الذى أنزل التوراة على موسى ونجّاه من الفرق . وإن كان نصرانياً أحلف بالله الذى أنزل الإنجيل على عيسى بن مريم .

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة الثامنة

(في بيان معنى اليمين الغموس ، وَلَقَوِ الْيَمِينَ ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْحِنْثِ

وَالْوُقُوعِ فِي الْيَمِينِ الْغَمُوسِ ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في بيان معنى اليمين الغموس ، وَلَقَوِ الْيَمِينَ)

أما معناها ، فقال الشافعي رضي الله عنه : ^(١) هي أن يكون الحالف في خبره كاذبا .
وقال غيره : هي أن يحلف على ما مضى ^(٢) وإن لم يكن ، وهما متقاربان . وإنما سُمِّيَتْ
الغموس لأنها تنمّس صاحبها في الإثم .

وقد اختلف في وجوب الكفارة فيها : فذهب الشافعي رضي الله عنه إلى
وجوب الكفارة فيها تغليظا على الحالف ، كما أوجب الكفارة في قتل الممد ،
وهو مذهب عطاء والزهرى وأبن عينة وغيرهم . وذهب أبو حنيفة ومالك
وأحمد رضي الله عنهم إلى أنه لا كفارة فيها ، احتجاجا بأنها أعظم من أن تكفر :
لأنها من الكبائر العظام ، وهو مذهب الثوري والليث وإسحاق ، وحكى عن
سعيد بن المسيّب .

وأما لقو اليمين فقد اختلف فيه أيضا : فذهب الشافعي إلى أنه ما وقع من غير
قصد : ماضيا كان أو مستقبلا كقوله : لا والله ، ولي والله ، وهو إحدى الروايتين

(١) أي اليمين الغموس .

(٢) عبارة الخطيب الشربني في تفسيره «على أمر ماض أنه كان ولم يكن» وهي أوضح .

عن أحمد . وذهب أبو حنيفة إلى أنه الحلف على الماضى من غير قصد الكذب فى يمينه ، مثل أن يَقْنَّ شيئا فيحلف عليه ؛ وهو الرواية الثانية عن أحمد ، وحكى عن مالك أن هذه هى اليمين القموس .

الطرف الثانى

(فى التحذير من الوقوع فى اليمين القموس)

أما اليمين القموس فلأنها من أعظم الكبائر ، ونهايك أنها تفسد صاحبها فى الإثم . وقد قال تعالى : ﴿ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِالَّذِينَ آمَنْتُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ ﴾ . وقال جل وعز : ﴿ وَلَا تَقْضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاعِرٌ لِقَطِيعَ بَهْمَا مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ » . وقد قيل إن التوحيد (وهو : الذى لا إله إلا هو) إنما أُوصِلَ فى اليمين رِقْصًا بالخالف كى لا يهلك لوقته ، فقد روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : « إِذَا حَلَفَ الْخَالِفُ بِاللَّهِ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَمْ يُعَاجِلْ لِأَنَّهُ قَدْ وَحَدَ اللَّهُ تَعَالَى » .

ويروى أن جعفر بن محمد عليه السلام : أَدْعَى عَلَيْهِ مُدَّعٍ عِنْدَ قَاضٍ ، فَأَحْلَفَهُ جَعْفَرُ بِاللَّهِ ، لَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، فَهَلَكَ ذَلِكَ الْخَالِفُ لَوَقْتِهِ ، فَقَالَ الْقَاضِى وَمَنْ حَضَرَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : إِنَّ يَمِينَهُ بِمَا فِيهِ تَنَاءً عَلَى اللَّهِ وَمَدْحٌ يُؤْثِرُ الْعُقُوبَةَ كَرَمًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْضَى . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه : « أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرٌّ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَذَبًا عُوِجِلَ » .

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن عبد الله بن مصعب الزيرى سعى يحيى بن عبد الله بن الحسن إلى الرشيد، بعد قيام يحيى بطلب الخلافة، فجمع بينهما وتوافقا، ونسب يحيى إلى الزيرى شعراً يقول منه :

قُومُوا بِبَيْعَتِكُمْ نَهَضْ بِطَاعَتِهَا * إِنَّ الْخِلَافَةَ فِيكُمْ يَا بَنِي حَسَنَ

فأنكر الزيرى الشعر، فأحلفه يحيى، فقال : قل قد برئت من حَوْلِ اللَّهِ وقُوَّتِهِ، وَأَعْتَصَمْتُ بِحَوْلِي وقُوَّتِي، وَقَلَّدْتُ الْحَوْلَ والقُوَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَسْتَبْكَاراً عَلَى اللَّهِ، وَأَسْتِغْنَاءً عَنْهُ، وَأَسْتِعْلَاءً عَلَيْهِ، فامتنع . فغضب الرشيد وقال : إن كان صادقاً فليحلف، وكان للفضل بن الربيع فيه حوى، فرفسه برجله، وقال : وَيَحْكُ أَحْلَفُ ! فحلف ووجهه متغير وهو يرعد، فما برح من موضعه حتى أصابه الجُدَامُ ففقطع ومات بعد ثلاثة أيام، ولما حُلِ إلى قبره ليوضع فيه آنخسف به حتى غاب عن أعين الناس، وخرجت منه فَبْرَةٌ عظيمة، وجعلوا كلها هالوا عليه التراب آنخسف، فسَقُّوه وأنصرفوا .

الباب الثانى

من المقالة الثامنة

(فى نُسَخِ الأَيِّمَانِ المُلُوكِيَّةِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

فى نُسَخِ الأَيِّمَانِ المتعلِّقَةِ بالخُلَفَاءِ ، وهى على نوعين

النوع الأول

(فى الأَيِّمَانِ التى يُحْلَفُ بها على بيعَةِ الخليفة عند مبايعته ،

وهى الأصل فى الأَيِّمَانِ المُلُوكِيَّةِ بِأَسْرِهَا)

وَأَوَّلُ من رَتَبَهَا المَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ حين أَخَذَهُ البَيْعَةَ لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ على
أهلِ العِراقِ ، ثم زِيدَ فيها بعد ذلك ، وتَقَرَّحَتْ فى الدَّولَةِ العَبَّاسِيَّةِ وتَضَعَّتْ . وكان
عَادَتُهُمْ فيها أن يجرى القَوْلُ فيها بِكَافِ الخِطَابِ ، كما فى مَكاتِبَتِهِمْ يَوْمئِذٍ ، ورَبَّمَا
أُتِيَ فيها بِلَقْظِ المتكلم .

وهذه نُسَخَةٌ يَبِينُ أوردَهَا أَبُو الحُسَيْنِ الصَّابِغِي فى كتابِهِ "عُرَرُ البَلَاغَةِ" وهى :

تُبَايِعُ عبدَ الله أميرَ المؤمنينَ فَلانًا : بَيْعَةَ طَوَّعٍ وَآخِيارٍ ، وَتَبَرُّعٍ وَإِيتَارٍ ، وإِعْلانٍ
وإِسْرارٍ ، وإِظْهارٍ وإِضْمارٍ ، وَحِجَّةٍ من غيرِ نَعْلٍ ، وَسَلَامَةٍ من غيرِ دَغَلٍ ، وَثَبَاتٍ
من غيرِ تَبْدِيلٍ ، وَوَفاءٍ من غيرِ تَأْوِيلٍ ، وَأَعْتِرافٍ بما فيها من أَجْتِماعِ الشَّعْلِ ، وَأَتِّصالِ
الحَبْلِ ، وَأَتَنْظامِ الأمورِ ، وَصِلاحِ الجُمُهورِ ، وَحَقِّقِ البَهاءِ ، وَسُكُونِ الذَّهْماءِ ،
وَسَعادَةِ الخِلاصَةِ والمائَةِ ، وَحُسْنِ المائَةِ على أَهلِ المِلَّةِ والنِّمَّةِ - على أن عبدَ الله فَلانًا

أمير المؤمنين عبد الله الذي أصطفاه ، وأمينه الذي أرتضاه ؛ وخليفته الذي جعل طاعته جاريةً بالحق ، وموجبةً على الخلق ؛ وموردةً لهم مورد الأمن ، وعاقدةً لهم معاهد الأمن ، وولايته مؤذنةً بحمل الصنع ، ومؤديةً لهم إلى جزيل النفع ، وإمامته التي اقترن بها الخير والبركة ، والمصلحة العامة المشتركة ؛ وأمل فيها قمع الملحد الجاحد ، ورد الجائر الحائد ، وقم العاصي الخالع ، وعطف الفأوى المنازع . وعلى أنك ولي أوليائه ، وعدو أعدائه : من كل داخل في الجملة ، وخارج عن الملة ، وعائذ بالهوزة ، وحائذ عن الدعوه ، وتمسك بما بذله عن إخلاص من رائك ، وحقيقة من وفائك ؛ لا تنقص ولا تنكث ، ولا توارى ولا تُخادع ، ولا تُداحى ولا تُخاتل ، ولا يترك مثل نيتك ، وقولك مثل طويتك . وعلى أن لا ترجع عن شيء من حقوق هذه البيعة وشرائطها على ممر الأيام وتطاولها ، وتغير الأحوال وتقلبها ، واختلاف الأوقات وتقلبها . وعلى أنك في كل ذلك من أهل الملة الإسلامية ودعاتها ، وأعوان المملكة العباسية ورعاتها ، لا يتداخل قولك مواربة ولا مداهنة ، ولا يعترضه مغالطة ولا يتعقبه مخالفه ، ولا يُحبس به أمانه ، ولا تقله خيانه ؛ حتى تلقى الله تعالى مقبلاً على أمرك ، ووفياً بعهديك ؛ إذ كان مبأىء ولاة الأمر وخلفاء الله في الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِ يُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي أعطيت بها صفة يدك ، وأصفت فيها سريرة قلبك ؛ والتمت القيام بها ما طال عمرُك ، وأمتد أجلُك - عهد الله إن عهد الله كان مسئولاً ، وما اخذَه على أنبيائه ورسله ، وملائكته وحمله عرشه : من آيمان مغلظة وعهود مؤكدة ، ومواثيق مشددة ؛ على أنك تسمع وتُصغي ، وتطيع ولا تمضي ، وتمتد

ولا تَمِيد، وَتَسْتَقِيمُ وَلَا تَمِيلُ ؛ وَتَقِي وَلَا تَقْدِرُ ، وَتَثْبِتُ وَلَا تَتَغَيَّرُ ؛ فَتَقِي زُلْتَ عَنْ
هَذِهِ الْحُجَّةَ خَافِرًا لِأَمَانَتِكَ ، وَرَافِعًا لِذِيَانَتِكَ ؛ بِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى رُبُّو بَيْتَهُ ، وَأَنْكَرْتَ
وَحُدَانِيَّتَهُ ، وَقَطَعْتَ عِصْمَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ وَجَدَّذَتْهَا ، وَرَمَيْتَ طَاعَتَهُ
وَرَاءَ ظَهْرِكَ وَنَبَذْتَهَا ، وَلَقِيتَ اللَّهَ يَوْمَ الْحَشْرِ إِلَيْهِ ، وَالْعَرْشُ عَلَيْهِ ، غَالِقًا لِأَمْرِهِ ،
وَنَاقِضًا لِعَهْدِهِ ؛ وَمَقِيًّا عَلَى الْإِنْكَارِ لَهُ ، وَمُصِرًّا عَلَى الْإِشْرَاقِ بِهِ ؛ وَكُلُّ مَا حَلَّلَهُ اللَّهُ لَكَ
مَحْرَمٌ عَلَيْكَ ، وَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ يَوْمَ رُجُوعِكَ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَرْتَجَاعِكَ مَا أُعْطِيَتْهُ فِي قَوْلِكَ :
مِنْ مَالٍ مَوْجُودٍ وَمَذْخُورٍ ، وَمَصْنُوعٍ وَمَضْرُوبٍ ، وَسَارِجٍ وَمَرْبُوطٍ ، وَسَائِمٍ
وَمَعْقُولٍ ؛ وَأَرْضٍ وَضَيْعَةٍ ، وَعَقَارٍ وَعُقْدَةٍ ، وَمَمْلُوكٍ وَأَمَةٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ ،
مَحْرَمَةٌ عَلَى مَرِّ السِّنِينَ ؛ وَكُلُّ أَمْرٍ لَكَ تَمْلِكُ شَعْرَهَا وَبَشَرَهَا ، وَأُخْرَى تَتَرَجَّعُهَا مِنْ
بَعْدِهَا طَالَتْ ثَلَاثًا بَتَانًا ، طَلَّاقُ الْحَرْجِ وَالسَّنَةِ ، لَا رَجْعَةَ فِيهَا وَلَا مَتْنُوَّةٌ ؛ وَعَلَيْكَ
الْحَلْجُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ ذَفْعَةً حَاسِرًا حَافِيًّا ، وَرَاجِلًا مَاشِيًا ،
نَذْرًا لَازِمًا ، وَوَعْدًا صَادِقًا ؛ لَا يُبْرِيكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَضَاءُ لَهَا ، وَالْوَفَاءُ بِهَا ؛ وَلَا قَبِيلَ
مِنْكَ تَوْبَةٍ وَلَا رَجْعَةٍ ، وَلَا أَقَالَكَ عَقْرَةٌ وَلَا صَرَعَةٌ ؛ وَخَذَلَكَ يَوْمَ الْأَسْتَنْصَارِ بِمَحْوَلِهِ ،
وَأَسْلَمَكَ عِنْدَ الْأَعْتَصَامِ بِمَحْبَلِهِ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ قَوْلُكَ قُلْتَهَا قَوْلًا فَصِيحًا ، وَسَرَدْتَهَا سَرْدًا
صَرِيحًا ؛ وَأَخْلَصْتَ فِيهَا سِرَّكَ إِخْلَاصًا مُبِينًا ، وَصَدَقْتَ بِهَا عَزَمَكَ صِدْقًا يَقِينًا ؛ وَالنِّيَّةُ
فِيهَا نِيَّةُ فَلَانٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ دُونَ نِيَّتِكَ ، وَالطَّوْيَةُ دُونَ طَوْيَتِكَ ؛ وَأَشْهَدْتَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى
نَفْسِكَ بِذَلِكَ (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَافِظًا وَرَقِيبًا .



وهذه نسخةُ يَمِينِ بَيْعَةِ أوردَهَا أَبُو حَمْدُونَ فِي "تَذَكُّرَتِهِ" وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَعْدٍ
فِي "تَرْسُلِهِ" تَوَارَدَتْ مَعَ الْبَيْعَةِ السَّابِقَةِ وَأَيَّامُهَا فِي بَعْضِ الْأَقْفَافِ ، وَخَالَفَتْ
فِي أَكْثَرِهَا ، وَهِيَ :

تُبايع الإمام أمير المؤمنين بِنِعَّة طَوْعٍ وإِثَارٍ، وَرِضَاٍ وَأَخْتِيَارٍ، وَأَعْقَادٍ وَإِشْهَارٍ،
وإِعْلَانٍ وَإِسْرَارٍ؛ وإِخْلَاصٍ مِنْ طَوِيلِكَ، وَصِدْقٍ مِنْ نَيْتِكَ، وَأَنْشَرَاخِ صَدْرِكَ
وَصِحَّةِ عَزِيمَتِكَ؛ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ، وَمُقَادًّا غَيْرَ مُجْبَرٍ؛ مُقَرًّا بِفَضْلِهَا، مُدْعًا بِحَقِّهَا،
مُعْتَرِفًا بِرِكَتِهَا، وَمُعْتَدًّا بِحُسْنِ عَائِدَتِهَا؛ وَعَلِيًّا بِمَا فِيهَا وَفِي تَوْكِيدِهَا مِنْ صَلَاحِ
الْكَلَفَةِ، وَاجْتِنَاعِ الْكَلِمَةِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ؛ وَلَمْ الشَّعْتُ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ، وَسَكُونِ
الدَّهْمَاءِ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ، وَقَعَ الْأَعْدَاءُ - عَلَى أَنْ فَلَاتًا عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، وَالْمُقَرَّرُ
عَلَيْكَ طَاعَتُهُ، وَالوَاجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ إِقَامَتُهُ وَوِلَايَتُهُ، الْأَلَزِمُ لَهُمُ الْقِيَامُ بِحَقِّهِ، وَالْوَفَاءُ
بِعَهْدِهِ، لَا تَشْكُ فِيهِ، وَلَا تَرْتَابُ بِهِ، وَلَا تُدَاهِنُ فِي أَمْرِهِ وَلَا تَمِيلُ؛ وَأَنْتَ وَلِيُّ وَلِيِّهِ،
وَعَدُوُّ عَدُوِّهِ؛ مِنْ خَاصٍّ وَعَامٍّ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ، وَحَاضِرٍ وَغَائِبٍ، مُتَمَسِّكٌ فِي بَيْعَتِهِ
بِوَفَاءِ الْعَهْدِ، وَذِمَّةِ الْعَقْدِ؛ سِرِّرُكَ مِثْلَ عَلَانِيَتِكَ، وَظَاهِرُكَ فِيهِ مِثْلُ بَاطِنِكَ،
وَبَاطِنُكَ فِيهِ وَفْقَ ظَاهِرِكَ . عَلَى أَنْ إِنْغِطَاعَكَ اللَّهُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَوْكِيدَكَ
إِيَّاهَا فِي عَقْدِكَ، لِفُلَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ قَلْبِكَ، وَاسْتِقَامَةٍ مِنْ عَزِيمَتِكَ،
وَأَسْتِمْرَارٍ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ . عَلَى أَنْ لَا تَسْأَلَ عَلَيْهِ فِيهَا؛ وَلَا تَسْعَى فِي تَقْيِصِ شَيْءٍ
مِنْهَا، وَلَا تَقْعُدَ عَنْ نُصْرَتِهِ فِي الرَّخَاءِ وَالشَّدَّةِ، وَلَا تَدْعَ النَّصْرَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ
وَحَادِثَةٍ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى مُوَفِّيًّا بِهَا، مُؤَدِّيًّا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا إِذَا كَانَ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ
وَلَاةَ الْأَمْرِ وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ
فَأِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ .

عليك بهذه البيعة التي طوقتها عُنُقُكَ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ، وَأَعْطَيْتَ بِهَا صَفَقَتَكَ؛
وَمَا شَرِطَ فِيهَا مِنْ وَفَاءٍ وَمُؤَالاةٍ، وَنُصْحٍ وَمُشَايَعَةٍ، وَطَاعَةٍ وَمُؤَافَقَةٍ، وَاجْتِهَادٍ
وَمُبَالَغَةٍ - عَهْدَ اللَّهِ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ

السلام، وأخذ على عباده من وكيدات موافيقه، ومخبات عهوده؛ وعلى أن
تمسك بها ولا تبدل، وتستقيم ولا تميل .

وإن نكثت هذه البيعة، أو بدلت شرطاً من شروطها، أو عفت رسماً من
رسومها، أو غيرت حكماً من أحكامها، معلنًا أو ميسرًا، أو مختلًا أو متأولًا، أو زغت
عن السبيل التي يسلكها من لا يخفر الأمانة، ولا يستحل الفدر والخيانة؛ ولا يستجير
حل العقود - فكل ما يملكه من عَيْنٍ أو وَرَقٍ أو آتِيَةٍ أو عَقَارٍ أو زَرْعٍ أو ضَرْعٍ
أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعقَّدة، والأمور المتدخِّرة، صدقةً على المساكين،
عمرَةً عليك أن ترجع من ذلك، إلى شيء من مالك، ببيعة من الحيل، على وجه
من الوجوه وسبب من الأسباب، أو تخرج من خارج الإيمان؛ وكل ما يُفيدة
في بقية عمرك: من مال يهل خطره أو يحل، فذلك سبيله إلى أن تنفك منيتك،
ويأتيك أجلك . وكل مملوك لك اليوم أو يملكه إلى آخر أيامك أحراراً سائبون
لوجه الله تعالى، ونسألك يوم يلزمك الحنث، ومن تروج بعدن مدة بقاءك
طوالق ثلاثاً بستاناً، طلاق الحرج والسنة، لا مثنوية فيها ولا رجعة، وعلبك المثنى
إلى يلبث الله الحرام ثلاثين حجة حافياً حامراً راجلاً، لا يرضى الله منك إلا
بالوفاء بها، ولا يقبل الله منك صرفاً ولا عدلاً، وخذلك يوم تحتاج إليه، وبرأك
الله من حوله وقوته، وأجلك إلى حولك وقوتك، والله تعالى بذلك شهيدٌ
(وَكفى بالله شهيداً) .

الضرب الثاني

(الأيمان التي يُحْلَفُ بها الخلفاء)

وقل من تعرض لها لِقْلَةٌ وقوعها ، إذ الخليفة قلما يُحْلَفُ : لعلو مرتبته ، وارتفاع محله . ومدار تحليف الخلفاء بعد القسم بالله على التحليق بوقوع المحذور عليهم ، ولزومه لهم ، مثل البراءة من الخلافة والانحلاع منها ، وما يجري مجرى ذلك . ولم أقف على ذلك إلا في ترسل الصابي ، وذلك حين كان الأمر معدوقا بالخلفاء .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الثامنة

(في نُسْخ الأيمان المتعلقة بالملوك ، وفيه خمسة مَهاييع)

المهييع الأول

(في بيان الأيمان التي يُحْلَفُ بها المسلمون ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(من الأيمان التي يُحْلَفُ بها المسلمون أيماناً أهل السنة)

وهي التّمين السّامة التي يُحْلَفُ بها أهل الدولة : من الأمراء والوزراء والنواب ، ومن يجري مجراهم .

وهذه نُسْخَةُ تَمِينٍ أوردتها في " التعريف " وهي :

أقول وأنا فلان : والله والله والله ، وبالله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، والله العظيم الذي لا إله إلا هو ، الباري الرحمن الرحيم ، عالم الغيب والشهادة ، والسر

والعلانية، وما تُخفي الصدور؛ القائم على كل نفس بما كسبت، والمجازي لها بما عملت . وحق جلال الله، وقُدرة الله، وعظمة الله، وكبرياء الله، وسائر أسماء الله الحسنى، وصفاته العلىا إننى من وقته هذا، وما مد الله في عمري، قد أخلصت نيتي، ولا أزال مجتهدا في إخلاصها، وأصفيت طوبىي، ولا أزال مجتهدا في إصفايتها، في طاعة مولانا السلطان فلان الفلاني - خلد الله ملكه - وخدمته وحبته، وأمنتايل مراسميه، والعمل بأوامره . وإننى والله العظيم [حرب لمن حاربه، سلم لمن سلمه، عدو لمن عاداه، ولي لمن وآاه من سائر الناس أجمعين . وإننى والله العظيم^(١) لا أضمر لمولانا السلطان فلان سوءا ولا قدرا، ولا خديعة ولا مكرا، ولا خيانة في نفس ولا مال، ولا سلطنة، ولا قلاع ولا حصون، [ولا بلاد ولا غير ذلك] ولا أسمى في تفریق كلمة أحد من أمرائه، ولا ممالكه، ولا عساكره، ولا أجناده، ولا عرثانه ولا تزكياته ولا أكراده، ولا استماله طائفة منهم لغيره، ولا أوافق على ذلك بقول ولا فعل ولا نية ولا بمكاتبة [ولا مراسلة]، ولا إشارة ولا رمز، ولا كناية ولا تصريح . وإن جاءني كتاب من أحد من خلق الله تعالى بما فيه مضره على مولانا السلطان أو أهل دولته لا أعمل به، ولا أصغى إليه، وأحيل الكتاب إلى ما بين يديه الشريفين هو ومن أحضره إن قدرت على إمساكه .

وإننى والله العظيم أنى لمولانا السلطان بهذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أنقضها ولا شيئا منها، ولا أستثنى فيها ولا في شيء منها، ولا أخالف شرطا من شروطها؛ ومتى خالفها أو شيئا منها، أو قضتها أو شيئا منها، أو استثنيت فيها أو في شيء منها طلبا لنقضها، فكل ما أملكه : من صامت وناطق صدقة على الفقراء والمساكين،

وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي عَقْدِ نِكَاحِهِ أَوْ يَتَرَوُّجَهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَهِيَ طَالِقٌ [ثَلَاثًا بَتَانًا عَلَى سَائِرِ الْمَذَاهِبِ] ، وَكُلُّ عَيْدِي وَإِمَائِي أَحْرَارُ لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَعَلَيْهِ الْحُجُّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ ، وَالْوُقُوفُ بِعِرْفَةَ ثَلَاثِينَ حُجَّةً مُتَوَالِيَاتٍ مُتَابِعَاتٍ كَوَامِلٌ ، حَافِيًا مَاشِيًا ، وَعَلَيْهِ صَوْمُ النَّهْرِ كُلَّهُ إِلَّا الْمُنْهَى عَنْهُ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَفُكَّ أَلْفَ رَقِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الْكُفَّارِ ، وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفَتْ هَذِهِ الْيَمِينَ أَوْ شَرَطًا مِنْ شُرُوطِهَا .

وهذه اليمينُ يميني وأنا فلان، والنيةُ فيها بأمرها نيةُ مولانا السلطان فلان، ونيةُ مُسْتَحْلِفِي له بها، لا نيةً لى فى بَاطِنِي وظَاهِرِي [سواها] ، أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَىٰ بِذَلِكَ، وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا أَقُولُ وَكِيلٌ .

قُلْتُ : عَجِيبٌ مِنَ الْمُقَرَّرِ الشَّهَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ مَا أَتَى بِهِ فِي نُسْخَةِ هَذِهِ الْيَمِينَ ، فَإِنَّهُ أَتَىٰ بِهَا بَلْفَظِ التَّكْلِيمِ إِلَى قَوْلِهِ : « وَكُلُّ زَوْجَةٍ » فَعَدَلَ عَنِ التَّكْلِيمِ إِلَى الْغَيْبَةِ ، وَقَالَ فِي نِكَاحِهِ ، وَكَذَلِكَ مَا بَعْدَهُ إِلَى قَوْلِهِ « مَنْ أَسَرَ الْكُفَّارَ وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ خَالَفَتْ هَذِهِ الْيَمِينَ » وَأَتَى بِصِيغَةِ التَّكْلِيمِ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ . فَإِنْ كَانَ قَرَأَ فِي قَوْلِهِ : وَكُلُّ زَوْجَةٍ فِي نِكَاحِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ فِي نِكَاحِي فَتَطْلُقَ زَوْجَتُهُ هُوَ ، فَلَا وَجْهَ لَهُ : لِأَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الطَّلَاقُ ، وَكَذَا مَا بَعْدَهُ مِنَ الْعِتْقِ وَغَيْرِهِ .

وَأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَوْلُهُ : وَيَكُونُ بَرِيئًا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ إِنْ خَالَفْتُ ، بِقَمْعٍ بَيْنَ الْغَيْبَةِ وَالتَّكْلِيمِ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ ! ! . عَلَىٰ أَنْ مَا ذَكَرَهُ بَلْفَظِ الْغَيْبَةِ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا سَطَّرَهُ فِي النُّسخَةِ . أَمَا إِذَا كُنْتُ يَمِينُ

وقد ذكر صاحبُ "التقيف" جميع ذلك بلفظ التكلم ، مع المخالفة في بعض الألفاظ وزيادة وتقص فيها .

أَقُولُ وَأَنَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ : وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ، وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ، وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ ،
وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الْبَارِئُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالشَّرِّ
وَالْعَلَانِيَةِ ، وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَالْمُجَازِي لَهَا
بِمَا أَحْتَقِبُ . وَحَقَّ جَلَالُ اللَّهِ ، وَعَظَمَةُ اللَّهِ ، وَقُدْرَةُ اللَّهِ ، وَكَرْبَاءُ اللَّهِ ، وَسَائِرُ
أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا ، وَحَقَّ هَذَا الْقُرْمَانُ الْكَرِيمُ وَمَنْ أَنْزَلَهُ ، وَمَنْ أَنْزَلَ
عَلَيْهِ - إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا ، وَمِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا مَدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِي قَدْ اخْلَصْتُ
نَيْتِي ، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي اخْلَاصِهَا ، وَأَصْفَيْتُ طَوْبِي ، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِصْفَائِهَا -
فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْفُلَانِي ، فَلَانِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ فَلَانُ - خَلَدَ اللَّهُ مُلْكَهُ -
وَفِي خِدْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَنُصْرَتِهِ ، وَأَكُونُ وَلِيًّا لِمَنْ وَاوَاهُ ، عَدُوًّا لِمَنْ عَادَاهُ ، سَلَامًا لِمَنْ
سَلَّمَهُ ، حَرَبًا لِمَنْ حَارَبَهُ : مَنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا أَضَيِّرُهُ سُوًّا وَلَا مَكْرًا ،
وَلَا خَدِيعَةً وَلَا خِيَانَةً فِي نَفْسٍ ، وَلَا مَالٍ ، وَلَا مُلْكٍ ، وَلَا سُلْطَانِيَّةٍ ، وَلَا عَسَاكَرٍ ،
وَلَا أَجْنَادٍ ، وَلَا عُرَبَانَ ، وَلَا تُرُكْمَانَ ، وَلَا أَكْرَادَ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَا أَسْعَى فِي تَفْرِيقِ
كَلِمَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ الشَّرِيفَةِ . وَإِنِّي وَاللَّهُ الْعَظِيمَ أَبْذُلُ جُوهْدِي وَطَاقَتِي
فِي طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْفُلَانِي ، فَلَانِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ الْمَشَارِ إِلَيْهِ . وَإِنْ كَاتَبَنِي
أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَيَّ مُلْكِهِ لَا أَوَافُقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ

ولا فِعْلٌ ولا نِيَّةٌ ؛ وإن قدرتُ على إمساكِ الذي جاءني بالكِتابِ أمسكته ، وأحضرتُه لمولانا السلطان الملكِ الفلانيّ المشارِ إليه ، أو النائبِ القريبِ مِنِّي . وإِنِّي واللهِ العظيمِ أَفي لمولانا السلطانِ المشارِ إليه بهذه اليمينِ من أولها إلى آخرِها ، لا أَسْتَنِي فيها ولا في شَيْءٍ منها ، ولا أَسْتَفْتِي فيها ولا في شَيْءٍ منها . وإن خالفْتُها أو شَيْئاً منها ، أو أَسْتَنْيْتُ منها ، أو أَسْتَفْتَيْتُ طلباً لِنَقِضِها أو قَضِ شَيْءٍ منها ، فيكون كُلُّ ما أَمْلِكُه من صَامِتٍ ونَاطِقٍ صَدَقَةً على الفقراءِ والمساكينِ من المسلمين ؛ وتكونُ كُلُّ زَوْجَةٍ في عَقْدِ نِكَاحٍ أو أَرْوَجُها في المُستقبلِ طالفا ثلاثاً بَنَاتاً على سائرِ المذاهبِ ، وتكونُ كُلُّ أُمَةٍ أو مَمْلُوكٍ في مِلْكِ الآنِ أو أَمْلِكُه في المُستقبلِ أحراراً لَوَجْهِ الله تعالى ؛ وَيَلْزَمُنِي ثلاثُونَ سَجَّةً متوالياتٍ متابعاتٍ ، حافياً حاسراً ؛ وعلى صَوْمِ النَّهْرِ بِمُجْلَدِهِ إِلَّا أَيَّامَ الْمُنْيَى عَنْ صَوْمِها .

وهذه اليمينُ يَمْنِي ، وأنا فلانُ بنُ فلانٍ ، والنِّبَّةُ في هذه اليمينِ بأَسْرِها نِيَّةُ مولانا السلطانِ الملكِ الفلانيّ المشارِ إليه ، ونِيَّةُ مُسْتَحْلِفِي له بها ، لا نِيَّةُ لِي في غيرها ، ولا قَصْدُ لِي في بَاطِنِي وظَاهِرِي سِوَاهَا . أَشْهَدُ اللهَ على بَنِكَ ، وَكَفَى باللهِ شَهِيداً ، واللهُ على ما أَقُولُ وَيَكِلُ .

(قلتُ : وربما كان للسلطانِ وليٌ عَهْدٌ بالسُّلْطَانَةِ فيَقْعُ التَّحْلِيفُ للسلطانِ ولولده جميعاً ، وهي على نَحْوِ ما تقدّم ، لا يَتَغَيَّرُ فيها إِلَّا تَقَلُّ الضَّمِيرِ من الأفرادِ إلى التَّثْنِيَةِ .



وهذه نُسخةُ يَمْنِي حُلْفٍ عليها العساكرُ للسلطانِ الملكِ المنصورِ "فلاوون" في سنة ثمان وسبعين وستمائة له ولولده وليَ عهده الملكِ الصالحِ علاء الدين "علي" أوردتها ابنُ المَكْرَمِ في تَذْكَرَتِهِ ، وهي :

وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ ، وَبَاقَهُ وَبَاقَهُ وَبَاقَهُ ، وَتَاللّٰهُ وَتَاللّٰهُ وَتَاللّٰهُ ، وَاللّٰهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، الطَّالِبُ الْغَالِبُ ، الْمُدْرِكُ الْمُهْلِكُ ، الضَّارُّ النَّافِعُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَالسَّرُّ وَالْعَلَانِيَةُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا آخَتْبَتْ . وَحَقَّ جَلَالُ اللَّهِ ، وَعِزَّةُ اللَّهِ ، وَعَظَمَةُ اللَّهِ ، وَسَائِرُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى ، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا - إِنِّي مِنْ وَقْتِي هَذَا ، وَمِنْ سَاعَتِي هَذِهِ ، وَمَا مَدَّ اللَّهُ فِي عُمْرِي قَدْ أَخْلَصْتُ النَّبِيَّةَ ، وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِخْلَاصِهَا ، وَأَضْفَيْتُ طَوَلِيَّ وَلَا أَزَالُ مُجْتَهِدًا فِي إِصْفَائِهَا ، فِي طَاعَةِ السُّلْطَانِ فَلَانٍ ، وَطَاعَةِ وَلَدِهِ وَلِيِّ عَهْدِهِ فَلَانٍ ، وَخِدْمَتِهِمَا وَمُؤَالَاتِهِمَا ، وَأَمْتَالِ مَرَأْسِمِهِمَا ، وَالْعَمَلِ بِأَمْرِهِمَا . وَإِنِّي وَاللَّهُ الْعَظِيمُ حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَهُمَا ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَهُمَا ، عَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاهُمَا ، وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُمَا . وَإِنِّي وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَا أَسْتَعِي فِي أَمْرٍ فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَلَا فِي مَضَرَّةٍ وَلَدِهِ ، فِي نَفْسٍ وَلَا سُلْطَانِيَّةٍ ، وَلَا أَسْتِمَالَةً لِنَعِيرِهِمَا ، وَلَا أَوَافِقُ أَحَدًا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ ، وَلَا مَكْتَابَةٍ وَلَا مُشَافَهَةٍ ، وَلَا مَرَّاسَلَةٍ ، وَلَا تَصْرِيحٍ . وَإِنِّي وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَا أَذْنَبُ عَنِ السُّلْطَانِ وَلَا عَنْ وَلَدِهِ نَصِيحَةً فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ مُلْكِهِمَا الشَّرِيفِ ، وَلَا أَخْفِي عَنْ أَحَدِهِمَا ، وَأَنْ أَعْلِمَهُ بِهِمَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ يُمْكِنُنِي الْإِعْلَامُ لَهُ بِهِمَا ، أَوْ أَعْلِمَ مِنْ يُعْلِمُهُ بِهِمَا ، وَأَنْ أُنْخِ^(١)

(١) كذا في الأصل ولعله ترك الباقي انكالا على ما سبق في الإيمان قبله .

النوع الثاني

(من الأيمان التي يُخَلَّف بها المسلمون أيمانُ أهل البِدْع .
والذين منهم بهذه المملكة ثلاث طوائف)

الطائفة الأولى
(الخوارجُ)

وَهُمْ قَوْمٌ مِّنْ كَانُوا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، حَمَلُوهُ عَلَى أَنْ رَضِيَ بِالْتَّحْكِيمِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ ، وَأَشَارُوا بِإِقَامَةِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ حَكَّامًا عَلَى ، وَإِقَامَةِ عُمَرَوِ بْنِ الْعَاصِ حَكَّامًا عَنْ مُعَاوِيَةَ ، نَفَذَ عُمَرَوُ أَبَا مُوسَى : بِأَنْ أَتَّفَقَ مَعَهُ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّعَا عَلَى مُعَاوِيَةَ جَمِيعًا ، وَيُقِيمَ الْمُسْلِمُونَ لَهُمْ خَلِيفَةً يَخْتَارُونَهُ ، فَتَقَدَّمَ أَبُو مُوسَى وَأَشْهَدَ مَنْ حَضَرَ أَنَّهُ خَلَعَهُمَا ، فَوَافَقَ عُمَرَوُ عَلَى خَلْعِ عَلِيٍّ ، وَلَمْ يَخْلَعْ مُعَاوِيَةَ ، وَبَقِيَ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ . فَأَنكَرُوا ذَلِكَ حِينَئِذٍ ، وَرَفَضُوا التَّحْكِيمَ ، وَمَنَعُوا حُكْمَهُ ، وَكَفَرُوا عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا بِصِفَيْنِ ، وَقَالُوا : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَخَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ ، فَسُومُوا الْخَوَارِجَ ، ثُمَّ فَارَقُوهُ وَذَهَبُوا إِلَى النَّهْرَوَانِ فَأَقَامُوا هُنَاكَ ، وَكَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ غَوَاةً لَا رَأْسَ لَهُمْ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَاتَلَهُمْ ، فَلَمْ يُفْلِتْ سِوَى تِسْعَةِ أَنْفُسٍ : ذَهَبَ مِنْهُمْ أَثْنَانُ إِلَى عُثْمَانَ ، وَأَثْنَانُ إِلَى كُرْمَانَ ، وَأَثْنَانُ إِلَى جَيْسْتَانَ ، وَأَثْنَانُ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْيَمَنِ ، فَظَهَرَتْ بِذَعْمَتِهِمْ بَتْلَاقُ الْبِلَادِ وَبَقِيََتْ بِهَا .

ثُمَّ مَنَ مِّنْهُمْ مَّنْ مَّعَ التَّحْكِيمِ عَلَى مَا هَتَمَ ، وَتَخَطَّطَ عَلَى وَأَصْحَابِهِ ، وَمُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ بِصِفَيْنِ فِي أَتْعَادِهِمْ إِيَّاهُ ، بَلْ تَكْفِيرُهُمْ عَلَى مَا هَتَمَ ، وَمِنْهَا أَمْتَنَ ذَلِكَ عَنْ رِضَا أَصْلًا (١) وَأَنَّهُمْ يَتَمَنُّونَ التَّأْوِيلَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ سُورَةَ

يُؤَسَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّمَا هِيَ قِصَّةٌ مِنَ الْقِصَصِ، وَمَنْ
أَدْخَلَهَا فِي الْقُرْآنِ فَقَدْ زَادَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، عَلَى مَا سَأَيْتُ ذَكَرَهُ . وَيَقُولُونَ :
إِنْ إِمَارَةَ بَنِي أُمَيَّةَ كَانَتْ طُلُبًا، وَإِنَّ قَضَاءَهُمُ الَّذِي رَتَّبُوهُ عَلَى التَّحْكِيمِ بَاطِلٌ .
وَيَذْهَبُونَ إِلَى تَحْفِظَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ فَيَأْتِفَقَا عَلَيْهِ عِنْدَ
تَحْكِيمِهِمَا، وَيُسْتَعْنَى عَلَى مَعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ، وَيَقُولُونَ : أَسْتَبَاحُوا الْقُرُوجَ وَالْأَمْوَالَ
بِفَيْرِ حَقٍّ .

ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْكَبَائِرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ بخلاف الكبائر
من غير إصرارٍ على ما يَأْتِي ذَكَرَهُ . وَيَصَوِّبُونَ فَعْلَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ فِي قَتْلِهِ عَلِيًّا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، لَا سِيَّمَا مَنْ ذَهَبَ مِنَ الشَّيْعَةِ إِلَى
أَنْ ذَلِكَ كُفْرٌ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ :

بِأَضْرِبَةٍ مِنْ وَلِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا * إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا

إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ * أَوْفَى الْخَلِيقَةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

وَكَذَلِكَ يَصَوِّبُونَ فِعْلَ عَمْرِو بْنِ بَكْرِ الْخَارِجِيِّ فِي قَتْلِ خَارِجَةِ بْنِ أَبِي حَبِيبَةَ صَاحِبِ
شُرْطَةِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِمِصْرَ، حِينَ قَتَلَهُ عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، لَمَّا لَمْ
عِنْدَهُ مِنَ الْإِخْوَانِ وَالصَّغَائِرِ . وَأَنْهُمْ يَصَوِّبُونَ فِعْلَ قَطَّامِ زَوْجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ
فِي ... (٣) ...، وَأَنْهُمْ يَسْتَعْظِمُونَ خَلْعَ طَاعَةِ رُءُوسِهِمْ، وَأَنْهُمْ يُخَوِّزُونَ كَوْنَ الْإِمَامِ غَيْرِ

(١) فِي الْمُلَلِّ ص ٦٩ "مِنْ مَنِيْب" وَفِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧١ «مِنْ شَقٍّ» .

(٢) فِي الْأَصْلِ حَنِيْفَةٌ وَهِيَ تَصْحِيفٌ وَالتَّصْحِيفُ مِنْ كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٧٠ .

(٣) بِيَاضُ بِالْأَصُولِ وَلَهُ «فِي اشْتِرَاطِهَا عَلَى ابْنِ مُلْجَمٍ حِينَ خَطَبَا ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَعِشْرِينَ وَقِيْلَ وَقِيْلَ عَلَى»
أَنْظَرَ كَامِلُ ابْنِ الْأَثِيرِ ج ٣ ص ١٦٨ وَ ١٦٩ .

قُرْشِيٌّ، بل هم يجوزون إمامة الحر والعبد جميعا، وينسبون من خالفهم إلى الخطأ، ويستبشرون دماءهم بمقتضى ذلك .

واعلم أن ما تقدم ذكره من معتقدات الخوارج هو مقتضى ما رتبته من بينهم في "التعريف" على ما سياتى ذكره . على أن بعض هذه المعتقدات يختص بها بعض فرق الخوارج دون بعض على ما سياتى بيانه، ولكل منهم معتقدات أخرى تريد على ما تقدم ذكره .

وهنا أذكر بعض فرقهم، وبعض ما اختلفت [به] كل فرقة منهم، ليبين على ذلك من أراد ترتيب يمين لفرقة منهم :

فمنهم المحكة - وهم الذين يمنعون التحكيم .

ومنهم الأزارقة - وهم أتباع نافع بن الأزرق، وهم الذين خرجوا بفارس وكرمان أيام ابن الزبير، وقتلهم المهلب بن أبي صفرة، وهم الذين يكفرون علما مع جمع من الصحابة، ويصوبون فعل ابن ملجم، ويكفرون القعدة عن القتال مع الإمام وإن قاتل أهل دينه، ويبيحون قتل أطفال المخالفين ونسائهم، ويسقطون الرجم عن الزاني المحصن، وحادث القذف عن قاذف الرجل المحصن دون قاذف المرأة المحصنة، ويخرجون أصحاب الكباير عن الإسلام، ويقولون : التقية غير جائزة .

ومنهم التجذات - وهم أصحاب نجدة بن عامر، يكفرون بالإصرار على الصفات دون فصل الكباير من غير إصرار، ويستحلون دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في دار التقية، ويتبرعون من حرماها .

ومنها البَيْسِيَّة - وهم أصحاب أَبِي بَيْسَ بن خالد، يَرَوْنَ أنه لَاحِرَامٌ إِلَّا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ النَّصُّ بقوله تعالى : (قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا) الآية . وَيَكْفُرُونَ الرِّعَاةَ بِكُفْرِ الْإِمَامِ .

ومنها الْعَجَارِدَةُ - وهم الذين يُنْكِرُونَ كَوْنَ سُورَةِ يُسُفَ من القرآن ، ويقولون : إنما هي قِصَّةٌ من الْقِصَصِ ، وَيُوجِبُونَ التَّبَرُّيَّ من الطُّفْلِ فإذا بلغ دُعِيَ إلى الإسلام .

ومنها الْمَيْمُونِيَّة - وهم فِرْقَةٌ يقولون : إن الله تعالى يريد الْخَيْرَ دون الشَّرِّ ، وَيُحَوِّزُونَ نِكَاحَ بَنَاتِ الْبَنَاتِ وَبَنَاتِ أَوْلَادِ الْإِخْوَةِ والأخوات .

ومنها الْإِبَاضِيَّة - يَرَوْنَ أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ لِلنِّعْمَةِ لِمُشْرِكٌ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ دَارَ غُلَاقِهِمْ من المسلمين دَارُ تَوْحِيدٍ ، وَدَارُ السُّلْطَانِ مِنْهُمْ دَارُ بَغْيٍ .

ومنها الثَّعَالِبَةُ - يَرَوْنَ وَلَايَةَ الطُّفْلِ حَتَّى يَظْهَرَ عَلَيْهِ إِنْكَارُ الْحَقِّ فَيَتَبَرُّونَ مِنْهُ .

ومنها الصُّفَرِيَّة - يَرَوْنَ أَنَّ مَا كَانَ مِنَ الْكِبَارِ فِيهِ حَدٌّ كَالزَّانَا لَا يُكْفَرُ بِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا لَيْسَ فِيهِ حَدٌّ : كَتَرِكِ الصَّلَاةِ يُكْفَرُ بِهِ .

وَكَانَ الَّذِي أوردَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْهُمْ ، أَوْ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِهِمْ فَاسْتَفْتَى بِهِ .

وقد رتب في "التَّعْرِيفِ" تَحْلِيلَهُمْ عَلَى مُقْتَضَى مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَعْتِقَادِهِمْ قَالَ :
وَأَيْمَانُهُمْ أَيْمَانُ أَهْلِ السُّنَّةِ ، وَيَزَادُ فِيهَا : وَإِلَّا أَجَزْتُ التَّحْكِيمَ ، وَصَوَّبْتُ قَوْلَ الْقَرِيقَيْنِ فِي صِفَتَيْنِ ، وَأَطَعْتُ بِالرَّضَا مَنْ حَكَّمَ أَهْلَ الْجَوْرِ ، وَقُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ

(١) كَذَا بِالْأَصُولِ ، وَالَّذِي فِي "الْفَاوَسِ" وَ"الْمَلَلِ وَالنَمَلِ" لَشَهْرِسْتَانِ أَنَّ أَبَا بَيْسٍ اسْمُهُ "الْهَيْصَمُ" ابْنُ جَابِرٍ ، وَلَمَّا فِي الْأَصُولِ تَصْغِيفٌ .

بالتأويل : وأدخلت في القرآن ما ليس منه . وقلت : إن إمارة بنى أمية عدلٌ ، وإن قضاءهم حقٌ ، وإن عمرو بن العاص أصاب ، وإن أبا موسى ما أخطأ ، وأسبغت الأموال والفروج بغير حق ، وأجترحت الكبار والصغار ، ولقيت الله مثقلاً بالأوزار ، وقلت : إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كُفِرَ ، [وإن قاتل خارجة آثم ، ويرث من فعلة قطام ^(١)] وخلعت طاعة الرؤوس ، وأنكرت أن تكون الخلافة إلا في قرينش ، وإلا فلا رويت سنيي ورعي من دماء المخطئين .

الطائفة الثانية

(الشيعة)

وهم الذين شايخوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقالوا بإمامته وخلافته : نصاً ووصاية : [إماماً] جليلاً أو خفياً ، وإن الإمامة لا تخرج عنه وعن بيته إلا بظلم من غير ذلك الإمام ، أو ببقية منه لغيره .

قال الشهرستاني في " النحل والملل " : ويجمعهم القول بوجوب التعين للإمام والتنصيب عليه ممن قبله ، وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبار والصغار ، والقول بالتولي للأئمة والتبري من غيرهم .

وقال في " التعريف " يجمعهم حب علي رضى الله عنه ، وتختلف فرقهم فيمن سواه . فإما مع إجماعهم على حبه فهم يختلفون في اعتقادهم فيه ، فمنهم أهل علو مفرط وعتو زائد : فيهم من أدى به العلو إلى أن اتخذ علياً إلهاً وهم النصيرية . قال : ومنهم

(١) الزيادة من " التعريف " ص ١٦٢ .

(٢) عبارة الشهرستاني « بظلم يكون من غيره أو بقية من عنده » وهي أوضح .

من قال : إنه النبي المُرسل وإنَّ جبريلَ غلط . ومنهم من قال : إنه شريكٌ في النبوة والرسالة . ومنهم من قال : إنه وصيُّ النبوة بالنصِّ الجليّ ، ثم تخالفوا في الإمامة بعده وأجمعوا بعده على الحسنِ ثم الحسين . وقالت فرقة منهم : وبعدهما محمد بن الحنفية .

ثم قد ذكر في "التعريف" أن الموجود من الشيعة في هذه المملكة خمس فرق :

الفرقة الأولى

(الزيدية)

وهم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين السبط ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهو الذى رأسه مدفونٌ بالمشهد الذى بين كيان مصر ، جنوبي الجامع الطولونى ، المعروف بمشهد الرأس ، فيما ذكره القاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر فى خطط القاهرة . قال فى "التعريف" : وهم أقربُ القوم إلى القصد الأتم . قال : ولم إمامٌ باقٍ باليمن إلى الآن ، وصنعا داره ، وأمرأه مكة المعظمة منهم . ثم قال : وحدثنى مبارك بن عطيفة بن أبي حمزة : أنهم لا يدينون إلا بطاعة ذلك الإمام ، ولا يرون إلا أنهم توابه ، وإنما يتقون صاحب مصر لخوفهم منه وللاقطاع ، وصاحب اليمن لمداراته لإواصل الكارم ورُسوم الأتنام . ومن ثم عدَّهم فى جملة من هذه المملكة من طوائف البدع .

وكان من مذهب زيد هذا جوازُ إمامة المفضول مع قيام الأفضل ، ويقول : إنَّ علياً رضى الله عنه كان أفضل الصحابة رضوان الله عليهم ، إلا أنَّ الإمامة فوضت إلى أبي بكرٍ وعمر رضى الله عنهما لمصلحة رأؤهما ، وقاعدة دينية راعوها : من تسكين نائرة الفتنة ، وتطبيب قلوب العامة ، مع تفضيل على على الشيعتين عندهم فى أوانهم .

وأتباعه يعتقدون أن هذا هو المعتد الحق ، ومن خالفه خرج عن طريق الحق ،
وضل عن سواء السبيل .

وهم يقولون : إن نص الأذان بدل الحيعتين : «حى على خير العمل» يقولونها
في أذانهم مرتين بدل الحيعتين ، وربما قالوا قبل ذلك : «مجد وعلى خير البشر»
وعترتهما خير العتر « ومن رأى أن هذا بدعة فقد حاد عن الجادة .

وهم يسوقون الإمامة في أولاد علي كرم الله وجهه من فاطمة رضى الله عنها ،
ولا يجوزون ثبوت الإمامة في غير بينهما ، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي
عالم زاهد مجابج نخرج لطلب الإمامة إماماً مقصوماً واجب الطاعة ، سواء كان من
ولد الحسين أو الحسين عليهما السلام ، ومن خلع طاعته فقد ضل . وهم يرون أن
الإمام المهدي المنتظر من ولد الحسين رضى الله عنه دون ولد الحسن ، ومن خالف
في ذلك فقد أخطأ . ومن قال : إن الشيخين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أفضل
من علي وبنيه فقد أخطأ عندهم وخالف زيدا في معتقده . ويقولون : إن تسليم
الحسن الأمر لمعاوية كان لمصلحة أقتضاها الحال ، وإن كان الحق له .

قال في "التعريف" : وإيمانهم إيمان أهل السنة ، يعنى فيحلقون كما تقدم ،
ويزاد فيها : وإلا برئت من معتد زيد بن علي ، ورأيت أن قولي في الاذان : «حى
على خير العمل» بدعة ، وخلعت طاعة الإمام المعصوم الواجب الطاعة ، وأدعيت
أن المهدي المنتظر ليس من ولد الحسين بن علي ، وقلت : بتفضيل الشيخين على
أمير المؤمنين علي وبنيه ، وطعنت في رأى ابنه الحسن لما أقتضته المصلحة ،
وطعنت عليه فيه .

الفِرقة الثانية (من الشيعة الإمامية)

وهم القائلون بإمامة اثني عشر إماما : أولهم أمير المؤمنين علي المرتضى ، ثم ابنه الحسن المجتبي ، ثم أخوه الحسين شهيد كربلاء ، ثم ابنه علي السجاد زين العابدين ، ثم ابنه محمد الباقر ، ثم ابنه جعفر الصادق ، ثم ابنه موسى الكاظم ، ثم ابنه ، علي الرضا وهو الذي عهد إليه المأمون بالخلافة ومات قبل أن يموت المأمون ، ثم ابنه محمد التقي ، ثم ابنه علي النقي ، ثم ابنه الحسن الزكي المعروف بالعسكري ، ثم ابنه محمد الحجة ، وهو المهدي المنتظر عندهم ، يقولون إنه دخل مع أمه صغيرا سردابا بالحلة على القرب من بغداد ففقد ولم يعد ، فهم ينتظرونه إلى الآن ، ويقال : إنهم في كل ليلة يهفون عند باب السرداب ببغلة مشدودة ملجمة من الغروب إلى مغيب الشفق ينادون : أيها الإمام ! قد كثر الظلم ! وظهر الجور فانخرج إلينا ! ثم يرجعون إلى الليلة الأخرى ، وتلقب هذه الفرقة بالاثني عشرية أيضا ، لقولهم بإمامة اثني عشر إماما ، وبالموسوية لقولهم بانتقال الخلافة بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم المتقدم ذكره دون أخيه إسماعيل إمام الإسماعيلية الآتي ذكره ، وبالقطعية لقولهم بموت إسماعيل المذكور في حياة أبيه الصادق والقطعة بانتقال الإمامة إلى موسى .

قال في " التعريف " : وهم مسلمون ، إلا أنهم أهل بدعة كبيرة سبابة .

وهم يقولون : بإمامة علي رضي الله عنه نصبا ظاهرا ، وتعيينا صادقا ، احتجاجا بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من يبايعني على ما له ، فبايعه جماعة » ، ثم قال :

من يُبَايِعُنِي عَلَى رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيِّي وَوَلِيُّ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي ، فَلَمْ يُبَايِعْهُ أَحَدٌ ،
حَتَّى مَدَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدَهُ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ عَلَى رُوحِهِ وَوَفَّى بِذَلِكَ » .

قال في "العبر" : وهذه الوَصِيَّة لَا تُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَثَرِ ، بَلْ هِيَ مِنْ
مَوْضُوعَاتِهِمْ ؛ وَيُحْصِنُونَهُ بِوَرَاثَةِ عِلْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ويروون أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم غدير خُمٍّ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ ،
اللَّهُمَّ وَالِّ مَنْ وَاَلَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَأَدِرْ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ كَيْفَمَا دَارَ » وَيُرْوَى أَنَّ
بَيْعَةَ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ غَيْرُ صَحِيحَةٍ : حِينَ اجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ بَعْدَ
مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيْفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ لِيُبَايِعُوهُ ،
وَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ ، وَرَوَى لَهُمْ
أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَصْلُحُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ »
فَرَجَعُوا إِلَى قَوْلِهِ وَبَايَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى
مُبَايَعَاتِ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَقَالَةِ الْخَامِسَةِ ، وَأَنَّ الْقَائِمَ فِيهَا جَعَلَهُمْ لَا سِيَّامًا أَوَّلَ يَدٍ بِذَلِكَ .
ويقولون : إِنْ الْحَقُّ كَانَ فِي ذَلِكَ لِمَلِيٍّ بِالْوَصِيَّةِ . ويقولون : إِنْ الْقِيَامَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَصْرَهُ فِي الدَّارِ كَانَ وَاجِبًا لِاعْتِقَادِهِمْ عَدَمَ صِحَّةِ خِلَافَتِهِ
مَعَ وَجُودِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِنْ الْمُنَازَعَةُ عَنْ حَصْرِهِ كَانَ مُحْطًا . وَيُرْوَى جَوَازُ
الْتَّقِيَةِ خَوْفًا عَلَى النَّفْسِ ، وَأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا تَأَنَّرَ عَنْ طَلَبِ الْإِمَامَةِ عِنْدَ
قِيَامِ مَنْ [كَانَ] قَبْلَهُ بِهَا بَقِيَّةً عَلَى نَفْسِهِ . وَيُرْوَى أَنَّ مَنْ أَعَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْخِلَافَةِ كَانَ مُحْطًا : لِبُطْلَانِ خِلَافَتِهِ بِرَثْمَتِهَا عَلَى خِلَافَةِ
أَبِي بَكْرٍ وَوُجُودِ عَلِيٍّ الَّذِي هُوَ أَحَقُّ بِهَا . وَيَرْغَمُونَ أَنَّ الصَّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنَعَ
فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَقَّهَا مِنْ إِرْثِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَدِّيًّا ، وَأَنَّ

مَنْ سَاعِدَ فِي تَقْدِيمِ تَيْمٍ بِخِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، أَوْ تَقْدِيمِ عَدِيٍّ بِخِلَافَةِ عُمَرَ ، أَوْ تَقْدِيمِ
أُمَيَّةَ بِخِلَافَةِ عُمَانَ كَانَ مُحْطًا . وَبِزَعْمِهِمْ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُصَبِّ فِي جَعْلِ
الْأَمْرِ سُورَى بَيْنَ بَقِيَّةِ الْعَشِيرَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِاسْتِحْقَاقِ
تَقْدِيمِ عَلَى الْجَمْعِ .

وَيَصَوِّبُونَ قَوْلَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كَانَ مِنْ مَوَاقِفِهِ فِي حَدِيثِ
الْإِنْفِكَ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَلَا يَرَوْنَ تَكْذِيبَهُ فِي ذَلِكَ . وَيَرَوْنَ أَنَّ عَائِشَةَ
أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ مُحْطَةً فِي قِيَامِهَا عَلَى كُلِّ يَوْمٍ بِالْحِمْلِ ، وَأَنَّ مَنْ قَامَ
مَعَهَا كَانَ مُحْطًا لِلوَاقِعَةِ عَلَى الْخَطَا .

وَيَقُولُونَ إِنَّ مَنْ قَامَ مَعَ مَعَاوِيَةَ عَلَى كُلِّ يَصْفَيْنَ وَشَهْرِ السَّيْفِ مَعَهُ عَلَيْهِ فَقْدٌ
أَرْتَكِبَ مُحْظُورًا . وَيُنْكِرُونَ مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ مِنَ الدَّعْوَى الْبَاطِلَةِ . وَذَلِكَ
أَنَّهُ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَهَّزَ جَيْشًا إِلَى الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
فَقَتَلُوا وَسَبُّوا وَبَايَعُوا بِتَبِعِهِمْ عَلَى أَنَّهُمْ خَوْفٌ لِيَزِيدَ .

وَيَقُولُونَ : يَبْطُلَانِ حُكْمَ أَبِي مَرْجَانَةَ . وَيُعْتَدُونَ مِنَ الْعِظَائِمِ قِيَامَ عُمرَ بْنِ سَعْدٍ
فِي قِتَالِ الْحُسَيْنِ ، وَحَقِيقُ أَنْ يُنْكِرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَسْتَعْظِمُوهُ ! فَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ بَعْدَ
قَتْلِهِ أَمَرَ بِجَمَاعَةِ قَوَاطِفِ صَدْرِ الْحُسَيْنِ وَظَهَرَهُ بِالْحِمْلِ ، وَكَانَ يَزِيدُ قَاتِلَهُ اللَّهُ
قَدْ أَمَرَهُ بِذَلِكَ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَمْرَ صَارَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَيَقُولُونَ :
إِنَّ الْإِمَامَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ مُسْتَوْدَعَةٌ لَامُتَقَرَّةٌ ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَنْتَبِثْ فِي بَيْتِهِ . وَيُعْتَدُونَ
مِنَ الْعِظَائِمِ فِعْلَ شَيْمَرِ بْنِ [ذِي] الْجَوْشَنِ : وَهُوَ الَّذِي أَحْتَرَّ رَأْسَ الْحُسَيْنِ ، وَأَنَّ
مَنْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ مُرْتَكِبٌ أَعْظَمَ مُحْظُورَاتٍ بِأَشَدِّ بِلَاءَةٍ ، وَحَقِيقُ ذَلِكَ أَنْ
يَسْتَعْظِمُوهُ ! فَأَيُّ جَرِيْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ سَيِّدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ .

وقد ذكر صاحب "نظم السمط في خبر السبط" : أنه وُجد في حجر مكتوب قبل البعثة بألف سنة ما صورته :

أَرْجُو أُمَّةً قَتَلَتْ حُسَيْنًا * شَفَاعَةَ جَدِّهِ يَوْمَ الْحِسَابِ ؟

ويقال : إن الذي أحترق رأس الحسين إنما هو سنان بن أنس النخعي . ويعتدون من العظام أيضا سبي معاوية أهل البيت عند غلبة علي رضي الله عنه بصفيين وسوقهم معه إلى دمشق سوقاً بالمصي . ويرون أن خلافة يزيد بن معاوية كانت من أعظم البلايا ، وأن المغيرة بن شعبة أخطأ حيث أشار على معاوية بها . ويقولون بالتبري من عمرو بن العاص رضي الله عنه لأخطائه إلى معاوية ، وخديعته أبا موسى الأشعري يوم الحكمين حتى خلع علياً ، وإن من ظاهره أو عاضده كان مُحيطاً .

وكذلك يتبرعون من بُسر بن [أبي] أرطاة : لأن معاوية بعثه إلى الحجاز في عسكر فدخل المدينة وسفك بها الدماء ، وأسكره الناس على البيعة لمعاوية ، وتوجه إلى اليمن بعد ذلك فوجد صبيين لعبيد الله بن عباس طاملين على اليمن قتلتهما .^(١)

ويرون تحطئة عقبة بن عبد الله المزني ، ويقدحون في رأي الخوارج : وهم الذين نخرجوا على علي رضي الله عنه بعد حرب صفين ، على ما تقدم ذكره [في الكلام] على إيمان الخوارج : وهو مفارقتهم علياً رضي الله عنه ، وتحطيتهم له في الغنائم .

ويقولون : إن الامامة انتقلت بعد الحسين السبط عليه السلام في أبنائه إلى تمام الأختي عشر . فانتقلت بعد الحسين إلى ابنه زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد

(١) مواهب "عامل على بن الحسين" والصبيان هما قثم وعبد الرحمن أبا عبد الله انظر ج ٣ ص ١٦٦ من الكامل لابن الأثير .

الباقِر، ثم إلى أبْنِه جَعْفَرِ الصَّادِقِ، ثم إلى أبْنِه مُوسَى الكَاسِمِ، ثم إلى أبْنِه عَلِيِّ الرِّضَا،
ثم إلى أبْنِه مُحَمَّدِ النَّبِيِّ، ثم إلى أبْنِه عَلِيِّ النَّبِيِّ، ثم إلى أبْنِه الْحَسَنِ الزُّكِّيِّ، ثم إلى أبْنِه
مُحَمَّدِ الْمُجْتَبَى، وهو الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ عَنْهُمْ، على ما تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ
الْفِرْقَةِ، وَإِنْ مِنْ خَالَفَ ذَلِكَ فَقَدْ خَالَفَ الصَّوَابَ .

وَيَسْتَظْمُونَ دَلَالَتهُ مِنْ دَلِّ نَبِيِّ أُمِّيَّةٍ وَبَنِي الْعَبَّاسِ عَلَى مَقَاتِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ .
أَمَّا دَلَالَةُ نَبِيِّ أُمِّيَّةٍ، فَبَعْدَ غَلَبَةِ مُعَاوِيَةَ بِصَفِيٍّ . وَأَمَّا دَلَالَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَعِنْدَ تَنَازُعِ
بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ فِي طَلَبِ الْخِلَافَةِ، زَمَنَ أَبِي جَعْفَرِ الْمُنْصَوِّرِ وَمَا بَعْدَهُ .

وَيَقُولُونَ : بَيْنَاءُ حُكْمِ الْمُتَعَةِ : وَهِيَ النِّكَاحُ الْمُؤَقَّتُ الَّذِي كَانَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ .
وَيُسْنَعُونَ عَلَى تَجَمُّدِ بَنِ عَامِرِ الْحَنْفِيِّ الْخَارِجِيِّ حَيْثُ زَادَ فِي حَدِّ النَّحْرِ، وَظَلَّ فِيهِ
تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا حَكَاهُ الشُّهْرَسَاتِيُّ عَنْهُمْ .

وَيَسْتَظْمُونَ الْبِرَاءَةَ مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ، وَاتِّبَاعَ أَهْوَايَةِ
أَهْلِ الشَّامِ مِنْ مُتَابِعِي بَنِي أُمِّيَّةٍ وَالْقَوَّاءِ الْقَائِمِينَ بِالنَّهْرَوَانِ : وَهُمْ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ
خَالَفُوا عَلَيْهِمْ بَعْدَ قَضِيَّةِ التَّحْكِيمِ بِصَفِيٍّ، وَأَقَامُوا بِالنَّهْرَوَانِ مِنَ الْعِرَاقِ لِقِتَالِ عَلِيٍّ،
وَرِثَسَهُمْ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ عَلِيٌّ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ أَلْفٍ فَقُتِلُوا عَنْ
آخَرِهِمْ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ سِوَى سَبْعَةِ أَنْفُسٍ .^(١)

وَيُرُونَ أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْطَأَ فِي مُوَافَقَتِهِ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَيْثُ حَكَمَ بِتَحْلِجِ عَلِيٍّ وَلَمْ يَحْلَجْ عَمْرُو مُعَاوِيَةَ .

وَيَعْتَمِدُونَ فِي الثَّرَاءِ الْكَرِيمِ عَلَى مُصَحِّفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
دُونَ الْمُصَحِّفِ الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَلَا يُثَبِّتُونَ مَا لَمْ يَثْبُتْ
فِي قُرْآنَانَا .

(١) أَيْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ سِوَى سَبْعَةِ تَفَرَّقُوا فِي الْجِهَاتِ كَمَا تَقَدَّمَ .

ويبرءون من فعل ابن ملجم في قتله أمير المؤمنين رضى الله عنه، وحق لهم التبرى من ذلك .

ويروون أن موالاة ابن ملجم وإسعافه في صداق زوجته قطام جريرة .

ويرون محبة قبيلة همدان من المحبوب المطلوب : لمشايعتهم علياً رضى الله عنه ومحبتهم أهل البيت كما هو المشهور عنهم ؛ حتى يحكى أن أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه صعد يوماً المنبر وقال : ألا لا يُنكِحَنَّ أحدٌ منكم الحسن بن علي فإنه مطلق ، فنهض رجلٌ من همدان وقال : والله لننكِحَنَّهُ ثم لننكِحَنَّهُ ! إن أمهر أمهر كثيفاً ، وإن أولد أولد شريفاً ! . فقال علي رضى الله عنه حينئذ :

لَوْ كُنْتُ بَوَّاباً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ * قُلْتُ لَهُمَدَانِ ادْخُلِي بِسَلَامٍ !

ويقولون باشرط العيصمة في الأئمة ، فلا يكون من ليس بمعصوم عن علم إماما .

وقد رتب في " التعريف " يمينهم على هذه العقائد ، فقال : وهؤلاء يمينهم هي :
 إني والله والله العظيم ، الرب الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وما اعتقده من صديق محمد صلى الله عليه وسلم ونصته على إمامة ابن عمه وإوارث عليه على بن أبي طالب رضى الله عنه يوم غدريخم ، وقوله : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَقُلِّي مَوْلَاهُ أَلَلَّهُمْ وَالِ مَنْ وَاَلَاهُ ! وَادِرِ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِهِ كَيْفَا دَار ! » . وإلا كنت مع أول قائم يوم السقيفة ، وآخر متأخر يوم الدار ، ولم أثل بمجواز التقيّة خوفاً على النفس ، وأعتت ابن الخطاب ، وأضطهدت فاطمة ، ومنعتها حثها من الإرث ، وساعدت في تقديم تيم وصدي أمية ، ورضيت بمحكم الشورى ، وكذبت حسان بن

ثابِت يوم عائِسةَ، وقتُ معها يومَ الجَلِّ، وشَهرتُ السِّفَ مع مُعاويةَ يومَ صِفِّينَ،
وصدَّقْتُ دَعْوَى زيَادٍ، ونزلتُ على حُكْمِ أبْنِ مَرْجَانَةَ، وكُنْتُ مع عُمرَ بنِ سعدٍ
في قتالِ الحُسَيْنِ، وقلْتُ: إنَّ الأمرَ لمَ يَصِرْ بعدَ الحُسَيْنِ إلى الحُسَيْنِ، وساعدتُ شَيمِرَ
أبْنَ [ذِي] الجَوْشَنِ على فِعْلِ تلكَ البَلِيَّةِ، وَسَيَّتُ أَهْلَ الْبَيْتِ وَسُقُتْهُمُ بِالْعِصَى إلى
دِمَشْقَ، وَرَضِيْتُ بِإِمَارَةِ زَيْدٍ، وَأَطَعْتُ الْمُخَيَّرَةَ بَنَ شُعْبَةَ، وكُنْتُ ظَهِيراً لَعَمْرَوِ بْنِ
الْعَاصِ، ثُمَّ لَبَسْتُ بِنَ [أَبِي] أَرْطَاةَ، وَقَعَلْتُ فِعْلَ عَقْبَةَ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ [الْمُزَيِّ] ^(١) وَصَدَّقْتُ رَأْيَ
الْخَوَارِجِ، وقلْتُ: إنَّ الأمرَ لمَ يَنْتَقِلْ بعدَ الحُسَيْنِ بَنَ عَلِيٍّ فِي أَبْنَائِهِ إِلَى تَمَامِ الْأَئِمَّةِ،
إِلَى الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ، وَدَلَّكَتُ عَلَى مَقَاتِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ نَبِيَّ أُمِّيَّةٍ وَنَبِيَّ الْعَبَّاسِ،
وَأَبْطَلْتُ حُكْمَ التَّنَجِجِ، وَزِدْتُ فِي حَدِّ التَّنَجْرِ مَا لَمْ يَكُنْ، وَحَرَمْتُ بَيْعَ أُمَهَاتِ الْأَوْلَادِ،
وَقُلْتُ: بِرَأْيِي فِي الدِّينِ، وَبَرَّيْتُ مِنْ شِيعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكُنْتُ مَعَ هَوَى أَهْلِ الشَّامِ
وَالْفُؤَادِ الْقَائِمَةِ بِالنُّهْرَانِ، وَأَتَيْتُ خَطَأً أَبِي مُوسَى، وَأَدْخَلْتُ فِي الْقُرْءَانِ مَا لَمْ يُنْهِنَهُ
أَبْنُ مَسْعُودٍ، وَشَرِكْتُ أَبْنَ مُلْجَمٍ وَأَسْعَدْتُهُ فِي صَدَاقِ قَطَامٍ، وَبَرَّيْتُ مِنْ حُبَّةِ
هَمْدَانَ، وَلَمْ أَقُلْ بِاشْتِرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْإِمَامِ، وَدَخَلْتُ مَعَ أَهْلِ النِّصْبِ الظُّلَامِ .
قُلْتُ: قَدْ ذَكَرْتُ فِي "التَّعْرِيفِ" فِرْقَةَ الْإِمَامِيَّةِ هَذِهِ مِنَ الشَّيْعَةِ الَّتِي هَذِهِ الْمُلْكَةُ،
وَلَمْ أَعْلَمْ أَبْنَ مَكَائِلَهُمْ مِنْهَا .

الفِرْقَةُ الثَّلَاثَةُ

(مِنَ الشَّيْعَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ)

وَهُمُ الْقَائِلُونَ بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلَ بَنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَأَنَّ الْأَمَامَةَ آتَتْهُمْ إِلَيْهِ بَعْدَ
أَبِيهِ دُونَ أَخِيهِ مُوسَى الْكَاطِمِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى فِرْقَةِ الْإِمَامِيَّةِ . وَهُمْ

(١) الزِّيَادَةُ مِنْ "التَّعْرِيفِ" (ص ١٥٩) .

يوافقون الإمامية المتقدم ذكرهم في سوق الإمامة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى جعفر الصادق، ثم يعدلون بها عن موسى الكاظم الذي هو الإمام عند الإمامية إلى إسماعيل هذا، ثم يسوقونها في بنيه، فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ابنه الحسن، ثم إلى أخيه الحسين، ثم إلى ابنه علي زين العابدين، ثم إلى ابنه محمد الباقر، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه إسماعيل - الذي تنسب إليه هذه الفرقة - بالنسب من أبيه. فمن قائل: إن أباه مات قبله، وانتقلت الإمامة إليه بموته. ومن قائل: إنه مات قبل أبيه. وفائدة النص ثبوتها في بنيه بعده. ثم يقولون: إنها انتقلت من إسماعيل المذكور إلى ابنه محمد المكتوم، ثم إلى ابنه جعفر الصادق، ثم إلى ابنه محمد الحبيب، ثم إلى ابنه عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب، وهو جد الخلفاء الفاطميين بمصر، ثم إلى ابنه القائم بأمر الله أبي القاسم محمد: ثاني خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب؛ ثم إلى ابنه المنصور بالله أبي الطاهر إسماعيل: ثالث خلفاء الفاطميين ببلاد المغرب؛ ثم إلى ابنه المعز لدين الله أبي تميم معتمد: أول خلفاء الفاطميين بمصر بعد قيامه ببلاد المغرب (وهو باني القاهرة)؛ ثم إلى ابنه العزيز بالله أبي المنصور نزار: ثاني خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الحاكم بأمر الله أبي علي المنصور: ثالث خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي: رابع خلفائهم بمصر؛ ثم إلى ابنه المستنصر بالله أبي تميم معتمد: خامس خلفائهم بمصر.

ثم من هاهنا أفرقت الإسماعيلية إلى فرقتين: مستعلوية وزارية.

فأما المستعلوية فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله المتقدم ذكره إلى ابنه المستعلي بالله، أبي القاسم أحمد: سادس خلفائهم بمصر، ثم إلى ابنه الأمير

(١) كذا في الأصول ووقع في البر «الصادق».

بأحكام الله أبي علي المنصور : سابع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى أبنه الحافظ لدين الله أبي الميمون عبد الحميد بن أبي القاسم : ثامن خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى أبنه الظافر بأمر الله أبي المنصور إسماعيل ، تاسع خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى أبنه الفائز بنصر الله أبي القاسم عيسى بن الظافر : عاشر خلفائهم بمصر ؛ ثم إلى العاضد لدين الله أبي محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ : حادي عشر خلفائهم بمصر ، وهو آخرهم حتى مات .

وأما التزارية فانهم يقولون : إن الإمامة انتقلت بعد المستنصر إلى أبنه زيار بالنص من أبيه دون أبنه المستعلي ؛ ويستندون في ذلك إلى أن الحسن بن الصباح كان من تلامذة أحمد بن غطاش صاحب قلعة أصفهان والموت ، وكان شهما عالميا بالتعاليم والتعجوز والسحر ، فأتهمه ابن غطاش بالدعوة للفاطميين خلفاء مصر ، يخاف وهرب منه إلى مصر في خلافة المستنصر الملقبم ذكوه ، فأكرمه وأمره بدعاية الناس إلى إمامته ، فقال له ابن الصباح : من الإمام بعدك ؟ فقال له : أبنى زيار ، فعاد ابن الصباح من مصر إلى الشام والجزيرة وديار بكر وبلاد الروم ، ودخل نخراسان ، وعبر إلى ما وراء النهر ، وهو يدعو إلى إمامة المستنصر وأبنه زيار بعده . قال الشهرستاني في " النحل والملل " : وصعد قلعة الموت في شعبان سنة ثلاث وعشرين وأربع مائة واستظهر وعحصن .

ثم التزارية يزعمون أن زيارا المذكور خرج من الإسكندرية محملا في بطن جارية ، هبة على نفسه ، وخاض بلاد الأعداء حتى صار إلى الموت . ورأيت في المغرب

(١) الصواب «ثم إلى الحافظ» وفي القرني ج ١ ص ٣٥٧ «وبن بعده الحافظ ... ابن الأمير أبي القاسم محمد» ووقع في ج ٣ ص ٤٣١ من هذا المطبوع «ثم ولي بعده ابن عمه الحافظ ... عبد الحميد بن الأمر أبي القاسم محمد الخ» وفيه بعض التصحيح فته .

لأَبْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ إِذَا صَارَ مِنْ عَقِيهِ مَنْ وَصَلَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ، وَصَارَتِ الْإِمَامَةُ فِي يَدِهِ هُنَاكَ .

وَالْمُسْتَعْلَوِيَّةُ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ إِنْكَارًا ، وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ قُتِلَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ : سَارَ إِلَيْهِ الْأَفْضَلُ بْنُ أَمِيرِ الْجَبُوشِ وَزَيْرُ الْمُسْتَعْلِي وَحَاصَرَهُ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ ، ثُمَّ ظَفَرَهُ وَأَتَى بِهِ إِلَى الْمُسْتَعْلِي ، فَبَتَّى عَلَيْهِ حَاطِطِينَ فَاتَ ، ثُمَّ فَرَّبَ بَعْضُ بَنِي زُرَّارٍ إِلَى بِلَادِ الْمَشَارِقِ وَأَقَامَ بِالْمَغْرِبِ ، وَالْقَائِمُونَ بِهَا الْآنَ مِنْ وَلَدِهِ ، وَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ بِهِ كُتُبُ التَّوَارِيخِ : كَمَغْرِبِ أَبِي سَعِيدٍ وَغَيْرِهِ .

ثُمَّ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فِي الْجُمْلَةِ : مِنَ الْمُسْتَعْلَوِيَّةِ وَالزَّرَّازِيَّةِ يَسْمُونُ أَنْفُسَهُمْ أَصْحَابَ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَّةِ ، تَبَعًا لِإِمَامِهِمْ إِسْمَاعِيلَ الْمَذْكُورِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْمَى صَاحِبَ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَّةِ .

قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَهُمْ وَإِنْ أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ وَقَالُوا بِقَوْلِ الْإِمَامِيَّةِ ، ثُمَّ خَالَفُوهُمْ فِي مُوسَى الْكَاطِمِ وَقَالُوا : إِنَّ الْإِمَامَةَ لَمْ تَصُرْ إِلَّا إِلَى أَخِيهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنَّهُمْ طَائِفَةٌ كَافِرَةٌ يَتَقَدُّونَ التَّنَاسُخَ وَالْحُلُولَ .

وَذَكَرَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : أَنَّ مُلَخَّصَ مُعْتَقِدِهِمُ التَّنَاسُخَ . ثُمَّ قَالَ : وَلَقَدْ سَأَلْتُ الْمُتَقَدِّمَ عَلَيْهِمُ وَالْمُتَّصِلَ إِلَيْهِ فِيهِمْ : (وَهُوَ مُبَارَكُ بْنُ عَلْوَانَ) عَنْ مُعْتَقِدِهِمْ وَجَازِبَتِهِ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ مَرَارًا ، فَظَهَرَ لِي مِنْهُ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ مَسْجُونَةٌ فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ الْمَكْتَفِيَّةِ بِطَاعَةِ الْإِمَامِ الْمُطَهَّرِ عَلَى رُؤُسِهِمْ . فَإِذَا أُنْتَقَلَتْ عَلَى الطَّاعَةِ

(١) لعل الصواب «فرال الاسكندرية» ليستقيم الكلام بعد وقد ذكر القرطبي خبره ج ١ ص ٤٢٣

على وجه الصحة فكتبه .

(٢) كذا بالأصل ولعل مراده بلاد مشارق أفريقيا كما سيأتي .

كَانَتْ قَدْ تَحَلَّصَتْ وَانْتَقَلَتْ لِلْأَنْوَارِ الْعُلَوِيَّةِ ، وَإِنْ أَنْتَقَلَتْ عَلَى الْعَصِيَّانِ هَوَتْ فِي الظُّلُمَاتِ السُّفْلِيَّةِ .

وذكر في "العبر" : أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي الْوَهْبَةَ الْإِمَامِيَّةَ بَنُوَءِ الْحُلُولِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي رَجْعَةَ مَنْ مَاتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ بَنُوَءِ التَّنَاسُخِ وَالرَّجْعَةِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ عَيْءَ مَنْ يَنْقَطِعُ بِمَوْتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ عَوْدَ الْأَمْرِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ .

ثُمَّ الْمُسْتَعْلَوِيَّةُ وَالتَّزَارِيَّةُ يَتَّفِقُونَ فِي بَعْضِ الْمَعْتَقَدَاتِ وَيُخْتَلِفُونَ فِي بَعْضِهَا .

فَأَمَّا مَا يَتَّفِقُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْتِقَادِ ، فَهُمْ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدَّعِي إِمَامًا مَعْصُومًا : ظَاهِرًا أَوْ مُسْتَوْرًا . فَالْأَئِمَّةُ الظَّاهِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى إِمَامَتِهِمْ ، وَالْمُسْتَوْرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَتِرُونَ وَيُظْهِرُونَ دُعَايَهُمْ . وَآخِرُ الظَّاهِرِينَ عَنْدهُمْ إِسْمَاعِيلُ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ ، وَأَوَّلُ الْمُسْتَوْرِينَ أَبْنَةُ الْمَكْتُومِ ، وَمَنْ مُعْتَقِدُهُمْ أَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامًا زَمَانِهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عَقْدِهِ بَيْعَةُ إِمَامٍ ، مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً . وَيُرَوْنَ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْعَلِيمِ مِنَ الْأَئِمَّةِ خَاصَّةً ، وَأَنَّ الْأَئِمَّةَ هُمُ هُدَاةُ النَّاسِ . وَيَقُولُونَ : إِنَّ لِلْأَئِمَّةِ أَدْوَارًا فِي كُلِّ دَوْرٍ مِنْهَا سَبْعَةُ أَئِمَّةٍ : ظَاهِرِينَ أَوْ مُسْتَوْرِينَ . فَإِنَّ كَانَ أَهْلَ الدَّوْرِ ظَاهِرِينَ يَسْمَى ذَلِكَ الدَّوْرُ تَوْرَ الْكَشْفِ ، وَإِنْ كَانُوا مُسْتَوْرِينَ يَسْمَى دَوْرَ السَّتْرِ . وَيَقُولُونَ بِوُجُوبِ مَوَالَاةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَتَبَرُّعِهِمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، وَيَنْسُبُونَهُمْ إِلَى الْأَخْذِ بِالْبَاطِلِ ، وَالْوُقُوفِ فِي الضَّلَالِ ، لَا سِيَّمَا النَّوَاصِبِ ، وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالنَّاصِبِيَّةِ أَتْبَاعُ^(١) ، وَيُرْمَوْنَهُمْ بِالْعِظَامِ ، وَيَنْسُبُونَهُمْ إِلَى اعْتِمَادِ الْحَالِ وَالْأَخْذِ بِهِ . وَمَنْ خَرَجَ عَنْهُمْ عَنِ الْقَوْلِ بِانْتِقَالِ الْإِمَامَةِ بَعْدَ الْحَسَنِ

السَّبْط عليه السلام ، ثم أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ، ثم فِي أَيْمَتِهِمُ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُمْ ، إِلَى إِمَامِهِمْ
إِسْمَاعِيلَ الَّذِي يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ بِالنَّصِّ الْجَلِيِّ ، قَدْ حَدَّثَ عَنِ الْحَقِّ . وَهُمْ يَعْتَظُمُونَ
وَيَسْتَغْطَمُونَ الْقَدَحَ فِيهِ ، وَأَنْ مِنْ وَقَعَ فِي ذَلِكَ قَدْ أَرْتَكَبَ خَطَأً كَبِيراً .

وَلِدَعَاةُ الْأَيْمَةِ الْمُسْتَوْرِينَ عَنْهُمْ مِنَ الْمَكَانَةِ وَعُلُوُّ الرِّبَّةِ الرِّبَّةُ الْعُظْمَى ، لَا سَمِيًّا
الدَّاعِي الْقَائِمُ بِذَلِكَ أَوَّلًا : وَهُوَ الدَّاعِي إِلَى مُحَمَّدٍ الْمَكْتُومِ أَوْ أَيْمَتِهِمُ الْمُسْتَوْرِينَ عَلَى
مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ ، فَإِنْ لَهُ مِنَ الرِّبَّةِ عَنْهُمْ فَوْقَ مَا لِفَرِغِهِ مِنَ الدَّعَاةِ الْقَائِمِينَ بَعْدَهُ .

وَمَا أَشْهَرَ مِنْ أَمْرِ الدَّعَاةِ لِأَيْمَتِهِمُ الْمُسْتَوْرِينَ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى التَّشْيِيعِ
رَجُلٌ أَسَمَهُ رَمَضَانَ ، وَيُقَالُ : أَنَّهُ صَاحِبُ كِتَابِ "الْمِيزَانِ" فِي نُصَرَةِ الزَّنْدَقَةِ ، قَوْلُهُ
لَهُ وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ : مَيْمُونٌ ، نَسَأَ عَلَى أَهْبِيَةٍ فِي التَّشْيِيعِ وَالْعِلْمِ بِأَسْرَارِ الدُّعَاءِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ،
ثُمَّ نَسَأَ لِمَيْمُونٍ وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ ، وَكَانَ يَبَالِغُ الْعِيُونَ وَيَقْدَحُهَا ، فَسُمِّيَ الْقَدَّاحَ ،
وَأُطْلِعَ عَلَى أَسْرَارِ الدَّعْوَةِ مِنْ أَبِيهِ ، وَصَارَ مِنْ نَوَاحِي كَرْخٍ وَأَصْهَبَانَ إِلَى الْأَهْوَازِ
وَالْبَصْرَةِ وَسَامِيَّةٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ ، ثُمَّ مَاتَ وَنَسَأَ لَهُ وَلَدٌ
يُسَمَّى أَحْمَدَ فَقَامَ مَقَامَ أَبِيهِ عِدَّ اللَّهِ الْقَدَّاحَ فِي الدَّعْوَةِ ، وَصَحْبِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ رَسَمَ
أَبْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ حَوْشَبِ النَّجَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَأَرْسَلَهُ أَحْمَدُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَدَعَا
الشَّيْعَةَ بِالْيَمَنِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ فَأَجَابُوهُ ، وَكَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيُّ مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ
مِنْ الْيَمَنِ ، وَقِيلَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، يَصْحَبُ أَبْنَ حَوْشَبَ ، لَحَظِيَّ عِنْدَهُ وَبَعَثَهُ إِلَى
الْمَغْرِبِ . وَمِنْ نَسَبِ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الدَّعَاةِ إِلَى أَرْتِكَابِ مَحْظُورٍ أَوْ احْتِقَابِ إِثْمٍ قَدْ
ضَلَّ وَنَجَرَ عَنْ جَادَةِ الصَّوَابِ عَنْهُمْ . وَيَرُونَ تَخَطُّطَهُ مِنْ مَالًا عَلَى الْإِمَامِ عُيْدِ اللَّهِ
الْمَهْدِيِّ : أَوَّلَ أَيْمَتِهِمُ الْقَائِمِينَ بِيَلَادِ الْقَرْبِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، وَأَرْتِكَابِهِ الْمَحْظُورَ وَضَلَّاهُ عَنْ

طريق الحق؛ وكذلك من خذل الناس عن اتباع القائم بأمر الله بن عبيد الله المهدي ثاني خلقهم ببلاد المغرب، أو نقض الدولة على المعز لدين الله : أول خلقائهم بمصر؛ ويرون ذلك من أعظم العظائم، وأكبر الكبائر .

ومن أعيادهم العظيمة الخطر عندهم يوم غدیر خم (يفتح الفين المعجمة وكثر الدال المهملة وسكون المثناة تحت وراء مهملة في الآخر، ثم خاء معجمة مضمومة بعدها ميم) : وهو غيبة بين مكة والمدينة على ثلاثة أيام من المحقة . وسبب جعلهم له عيداً أنهم يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل فيه ذات يوم فقال لعلي رضي الله عنه : « اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأنصر من نصره ، وأخذل من خذله ، وأدبر الحق معه حيث دار » على ما تقدم نحوه في الكلام على يمين الإمامية .

وقد كان للخلفاء الفاطميين بمصر بهذا العيد اهتمام عظيم ، ويكتبون بالإشارة به إلى أعمالهم ، كما يكتبون بالإشارة بعيد الفطر وعيد النحر ونحوهما . ويعتقدون في أيمانهم أنهم يعلمون ما يكون من الأمور الحادثة .

وقد ذكر المؤرخون عن عبيد الله المهدي جد الخلفاء الفاطميين بمصر أنه حين بنى المهديّة بمشارك أفريقية من بلاد المغرب طلع على سورها ورعى بسهم وقال إلى حدّ هذه الرمية يتّهي صاحب الحمار ، فخرج بالمغرب خارجي يعرف بأبي يزيد صاحب الحمار ، وقصد المهديّة حتى انتهى إلى حدّ تلك الرمية ؛ فرجع ولم يصل المهديّة .

وكان الحارث بأمر الله أحد خلفاء مصر من عقب المهدي المذكور يدعى علم الغيب على المنبر بالجامع المعروف به على القرب من باب الفتوح بالقاهرة ، فكتبوا له بطاقة فيها :

بِالظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا * وليس بالكُفْرِ والْحَمَاقَةِ

إِنْ كُنْتَ أُوتِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ * يَنْ لَنَا كَاتِبَ الْإِطَاقَةِ

فترك ما كان يقوله ولم يعد إليه (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْزِلُ) .

وهم يقدحون في عيَّاش بن أبي الفُتوح الصَّنْهَاجِي وزير الظَّافِر: أحد الخلفاء الفاطميين بمصر . وذلك أنه كان له ولدٌ حسنُ الصورة اسمه نصر ، فأجبه الظَّافِرُ المذكورُ حتى كان يأتي إليه ليلاً إلى بيته ، فومئ عيَّاشُ الظَّافِرَ بآبَتِهِ ، وأمره أن يستدعيه فاستدعاه ، فأتى إليه ليلةً على العادة ، فأجتمع عيَّاشُ بن السَّلاَرِ هو وآبَتُهُ نصرٌ على الظَّافِرِ وقتلَهُ ، وهربا إلى الشام ، فأسرهما الفرنج ، ثم فُديَ آبَتُهُ وصُلبَ على باب زويلة .

وهم يقدحون في عيَّاشِ المذكورِ ويرمونه بالنفاق بسبب ما وقع منه في حقِّ الظَّافِر من رميهِ بآبَتِهِ وقتلِهِ لإياه .

قلتُ : وعيَّاشٌ هذا هو الذي أشار إليه في "التعريف" في صورة يمين الإسماعيلية بآبِ السَّلاَرِ . وهو وهمٌ منه ، إذ ليس عيَّاشُ بآبِ السَّلاَرِ ، وإنما آبُ السَّلاَرِ هو زَوْجُ أُمِّ عيَّاشِ المذكورِ ، وكان قد وُزِّرَ للظَّافِرِ المذكورِ قبلَ رَيبِهِ عيَّاشٌ وتلقَّبَ بالعدل ، وأسئلتُ على الأمرِ حتى لم يَكُنْ للظَّافِرِ معه كلامٌ ، ثم دسَّ عليه رَيبُهُ

(١) كذا في الأصول بالمتانة التحية والشين المعجمة ووقع في آبن الأمير والمقرئ بالمسوحدة والسين المهملة .

(٢) سيأتي بعد أسطر اثنين على هذه النسبة .

(٣) حجارة آبن الأمير (ج ١١ ص ٧٩) باختصار : قتل عيَّاشا الفرنج وأسروا آبَتَهُ ثم فداه الملك الصالح علائح بن رزيك منهم ومطبه على باب زويلة .

عَاشَ مَنْ قَتَلَهُ ، وَوُزِّرَ لِلظَّافِرِ بَعْدَهُ . فابْنُ السَّلَاحِ هُوَ الْعَادِلُ وَزِيرُ الظَّافِرِ أَوَّلًا
لَا عَاشَ رِيبُهُ .

ومن أكبر الكبائر عندهم وأعظم العظائم أن يُرْحَى أَحَدٌ مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلم لَا سِيبَ الْأَئِمَّةُ بِكَبِيرَةٍ ، أَوْ يُنْسَبَها [أَحَدٌ] إِلَيْهِمْ ، أَوْ يُوَالَى لَهُمْ عَدُوًّا
أَوْ يُعَادَى وَلِيًّا .



وأما ما يختص به المُسْتَعْلَوِيَّةُ ، فإنهم يُنْكِرُونَ إِمَامَةَ زِيَارِ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ الْمُقَدَّمِ ذِكْرُهُ ،
وَيَكْذِبُونَ التَّرَاثِيمَ فِي قَوْلِهِمْ : إِنْ زَارًا أَرْجَحَ حَمَلًا فِي بَطْنٍ جَارِيَةٍ حَتَّى صَارَ إِلَى بِلَادِ
الشَّرْقِ . ويقولون : إِنَّهُ مَاتَ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ مَيِّتَةً ظَاهِرَةً . ويقولون : إِنَّهُ نَازِعَ
الْحَقِّ أَهْلَهُ وَجَاذِبَ ^(١) مِنْ حَيْثُ إِنْ الْحَقُّ فِي الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ كَانَ لِإِمَامِهِمُ
الْمُسْتَعْلِي بِاللهِ فَأَدْعَاهُ لِنَفْسِهِ . ويقولون : إِنْ شِيعَتُهُ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَمُوَافَقَتُهُمْ
فِي اعْتِقَادِهِمْ إِمَامَتَهُ خَطَأً . وَيَرَوْنَ مِنَ الضَّلَالِ اتِّبَاعَ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَاحِ دَاجِيَةَ زِيَارٍ
وَالنَّاقِلِ عَنْ الْمُسْتَنْصِرِ النَّصِّ عَلَى إِمَامَتِهِ ، وَيَرَوْنَ الْكَوْنَ فِي جُمْلَةِ التَّرَاثِيمِ مِنْ أَعْظَمِ
الْأَضَالِيلِ ، لَا سِيبًا مَنْ كَانَ فِيهِمْ آخِرُ أَدْوَارِ الْأَئِمَّةِ الَّتِي هِيَ فِي كُلِّ دَوْرٍ سَبْعَةُ أَئِمَّةٍ ،
عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي صَدْرِ الْكَلَامِ عَلَى أَصْلٍ مُعْتَقَدٍ هَذِهِ الْفِرْقَةُ .

ثم هم يعظمون راشد الدين سنان : وهو رجل كان يفلح الدعوة بأعمال طرابلس
من البلاد الشامية في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، انتهت
رياستهم إليه . قال في "مسالك الأبصار" : وكان رجلاً صاحب سيماء ، فأراهم بها
ما أضل به عقولهم : من تحمیل أشخاص من مات منهم على طاعة أئمتهم في جنات
النعيم ، وأشخاص من مات منهم على عصيان أئمتهم في النار والجحيم ، فثبت ذلك

(١) يياض بالأصول ولعله : الخلافة وتيا ، كما سيأتي قهلاً عن التعريف .

عندهم واعتقدوه حقاً . ومن قدح في ذلك فقد دَخَلَ في أَهْلِ الضلال . وَيَقْدَحُونَ في آبن السِّلارِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرَهُ وَيَسْقَهُونَ^(١) رَأْيَهُ فِيمَا كَانَ مِنْهُ : مِنْ إِزَالَةِ الْخُطْبَةِ لِلْفَاطِمِيِّينَ وَحَطِّ رَأْيِهِمُ الصُّفْرَاءِ وَالْخُطْبَةِ لِنَبِيِّ الْعَبَّاسِ وَرَفْعِ رَأْيِهِمُ السُّودَاءِ ، وَمَا كَانَ مِنْهُ مِنَ الْقَعْلَةِ الَّتِي أَسْتَوْلَى بِهَا عَلَى قَصْرِ الْفَاطِمِيِّينَ وَمِنْ فِيهِ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ بَعْدَ مَوْتِ الْعَاضِدِ .



وأما ما يختص به التَّزَارِيَّةُ ، فَانْهَم يَقُولُونَ : إِنَّ الْأَمْرَ صَارَ إِلَى تَزَارٍ بَعْدَ أَبِيهِ الْمُسْتَنْصِرِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، وَإِنْ مَنْ يَحْمَدُ إِمَامَتَهُ فَقَدْ أَخْطَأَ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَجَحَ مِنَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ حَمَلًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَخَاضَ بِلَادَ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ هُمُ الْمُسْتَعْلَوِيَّةُ بِمَضَرٍ حَتَّى صَارَ إِلَى بِلَادِ الشَّرْقِ . وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْأَسْمَ بِغَيْرِ الصُّورَةِ بِمَعْنَى ؛ وَيَرَوْنَ أَنَّ الطُّغْنَ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرَهُ فِيمَا قَهَلَهُ عَنِ الْمُسْتَنْصِرِ مِنْ قَوْلِهِ : الْإِمَامَةُ بَعْدِي فِي وَلَدِي تَزَارٍ مِنْ أَكْظَمِ الْأَثَامِ ، وَيَعْظُمُونَ دَلَاءَ الدِّينِ صَاحِبَ قَلْعَةِ الْمَوْتِ ، وَهِيَ قَلْعَةُ بِالطَّالِقَانِ بَنَاهَا السُّلْطَانُ مَلِكُ شَاهِ السَّلْجُوقِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ أَرْسَلَ عُقَابًا فَبَرَزَ فِي مَكَانِهَا ، فَلَمَّا وَافَى مَكَانَهَا بَنَى فِيهِ هَذِهِ الْقَلْعَةَ وَسَمَّاهَا الْمَوْتِ ، وَمَعْنَاهُ تَعْلِيمُ الْعُقَابِ .

وَعَلَاءُ الدِّينِ هَذَا هُوَ آبن جَلال الدِّينِ الْحَسَنِ الْمَلَقَّبُ بِالْكَيَا ، وَهُوَ مِنْ عَقَبِ الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَّاحِ الْمُقَدِّمِ ذِكْرُهُ ، وَكَانَ أَبُوهُ جَلال الدِّينِ قَدْ أَظْهَرَ شَعَائِرَ الْإِسْلَامِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِالْعَجَمِ وَالشَّامِ فَأُقِيمَتْ فِيهَا ، ثُمَّ تَوَقَّى بِقَلْعَةِ أَلْمَوْتِ الْمَذْكُورَةِ فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ ، فَاسْتَوْلَى أَبْنُهُ عَلَاءُ الدِّينِ هَذَا عَلَى قَلْعَةِ

(١) لعل الصواب « ويسفون رأى صلاح الدين يوسف بن أيوب » فإنه هو الذي عمل ذلك العمل كما يشير إلى ذلك في البيهقي والآب والافان السلاسل في زمن الظاهر .

ألموت المذكورة، وخالف رأى أبيه المذكور إلى مذهب الزَّارية، وصار رأساً من رؤوسهم، والتَّبرى منه عندهم من أشدَّ الخَطأ .

وأعلم أنَّ أصل هذه الفرقة كانت بالبحرين في المائة الثانية وما بعدها، ومنهم كانت القرامطة الذين خرجوا من البحرين حينئذ، نسبةً إلى رجلٍ منهم اسمه قَرمط، نرجح فيهم وأدعى النبوة وأنه أنزل عليه كتابٌ، ثم ظهروا بالمشرق "بأصبهان" : في أيام السلطان ملكشاه السلجوقي، واشتهروا هناك بالباطنية : لأنهم يُطِنون خلاف ما يُظهرون، وبالملاحدة : لأن مذهبهم كله إلحادٌ، ثم صاروا إلى الشام، ونزلوا فيما حوَلَ طرابلس، وأظهروا دَعْوَتَهُمْ هناك، وإليهم تُنسب قلاعُ الإسماعيلية المعروفة بقلاع الدَّعوة، فيما حوَلَ طرابلس، كصيايف، والحواري، والقُدُموس، وغيرها .

ولما أفرقوا إلى مُستَعْلَوِيَّةٍ وزَّارِيَّةٍ كما تقدّم، أخذَ من منهم ببلاد المشرق بمذهب الزَّارية، عملاً بدعوة ابن الصباح المقدم ذكره، وأخذَ من منهم بالشَّام بقلاع الإسماعيلية بمذهب المُستَعْلَوِيَّة، وصاروا شِيعَةً لَمَن بعد المُستَعْلَى من خُلفاء الفاطميين بمصر، واشتهروا باسم الفِداوِيَّة، ووَثَبُوا على السُّلطان صلاح الدِّين يوسف بن أيُّوب بالشَّام مرَّاتٍ وهو راكِبٌ لِيَقْتُلُوهُ فلم يَمُكِّنُوا مِنْهُ . ثم صالحهم بعد ذلك على قِلاعِهِم بأعمال طرابلس في سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ؛ ثم اتَّخَذُوا إلى ملوكِ مِصر في أيام الظاهر بَيْرْتِس، واشتهروا باسم الفِداوِيَّة لمفاداتهم بالمال على مَنْ يَقْتُلُونَهُ .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" نقلاً عن مقدّمهم : مُبارك بن عُلوّان : أنَّ كُلَّ من مَلَكَ مِصرَ كان مَظْهَرًا لهم . ولذلك يَرَوْنَ إتِّلافَ نُفُوسِهِمْ في طاعته : لما يَنْتَقِلُونَ إليه من النعيم الأكبر في زَعْمِهِمْ . ورأيتُ نَحْوَ ذلك في "أَسَاسِ السِّيَاسَةِ" لابن خَافَر ؛ وذكر أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مُلُوكَ مِصرَ كالنَّوَابِ لِأَتَمَّتِهِمْ : لقيامهم مقامهم .

أما آيائهم التي يُحَفِّفُونَ بها فقد قال في "التعريف" جَرِيًّا على مُعْتَقَدِهِم المتقدم :
 إنَّ الْيَمِينَ الْجَامِعَةَ لَهُمْ أَنْ يَقُولَ : إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ ،
 الْقَادِرُ الْقَاهِرُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَحَقُّ أَيْمَةِ الْحَقِّ ، وَهُدَاةِ الْخَلْقِ ، عَلِيٌّ وَبَيْنَهُ أَيْمَةُ
 الظُّهُورِ وَالْخَفَاءِ ، وَإِلَّا بَرِثْتُ مِنْ صَحِيحِ الْوَلَاءِ ، وَصَدَقْتُ أَهْلَ الْأَبَاطِيلِ ، وَقُتُّ
 مع فِرْقَةِ الضَّلَالِ ، وَأَنْتَصَبْتُ مع النَّوَاصِبِ فِي تَقْرِيرِ الْحَالِ ، وَلَمْ أَقُلْ بِأَنْتَقَالِ الْإِمَامَةِ
 إِلَى السَّيِّدِ الْحُسَيْنِ ، ثُمَّ إِلَى بَيْنِهِ بِالنَّصِّ الْحَلِيِّ ، مَوْصُولَةً إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ ؛ ثُمَّ إِلَى
 أَبِيهِ إِسْمَاعِيلَ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ الْهَادِيَةِ ، وَالْآثَرَةِ الْبَاقِيَةِ ، وَإِلَّا قَدَحْتُ فِي الْقَدَاحِ ،
 وَأَتَمْتُ الدَّاعِيَ الْأَوَّلَ ، وَسَعَيْتُ فِي اخْتِلَافِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَمَالَأْتُ عَلَى السَّيِّدِ
 الْمُهْدَى ، وَخَذَلْتُ النَّاسَ عَنِ الْقَائِمِ ، وَتَقَضَّصْتُ الدَّوْلَةَ عَلَى الْمَعْرُ ، وَأَنْكَرْتُ أَنْ يَوْمَ
 غَدِيرِ خُمٍّ لَا يُعَدُّ فِي الْأَعْيَادِ ، وَقُلْتُ : أَنْ لَا عَلِمَ لِلْأَيْمَةِ بِمَا يَكُونُ ، وَخَالَفْتُ مَنْ أَدْعَى
 لَهُمُ الْعِلْمَ بِالْخِذْيَانِ ، وَرَمَيْتُ آلَ بَيْتِ عَمِيدِ الْعِزَّةِ ، وَقُلْتُ فِيهِمْ بِالْكَجَارِ ، وَوَالَيْتُ
 أَعْدَاءَهُمْ ، وَعَادَيْتُ أَوْلِيَاءَهُمْ .

قال : ثم من هنا تُزَادُ التَّزَارِيَةُ : وَإِلَّا بَحَثْتُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ صَارَ إِلَى زِيَارِ ،
 وَأَنَّهُ أُنِيَ حَمَلًا فِي بَطْنٍ جَارِيَةٍ لَخَوْفِهِ خَوْضَ بِلَادِ الْأَعْدَاءِ ، وَأَنَّ الْأَنْسَ لَمْ يُغَيَّرِ
 الصُّورَةَ . وَإِلَّا طَعَنْتُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ الصَّبَاحِ ، وَبَرِثْتُ مِنَ الْمَوْلَى عَلَاءِ الدِّينِ
 صَاحِبِ الْأُمُوتِ ، وَمِنْ نَاصِرِ الدِّينِ سَنَانِ الْمَلَقِبِ بَرِاشِدِ الدِّينِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ
 الْمُعْتَصِدِينَ ، وَقُلْتُ : إِنَّ مَارَوْهَ كَانَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ ، وَدَخَلْتُ فِي أَهْلِ الْفِرْيَةِ
 وَالْأَضَالِيلِ .

قال : وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَةِ الْمُتَكِرِينَ لِإِمَامَةِ زِيَارِ ، فَيُقَالُ لَهُمْ غَوْضُ
 هَذَا : وَإِلَّا قُلْتُ : إِنَّ الْأَمْرَ صَارَ إِلَى زِيَارِ ، وَصَدَقْتُ الْقَائِلِينَ أَنَّهُ خَرَجَ حَمَلًا فِي بَطْنٍ

جارية، وأنكرت ميته الظاهرة بالإسكندرية، وأدعت أنه لم يُنزع الحق أهلها،
ويجاذب الخلافه ربه، وواقفت شيعته، وتبع الحسن بن صباح، وكنت
في التزارية آخر الأذوار.

قال : ثم يجمعهم آخريين أن يقال : وإلا قلت مقالة ابن السلار في التفاق
وسدنت رأى ابن أيوب، وألقيت بيدى الراية الصفراء، ورفعت السوداء، وعلت
في أهل القصر تلك الفعال، وتمعلت مثل ذلك المحال .

قلت : ما ذكره في " التعريف " فيما تراه التزارية : « ومن ناصر الدين سنان
الملقب براشد الدين » وهم : فإن سنانا المذكور إنما هو من إسماعيلية الشام الذين
هم شيعه المستعلوية لامن الإسماعيلية التزارية الذين هم ببلاد المشرق ، على ما هتم
بسانه . فكان من حقه أن يلحق ذلك بيمين من سواهم من الإسماعيلية الذين هم
المستعلوية . وكذلك قوله : ثم يجمعهم آخريين أن يقال : « وإلا قلت مقالة
ابن السلار في التفاق، وسدنت رأى ابن أيوب » إلى آخره، فإن ذلك مما يختص
بالمستعلوية ، لأن ابن السلار كان وزير الظاهر كما تقدم، والظاهر من جملة الخلفاء
القائمين بمصر بعد المستعلي، الذين خالفوا التزارية في إمامتهم . وكذلك قضية ابن
أيوب إنما كانت مع العاضد آخر خلفائهم بمصر، وكل ذلك مختص بإسماعيلية الشام
الذين هم شيعه المستعلوية دون التزارية، وحينئذ فكان من حقه أن يقتصر في زيادة
يمين التزارية على آخر « وبرئت من المولى علاء الدين صاحب الموت » ويزيد في يمين
من سواهم من الإسماعيلية بعد قوله آخر الأذوار : « وإلا برئت من ناصر الدين
سنان الملقب براشد الدين ، وكنت أول المتسدين، وعلت : إن ماراه كان من
الباطيل، ودخلت في أهل القرية والأضاليل » ثم يقول بعد ذلك : « وإلا قلت

مَقَالَةَ أَبِي السَّلَارِ فِي النَّفَاقِ ، وَسَدَّدْتُ رَأْيَ أَبِي أَيُّوبَ ، وَأَلْقَيْتُ بِيَدِي الرَّأْيَةَ الصَّغِيرَةَ ، وَرَفَعْتُ السُّودَاءَ ، وَفَعَلْتُ فِي أَهْلِ الْقَصْرِ تِلْكَ الْفَعَالَ ، وَتَمَحَّلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ الْمُحَالِ » .

الفرقة الرابعة (من الشيعة الدرزية)

قال في " التعريف " : وهم أتباعُ أبي محمد الدرزي . قال في " التعريف " : وكان من أهل مَوْلَاةِ الحاكم أبي علي المنصور بن العزيز خَلِيفَةِ مصر . قال : وكانوا أولاً من الإسماعيلية ، ثم خرجوا عن كلِّ ما تَمَحَّلُوهُ ، وَهَدَمُوا كُلَّ مَا أَتَلَّوْهُ ، وَهَمَّ يَقُولُونَ بِرَجْعَةِ الحاكم ، وَأَنَّ الْأُلُوهِيَةَ أَتَهَتْ إِلَيْهِ وَتَدِيرَتْ نَاسُوتَهُ ، وَهُوَ يَغِيبُ وَيُظْهِرُ بَهَيْتِهِ وَيَقْتُلُ أَعْدَاءَهُ قَتْلَ إِبَادَةِ لَامَعَادَ بَعْدَهُ ، بَلْ يَنْكُرُونَ الْمَعَادَ مِنْ حَيْثُ هُوَ ، وَيَقُولُونَ تَحْوِيلِ الطَّبَائِعِيَّةِ : إِنَّ الطَّبَائِعَ هِيَ الْمُؤَلَّدَةُ ، وَالْمَوْتَ بَقَاءُ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ ، كَانْظَفَاءِ السَّرَاجِ بَقَاءُ الزَّيْتِ إِلَّا مِنْ أَعْيُطَ ، وَيَقُولُونَ : دَهْرٌ دَائِمٌ ، وَعَالَمٌ قَائِمٌ ، أَرْحَامٌ تَدْفَعُ ، وَأَرْضٌ تَبْلَعُ ، بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَسْتَبِيحُونَ فُرُوجَ الْحَارِمِ وَسَائِرَ الْفُرُوجِ الْمُحَرَّمَةِ ، وَأَنَّهُمْ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا مِنَ النَّصِيرِيَّةِ الْآتِي ذِكْرُهُمْ ، وَأَبْعَدُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَأَقْرَبُ إِلَى كُلِّ شَرٍّ .

ثم قال : وأصل هذه الطائفة هم الذين زادوا في التَّهْمَلَةِ أَيَّامَ الحاكم ، فَكَتَبُوا : بِاسْمِ الْحَاكِمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَلَمَّا أَتَا عَلَيْهِمْ كَتَبُوا : بِاسْمِ اللَّهِ الْحَاكِمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَجَعَلُوا فِي الْأَوَّلِ صِفَةً لِلْحَاكِمِ ، وَفِي الثَّانِي الْعَكْسَ . وَذَكَرَ أَنَّ مِنْهُمْ أَهْلَ كَسْرَوَانَ وَمَنْ جَاوَزَهُمْ . ثم قال : وكان شيخنا ابن تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَرَى

أَنْ قِتَالَهُمْ وَقِتَالَ النَّصِيرِيَّةِ أَوَّلَى مِنْ قِتَالِ الْأَرَمَنِ : لِأَنَّهُمْ عَدُوٌّ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَشَرُّ بَقَائِهِمْ أَضَرُّ .

وقد رتب على هذا المعتقد إيمانهم في "التعريف" فقال : وهؤلاء إيمانهم .

إِنِّي وَاللَّهِ وَحَقَّ الْحَاكِمُ ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ فِي مَوْلَايَ الْحَاكِمِ ، وَمَا أَعْتَقَدُهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الدَّرْزِيَّ الْجَمْعُ الْوَاضِحُ ، وَرَأَى الدَّرْزِيَّ مِثْلَ الشَّمْسِ اللَّائِحَةِ ؛ وَإِلَّا قُلْتُ : إِنْ مَوْلَايَ الْحَاكِمُ مَاتَ وَبَلَى ، وَتَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُ وَفَنِي ؛ وَأَعْتَقَدْتُ تَبْدِيلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَعَوْدَ الرَّيِّ بَعْدَ الْقَنَاءِ ؛ وَتَبِعْتُ كُلَّ جَاهِلٍ ، وَحَظَرْتُ عَلَى نَفْسِي مَا أُبَيِّحُ لِي ، وَعَمِلْتُ بِيَدِي عَلَى مَا فِيهِ فُسَادٌ بَدَنِي ، وَكَفَرْتُ بِالْبَيْعَةِ الْمَاخُوذَةِ ، وَأَلْقَيْتُهَا وَرَأَيْ مَنُودَهُ .

الفرقة الخامسة

(من الشيعة النصيرية بضم النون وفتح الصاد المهملة)

قال في "إرشاد القاصد" : وهم أتباع نصير غلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهم يدعون ألوهية علي رضي الله عنه مغالاة فيه . قال الشهرستاني : [ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم] ^(١) قال : وبينهم خلافة ^(٢) في كيفية إطلاق الألوهية على الأئمة [من أهل البيت] واختلافهم راجع

(١) الزيادة من «الملل والنحل» للشهرستاني ص ١٠٩ .

(٢) بياض في الأصول مقدار ثلاثة أسطر .

ويزعمون أن مسكن على السحاب ، وإذا مر بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ، ويقولون : إن الرعد صوته ، والبرق صهقه ، وهم من أجل ذلك يعظمون السحاب ، ويقولون : إن سلمان الفارسي رسله ، وإن كشف الحجاب عما يقوله من أي كتاب بغير إذن ضلال ، ويحبون ابن ملجم قاتل على رضى الله عنه ، ويقولون : إنه خلص اللاهوت من الناسوت ، ويخطئون من يأنه .

قال في "التعريف" : ولم خطاب بينهم ، من خاطبوه به لا يعود يرجع عنهم ولا يذيعه ولو ضرب عقه . قال : وقد جرب هذا كثيرا ، وهم ينكرون إنكاره .

قال في "إرشاد القاصد" : وهم يحفون مقاتلهم ، ومن أذاها فقد أخطأ عندهم ، ويرون أنهم على الحق ، وأن مقاتلهم مقالة أهل التحقيق ، ومن أنكر ذلك فقد أخطأ .

قال في "التعريف" : ولم [اعتقاد] في تعظيم النحر ، ويرون أنها من الثور . ولزمهم من ذلك أن عظموا شجرة النيب التي هي أصل النحر حتى استعظموا قلعها . ويزعمون أن الصديق وأمير المؤمنين عمر وأمير المؤمنين عثمان رضى الله عنهم تعدوا عليه ومنعوه حقه من الخلافة ؛ كما تعدى قاييل بن آدم عليه السلام على أخيه هابيل ، وكما تعدى الثرود على الخليل عليه السلام ، وكما يقوم كل فرعون من القراعنة على نبي من الأنبياء عليهم السلام .

قال في "التعريف" : وهي طائفة ملعونة مرذولة بجوسية المعتد ؛ لا تحرم البنات ولا الأخوات ولا الأمهات . قال : ويحكى عنهم في هذا حكايات .

وقد رتب في "التعريف" حلقهم على مقتضى هذا المعتد ، فقال : وأيمانهم : إننى وحقى الحلى الأعلى ، وما أعقده في المظهر الأسنى ؛ وحقى الثور وما تشأ منه ،

والسحاب وساكنيه . وإلا برئت من مولاي على العلي العظيم ، ولآثي له ، ومظاهر الحق ، وكشفت حجاب سمان بغير إذن ، وبرئت من دعوة الحجة نصير ، وخضت مع الخائضين في لجة ابن ملجم ، وكفرت بالخطاب ، وأدعت السر المصون ، وأنكرت دعوى أهل التحقيق ، وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتت أصولها وأمنع سبلها ، وكنت مع قاييل على هابيل ، ومع الثرود على إبراهيم ، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه ، إلى أن ألقى العلي العظيم وهو على ساخط ، وأبرأ من قول قنبر ، وأقول : إنه بالنار ما تطهر .

الطائفة الثالثة

(من أهل البدع القدرية)

وهم القائلون بأن لا قدر سابق ، وأن الأمر أنف : يعني مستأنفاً ، ولكنهم لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم « القدرية مجوس هذه الأمة » قلبوا الدليل وقالوا بموجب الحديث ، وقالوا : القدرية أسم لمن يقول بسبق القدر . ثم غلب عليهم أسم المعتزلة بواسطة أن وأصل بن عطاء أحد أئمتهم كان يقرأ على الحسن البصري فاعتزله بمسألة خالفه فيها . وهم يُسمون أنفسهم أهل التوحيد [وأهل العدل] ويعنون بالتوحيد تهي الصفات القديمة عن الله تعالى : كالحياة والعلم والإرادة والقُدرة ، وأنه تعالى حي بذاته ، [عالم بذاته] مُريد بذاته ، قادر بذاته ، لا بجملة وعلم وإرادة وقُدرة ؛ ويعنون بالعدل أنهم يقولون : إن العبد إنما يستحق الثواب والعقاب بفعله الطاعة والمعصية ، باعتبار أنه الخالق لأفعال نفسه دون الله تعالى ، تزيهاً له تعالى عن أن يضاف إليه خلق الشر : من كفر ومعصية . وإذا كان العبد هو الخالق لأفعال نفسه الموجد لها فليس قدر سابق .

ولهم أئمة كثيرة، لهم مصنفات في الأصول والفروع : منهم وأصل بن عطاء، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النخّام، ونسّر بن المعتز، ومعمّر بن عباد، وأبو عثمان الجاحظ، [وأبو عليّ الجبائي^(١)] وابنه أبو هاشم، وغيرهم . وعندهم أنه لا قدر سابق بل الأمر أئف، وأن الله تعالى إنما يخلق الأفعال والمشية، وأن العبد هو المكتسب لأفعاله كما تقدم .

ومن علّت رتبته فيهم الجعّد بن درهم، أجمع على مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وأخذ عنه مروان مذهب في القول بالقدّر وخلق القرآن، وعلّت رتبته عنده، وبه سُمّي مروان المذكور الجعدي . وكانت له واقعة مع هشام بن عبد الملك ابن مروان . ويستعظمون الإيمان بالقدّر : خيره وشره، ويتبرعون منه، وينكرون القول بأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه . ويقولون : إذا كان أمر مفروغ منه فقيم يسدّد الإنسان ويقارب ؟ . ويطعنون في رُواة حديث : « أَعْمَلُوا فَعَلَّ مِسْرَ لِمَا خَلَقَ لَهُ » . ويتأولون قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَنَسِيتُ لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ . ويستعظمون البراءة من اعتقادهم ، ولقاء الله تعالى على القول بأن الأمر غير أئف .

وقد رتب في "التعريف" أيماهم على هذا المعتقد، فقال :

وَيَمُنُّهُمْ : والله والله العظيم ذى الأمر الأئف ، خالق الأفعال والمشية . وإلا قلت : بأن العبد غير مكتسب ، وأن الجعّد بن درهم محتب ، وقلت : إن هشام بن عبد الملك أصاب تمامًا حلالاً منه ، وإن مروان بن محمد كان ضالاً في أتباعه ، وآمنت بالقدّر خيره وشره ، وقلت : إن ما أصابني لم يكن ليخطئني

وما أخطأني لم يكن ليصينتي ، ولم أقُل : إنه إذا كان أمرٌ قد فُرعَ منه فقيم أسدّد وأقارب ، ولم أطمئن في رُواةِ حديث « أعملوا فكلُّ ميسرٍ لها خُلِقَ له » ولم أتأوّل معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكَافِ لَدَيْنَا لَعَلٌّ حَكِيمٌ ﴾ . وبرئت مما اعتقد ، ولقيتُ الله وأنا أقول : إِنَّ الأمرَ غيرُ أنْف . والله التوفيق والعصمة .

المهييع الثاني

(في الإيمان التي يُخلف بها أهل الكُفر ممن قد يُحتاج إلى تخليفه ،
وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من زعم منهم التمسك بشريعة نبي من الأنبياء عليهم السلام ،
وهم أصحاب ثلاث ملل)

الملة الأولى

(اليهود)

وأشتقاقها من قولهم : هَادَ إِذَا رَجَعَ . ولزمها هذا الاسم من قول موسى عليه السلام : ﴿ إِنَّا هُنَا إِيَّاكَ ﴾ أى رجعنا وتضرعنا . ومُتَّحِلُهَا الْيَهُودُ التَّمَسِّكُونَ بشريعة موسى عليه السلام . قال السلطان عمادُ الدين صاحبُ حمة في تاريخه : وهم أعمُّ من بني إسرائيل : لأن كثيراً من أجناس العرب والروم وغيرهم قد دخلوا في اليهودية وليسوا من بني إسرائيل . ويكلمهم الذي يتمسكون به " التوراة " وهو الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام .

قال أبو جعفر النعمان، في "صناعة الكتاب" : وهي سُنتةٌ من قولهم : وَرَرْتُ نَارِي وَوَرَيْتُ، وأوريتها إذا استخرجت ضَوْعَهَا : لأنه قد استخرج بها أحكام شريعة موسى عليه السلام، وكان النعمان يحنح إلى أن لفظ التوراة عربي، والذي يظهر أنه عبرانيٌّ مُعَرَّبٌ : لأن لغة موسى عليه السلام كانت العبرانية، فناسب أن تكون من لُغَتِهِ التي يفهمها قومه، قال التَّهَرُّسَاتَانِي فِي "النَّحْلِ وَالْمَلَل" : وهي أولُ مُتَرَبِّ على بني إسرائيل سُمِّي كتاباً، إذ ما قبلها من المنزل إنما كان مَوَاعِظَ ونحوها . قال صاحب حماة : وليس فيها ذكر القيامة ولا الدار الآخرة ولا بيت ولا جنة ولا نار، وكلٌ وعيد يقع فيها إنما هو مجازاة دُنْيَوِيَّةٌ ، فيُوعَدُونَ على مجازاة الطاعة بالنصر على الأعداء، وطولُ العمر، وسعة الرِّزْق ونحو ذلك؛ ويوعَدُونَ على الكُفْرِ والمعصية بالموت ومنع القدر والحجبات والحرب، وأن يترلَّ عليهم بدل المطر الغبار والظلمة ونحو ذلك، يشهد لما قاله قوله تعالى : (فَيُظْلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) . الآية ، بفعل الظلم سبباً للتحريم . قال : وليس فيها أيضاً ذم الدنيا، ولا طلب الزُّهْد فيها ، ولا وظيفة صلوات معلومة ، بل في التوراة الموجودة بأيديهم الآن نسبة أمور إلى الأنبياء عليهم السلام من الأسباط وغيرهم لا يحلُّ حكايتها .

وأعلم أن التوراة على خمسة أسفار :

أولها — يشتمل على بدء الخليقة والتاريخ من آدم إلى يوسف عليه السلام .

وثانيها — فيه استخدام المصيرين بني إسرائيل ، وظهور موسى عليه السلام عليهم، وهلاك فرعون، وتصبُّ قبة الزمان وهي قبة [كان ينزل على موسى فيها الوحي] وأحوال النبي، وإمامة هرون عليه السلام؛ ونزول العشر كلمات في الألواح

على موسى عليه السلام ، وهى شبه مختصرة فى التوراة يشتمل على أوامره ونواه
وسماعُ القوم كلام الله تعالى . وقد أخبر الله تعالى عنها بقوله : ﴿ وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ . قال مجاهد : وكانت الأنواح من
زُمرَّة خضراء ، وقال ابن جُبَيْر : من ياقوته حمراء ، وقال أبو العالِية : من زبرجده ،
وقال الحسن : من خشب زلت من السماء ، ويقال : إنها كانت لوحين . وإنما
جاءت بلفظ الجمع : لأن الجمع قد يقع على الاثنين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ
لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ والمراد آثان .

وثالثها — فيه كيفية قَرِيبِ الْقَرَّايِنِ على سبيل الإجمال .

ورابعها — فيه عددُ القوم ، وتقسيمُ الأرض بينهم ، وأحوالُ الرُّسُلِ الذين بعثهم
موسى عليه السلام من الشام ، وأخبارُ المَنِّ والسَّلوَى والغَمامِ .

وخامسها — فيه أحكامُ التَّوراةِ بتفصيل المُجمل ، وذِكْرُ وقَاةِ هُروَنَ ثم موسى
عليهما السلام ، وخِلافةُ يُوْسَعَ بْنِ نُونٍ عليه السلام بعدهما .

ثم قد ذكر الشَّهْرَسْتَانِي وغيره أن فى التَّوراةِ الْإِشَارَةَ بِالْمَسِيحِ عليه السلام ، ثم بَنِيْنَا
مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، إذ قد وردَ ذِكْرُ الْمَسِيحِ فى غير مَوْضِعٍ ، وأنه يخرج واحد
فى آخر الزمان ، هو الْكَوْكَبُ الْمَضِيُّ الَّذِى تُشْرِقُ الْأَرْضُ بِنُورِهِ . وغير خافٍ على
ذِى لُبٍّ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالَّذِى يَخْرُجُ فى آخر
الزَّمانِ بَنِيْنًا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، بل ربَّما وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ بهما جميعاً فى موضع
واحد ، كما فى قوله : إِنْ اللهُ تَعَالَى جَاءَ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ وَظَهَرَ مِنْ سَاعِيرٍ وَعَلَنَ بِقَارَانَ .

(١) كذا فى الشَّهْرَسْتَانِي أيضاً وفى معجم البلدان لياقوت : وأشرق من ساعير وأستعلن الخ .

وسَاعِيرُ هِي جِبَالُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ حَيْثُ مَظْهَرُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَارَانُ جِبَالُ مَكَّةَ حَيْثُ ظَهَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ : ولما كانت الأَمْرَارُ الإِلَهِيَّةُ ، والأَنْوَارُ الرِّبَانِيَّةُ ، فِي الْوَحْيِ وَالتَّزْيِيلِ ، [وَالْمُنَاجَاةِ وَالتَّأْوِيلِ] ^(١) عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ : مَبْدِئًا وَوَسْطًى وَكَيْلًا ، وَكَانَ الْحَيُّ شَيْءٌ أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْمَبْدِئِ ، وَالظَّهْوَرُ أَشْبَهَ بِالْوَسْطِ ، وَالْعَلَنُ أَشْبَهَ بِالْكَيْلِ ، عِبْرٌ فِي التَّوْرَةِ عَنْ ظَهْوَرِ صُحُبِ الشَّرِيعَةِ [وَالْتَّزْيِيلِ] ^(٢) بِالْحَيِّ [عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ] ^(٣) ، وَعَنْ طُلُوعِ تَشْمُسِهَا بِالظَّهْوَرِ [عَلَى سَاعِيرَ] ، وَعَنْ بُلُوغِ دَرَجَةِ الْكَيْلِ [وَالْأَسْتَوَاءِ] بِالْعَلَنِ [عَلَى فَارَانَ] ، وَقَدْ عَرَفُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَصْفِهِ فِي التَّوْرَةِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . وَقَدْ ذَكَرَ الْمَفْسُورُونَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَلْقَى الْأَلْوَاحَ عِنْدَ رَجُوعِهِ إِلَى قَوْمِهِ ، تَكَسَّرَتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سُدُسُهَا . وَيُرْوَى أَنَّ التَّوْرَةَ كَانَتْ سَبْعِينَ وَسَقًى يَبْعِيرٍ ^(٤) وَأَنَّهَا رُفِعَ مِنْهَا سِتَّةُ أَسْبَاعِهَا وَبَقِيَ السَّعْجُ ، فَبَقِيَ الَّذِي بَقِيَ الْهُدًى وَالرَّحْمَةُ ، وَفِي الَّذِي رُفِعَ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ .

وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ أَقْرَعُوا عَلَى طَوَائِفَ كَثِيرَةٍ ، الْمَشْهُورُ مِنْهَا طَائِفَتَانِ :

الطائفة الأولى

(الْمُتَّفِقُ عَلَى يَهُودِيَّتِهِمْ ، وَهُمْ الْقَرَأُونَ)

وَهُمْ وَإِنْ كَانُوا فَوْقَتَيْنِ ، فَإِنَّهُمَا كَالْفِرْقَةِ الْوَاحِدَةِ ، إِذْ تَوَرَّاثَهُمَا وَاحِدَةٌ ، وَلَا خِلَافَ فِي أَصْلِ الْيَهُودِيَّةِ بَيْنَهُمَا . وَقَدْ اتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ سِتِّ مِائَةٍ وَثَلَاثَ عَشْرَةَ

(١) الزيادة عن «الملل والنحل» للشهرستاني (ص ١٢٥) .

(٢) يخاص بأصله .

(٣) أى قرأتين ورباعيتين بدليل ما يأتي .

قَرِيبَةً مِنَ التَّوْرَةِ يَتَعَبَّدُونَ بِهَا . ثُمَّ كُلُّهُمْ مَتَّفِقُونَ عَلَى نُبُوَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى نُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَهُوَ إِسْرَائِيلُ ، وَالْأَسْبَاطُ : وَهُمْ بَنُوهُ الْاِثْنَا عَشَرَ الْآتِي ذَكَرَهُمْ آخَرًا . وَهُمْ يَتَفَرَّدُونَ عَنِ الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ الْآتِي ذَكَرَهَا : وَهِيَ السَّامِرَةُ بِنُبُوَّةِ أَنْبِيَاءَ غَيْرِ مُوسَى وَهَارُونَ وَيُوشَعَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَيَقُولُونَ عَنْ يُوشَعَ تِسْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا زِيَادَةً عَلَى التَّوْرَةِ يَعْبُرُونَ عَنْهَا بِالنَّبُوءَاتِ تَعْرِفُ بِالْأَوَّلِ .

ثُمَّ الرِّبَابِيُّونَ يَتَفَرَّدُونَ عَنِ الْقَرَّائِينَ بِشُرُوحِ مَوْضُوعَةِ لَفْرَائِصِ التَّوْرَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ ، وَضَعَهَا أَحْبَارُهُمْ ، وَتَقْرِيعَاتٍ عَلَى التَّوْرَةِ يَتَقُولُونَهَا عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَيَتَفَقَّ الرِّبَابِيُّونَ وَالْقَرَّاءُونَ عَلَى أَنَّهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي صَلَاتِهِمْ ، وَيُوجِّهُونَ لَهَا مَوَاقِفَهُمْ ، وَعَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كُلَّمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ : وَهُوَ جَبَلٌ فِي رَأْسِ بَحْرِ الْقَزْمِ فِي جِهَةِ الشَّمَالِ عَلَى رَأْسِ جَزِيرَةٍ فِي آخِرِهِ ، دَاخِلٌ بَيْنَ ذِرَاعَيْنِ يَكْتَسِفَانِهِ .

وَهُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي أَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا — الْقَوْلُ بِالظَّاهِرِ وَالْجُنُوحِ إِلَى التَّأْوِيلِ . فَالْقَرَّاءُونَ يَقِفُونَ مَعَ ظَوَاهِرِ نُصُوصِ التَّوْرَةِ ، فَيَحْمِلُونَ مَا وَقَعَ فِيهَا مَنْسُوبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى : مِنْ ذِكْرِ الصُّورَةِ ، وَالتَّكْلُمِ ، وَالْأَسْبَاطِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَالتَّزْوِيلِ عَلَى طُورِ سَيْنَاءَ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ عَلَى ظَوَاهِرِهِ ، كَمَا كَانَتْ الظَّاهِرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَتَجَرَّؤْنَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوْلِ بِالتَّشْبِيهِ ، وَالْقَوْلِ بِالْجَهَةِ . وَالرِّبَابِيُّونَ يَذْهَبُونَ إِلَى تَأْوِيلِ مَا وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَمَا تَفْعَلُ الْأَشْعَرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

الثاني — القول بالتقدير . فالرَّبَّانِيُّونَ يقولون بأن لا قَدَرَ سَابِقُ وَأَنَّ الْأَمْرَ أُتِفَ كما تقوله التَّمْدِيرِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَالْقَرَّاءُونَ يقولون بسابق القَدَرِ كما تقوله الْأَشْعَرِيَّةُ . أما ما عدا ذلك فَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ يقولون : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدِيمٌ أَزْلَى وَاحِدٌ قَادِرٌ ، وَإِنَّهُ تَعَالَى بَعَثَ مُوسَى بِالْحَقِّ ، وَشَدَّ أَرْزَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ . وَيَعْظُمُونَ التَّوْرَةَ الَّتِي هِيَ كِتَابُهُمْ أَتَمَّ التَّعْظِيمِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُقْسِمُونَ بِهَا كَمَا يُقْسِمُ الْمُسْلِمُونَ بِالْقُرْآنِ ، وَكَذَلِكَ الْعَشْرُ كَلِمَاتُ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَلْوَابِ الْجَوْهَرِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا مَخْتَصَرٌ مَا فِي التَّوْرَةِ ، مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَوَامِرَ وَنَوَاهٍ وَتَمَاجِيزَ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُمْ يَحْلِفُونَ بِهَا كَمَا يَحْلِفُونَ بِالتَّوْرَةِ ، وَيَعْظُمُونَ قُبَّةَ الزَّمَانِ وَمَا حَوَّتْهُ : وَهِيَ الْقُبَّةُ الَّتِي كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى مُوسَى فِيهَا الْوَحْيُ .

وَمِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ عِنْدَهُمْ تَعْبُدُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ لِعَنِمَا اللَّهُ . (وَكَانَ اسْمُ فِرْعَوْنَ مُوسَى فَيَا ذَكَرَهُ الْمَفْسُورُونَ الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبٍ ، وَقِيلَ : مُصْعَبُ بْنُ الرَّيَّانِ . وَاخْتَلَفَ فِيهِ : فَقِيلَ كَانَ مِنَ الْبَالِقَةِ . وَقِيلَ مِنَ النَّبْطِ . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : كَانَ فَارِسِيًّا وَهَامَانُ وَزِيرُهُ) وَالتَّبَرَّى مِنْ إِسْرَائِيلَ (وَهُوَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمَعْنَى إِسْرَائِيلَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسُورُونَ «عَبْدُ اللَّهِ» كَانَ «إِسْرَاءُ» عَبْدًا ، وَ«إِيل» اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبْرَانِيَةِ . وَقِيلَ : إِسْرَاءُ مِنَ السَّرِّ ، وَكَانَ إِسْرَائِيلَ هُوَ الَّذِي شَدَّدَهُ اللَّهُ وَأَتَقَنَ خَلْقَهُ .

وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِظَائِمِ عِنْدَهُمُ الْإِخْذُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَتَصَدِيقُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي دَعْوَاهَا أَنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَمْسُهَا بَشَرٌ ، وَيَرْمُونَهَا بِأَنَّهَا حَمَلَتْ مِنْ يُوسُفَ التَّجَارِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ أَقَارِبِهَا كَانَ يُحْتَمِ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ مَعَهَا ، وَيَرَوْنَ تَبَرُّجَهَا مِنْ ذَلِكَ جَرِيرَةً مُفْتَرَفَةً .

وَيَسْتَعْظِمُونَ الْوُقُوعَ فِي أُمُورٍ :

(١) لَهُ مِنَ الْأَمْرِ كَمَا يَفْعِدُهُ مَا يَصْدُرُ .

منها - القول بإنكار خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام وسماعه له .

ومنها - تعمد طُورِ سَيْنَاءَ الذى كَلَّمَ الله تعالى موسى عليه بالقادُورات ، ورؤى حُفْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ التى هى قِبْلَتُهُمْ بِالنَّجَاسَةِ ، ومُشَارَكَةُ مُحْتَضَرٍ فى هَدْمِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَقَتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وإلقاء العِذْرَةِ على مَظَالِّ أَسْفَارِ التَّوْرَةِ .

ومنها - الشُّرْبُ مِنَ النَّهْرِ الذى أَبْتَلَى بِهِ قَوْمُ طَالُوتَ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، والمَيْلُ إِلَى جَالُوتَ مَلِكِ الْكَنْعَانِيِّينَ : وهو الذى قَتَلَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمُفَارَقَةُ شَيْعَةِ طَالُوتَ الَّذِينَ قَامُوا مَعَهُ عَلَى جَالُوتَ . وذلك أَنَّهُ لَمَّا رُفِعَتِ التَّوْرَةُ وَتَسَلَّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَدُوُّهُمْ مِنَ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ مَلِكُهُمْ جَالُوتُ ، كَانَتِ النَّبُوَّةُ حَائِثَةً فِيهِمْ فِي شَمْعُونَ ، وَقِيلَ فِي شَمُوِيلَ ، وَقِيلَ فِي يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَابْتَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُمْ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ : ﴿ إِنْ اللَّهُ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ . ولم يكن من سَبِطِ الْمُلْكِ ، إِذْ كَانَ الْمَلِكُ من سَبِطِ مَعْرُوفٍ عِنْدَهُمْ ، فَقِيلَ : كَانَ سَقَاءً ، وَقِيلَ : كَانَ دَبَّاحًا ، فَانْكروا مُلْكَهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالُوا كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا ﴾ الآية ؛ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرِيَهُ مِنْ يُطِيعُهُ فِي الْقِتَالِ مِمَّنْ يَعْصِيهِ ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْعَطَشَ وَأَبْتَلاَهُمْ بِنَهْرٍ مِنْ حَوْطِهِمْ ، قِيلَ : هُوَ نَهْرُ فِلَسْطِينَ ، وَقِيلَ : نَهْرُ بَيْنِ الْأُرْدُنِّ وَفِلَسْطِينَ ، فَقَالَ لَهُمْ طَالُوتُ : ﴿ إِنْ اللَّهُ مُبْتَلِكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ .

ومنها - إنكار الأنبياء الذين يسمُّهم الله تعالى إلهيم : وهم موسى وهرون ويوشع ومن بعدهم : من أنبيائهم عليهم السلام ، ومن قبلهم : من إبراهيم وإسحق ويعقوب صلوات الله عليهم ، والأَسْبَاطُ الِاثْنَى عَشَرَ الَّتِي ذَكَرَهُمْ ، والدَّلَالَةُ عَلَى دَانِيَالَ

النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قُتِلَ ، وَإِخْبَارُ فِرْعَوْنَ مِصْرَ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ اخْتِفَائِهِ بِهَا ، وَالْقِيَامُ مَعَ الْبَنِيِّ وَالْقَوَارِيرِ يَوْمَ يَحْيَىٰ بَنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي الْمُسَاعَدَةِ عَلَيْهِ .

ومنها - الْقَوْلُ أَنَّ النَّارَ الَّتِي أَصَابَتْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ شَجَرَةِ الْعَوْجِ بِالطَّرِيقِ عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنْ مَدْيَنَ حَتَّى قَصَدَهَا وَكَانَتْ وَسِيلَةً إِلَىٰ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَهُ نَارُ إِفْكٍ لَا وُجُودَ لَهَا ، وَكَذَلِكَ أَخَذَ الطَّرِيقَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَوَجُّهِهِ إِلَىٰ مَدْيَنَ فَأَرَا مِنْ فِرْعَوْنَ ، وَالْقَوْلُ فِي بَنَاتِ شُعَيْبٍ اللَّاتِي سَقَىٰ هُنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعِظَايِمِ وَرَمَيْنَ بِالْقَيْصِ .

ومنها - الْإِجْلَابُ مَعَ شَجَرَةِ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْقِيَامُ مَعَهُمْ فِي غَلَبَتِهِ ، وَالتَّبَرُّى مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِمُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ومنها - قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ : الْحَقَّاقُ الْمَقَاقُ : لِنُدْرِكَ مَنْ فَرَّ : مِنْ مُوسَىٰ وَقَوْمِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَنُدْرِكُوكُمْ ﴾ .

ومنها - الْإِشَارَةُ بِتَخْلِيفِ تَابُوتٍ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِصْرَ حِينَ أَرَادَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَتْلَهُ إِلَى الشَّامِ لِيَدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ : إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ : وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا تَابُوتَهُ فِي أَحَدِ شِقَى النَّيْلِ فَأَخْصَبَ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْآخَرُ ، فَنُفِلُوهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَأَخْصَبَ ذَلِكَ الْجَانِبُ وَأَجْدَبَ الْجَانِبُ الْأَوَّلُ ، فَنُفِلُوهُ وَسَطَ النَّيْلِ فَأَخْصَبَ جَانِبَاهُ جَمِيعًا ، إِلَى أَنْ كَانَ زَمَنُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَضُرِبَ النَّيْلُ بِعَصَاهُ فَأَتَفَقَ عَنْ التَّابُوتِ . فَأَخَذَ فِي قَتْلِهِ إِلَى الشَّامِ لِيَدْفِنَهُ عِنْدَ آبَائِهِ كَمَا تَقَدَّمَ . فَأَشَارَ بَعْضُهُمْ بِبَقَائِهِ بِمِصْرَ فَوَقَعَ فِي مَحْظُورٍ لِحَالَفَةِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُرِيدُهُ .

ومنها - التَّسْلِيمُ لِلسَّامِرِيِّ وَتَصْدِيقُهُ عَلَى الْحَوَاتِىِ الَّتِى أَدْحَتْهَا فِي الْيَهُودِيَّةِ عَلَى مَا سَأَتَى ذَكَرَهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى السَّامِرَةِ فِي الطَّائِفَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْيَهُودِ .

ومنها - نُزُولُ أَرِيحَا : مَدِينَةِ الْجَبَّارِينَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ .

ومنها - الرِّضَا بِفِعْلِ سَكَنَةِ سَدُومَ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ أَيْضًا وَهُمْ قَوْمُ لُوطَ .

ومنها - مَخَالَفَةُ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ الَّتِى وَرَدَ [الْحَثُّ] فِيهَا عَلَيْهَا .

ومنها - اسْتِبَاحَةُ السَّبْتِ بِالْعَمَلِ فِيهِ وَالْعَدْوِ فِيهِ : إِذَا اسْتَبَاحَهُ عَنْدهُمْ تُوجِبُ هَذَرَدَمَ مُسْتَبِيحِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مُسِيخٌ مِنْ مُسِيخٍ بِاسْتِبَاحَتِهِ قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ .

ومنها - إِنْكَارُ عِيدِ الْمِظْلَةِ وَهُوَ [سَبْعَةُ أَيَّامٍ أَوَّلًا خَلَامِ عَشْرٍ مِنْ تَشْرِى] وَعِيدٌ ^(١)

الْحِكْمَةُ وَهُوَ [ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ يَوْقُدُونَ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنْ لَيَالِيهِ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِمْ] ^(١) سَرَاجًا وَفِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ سَرَاجِينَ وَهَكَذَا حَتَّى يَكُونَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّامِنَةِ ثَمَانِيَةَ سَرَجٍ [وَهُمَا مِنْ أَكْثَرِ أَعْيَادِهِمْ] .

ومنها - الْقَوْلُ بِالْبِدَاءِ عَلَى اللَّهِ فِي الْأَحْكَامِ ، وَهُوَ أَنْ يَحْطِرَّ لَهُ غَيْرُ الْخَاطِرِ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ تَعَالَى مُتَرَهِّعٌ عَنْ ذَلِكَ ، وَرَتَّبُوا عَلَيْهِ مَنَعَ تَسْخِيقِ الشَّرَائِعِ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ النَّسْخَ يَسْتَلْزِمُ الْبِدَاءَ ، وَهُوَ مِمَّا أَتَّفَقَ كَافَّةُ الْيَهُودِ عَلَى مَنَعِهِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ أَوَّلًا .

ومنها - اعْتِقَادُ أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَوْعُودُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الْمَذْكُورَ بِلَفْظِ الْمَسِيحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ .

ومنها - الْاِئْتِقَالُ مِنْ دِينِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَدْيَانِ ، إِذْ عَنْدهُمْ أَنَّ شَرِيعَةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ الَّتِى وَقَعَ بِهَا الْاِبْتِدَاءُ ، وَبِهَا وَقَعَ الْاِخْتِلَامُ .

(١) يَبَاضُ بِالْأَصُولِ وَالصَّحِيحُ مِنْ ج ٢ ص ٤٢٦ و ٤٢٨ مِنْ هَذَا الْمَطْبُوعِ

(٢) هُزَعِينَ مَا يَبْدُو فِي الْمَعْنَى .

ومنها - الأتقال من اليهودية إلى ما عداها من الأديان : كالإسلام والنصرانية وغيرهما ، فإنه يكون بمثابة المرتد عند المسلمين .

ومنها - استباحة لحم الجمل : فإنه محرّم عندهم ، ومن استباحه فقد ارتكب محظوراً عظيماً عندهم ، وقد دخل ذلك في عموم قوله تعالى إخباراً بما حرّم عليهم : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ . يعني ما ليس بمُتَفَرِّج الأصابع كالإبل وما في معناها .

ومنها - استباحة أكل الشحم خلا شحم الظهر ، وهو ما علا فإنه مُباح لهم ؛ وعن ذلك أخبر الله تعالى بقوله : ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالنَّعَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ .

ومنها - استباحة أكل الحوايا . قال ابن عباس وغيره : هي المبايعر . وقال أبو عبيدة : هي ما عوى من البطن أى استدار ، والمراد شحم القرب . وكذلك استباحة ما اختلط من الشحم بعظيم وهو شحم الآلية ، وعنه أخبر تعالى بقوله : ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ﴾ عطفًا على الشحوم المحرمة . على أن بعض المفسرين قد عطف قوله تعالى : ﴿ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظِيمٍ ﴾ على المستثنى في قوله : ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا ﴾ . فعمله على الاستباحة ، والموافق لما يدعونه الأقول ، ويرون أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا لم يحرم علينا شيء إنما حرّم إسرائيل على نفسه القرب وشحم الآلية فعن محرمه ، فزلت . على أن اليهود القرائين والربانيين يجملونها فيبيعونها ويأكلون ثمنها ، ويتأولون أن أكل ثمنها غير أكل منها ، وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ ! حَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَبَاعَوْهَا وَأَكَلُوا ثَمْنَهَا » والسامرة مخالفون في ذلك ، ويقولون بتحریم الثمن أيضاً ، على ما سأتى ذكره .

وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ الْقَرَّائِينَ وَالرَّبَّائِينَ يُحَرِّمُونَ مِنَ الذَّيْجَةِ كُلِّ مَا كَانَتْ رِثْنُهُ مُتَصِفَةً بِقَلْبِهِ أَوْ يَضْلَعُهُ ، وَالسَّامِرَةَ لَا يُحَرِّمُونَ ذَلِكَ .

(١)

ومنها - مقالة أهل بابل في إبراهيم عليه السلام ، وهي قولهم (١) ...

ومنها - أن يُحَرِّمَ الْأَجْبَارُ الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاؤُهُمْ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ مِنْ مُبَاحَاتِهِمْ فِي الْمَاكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالنَّكَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ حُرْمَةً يُجْعَلُونَ عَلَيْهَا ، وَنَتَأَكَّدُ بِقَلْبِ حُصْرِ الْكَائِسِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنَّهُمْ إِذَا حَرَّمُوا عَلَى نَحْوِصٍ وَأَرَادُوا التَّشْدِيدَ عَلَيْهِ قَلَبُوا حُصْرَ الْكَائِسِ عِنْدَ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ تَنْقِيلًا عَلَى الْمَحْرَمِ عَلَيْهِ .

ومنها - الرجوع إلى التَّيِّبِ بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ ، فَإِنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَيْهِ عِنْدَ سُخْطِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِخِلَافَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ امْتِنَاعِهِمْ عَمَّا أُمِرُوا بِهِ مِنْ قِتَالِ الْجَبَّارِينَ ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ : وَكَانَ تِيَهُُهُمْ سِتَّةَ فَرَاسِخٍ فِي أَرْبَعَةِ فَرَاسِخٍ ، يَمْشُونَ كُلُّ يَوْمٍ وَيَبْتَثُونَ حَيْثُ يُصْبِحُونَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَضْرَبَ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ آثَلَتَا عَشْرَةِ عَيْنًا ، وَكَانُوا آثَلَتْ عَشْرَ سَبْطًا لِكُلِّ سَبْطٍ عَيْنٌ ، فَإِذَا أَخَذُوا حَاجَتَهُمْ مِنَ الْمَاءِ أَحْتَبَسَ وَحَمَلُوا الْحَجَرَ مَعَهُمْ ، وَكَانَتْ ثِيَابُهُمْ فِيمَا يُرَوَّى لَا تُحْرِقُ وَلَا تُتَدَنِّسُ ، وَتَقُولُ كُلُّهَا طَالَ الصَّبْرَانُ .

ومنها - تحريمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى الَّذِي آمَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهِ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى ﴾ وَيُقَالُ إِنَّهُ التَّرْتِيجِيُّ . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَالْمُرَادُ بِالْمَنِّ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَى الشَّجَرِ وَهُوَ مَعْرُوفٌ . قَالَ قَتَادَةُ : كَانَ الْمَنُّ يَسْقُطُ عَلَيْهِمْ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ كَسُقُوطِ التَّلَجِّ ، فَيَأْخُذُ

(١) بياض بالأموال وله « انه لمن الظالمين في تكسير أصنامهم » .

الرجل منهم ما يكفيه ليومه، فان أخذًا كثر من ذلك فسَد . وأما السُّلُوى، فقبل :
هو طائرٌ كالسَّيَّانِي، وقال الضَّحَّاك : هي السَّيَّانِي نَفْسُهَا، وقال قتادة : هو طائرٌ إلى
الحُمْرة كانت عَشْرُهُ عليهم الجَنُوب .

ومنها - التَّبَرُّؤُ من الأسباط : وهم أولادُ يَعْقُوبَ عليهم السلام، وعددهم اثنا عشر
سَبْطًا : وهم يُوسُفُ، وبَنِيامينُ، وقَتَالِي، ورُوبِيلُ، ويَهُوذَا، وشَمْعُونُ، ولَاوِي،
وَدَّان، وزَبَلُونُ، ويشجر، وجاد، وأشر؛ ومنهم تفرَّع جميعُ نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ وَلَدَ كُلِّ
منهم أُمَّةٌ من الناس . وُثِّمُوا أسباطًا أخذًا من السَّبْط وهو التابع، إذ هُمُ جماعةٌ
متتابعون . وقيل : من السَّبْط وهو الشَّجَرُ، فالسَّبْطُ الجماعةُ الراجعون إلى
أَصْلٍ وَاحِدٍ .

ومنها - القعودُ عن حَرْبِ الجَبَّارِينَ مع القُدرة على حَرْبِهِمْ : وذلك أنهم أَمَرُوا
بدخول الأرض المقدَّسة : وهي بَيْتُ المَقْدِسِ فيما قاله ابن عباس والسُّدِّي وغيرهما،
والشَّامُ فيما قاله قتادة، ودمشقُ وفلسطينُ وبَعْضُ الأُرْدُنِّ فيما قاله الزَّجَّاجُ، وأَرْضُ
الطُّورِ فيما قاله مجاهدٌ، وكان فيها قومٌ جَبَّارُونَ من العالقة كما أخبر الله تعالى، والجَبَّارُ
هو المتعظَّمُ الممتنعُ من الذَّلِّ والقَهَرِ أخذًا من الإِجْبار : وهو الإِكرَاهُ كأنَّه يجبرُ غيره
على ما يُريدُه .

قال ابن عباس : لما بَثَّ مُوسَى عليه السلام من قَوْمِهِ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا لِخَبْرِهِ
خَبَرَهُمْ، رَأَاهُمْ رَجُلٌ من الجَبَّارِينَ فَأَخْلَصَهُمْ فِي كُفٍّ مَعَ فَكِيهَةٍ كَانَ قَدْ حَمَلَهَا مِنْ بُسْتَانِهِ
وجاء بهم إلى المَلِكِ فَتَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وقال : إِنْ هَؤُلَاءِ يُرِيدُونَ قِتَالَنَا، وكان من
أَمْرِهِمْ مَا قَصَّه اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا

(١) كذا في الكشاف للزحشي (ج ١ ص ٣٨٠) وفي الأصل «قتلى» .

(٢) في الأصل : ربول، والتصحيح من الخطيب الشربيني (ج ٢ ص ٩١) .

الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَنبِئْ قَوْمِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠﴾ فكَانَ فِي قَعُودِهِمْ عَن حَرْبِ الْجَبَّارِينَ مَعَ الْقُدْرَةِ وَالنَّشَاطِ مَخَالَفَةً لِمَا أُمِرُوا بِهِ .

وقد رتب في "التعريف" أيمان اليهود على هذا المقتضى، فقال : وَيَمِينُهُمْ .

إِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ ، الْقَدِيمُ الْأَزَلِيُّ الْقَرْدِ الصَّمَدِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمُدْرِكِ الْمُهْلِكِ ، بَاعِثُ مُوسَى بِالْحَقِّ ، وَشَادَّ أَزْرَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، وَحَقَّ التَّوْرَةَ الْمَكْرَمَةَ وَمَا فِيهَا وَمَا تَضَمَّتْهُ ، وَحَقَّ الْعَشْرَ كَلِمَاتِ الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى فِي الصَّحْفِ الْخَوْصَرِ ، وَمَا حَوَتْهُ قُبَّةُ الزَّمَانِ ، وَإِلَّا تَعَبَّدْتُ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، وَبَرَيْتُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَدِنْتُ بِدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَصَدَّقْتُ مَرْيَمَ فِي دَعْوَاهَا ، وَبَرَأْتُ يَوْسُفَ النَّجَّارِ ، وَأَنْكَرْتُ الْخَطَابَ ، وَتَعَمَّدْتُ الطُّورَ بِالْقَاذُورَاتِ ، وَرَمَيْتُ الصَّخْرَةَ بِالنَّجَاسَةِ ، وَشَرَكْتُ بِمُخْتَصِرٍ فِي هَدْمِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَتْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَلْقَيْتُ الْعِدَّةَ عَلَى مَقَاطِنِ الْأَسْفَارِ ، وَكُنْتُ مِمَّنْ شَرِبَ مِنَ النَّهْرِ وَمَالَ إِلَى جَالُوتَ ، وَفَارَقْتُ شَيْعَةَ طَالُوتَ ، وَأَنْكَرْتُ الْأَنْبِيَاءَ ، وَدَلَلْتُ عَلَى دَانِيَالٍ ، وَأَعْلَمْتُ جَبَّارَ مَضْرٍ بِمَكَانِ إِرْمِيَاءَ ، وَكُنْتُ مَعَ الْبَغْيِ وَالْقَوَاجِرِ يَوْمَ يَحْيَى ، وَقُلْتُ : إِنَّ النَّارَ الْمُضِيئَةَ مِنْ شَجَرَةِ التَّوْبِيعِ نَارُ إِنْكَ ، وَأَخَذْتُ الطَّرِيقَ عَلَى مَدْيَنَ ، وَقُلْتُ بِالْعَظَائِمِ فِي بَنَاتِ شُعَيْبَ ، وَأَجْلَبْتُ مَعَ السَّحَرَةِ عَلَى مُوسَى ، ثُمَّ بَرَيْتُ مِنْ آمَنَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ مَعَ مَنْ قَالَ : الْحَقَّاقُ الْحَقَّاقُ

لندرك من قرء، وأشرت بتخفيف تابوت يوسف في مصر، وسلمت إلى السامري، وزلت أريحا مدينة الجبارين، ورضيت بفعل سكرة سدوم، وخالفت أحكام التوراة، وأسبغت السبت وعدوت فيه، وقلت إن المظلة ضلال، وإن الحنكة محال، وقلت بالبداء على الله تعالى في الأحكام، وأجزت تسخ الشرائع، واعتقدت أن عيسى بن مريم المسيح الموعود به على لسان موسى بن عمران، وانتقلت عن اليهودية إلى سواها من الأديان، وأسبغت لحم الجمل والشحم والحوايا أو ما أختلط بعظم، وتأولت أن أكل ثمنه غير آكله، وقلت مقالة أهل بابل في إبراهيم، وإلا أكون محرماً حرمة تجمع عليها الأخبار، وتقلب عليها حصر الكنائس، ورُددت إلى التيه، وحرمت المن والسلوى، وبرئت من كل الأسباط، وقعدت عن حرب الجبارين مع القدرة والنشاط.

قلت: قوله في هذه اليمين في حرمة الشحم وما في معناه: وتأولت أن أكل ثمنه غير آكله، بمعنى أنه يستعظم الوقوع في تأويل ذلك، وهو خلاف معتقدهم: لأنهم يتأولون أن أكل ثمنه غير آكله كما تقدم عنهم، وإنما تمنع ذلك السامرة، فكان من حقه أن يُورد ذلك في يمين السامرة وأن يقول هنا: ولم تأول أن أكل ثمنه غير آكله فنبه لذلك.

وأعلم أن أول ما استحدثت هذه الأيمان لأهل دين اليهودية فيما ذكره محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة" في زمن الفضل بن الربيع وزير الرشيد، أحدثها كاتب له قال له: كيف تخلف اليهودي قال: أقول له: وإلا برئت من إلهك الذي لا تعبد غيره ولا تدبئ إلا له، ورغبته عن دينك الذي ارتضيت به، ومحدث التوراة وقلت: إن حمار العزيز راكب جمل موسى، ولعنك ثمانية

حَبَّرَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَمَسَحَكَ اللَّهُ كَمَا مَسَحَ أَصْحَابَ السَّبْتِ ،
 بِفِعْلِ مِنْهُمْ الْقِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ، وَخَالَفَتْ مَا دَوَّنَهُ دَانِيَالُ وَأُسْلُومَا وَيُوحَنَّا ،
 وَلَقِيَتْ اللَّهَ بِدَمِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهَدَمَتِ الطُّورَ صَخْرَةً صَخْرَةً ، وَضَرَبَتْ بِالنَّاقُوسِ
 فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَتَبَرَأَ مِنْكَ الْأَسْبَاطُ وَأَبَاؤُهُمْ : إِسْرَائِيلُ ، وَإِسْحَاقُ ، وَإِبْرَاهِيمُ ،
 وَغَسَمَتِ لَحْيَةَ الْجَائِلِيْقِ فِي مَعْمُودِيَّةِ النَّصَارَى ، وَأَقْلَبَتْ عَنِ السَّبْتِ إِلَى الْأَحَدِ ،
 وَإِلَّا قَدَّرَ اللَّهُ لَكَ أَنْ تَلْقَى الَّذِي يَخْرِجُ مِنَ الْمَاءِ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَصَيَّرَ اللَّهُ طِعَامَكَ لَعَلَّ
 الْخَنَازِيرَ وَكَرُوشَ الْجَمَالِ وَمِعَدَةَ الْخَنَازِيرِ ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِكَ بُحْتَصْرَ ثَانِيَةٍ
 يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ وَيَسْبِي الذَّرِيَّةَ وَيُجَرِّبُ الْمَدَائِنَ ، وَأَرَاكَ اللَّهُ الْأَيْدِي الَّتِي تَنَالُ الرُّكْبَ
 مِنْ قَبِيلِ الْأَسْبَاطِ ، وَأَخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ لِسَانٍ بِحَدِّهِ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَّقَهَا ، وَقَلَّتْ
 فِي مُوسَى الزُّورَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَحَلِّ ثُبُورٍ ، وَفِي دَارِ غُرُورٍ ، وَبَحَدَّتْ إِهْيَا أَشْرَاهِيَا^(١)
 أَصْبُوتُ آلِ شَدَاءَ . وَهَذِهِ الْيَمِينُ لِأَزْمَةِ لَكَ وَلِبْنِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قُلْتُ : هَذِهِ الْيَمِينُ فِي غَايَةِ الْإِثْمَانِ وَالْتَشْدِيدِ ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ : وَأَخَذَكَ اللَّهُ بِكُلِّ
 لِسَانٍ بِحَدِّهِ وَبِكُلِّ آيَةٍ حَرَّقَهَا غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِتَحْلِيفِهِمْ : لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمْ
 فِي الْجَمْدِ وَلَا يَعْتَرِفُونَ بِالتَّحْرِيفِ بَلْ يُنْكِرُونَهُ . عَلَى أَنَّ أَكْثَرَهَا غَيْرُ مُتَوَارِدٍ عَلَى الْيَمِينِ
 الَّتِي أَوْرَدَهَا فِي "التَّعْرِيفِ" : فَلَوْ أَخْلَقَهَا بِهَا مُلْحَقٌ فِي آخِرِهَا عَلَى صِيغَةِ الْيَمِينِ الْأُولَى
 مِنْ إِزَادَتِهَا بِصِيغَةِ التَّكْلِيفِ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنْ إِلَهِي الَّذِي لَا أَقْبُدُ
 غَيْرَهُ وَلَا أَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا رَغِبْتُ عَنْ دِينِي الَّذِي آرْتَضِيْتُهُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فِي الْبَاقِ ،
 لَكَانَ حَسَنًا .

(١) هكذا ضبطها في القاموس ، ثم قال : ويقولون إهيا شرهيا وهو خطأ ، على ما يزمعه أخبار اليهود .

الطائفة الثانية

(من اليهود السامرة)

وهم أتباع السامري الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله في سورة الأنعام :
 ﴿ وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾ . قال بعض المفسرين : وأسمه موسى بن ظفر ، وكان أصله
 من قوم يعبدون البقر فرأى جبريل عليه السلام مرة وقد جاء إلى موسى راكباً على
 فرس الحية ، فأخذ قبضة من تراب من تحت حافر فرسه . وكان بنو إسرائيل
 قد خرجوا معهم حلياً [استعاروه] من القبط ، فأمرهم هرون أن يحفروا حفرة
 ويلقوا فيها ذلك الحلي حتى يأتى موسى فيرى فيه رأيه ، فجمعوا ذلك الحلي كله
 وألقوه في تلك الحفرة ، فجاء السامري فآلى ذلك التراب عليه ، وقال له : كن عجلاً
 جسدًا له خوار ، فصار كذلك . قال الحسن : صار حيواناً نجساً ودماً . وقيل :
 بل صار يحور ولم تتقلب عينه . فقال لهم السامري : هذا الحكم وإله موسى ،
 فعكفوا على عبادته ، ونهائم هرون فلم ينتهوا ^(١) وحرق العجل وذراه في اليوم
 كما أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
 لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ . فأمروا بقتل أنفسهم كما أخبر تعالى بقوله :
 ﴿ فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية . فقتل منهم سبعون ألفاً ثم رُفِعَ عنهم
 القتل بعد ذلك .

وقد اختلف في السامرة : هل هم من اليهود أم لا ؟ والقرآئون والربانيون
 يتكرون كون السامرة من اليهود . وقد قال أصحابنا الشافعية رحمهم الله : إنهم إن
 وافقت أصولهم أصول اليهود فهم منهم حتى يقرؤوا بالحزبة وإلا فلا .

(١) يابض بالأصل ولعله "جاء موسى وحرق الخ"

ثم السامرة لم توراثة تخصم غير التوراة التي بيد القرائين والربانيين ، والتوراة التي بيد النصارى ؛ وهم ينفردون عن القرائين والربانيين بإنكار نبوة من بعد موسى ما عدا هرون ويوشع عليهما السلام ، ويخالفونهم أيضا في استقبال صحفة بيت المقدس ، ويستقبلون طور نابلس ويوجهون إليه موتاهم ، زاعمين أنه الذي كلم الله تعالى موسى عليه ، ويزعمون أن الله تعالى أمر داود عليه السلام ببناء بيت المقدس عليه ، فخلف وبناه بالقدس : قَاتِلَهُمُ اللَّهُ أَتَى يُؤْفَكُونَ . وهم قائلون أيضا : إن الله تعالى هو خالق الخلق البارئ لهم ، وإنه قادر قاهر قديم أزلي . ويوافقون على نبوة موسى وهرون عليهما السلام ، وأن الله تعالى أنزل عليه التوراة ، إلا أن لهم توراثة تخصم تحالف توراثة القرائين والربانيين المتقدمة الذكر ، وأنه أنزل عليه أيضا الألواح الجوهر المتضمنة للعشر كلمات المتقدمة الذكر ، ويقولون أن الله تعالى هو الذي أهدى بني إسرائيل من فرعون ونجاهم من الفرق ، ويقولون : إنه نصب طور نابلس المقدم ذكره قبلة للتعبد .

ويستعظمون الكفر بالتوراة التي هم يترفون بها ، والتبري من موسى عليه السلام دون غيره من بني إسرائيل ، ويعظمون طورهم طور نابلس المقدم ذكره ؛ ويستعظمون دكه وقلم آثار البيت الذي عمر به ؛ ويستعظمون استباحة السبب كثيرهم من اليهود ؛ ويوافقون القرائين في الوقوف مع ظواهر نصوص التوراة ؛ ويمنعون القول بالتأويل الذاهب إليه الربانيون من اليهود ؛ وينكرون صحة توراثة القرائين والربانيين ، ويعملون الاعتماد على توراتهم ؛ ويقولون : لا مَسَّاسَ : بمعنى أنه لا يمس أحدًا ولا يمسه . قال في "الكشاف" : كان إذا مَسَّ أحدًا أو مَسَّهُ أحدٌ حصلت الحمى للآس والمسوس . وقد أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام للسامري (أَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَّاسَ)

وَيُحَرِّمُونَ مِنَ الذَّبَائِحِ ^(١) ، وَيُحَرِّمُونَ أَكْلَ الْلَحْمِ مَخْتَلَطًا بِلَبَنٍ ، زَاعِمِينَ أَنَّ
فِي تَوَارِيثِهِمُ النَّهْيَ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ الْجَدْيِ بِلَبَنٍ أُمِّهِ ؛ وَيَسْتَعِظُمُونَ السَّعْيَ إِلَى الْخُرُوجِ
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي حُرِّمَ عَلَيْهِمْ سُكُوتُهَا وَهِيَ مَدِينَةُ أَرِيحَا .

وَمِنْ أَكْبَرِ الْبُكَائِرِ عِنْدَهُمْ وَطَهُ الْمَرْأَةُ الْخَائِضُ ، وَالنَّوْمُ مَعَهَا فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ ،
لَا سِمَا إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ مُسْتَبِيحًا لَهُ . وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِظَائِمِ عِنْدَهُمْ إِنْكَارُ خِلَافَةِ هَرُونَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْأَنْفَقُ مِنْ كَوْنِهَا .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التعريف" : يَمَيِّنُهُمْ عَلَى مُقْتَضَى ذَلِكَ ، فَذَكَرَ أَنَّ يَمَيِّنُهُمْ :

إِنِّي وَاللَّهُ وَاللَّهُ الْعَظِيمُ ، الْبَارِيُّ ، الْقَادِرُ ، الْقَاهِرُ ، الْقَدِيمُ ، الْأَزَلِيُّ ، رَبُّ
مُوسَى وَهَارُونَ ، مُنْزِلُ التَّوْرَةِ وَالْأَلْوَابِ الْخَوْصَرِ ، مُقَدِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَنَاصِبِ الطُّورِ
قَبِيلَةَ لِّلْعَبِيدِينَ . وَإِلَّا كَفَرْتُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَبَرَأْتُ مِنْ نُبُوَّةِ مُوسَى ، وَقُلْتُ : إِنَّ
الْإِمَامَةَ فِي غَيْرِ بَنِي هَرُونَ ، وَذَكَيْتُ الطُّورَ ، وَقُلْتُ بِيَدِي أَثَرُ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ،
وَأَسْتَبَحْتُ حُرْمَةَ السَّبْتِ ، وَقُلْتُ بِالتَّأْوِيلِ فِي الدِّينِ ، وَأَقْرَرْتُ بِصَحَّةِ تَوْرَةِ الْيَهُودِ ،
وَأَنْكَرْتُ الْقَوْلَ بِأَنَّ لَا مَسَاسَ ، وَلَمْ أَتَجَنَّبْ شَيْئًا مِنَ الذَّبَائِحِ ، وَأَكَلْتُ الْجَدْيَ بِلَبَنٍ
أُمِّهِ ، وَسَعَيْتُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْأَرْضِ الْمَحْظُورِ عَلَى سُكُونِهَا ، وَأَتَيْتُ النِّسَاءَ الْحَيْضَ
زَمَانَ الطُّغْمِ مُسْتَبِيحًا لَمْ نُنْ ، وَبِثُّ مَعَهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ كَافِرٍ بِخِلَافَةِ
هَرُونَ ، وَأَنْفَقْتُ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ .

الفِرقة الثالثة

(مَنْ تَدْعُو الضَّرُورَةَ إِلَى تَحْلِيفِهِ - النَّصْرَانِيَّةُ)

وقد اُخْتَلِفَ في اِشْتِقَاقِهَا، فِقِيل : أَخَذًا مِنْ قَوْلِ الْمَسِيحِ لِلْحَوَارِيِّينَ : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ وَقَوْلِ الْحَوَارِيِّينَ : ﴿ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ . وقيل : مِنْ تَرْوِيلِهِ هُوَ وَأَمَنَهُ - بَعْدَ عَوْدِهَا بِهِ مِنْ مِصْرَ - بِالنَّاصِرَةِ : وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ بِلَادِ فِلَسْطِينَ مِنْ الشَّامِ : وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ .

وَالنَّصَارَى - هُمَ أُمَّةٌ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَتَابُهُمُ الْإِنْجِيلُ . وَقَدْ اُخْتَلِفَ فِي اِشْتِقَاقِهِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَذَاهِبَ حَكَاهَا أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتَّابِ" :

أَحَدُهَا - أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : نَجَلْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَنْجَرْتَهُ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ خَرَجَ بِهِ دَارِسٌ مِنَ الْحَقِّ .

وَالثَّانِي - أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ : تَنَاجَلَ الْقَوْمُ إِذَا تَنَازَعُوا ، لِأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي كِتَابٍ مِنَ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ [مِثْلُ] التَّنَازُعِ الْوَاقِعِ فِيهِ . قَالَهُ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ .

وَالثَّلَاثُ - أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ النَّجْلِ بِمَعْنَى الْأَصْلِ : لِأَنَّهُ أَصْلُ الْعِلْمِ الَّذِي أَطْلَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ خَلِيقَتَهُ عَلَيْهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْوَالِدِ نَجْلٌ : لِأَنَّهُ أَصْلُ لَوْلَاهُ .

ثُمَّ ذَكَرَ هَذِهِ الْاِشْتِقَاقَاتِ جُنُوحٌ مِنْ قَائِلِهَا إِلَى أَنَّ لَفْظَ الْإِنْجِيلِ عَرَبِيٌّ ، وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ عِبْرَانِيٌّ : لِأَنَّ لَفْظَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ الْعِبْرَانِيَّةُ ، وَقَدْ قَالَ صَاحِبُ "إِرْشَادِ الْقَاصِدِ" : إِنَّ مَعْنَى الْإِنْجِيلِ عِنْدَهُمُ الْبَشَارَةُ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصَارَى بِجَمَلِيَّتِهِمْ يُجْعِلُونَ عَلَى أَنَّ مَرْيَمَ حَمَلَتْ بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَوْلَدَتْهُ بَيْتِ لَحْمٍ مِنْ بِلَادِ الْقُدْسِ مِنَ الشَّامِ ، وَتَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ ، وَأَنَّ الْيَهُودَ حِينَ

أنكروا على مريم عليها السلام ذلك فَرَّتْ بالمسيح عليه السلام إلى مصر، ثم عادت به إلى الشام، وعمره اثنتا عشرة سنة، فزلت به القرية المسماة ناصرة المقدم ذكرها، وأنه في آخر أمره قبض عليه اليهود وسعوا به إلى عامل قيصر ملك الروم على الشام، فقتله وصلبه يوم الجمعة، وأقام على الخشبية ثلاث ساعات، ثم استوهبه رجل من أقارب مريم اسمه يوسف النجار من عامل قيصر، ودفنه في قبر كان أعدّه لنفسه في مكان الكنيسة المعروفة الآن بالقمامة بالقدس، وأنه مكث في قبره ليلة السبت ونهار السبت وليلة الأحد، ثم قام من صبيحة يوم الأحد، ثم رآه بطرس الحواري وأوصى إليه، وأن أمه جمعت له الحواريين فبعثهم رؤلاً إلى الأقطار للدعاية إلى دينه، وهم في الأصل اثنا عشر حواريًا: بطرس ويقال له : صمتان، وشمعون الصفا أيضا . وأندراوس وهو أخو بطرس المقدم ذكره، ويعقوب بن زبدي، ويوحنا الإنجيلي، وهو أخو أندراوس، وفيلبس، وبرتلوماوس، وتوما : ويعرف بتوما الرسول، ومتى ويعرف بمتي العشار، ويعقوب بن حلفا، وسمعان القناني ويقال له شمعون أيضا، وبولس ويقال له نداوس، وكان اسمه في اليهودية شاول، ويهوذا الاسخريوطي (وهو الذي دلَّ يهود على المسيح حتى قبضوا عليه بزعمهم) وقام مقامه بنيامين، ويقولون : إنه بعد أن بعث من بعث من الحواريين صعد إلى السماء . وهم متفقون على أن أربعة من الحواريين تصدّوا لكتابة الإنجيل : وهم بطرس، ومتى، ولوقا، ويوحنا . فكتبوا فيه سيرة المسيح من حين ولادته إلى حين رقيه، وكتب كل منهم نسخة على ترتيب خاص بلغة من اللغات .

(١) سيأتي قريبا كما في "البر" (ج ٢ ص ١٤٧) أن يوحنا الإنجيلي أخو يعقوب بن زبدي وكذلك

في "المقرري" ج ٢ ص ٤٨٣ .

(٢) كذا في "الملل والنحل" أيضا ولكن لم يرد في الحواريين المذكورين قبل هذا الاسم .

فكتب بطرس إنجيله باللغة الرومية في مدينة رومية قاعدة بلاد الروم، ونسبه إلى تلميذه مرقس أول بطاركة الإسكندرية، ولذلك يعرف بمرقس الإنجيلي، وقيل : إن الذي كتبه مرقس نفسه . وكتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس ، ونقله بعد ذلك يوحنا بن زبدي إلى اللغة الرومية . وكتب لوقا إنجيله بالرومية وبعث به إلى بعض أكابر الروم، وقيل : بل كتبه باليونانية بمدينة الإسكندرية . وكتب يوحنا إنجيله باليونانية بمدينة أفسس، وقيل مدينة رومية .

قال الشهير ستاني : وخاتمة إنجيل متى : « إني أُرسلكم إلى الأمم كما أُرسلني أبي إليكم فاذهبوا وأدعوا الأمم بأسم الأب والابن وروح القدس » ثم اجتمع برومية من توجه اليها من الحواريين ودونوا قوانين دين النصرانية على يد أقليمش تلميذ بطرس الحواري ، وكتبوا عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بمقتضاها ، وهي عدة كتب : منها الأناجيل الأربعة المتقدمة الذكر ، والتوراة التي بأيديهم ، وجملة كتب من كتب الأنبياء الذين قبل المسيح عليه السلام ، كيوشع بن نون ، وأيوب ، وداود ، وسليمان عليهم السلام ، وغيرهم .

ثم لما مات الحواريون أقام النصارى لهم خلايف ، عبر عنهم بالبطاركة جمع بطرك، وهي كلمة يونانية مركبة من لفظين ، أحدهما بطر ومعناه ، والثانية يرك ومعناه (٢) ، ورأيت في ترسل الغلاء بن موصلايا : كاتب القائم بأمر الله العباسي «فطرك» ببدال الباء فاء، والعامية يقولون : «بترك» ببدال الطاء تاء، وهو عندهم خليفة المسيح، والقائم بالدين فيهم .

(١) في المقرئ ص ٤٨٣ ج ٢ «طيموس» وفي المبرج ص ١٤٨ «أقليمش» .

(٢) بياض بالأصول، وكذلك يرض له فيما تقدم عند الكلام على ألقاب وظائف النصارى انظر (ج) .
ص ٤٧٣ (من هذا المطبوع .

وقد كان لبطاركيهم في القديم خمسة كراسي^(١)، لكل كُريسي منها بطرُكٌ . الأول منها بمدينة رومية ، والقائم به خليفة بطرس الحواري المتوجه إليها بالِبشارة . والثاني بمدينة الإسكندرية . والقائم به خليفة مرقس تلميذ بطرس الحواري المقدم ذكره وخليفته بها . والثالث بمدينة زَنْطية : وهي القُسطنطينية . والرابع بمدينة أنطاكية من العواصم التي هي في مُقابلة حلب الآن . والخامس بالقدس . وكان أكبر هذه الكراسي الخمسة كُريسي رومية لكونه محل خلافة بطرس الحواري ، ثم كُريسي الإسكندرية ، لكونه كُريسي مرقس خليفته .

ثم اصطَلَحوا بعد ذلك على أسماء وضعوها على أرباب وظائف دياناتهم ، فعبروا عن صاحب المذهب بالطريق ، وعن نائب البطرُك بالأسقف ، وقيل الأسقف عندهم بمنزلة المفتي ، وعن القاضي بالمطران ، وعن القاري بالقسيس ، وعن صاحب الصلاة وهو الإمام بالحنانيق ، وعن قِم الكنيسة بالشماس ، وعن المنقطع إلى المولى للعبادة بالراهب .

وكانت الأساقفة يُسمون البطرُك أبا ، والقسوس يسمون الأسقف أبا ، فوقع الاشتراك عندهم في اسم الأب ، فوقع اللبس عليهم ، فاخترعوا لبطرُك الإسكندرية اسم الباب ، ويقال فيه البابا بزيادة ألف ، والبابه بإبدال الألف هاء ، ومعناه عندهم أبو الآباء : لتمييز البطرُك عن الأسقف ، فاشتهر بهذا الاسم ، ثم نقل اسم الباب إلى بطرُك رومية لكونه خليفة بطرس الحواري ؛ وبقي اسم البطرُك على بطرُك الإسكندرية وغيره من أصحاب الكراسي .

(١) تقدم في (ج ٥ ص ٤٧٣) من هذا المطبوع أنها أربعة ولم يذكر كُريسي زَنْطية .

وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصَارَى مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَاحِدٌ بِالْجَوْهَرِ ثَلَاثَةٌ بِالْأَقْنُومِيَّةِ ؛
وَيُفَسِّرُونَ الْجَوْهَرَ بِالذَّاتِ وَالْأَقْنُومِيَّةَ بِالصِّفَاتِ : كَالْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ ؛
وَيَعْبُرُونَ عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْوُجُودِ بِالْأَبِ ، وَعَنِ الذَّاتِ مَعَ الْعِلْمِ بِالْأَبْنِ ؛ وَيَعْبُرُونَ
عَنِ الذَّاتِ مَعَ الْحَيَاةِ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؛ وَيَعْبُرُونَ عَنِ الْإِلَهِ بِاللَّاهُوتِ ، وَعَنِ الْإِنْسَانِ
بِالنَّاسُوتِ ؛ وَيُطْلِقُونَ الْعِلْمَ عَلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي أُلْقِيَتْ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ فَحَمَلَتْ
مِنَهَا بِالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَيُخَصِّصُونَهُ بِالْإِتِّحَادِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَقْنَامِ .

وَأَجْتَمَعَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ ، وَقِيلَ وَسَبْعَةٌ عَشَرَ اسْقَفًا مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ بِمَدِينَةِ
نَيْقِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ بِحَضْرَةِ قُسْطَنْطِينَ مَلِكِ الرُّومِ عِنْدَ ظُهُورِ أَرْيُوشِ الْأَسْقَفِ
وَقَوْلِهِ : إِنَّ الْمَسِيحَ مَخْلُوقٌ ، وَإِنَّ الْقَدِيمَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَلْقُوا عَقِيدَةَ اسْتِخْرَاجِهَا
مِنْ أَنْجِلِهِمْ لِقَبُولِهَا بِالْإِيمَانَةِ ، مِنْ خَرَجَ عَنْهَا خَرَجَ عَنِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ؛ وَنَصَّهَا عَلَى .
مَازَكَرَهُ الشَّهْرَسْتَانِي فِي "التَّحْلِيلِ وَالْمِلَلِ" وَأَبْنُ الْعَمِيدِ مُؤَرِّخُ النَّصَارَى فِي تَارِيخِهِ
مَا صُوِّرَتْهُ .

ثُمَّ مِنْ بِلَاقَةِ الْوَاحِدِ الْأَبِ ، مَالِكِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَصَانِعِ مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى ، وَبِالْأَبْنِ
الْوَاحِدِ إِشْوَعِ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ ؛ يَكْرِى الْخَلَائِقَ كُلَّهَا ، وَلَيْسَ بِمَخْنُوعٍ ؛ إِلَهُ حَقٌّ مِنْ
[إِلَهٍ حَقٍّ مِنْ] جَوْهَرِ أَبِيهِ الَّذِي بِيَدِهِ أَتَمَّنَّتِ الْعَوَالِمُ وَكُلُّ شَيْءٍ ، الَّذِي مِنْ أَجْلِنا
و [مِنْ] أَجْلِ خَلَاصِنَا نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَجَسَّدَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، وَوُلِدَ مِنْ مَرْيَمَ
الْبَتُولِ ، وَصَلِبَ أَيَّامَ فِيلَاطُوسَ ، وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَصَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ ،
وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ أَبِيهِ ، وَهُوَ مُسْتَعِدٌّ لِلْحَيِّ تَارَةً أُخْرَى لِلْقَضَاءِ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ

(١) الَّذِي فِي "الْمِلَلِ وَالنَّمَلِ" لَشَهْرَسْتَانِي (ص ١٣٢) وَثَلَاثَةٌ وَثَلَاثَةٌ عَشَرَ رَجُلًا . وَفِي "الْعَبَرِ"

ج ٢ ص ١٥٠ أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْبِينِ وَأَرْبَعِينَ اسْقَفًا وَاتَّخَفُوا مِنْهُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ وَثَمَانِيَّةٍ عَشَرَ .

(٢) الزِّيَادَةُ مِنَ الْعَبَرِ (ج ٢ ص ١٥٠) .

والأخياء . وَثُمَّ يُنْجِزُ رُوحَ الْقُدُسِ الْوَاحِدَ الْحَيَّ الَّذِي يُخْرِجُ مِنْ أَبِيهِ ، وَبِمَعْمُودِيَّةٍ
وَاحِدَةٍ لِنُفْرَانِ الْخَطَايَا ، وَبِجَمَاعَةٍ [وَاحِدَةٍ] قُدْسِيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ جَانَلِيَّةٍ ، وَبِقِيَامِ
أَبْدَانِنَا ، وَبِالْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ أَبَدَ الْآبِدِينَ .

وَوَضَعُوا مَعَهَا قَوَانِينَ لِشِرَافِهِمْ سَمَّوْهَا الْهَيَانُوتَ . ^(١) ثُمَّ أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ جَمْعٌ
بِقُسْطَنْطِينِيَّةٍ عِنْدَ دَعْوَى مَقْدُونِيُوسِ الْمَعْرُوفِ بِعَدُوِّ رُوحِ الْقُدُسِ ، وَقَوْلِهِ : إِنَّ رُوحَ
الْقُدُسِ مَخْلُوقٌ ، وَزَادُوا فِي الْأَمَانَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرَ مَانَصَهُ : « وَثُمَّ يُنْجِزُ رُوحَ الْقُدُسِ
الْحَيَّ الْمُنْتَبِئُ مِنَ الْأَبِ » وَلَعَنُوا مَنْ يَزِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى كَلَامِ الْأَمَانَةِ أَوْ يَنْقُصُ مِنْهَا .
وَأَفَرَّقَ النَّصَارَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى فِرْقٍ كَثِيرَةٍ ، الْمَشْهُورُ مِنْهَا ثَلَاثُ فِرَقٍ :

الفِرْقَةُ الْأُولَى (الْمَلَكِيَّةُ)

قَالَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ : وَهِيَ أَتْبَاعَ مَلَكَانَ الَّذِي ظَهَرَ بِيِلَادِ الرُّومِ ، وَمَقْتَضَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ
مَنْسُوبُونَ إِلَى مَلَكَانَ صَاحِبِ مَذْهَبِهِمْ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْمَصَنُفَاتِ أَنَّهُمْ مَنْسُوبُونَ
إِلَى مَرْكَانَ قَيْصَرِ أَحَدِ قِيَاصِرَةِ الرُّومِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ يَقُومُ بِتُفْسِيرِ مَذْهَبِهِمْ ، فَقِيلَ
لَهُمْ مَرْكَانِيَّةٌ ، ثُمَّ عُرِبَ مَلَكَانِيَّةٌ ، وَمُعْتَقَدُهُمْ أَنَّ جُزْءًا مِنَ الْأَلَهُاتِ حَلَّ فِي النَّاسُوتِ ،
ذَاهِبِينَ إِلَى أَنَّ الْكَلِمَةَ وَهِيَ أَقْنُومُ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ أَخَذَتْ بِجَسَدِ الْمَسِيحِ وَتَدَرَّعَتْ بِنَاسُوتِهِ
وَمَازَجَتْهُ مِمَّا رَجَاةُ الْخَمَرِ [اللَّبَنِ] أَوْ الْمَسَاءِ اللَّبَنِ ، وَلَا يَسْمُونَ السِّلْمَ قَبْلَ تَدَرُّعِهِ آبْنًا ،
بَلِ الْمَسِيحُ وَمَا تَدَرَّعَ بِهِ هُوَ الْآبْنُ ، وَيَقُولُونَ : إِنَّ الْجَوْهَرَ غَيْرَ الْأَقَانِيمِ كَمَا فِي الْمَوْصُوفِ
وَالصُّفَةِ ، مَصْرَحِينَ بِالتَّثْلِيثِ ، فَاتْلِينَ بِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْأَبِ وَالْآبْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهُ ،
وَالهِم وَفَعَتِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) .

(١) فِي " الْعَبَرِ " : الْهَيَاوُونَ .

والمكانية يدينون بطاعة الباب : وهو بطرك رومية المقدسة ذكره ، قال في "الروض المعطار" : من قاعدة الباب أنه إذا اجتمع به ملك من ملوك النصارى ينطعم على بطنه بين يديه ، ولا يزال يقبل رجليه حتى يكون هو الذي يأمره بالقيام .

الفِرقة الثانية (اليعقوبية)

وهم أتباع ديسقرس بطريرك الإسكندرية في القديم : وهو الثامن من بطاركتها من حين بطركية مرقس الإنجيلي نائب بطرس الحواري بها . قال ابن العميد في تاريخه : وسمي أهل مذهبه يعقوبية : لأن اسمه كان في الغالبانية يعقوب . وقيل : بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه . وقيل : بل كان شاوירش بطريرك أنطاكية على رأى ديسقرس ، وكان له غلام اسمه يعقوب فكان يبعثه إلى أصحابه : أن أتبوا على أمانة ديسقرس فنسبوا إليه . وقيل : بل نسبوا إلى يعقوب البردغاني تلميذ سويرس بطريرك أنطاكية ، وكان راهباً بالقسطنطينية فكان يطوف في البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقرس . قال ابن العميد : وليس كذلك فإن العاقبة ينسبون إلى ديسقرس قبل ذلك بكثير ، ومعتقدهم أن الكلمة أنقلبتم تماماً ودماً فصار الإله هو المسيح .

ثم منهم من قال إن المسيح هو الله تعالى . قال المؤيد صاحب حماة : ويقولون مع ذلك إنه قُتل وصُلب ومات وبقى العالم ثلاثة أيام بلا مدبر . ومنهم من يقول : ظهر اللاهوت بالناسوت ، فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي في حكم الصفة ، بل صار هو هو ، كما يقال : ظهر الملك بصورة إنسان ، وظهر الشيطان بصورة حيوان ، وكما أخبر التزييل عن جبريل عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ قَمَّتَلَ مَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ .

وأكثرهم يقول : إن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين ، وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين . فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركباً تركب

النفس والبدن فصارا جوهراً واحداً أقنوماً واحداً وهو إنسان كله وإله كله، فيقال : الإنسان صار إلهاً ولا ينعكس ، فلا يقال : الإله صار إنساناً ، كالفحمة تُطرح في النار فيقال : صارت الفحمة نارا ، ولا يقال : صارت النار فحمة ، وهي في الحقيقة لا نارٌ مطلقة ولا فحمةٌ مطلقة ، بل هي جمرة .

ويقولون : إن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئي لا الكلي ، وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والأدراع والحلول ، كحلول صورة الإنسان في المرأة .

ومنها من يقول : إن الكلمة لم تأخذ من سرِّم شيئاً لكنها مرت بها كمرور الماء بالمعزيب ، وإن ما ظهر من شخص المسيح عليه السلام في الأعيان هو كالخيال والصورة في المرأة ، وإن القتل والصلب إنما وقعا على الخيال .

وزعم آخرون منهم أن الكلمة كانت تداخل جسد المسيح أحيانا فتصدر عنه الآيات : من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ؛ وتعارفه في بعض الأوقات قديراً عليه الآلام والأوجاع . ثم هم يقولون : إن المعاد إنما هو روحاني فيه لذة وراحة وسرور ، ولا أكل ولا شرب ولا نكاح .

ومن فروعه أنهم يختننون ، ولا يأكلون الحيوان إلا بعد التذكية . وقد حكى ابن العميد مؤرخ النصراني أن ديسقريس صاحب مذهب العقوبية حين ذهب إلى ما ذهب : من مذهبه المتقدم ذكره ، رفع أمره إلى مر كان قيصر ملك الروم يومئذ ، فطلبه إلى مدينة خلقدونية من بلاد الروم ، وجمع له ستمائة وأربعة وثلاثين أسقفًا ، وناظره بمضرة الملك فسقط في المناظرة ، فكلنته زوجة الملك فاساء الرد فطمته بيدها ، وتناوله الحاضرون بالضرب ، وأمر بإخراجه ، فصار إلى القدس ،

(١) كذا في "العبر" أيضا بايات مائة تحتية بعد النون والذي في معجم ياقوت بحذفها .

فأقام به وأتبعه أهل القُدُس وفِلَسطين ومصر والإسكندرية ، وقد أتبعه على ذلك أيضا النوبة والحَبَشَة ، وهم على ذلك إلى الآن .

الفِرقة الثالثة (النسطورية)

ومقتضى كلام ابن العميد أنهم أتباع نسطوريوس بطريرك القُسطنطينية . ويحكى عنه أن من مذهبه أن مَرَمَ عليها السلام لم تلد إلهًا ، وإنما ولدت إنسانًا ، وإنما اتَّحد في المِشِيئة لا في الذات ، وأنه ليس إلهًا حقيقة بل بالموهبة والكرامة . ويقولون بجوهريْن وأقنومين ، وإن كرلس بطريرك الإسكندرية وطريرك رومية خالفاه في ذلك ، فجمع لهم مائتي أسقف بمدينة أفسس وأبطلوا مقالة نسطوريوس وصرحوا بكفره ، فنفى إلى إنحيم من صعيد مصر ومات بها ، فظهر مذهبُه في نصارى المشرق : من الجزيرة الفراتية والموصل والعراق وفارس .

والذي ذكره الشهرستاني في "النحل والملل" أنهم منسوبون إلى نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون ، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة : الوجود والعلم والحياة ؛ وإن هذه الأقانيم ليست بزائدة على الذات ولا هي هي ، وإن الكلمة اتَّحدت بجمد المسيح عليه السلام لا على طريق الامتزاج ، كما ذهب إليه المَلَكانية ، ولا على طريق الظهور كما قاله اليعقوبية ،

(١) عبارة ابن خلدون في العبر (ج ٢ ص ١٥٢) وبلغت مقالة نسطوريوس إلى كرلس بطريرك الاسكندرية ، فكتب إلى بطريرك رومية وهو اكليس ، وإلى يوستا وهو بطريرك أنطاكية ، وإلى يوثاوس أسقف بيت المقدس ، فكتبوا إلى نسطوريوس ليدفوه عن ذلك بالجهة فلم يرتجع ولم يلفظ إلى قولهم ، فاجتمعوا في مدينة أفسس في مائتين أسقفًا الخ .

ولكن كاشراق الشمس في كوة ، أو كظهور النقش في الخاتم : قال الشهرستاني :
 ويعنى بقوله إنه واحد بالجوهر أنه ليس مركباً من جنس بل هو بسيط واحد .
 ويعنى بالحياة والعلم أفتومين جوهرين أى أصلين مبدأين للعالم . قال : ومنهم من
 يثبت لله تعالى صفات زائدة على الوجود والحياة والعلم : كالقدرة والإرادة ونحوهما .
 ومنهم من يطلق القول بأن كل واحد من الأقسام الثلاثة حتى ناطق الله . ومنهم من
 يقول : إن الاله واحد ، وإن المسيح ابتدأ من مريم عليها السلام ، وإنه عبد صالح
 مخلوق ، خلقه الله تعالى وسماه أبناً على التثنية لا على الولادة والاتحاد . ثم هم يخالفون
 في القتل والصلب مذهب الملائكية واليعقوبية جميعاً ، فيقولون : القتل والصلب
 وقعا على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته : لأن الإله لا تحله الآلام .
 قال صاحب حماة : وهم عند النصارى كالمترلة عندنا .

وليُعلم أن للنصارى أشياء يعظمونها و[أشياء] يستعظمون الوقوع فيها .

فأما التي يعظمونها فإنهم يعظمون المسيح عليه السلام حتى آتوهوا فيه إلى ما آتوهوا :
 من دعوى الألوهية والبنوة لله سبحانه ، تعالى الله عما يشركون ، وأشهد عندهم
 يسوع فخر عيسى . وإنما سُمي المسيح لكونه مَسُوحَ القدمين لا أنحص له .

ويعظمون مريم عليها السلام لولادتها المسيح عليه السلام ، ويعبرون عنها
 بالسيدة ، والبتول ، والعدراء .

ويعظمون مريمنا الممعدان ، وهو عندهم يحيى بن زكريا عليه السلام ، ومعنى
 مَرَّ السَّيِّد ، ويحتمل معنى يحيى ، ويسمونه الممعدان لأنهم يزعمون أن مريم عليها
 السلام حين عودها من مضر إلى الشام ومعها السيد المسيح تلقاه يحيى عليه السلام
 فعلمه في نهر الأردن من بلاد فلسطين ، يعنى غمسه فيه ، ويحملون ذلك أصلاً

للمعمودية : وهو الماء الذى يُغمسون فيه عند تنصرتهم ، ويقولون : إنه لا يصح تنصرتى دون تعمّد . ولما المعمودية بذلك عندهم من التعظيم مالا فوقه . وبعضهم يقول : إن المراد بمرحنا المعمدان غير يحيى بن زكريا عليهما السلام .

ويعظمون الحواريين : وهم أصحاب المسيح عليه السلام . وقد تقدم أن مدّتهم اثنا عشر حوارياً ، ومعنى الحواريّ الخاص ، ومنه قيل للدقيق الناصع البياض دقيق حواريّ ، سموا بذلك لأن المسيح عليه السلام استخلصهم لنفسه .

ويعظمون البطارقة لأنهم خلفاء الدين عندهم ، ويرون لهم من الحرمة مالدن النصرانية عندهم من الحرمة ، بل يعملون أمر التبليط والتخريم منوطاً بهم ، حتى لو حرم البطررك على أحدهم زوجته لم يقربها حتى يُطهأ له . وسيأتى مالبطرك العقوبة عند صاحب الحبشة من الحرمة عند ذكر المكتبة إليه فيما بعد ، إن شاء الله تعالى .

وكذلك يعظمون أرباب الوظائف الدينية عندهم : من البطريرق ، والأسقف ، والمطران ، والقسيس ، والشماس ، والراهب ؛ وقد تقدم تفسيرهم فيما مرّ .

ويعظمون يوسف النجار : وهو قريب لمريم عليها السلام ، يقال : إنه ابن عمها ، كان معها فى خدمة بيت المقدس ، وهو الذى استوهب المسيح بعد الصلب بزعمهم حتى دفنه . واليهود يرمون مريم عليها السلام معه بالفجور على ما تقدم .

ويعظمون مريم المجدلانية المقدم ذكرها ، ويزعمون أنها ^(٢) أخرج منها سبعة شياطين ، وأنها أول من رأى المسيح حين قام من قبره .

(١) سبق الكلام على المكتبة اليه فى ج ٨ ص ٣٩ فهذا الود هو عما سبق .

(٢) بياض بالأصول .

ومن عاداتهم أنه إذا مات منهم أحدٌ ممن يعتقدون صلاحه صَوَّروا صورته في جِيطانِ كنائسهم ودياراتهم يتركون بها .

ويعظمون قُسطنطينَ بنَ قُسطنطينَ ملكِ الروم ، وذلك أنه أوَّل من أخذ بدين النصرانية من الملوك وحلَّ على الأخذ به . وقد اختلفَ في سبب ذلك قيل : إنه كان يُحارب أمةَ البرجانِ بجوارِه وقد أعجزه أمرُهم ، فرأى في المنام كأن ملائكةً نزلت من السماء ومعها أعلامٌ عليها صُلبان ، فعَمِلَ أعلاماً على مثْلِها وحارَ بهم بها فظهر عليهم . وقيل : بل رأى صورةَ صليِّب في السماء . وقيل : بل حملته أمُّه هيلاني على ذلك .

ويعظمون هيلاني أم قُسطنطينَ المقلِّمَ ذكُّره ، ويقولون : إنها رحلت من قُسطنطينيةَ إلى القدس ، وأنت إلى عملِ الصليِّبِ بزعمهم ، فوقفتَ وبَكَتْ ، ثم سألت عن خشبةِ الصليِّبِ ، فأخبرت أن اليهودَ دفنوها وجعلوا فوقها القماماتِ والتجاساتِ ، فاستعظمت ذلك ، وأستخرجتها وغسلتها وطيبتها وغششتها بالذهب ، وألبستها الحريرَ ، وحملتها معها إلى القُسطنطينيةَ للتبرُّك ، وبنتَ مكانها كنيسةً ، وهي المسماة الآن بالقمامة ، أخذنا من أسمِ القمامةِ التي كانت موضوعةً هناك .

ويعظمون من الأمكنةِ بيتَ لحمٍ حيثُ مولدُ المسيح عليه السلام ، وكنيسةُ قمامةٍ حيثُ قبرُه ، وموضعُ خشبةِ الصليِّبِ التي أستخرجتها هيلاني أم قُسطنطينَ بزعمهم . وكذلك يعظمون سائر الكنائس : وهي أمكنة عباداتهم كلِّها للساميين . وأصلُها في اللغة مأخوذٌ من قولهم : كَأَسَ الظَّيِّ : وهو المكانُ الذي يَسْتَرُّ فيه ، سُمِّيَتْ بذلك لاسْتِئْثَارهم فيها حالَ عبادتهم عن أعينِ الناس . وكذلك يعظمون الدِّيارات : وهي أمكنة التَّحَلِّي والاعتزال كالزوايا للساميين .

ويعظمون المذبح : وهو مكان يكون في الكنيسة يقربون عنده القرايين
ويتذبحون الذبايح، ويعتقدون أن كل ما ذبح عليه من القربان صار لحمه ودمه هو لحم
المسيح ودمه حقيقة .

ويعظمون من الأزمينة أعيادهم الآتي ذكرها عند ذكر أعياد الأمم : كعيد
الغطاس من أعيادهم اليكار، وموقعه في الحادي عشر من طوبه من شهور القبط .
وعيد السيدة من أعيادهم الصغار . وموقعه في الحادي والعشرين من بشونة منها .
وعيد الصليب . وموقعه عندهم في السابع عشر من ثوت، إلى غير ذلك من الأعياد
الآتي ذكرها مع أعياد الأمم ، في الكلام على الأزمينة من هذه المقالة ، إن شاء
الله تعالى .

وأما الأشياء التي [يتبدون] بها ، فإنهم يصلون سبع صلوات في اليوم والليلة ،
وهي : الفجر، والضحى، والظهر، والمصر، والمغرب، والعشاء، ونصف الليل،
ويقرون في صلاتهم بمزامير داود عليه السلام كما تفعل اليهود . والسجود في صلاتهم
غير محدود العدد ، بل قد يسجدون في الركنة الواحدة خمسين سجدة . وهم
لا يتوضئون للصلاة ، ولا يغتسلون من الجنابة ، وينكرون الطهر للصلاة على المسلمين
وعلى اليهود ، ويقولون : الأصل طهارة القلب . وإذا أرادوا الصلاة ضربوا
بالناقوس ، وهو خشبة مستطيلة نحو الذراع يضرب عليها بحشبة لطيفة فيجتمعون .
وهم يستقبلون في صلاتهم المشرق ، وكذلك يوجهون إليه موتاهم . قال الزمخشري :
ولعل ذهابهم إلى ذلك لأخذ مريم عليها السلام عنهم مكاناً شرقياً كما أخبر تعالى
بقوله : (إِذِ اتَّبَعَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) .

(١) لم يذكر شيئا من الأعياد في هذه المقالة وقد سبق ذكر ذلك في الفصل الثالث من المقالة الأولى
فا هنا سهو .

ولهم صِيَامَاتٌ فِي أَوْقَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ .

منها - صَوْمُهُمُ الْكَبِيرُ : وَهُوَ سِتُونَ يَوْمًا أَوَّلًا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ . وَمَوْقِعُ أَوَّلِهِ فِي شَبَاطٍ أَوْ أَذَارَ مِنْ شَهْرِ السَّرِيَانِ ، بِحَسَبِ مَا يَهْتَضِيهِ حِسَابُهُمْ ، يَهْطِرُونَ فِي خِلَالِهَا . يَوْمَ الْاِثْنَدِ ، تَتَّقَى مَدَّةَ صِيَامِهِمْ مِنْهَا تِسْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا .

ومنها - [صَوْمُهُمُ الصَّغِيرُ] : وَهُوَ سِتَّةٌ وَأَرْبَعُونَ يَوْمًا يَصُومُونَهَا بَعْدَ الْفَصِيحِ الْكَبِيرِ بِخَمْسِينَ يَوْمًا ، أَوَّلًا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ أَيْضًا ، وَعِنْدَهُمْ فِيهِ خِلَافٌ .

ومنها - صَوْمُ الْعَدَارَى : وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، أَوَّلًا يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الْكَائِنِ بَعْدَ كَانُونِ الثَّانِي ، فِي صِيَامَاتٍ أُخْرَى يَطُولُ ذِكْرُهَا ، وَلَكثَرَةُ صِيَامِهِمْ قِيلَ : إِذَا حَدَّثْتَ أَنَّ نَصْرَانِيًّا مَاتَ مِنَ الْجُوعِ فَصَدَّقْ .

وَأَمَّا مَا يَحْرَمُونَهُ ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِتَحْرِيمِ لَحْمِ الْبَحَلِّ وَلَبَنِهِ كَمَا يَقُولُهُ الْيَهُودُ ، وَيَقُولُونَ : بِحَلِّ لَحْمِ الْخَيْزُرِ خِلَافًا لِلْيَهُودِ ، وَهُوَ مِمَّا يُنْكِرُهُ الْيَهُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ مَخَالِفَةِ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ .

وَيَحْرَمُونَ صَوْمَ يَوْمِ الْفِصْحِ الْاِثْنَبِ ، وَهُوَ يَوْمٌ فِطْرُهُمْ مِنْ صَوْمِهِمُ الْاِثْنَبِ .

وَيَحْرَمُونَ عَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَمْرَأَتَيْنِ فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ .

وَيَحْرَمُونَ طَلَاقَ الزَّوْجَةِ بَلْ إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُهُمْ أَمْرَأَةً لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا فِرَاقٌ إِلَّا بِالْمَوْتِ .

وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَسْتَغْثَمُونَ الْوُقُوعَ فِيهَا :

فَإِنَّهَا - بِجُودِ كَوْنِ الْمَسِيحِ هُوَ الْمُبَشَّرُ بِهِ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

ومنها - لِنَكَارِ قَتْلِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَلْبِهِ ، فَإِنَّهُمْ يَمْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِمَخْلَاصِ الْأَلْهُوتِ مِنَ النَّاسُوتِ ، فَمَنْ أَنْكَرَ عِنْدَهُمْ وَقُوعَ الْقَتْلِ وَالصَّلْبِ عَلَى الْمَسِيحِ

خرج عن دين النصرانية، بل إنكار رؤيته مصلوباً عندهم ارتكابٌ محظور. على أنهم يتكبرون على اليهود ارتكابهم ذلك، ويستعظمون مشاركتهم في ذلك، فيألفا من عقول أضلها بارئها! .

ومنها - كسر صليب الصلبوت، وهو الخشبة التي يزعمون أن المسيح عليه السلام صلب عليها . وقد تقدم أن هيلاني أم قسطنطين استخرجتها من القمامة وغسلتها وطابتها وعشنتها بالنهب وألبسها الحرير وحملتها معها للتبرك .

ومنها - الرجوع عن متابعة الحواريين الذين هم أصحاب المسيح عليه السلام . ومنها - الخروج عن دين النصرانية أو التبري منه ، والقول بدين التوحيد أو دين اليهودية .

ومنها - الوقوع في حق قسطنطين وأمه هيلاني : لقيامهما في إقامة دين النصرانية أولاً على ما تقدم ذكره . وكذلك الأسبانية بالبطاركة أو أحد من أرباب الديانات عندهم : كالأساقفة ونحوهم ممن تقدم ذكره .

ومنها - القعود عن أهل الشعانين : وهم أهل التسبيح الذين كانوا حول المسيح عليه السلام حين ركب الجمار بالقدس ودخل صهيون يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهم حوله يسبحون الله تعالى ويقدمونه .

ومنها - صوم يوم الفصح الأكبر، وصرف الوجه في الصلاة عن الشرق، واستقبال محبرة بيت المقدس موافقة لليهود .

ومنها - هدم كنيسة قمامة : لكونها عندهم في محل القبر بزعمهم . وكذلك غيرها من الكنائس والديرة .

ومنها - تكذيبُ أحدٍ من قَلَّةِ الإنجيلِ الأربعة الذين كتبوه كَتَبُوهُ وَكَتَى وَغِيْرَهُ ،
أو تكذيبُ أحدٍ من القُسُوسِ : وهم الذين يقرءون الإنجيلَ والمزاميرَ ، وتكذيبُ مريمَ
المجدلانية فيما أخبرت به عن المسيح من قيامه من قبره الذى كان دُفِنَ فيه بَرَعِمِهِمْ ،
فإنهم يزعمون أنها أول من رآه عند قيامه .

ومنها - القولُ بنجاسة ماء المعمودية : وهو الماء الذى يَنغمسون فيه عند
تَّصْرِيمِهِمْ .

ومنها - عَدَمُ اعتقاد أن القُرْبَانَ الذى يُذَبِّحُ فى المذبح لا يصير لحمه ودَمُهُ هو لحم
المسيح ودَمُهُ ، ولعمري إن هذه لَعُقُولٌ ذَاهِيَةٌ .

ومنها - استباحة دماء أهل الديارات ، والمشاركة فى قَتْلِ الشَّمامسة الذين هم
خُدَّامُ الكُنايس .

ومنها - خِيَانَةُ المسيح فى وِدْعَتِهِ . وذلك أنهم يزعمون أن كُلَّ مَاخَالَفَتْ فيه فِرْقَةٌ
من الفِرَقِ الثلاثِ الفِرْقَةَ الأُخرى كقول الملكانية بَأَنَّ المَعَادَ جُسَامِيٌّ ، وقول
اليعقوبية : إن المَعَادَ رُوحَانِيٌّ ، فَإِنَّ الفِرْقَةَ الأُخرى يستعظمون الوقوع فيما ذهب
إليه عُالمُهَا ، وكذلك كُلُّ مَاجرى هذا المجرى .

وقد رَتَّبَ الكُتَّابُ إِيْمَانَ النَّصَارَى على هذه المعتقدات . قال محمد بن عمر المدائنيُّ
فى كتاب "القلم والدَّواء" : وقد يَنْهَبُ على كثير من الكُتَّابِ مَا يُسْتَحَلَّفُ به اليَهُودُ
والنصارى عند الحاجةِ إلى ذلك منهم ، فَيُسْتَحَقُّونَ بِإِيْمَانِ الإسلامِ وهم مُسْتَحَلُّونَ
للهِرامِ ، وَجُعِلَتْ رُؤُوسُهم على الآثامِ ، وَيَتَأْتُمُونَ من أِيْمَانِهِمْ ، وَالْأَسْتِقْسَامِ بِأَذْيَانِهِمْ .
ثم أشار إلى أن أوَّلَ مَا رُبِّبَ الْإِيْمَانُ الَّتِى يُحَلَّفُ بِهَا النَّصَارَى على هذه الطريقة
فى زَمَنِ الْقُضُلِ بنِ الرَّبِّيعِ ، فَحَكَى عن بعضِ كُتَّابِ العراقِ أَنه قال : أَرَادَ الْقُضُلُ

أَبْنُ الرِّبْعِ : يعنى وَزِيرُ الرَّشِيدِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ كَاتِبَهُ "عَوْنَا النِّصْرَانِي" فلم يَدْرِ
 كَيْفَ يَسْتَخْلِفُهُ ، قُلْتُ : وَلَئِنِّي اسْتَخْلَفْتَهُ ، قَالَ : دُونَكَ ، قُلْتُ لَهُ : اِحْلِفْ
 بِالْهَلِكِ الَّذِي لَا تَعْبُدُ غَيْرَهُ ، وَلَا تَدِينُ إِلَّا لَهُ ، وَإِلَّا خَلَفْتَ النِّصْرَانِيَّةَ ، وَبَرَّيْتُ مِنْ
 الْمُعْمُودِيَّةِ ، وَطَرَحْتُ عَلَى الْمَذْبُوحِ خِرْقَةً حِيضَةٍ يَهُودِيَّةٍ ، وَقُلْتُ فِي الْمَسِيحِ مَا يَقُولُهُ
 الْمُسْلِمُونَ (إِنْ مَثَلَ عِيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَنَيْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ) . وَإِلَّا فَلَنَكَنَّ
 الْبَطْرِيكَ الْأَكْبَرَ ، وَالْمُطَارَنَةَ ، وَالشَّامِيَّةَ ، وَالْقَمَاسَةَ ، وَالذَّيْرَانِيُونَ ، وَأَصْحَابُ
 الصَّوَامِعِ عِنْدَ مَجْتَمَعِ الْخِزَانِيَّةِ وَتَهْرِيْبِ الْقُرْبَانِ ؛ وَبِمَا اسْتَفَاتَتْ بِهِ النِّصْرَانِيَّةُ لِيَسُوعَ ،
 وَإِلَّا فَلَنَكَنَّ جُرْمَ ثَلَاثَةِ عَشْرَ أَسْفُفًا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ نَبِيَّةٍ حَتَّى أَقَامُوا عُمُودَ
 النِّصْرَانِيَّةِ ، وَإِلَّا فَشَقَقْتَ النَّافُوسَ وَطَبَخْتَ بِهِ لَحْمَ جَمَلٍ وَأَكَلْتَهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ مَذْخَلِ
 الصَّوْمِ وَأَحْمَتِ مِنْ كُلِّ بَرَكَةٍ يَوْمًا (؟) وَرَمَيْتَ الشَّاهِدَ بَعشرينَ حَجْرًا جَاحِدًا بِهَا ،
 وَهَدَمْتَ كَنِيسَةً لَدُنَّ ، وَبَنَيْتَ بِهَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ ، وَنَرَقْتَ غِفَارَةَ مَرْيَمَ وَكَهَنُونَ دَاوُدَ ،
 وَأَنْتَ حَنِيفٌ مُسْلِمٌ ؛ وَهَذِهِ الْيَمِينُ لَازِمَةٌ لَكَ وَلَمَعِيكَ مِنْ بَعْدِكَ . قَالَ فَقَالَ عَوْنٌ :
 أَنَا لَا اسْتَخْلِفُ أَنْ أَسْمَعَ هَذِهِ فَكَيْفَ أَقُولُهَا ! وَخَرَجَ مِنْ جَمِيعِ مَاطَالِبِهِ بِهِ الْفَضْلُ ،
 فَأَمَرَ بِهَا الْفَضْلُ فَكُنِبَتْ تُسَخًّا وَفُرِّقَتْ عَلَى الْكُتَّابِ وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِهَا وَتَحْلِيفِ
 النِّصْرَانِي [بِهَا] .

قُلْتُ : وَقَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ مِنْ تَرْتِيبِ تُسَخِ الْإِيمَانِ لِتَحْلِيفِ النِّصْرَانِي ، فَمِنْ
 مُطْبِئٍ وَمِنْ مُوجِزٍ ، عَلَى اخْتِلَافِ مَقَاصِدِهِمْ فَيَا قَعُ بِهِ التَّحْلِيفُ وَيُؤَافِقُ آرَاءَهُمْ
 فِيهِ . وَقَدْ رَتَّبَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَادَاتِ ابْنَ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" لَمْ أَيْمَأَنَّ عَلَى مُقْتَضَى
 آرَاءِ فِرْعَهِمِ الثَّلَاثِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذَّكْرِ : مِنَ الْمَلَكَانِيَّةِ ، وَالْيَعْقُوبِيَّةِ ، وَالنَّسَاطِرَةِ .

فأما الملكانيّة، فقال : إنَّ يَمْنَهُم : واللهِ واللهِ العظيم ، وحقَّ المسيحِ عيسى
 ابنِ مريمَ ، وأمهَ السَّيدةِ مَريمَ ، وما أعتقده من دينِ النَّصرانيّةِ ، والمِلَّةِ المِسيحيةِ .
 وإلاَّ أبرأ من المعمودية ، وأقولُ : إن ماءها نجس ، وإن القرايين رجس ، وبرئتُ
 من مَريحنا المعمدان والأناجيل الأربعة ، وقلتُ : إن متى كذوب ، وإن مريمَ
 المجدلانيّة باطلةُ الدَّعوى في إخبارها عن السيّد يسوع المسيح ، وقلتُ في السَّيدةِ
 مَريمَ قولَ اليهود ، ودينْتُ يديهم في الجُهود ، وأنكرتُ اتِّحادَ اللاهوتِ بالنَّاسوتِ ،
 وبرئتُ من الأبِّ والابنِ وروحِ القُدُس ، وكذبتُ القُسوسَ ، وشاركتُ في ذَنبِ
 الشَّمامِس ، وهدمتُ الدِّياراتِ والكنايسَ ؛ وكنتُ ممن مالَ على قُسطنطينِ بنِ
 هيلاني ، وتعمَّدَ أمهَ بالعظام ، وخالفتُ الجَماعِ التي أجمعتُ الأساقفةَ بروميّةَ
 والقُسطنطينيّةَ ، وواقفتُ البرَدَعانيَّ بأنطاكيّةَ ، وجمدتُ مذهبَ الملكانيّةِ ،
 وسفَّهتُ رأى الرُّهبانِ ، وأنكرتُ وقوعَ الصَّلبِ على السيّدِ يسوع ؛ وكنتُ مع اليهود
 حين صَلَبُوهُ ، وحدثتُ عن الحواريّين ، وأسبختُ دماءَ الدِّيرانيّين ؛ وجذبتُ رداءَ
 الكهنة عن البطريك ، وخرجتُ عن طاعة البابِ ، وضمتُ يومَ الفِصحِ الأكبرِ ،
 وقعدتُ عن أهلِ الشَّعمانين ، وأبيتُ عيدَ الصَّليبِ والفِطاس ، ولم أحفلْ بعيدِ
 السَّيدةِ ، وأكلتُ لحمَ الجملِ ، ودينْتُ يدينَ اليهود ، وأبختُ حُرمةَ الطَّلاق ، وخُنتُ
 المسيحَ في وِدْيَتِهِ ، وتزوَّجتُ في قرْنِ بامرائين ، وهدمتُ بيديّ كنيسةَ قُمامةَ ،
 وكسرتُ صليبَ الصَّليبوتِ ، وقلتُ في البُتوةَ مقالَ نُسطورس ، ووجهتُ إلى الصَّخرةِ
 وجْهِي ، وصليتُ عن الشَّرقِ المُنيرِ حيثُ كان المظْهرُ الكريمَ ، وإلاَّ برئتُ من
 النورانيين والشَّعشعانيين ، ودينْتُ غيرَ دينِ النَّصارى ، وأنكرتُ أنَّ السيّدَ يسوعَ أخيا
 الموتى وأبرأ الأَكْمَه والأبرصَ ، وقلتُ بأنّه مَربوب ، وأنّه ما رُؤي وهو مَصلوب ،
 وأنكرتُ أنَّ القُرْبانَ المقدَّسَ على المذبحِ ما صار لحمَ المسيحِ ودَمه حقيقة ، وخرجتُ

في النصرانية عن لاجِبِ الطريقة ، وإلّا قلتُ بدينِ التَّوْحِيدِ ، وتعبدتُ غيرَ الأربابِ ، وقصّدتُ بالمظانياتِ غيرَ طَرِيقِ الإخلاصِ ، قلتُ : إنّ المَعَادَ غيرُ رُوحانيّ ، وإنّ بَنِي المعمودية لا تَسِيحُ في فِسيحِ المَآءِ ، وأثبتُ وجودَ الحُورِ العِينِ في المَعَادِ ، وأنّ في الدارِ الآخرةِ التَّلَذُّذاتِ الجَنَمَانيةِ ؛ وخرجتُ خروجَ الشَّعْرةِ من العَيْنِ من دينِ النّصرانيةِ ، وأكونُ من ديني محروماً ، وقلتُ إنّ جرجسَ لم يُقتلْ مظلوماً .

وأما اليعاقبة ، فقال : إنه يُبدّلُ قوله : اتّحادُ الألهوتِ بالنَّسُوتِ بقوله : مُماسةُ الألهوتِ للنَّسُوتِ . ويُبدّلُ قوله : ووافقتُ البرذعانيّ بأنطاكية ، وجمحتُ مذهبَ المَلَكانيّةِ ويبدّلُ بقوله : وكذّبتُ يعقوبَ البرذعانيّ ، وقلتُ : إنه غيرُ نصرانيّ ، وجمحتُ اليعقوبية ، وقلتُ إنّ الحقّ مع المَلَكانيّة . ويبدّلُ قوله : وخرجتُ عن طاعة البابِ ، ويبدّلُ بقوله : وقاتلتُ بيدى عمدشيونَ ، وخرّبتُ كنيسةَ قُمامةٍ وكنتُ أوّلُ مفتونٍ .

وإن كان من النساورة أبدل القولين وأبقى ما سواهما ، وقال عوض مُماسةِ الألهوتِ للنَّسُوتِ : إشرافُ الألهوتِ على النَّسُوتِ ، ويزاد بعد ما يُحذفُ : وقلتُ بالبراءة من سُطُورس وما تَصَنَّه الإنجيلُ المقدّسُ .



وهذه نُسخة يمينِ حُلفَ عليها مَلِكُ النُّوبَةِ للسُّلطانِ الملكِ المنصورِ « قلاوون » عند استقراره نائباً عنه في بلاد النُّوبَةِ ، وهي :

واللهُ واقِعٌ واللهُ وَحَقُّ التَّالُوتِ المقدّسِ ، والإنجيلِ الطَّاهِرِ ، والسيدةِ الطَّاهِرةِ العَذراءِ أمِ النُّورِ ، والمعمودية ، والآلِئَاءِ ، والرُّسُلِ ، والحواريّينَ ، والقِدِّيسينَ ،

والشهداء الأبرار، وإلا أنجند المسيح كما مجده بودس؛ وأقول فيه ما يقول اليهود،
وأعتقد ما يعتقدونه، وإلا أكون بودس الذي طعن المسيح بالحربة - إني أخلصت
بنيتي وطوبيتي من وقتي هذا وسأعتي هذه للسلطان الملك فلان، وإني أبذل جهدي
وطاقتي في تحصيل مرضاته، وإني ما دمت نائيه لا أقطع المقرر عليّ في كل سنة
تمضي: وهو ما يفضل من مشاطرة البلاد على ما كان يحصل لمن تقدم من ملوك
النوبة، وأن يكون النصف من المتحصل للسلطان مخلصاً من كل حق، والنصف
الآخر مرسداً لهارة البلاد وحفظها من عدو يطرقها، وأن يكون عليّ في كل سنة
كذا وكذا. وإني أقدر عليّ كل نهر من الرعية الذين تحت يدي في البلاد من العقلاء
البالغين ديناراً عينا. وإني لا أترك شيئاً من السلاح ولا أخفيه، ولا أمكن أحداً
من إخفائه. ومتى خرجت عن جميع ما قررته أو عن شيء من هذا المذكور أعلاه
كله، كنت بريئاً من الله تعالى ومن المسيح ومن السيدة الطاهرة، وأخسر دين
النصرانية، وأوصلني إلى غير الشرق، وأكسر الصليب، وأعتقد ما يعتقد اليهود.
وإني مهما سمعت من الأخبار الضارة والنافعة طالعت به السلطان في وقته وساعته،
ولا أنفرد بشيء من الأشياء إذا لم يكن مصلحة. وإني ولي من وإلى السلطان
وعدو من عاداه، والله عليّ ما تقول ويكيل.

قلت: وسياق ذكر إيمان الفرنج على الهدنة عند ذكر ما أهمله في "التعريف":

من تسخيم الإيمان في آخر الباب، إن شاء الله تعالى.

الملة الثالثة

(المجوسية : وهى الملة التى كان عليها الفُرس ومن دَانَ بدينهم)

وهم ثلاثُ فرق :

الفرقة الأولى — الكيُومَرِيَّة — نسبةٌ إلى كُيُومَرْت ، ويقال : جُيُومَرْت بالجيم بدل الكاف . وهو مبدأ النسلِ عندهم كآدم عليه السلام عند غيرهم ، وربما قيل : إن كُيُومَرْت هو آدم عليه السلام . وهؤلاء أثبتوا إلهًا قديمًا وسمَّوه يزدان ، ومعناه الثور ، يعنون به الله تعالى ، وإلهًا مخلوقًا سمَّوه أهرمن ، ومعناه الظلمة ، يعنون به إبليس . ويزعمون أن سبب وجود أهرمن أن يزدان فكر في نفسه أنه لو كان له مُنازِعٌ كيف يكون ، فحدث من هذه الفكرة الرديئة أهرمن ، مطبوعًا على الشر والفتنة والفساد والضرر والإضرار ، فخرج على يزدان وخالف طبيعته ، فجرت بينهما محاربةٌ كان آخر الأمر فيها على أن أصطلح أن يكون العالم السفلي لأهرمن سبعة آلاف سنة ، ثم يخلى العالم ويسلمه ليزدان . ثم إنه أباد الذين كانوا في الدنيا قبل الصلح وأهلكهم ، وبدأ برجلٍ يقال له كُيُومَرْت ، وحيوانٍ يقال له الثور ، فكان من كُيُومَرْت البشر ومن الثور البقر وسائر الحيوان .

وقاعدة مذهبهم تعظيمُ النور ، والتحرُّزُ من الظلمة ، ومن هنا أُجبروا إلى النار فمبذوها : لما أشتمت عليه من النور . ولما كان الثور هو أصل الحيوان عندهم المُصَادِف لوجود كُيُومَرْت ، عظموا البقر حتى تعبَّدوا بأبوالها .

الفرقة الثانية — النُويَّة — وهم على رأي الكيُومَرِيَّة في تفضيل النور والتحرُّز من الظلمة ، إلا أنهم يقولون : إن الاثنين اللذين هما النور والظلمة قديمان .

الفرقة الثالثة — الزرادشتية الداثون يدين المجوسية — وهم أتباع زرادشت الذى ظهر فى زمن كيستاسف السابع من ملوك الكيانية ، وهم الطبقة الثانية من ملوك الفرس ، وأدعى النبوة وقال بوحدانية الله تعالى ، وأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ، وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما ، وأن الخير والشر والصلاح والفساد إنما حصل من أمزاجهما ، وأن الله تعالى هو الذى مزجهما لحكمة [رآها] فى التركيب ، وأنهما لو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم ، وأنه لا يزال الأمتزاج حتى يظلب النور الظلمة ، ثم يخلص الخير فى عالمه ويحط الشر إلى عالمه ، وحينئذ تكون القيامة . وقال باستقبال المشرق حيث مطلع الأنوار ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، واجتناب الخبائث . وأنى يكتب قيل صفه ، وقيل أنزل عليه . قال الشهرستانى : اسمه "زندوستا" . وقال المسعودى فى "التنبيه والإشراف" : وآم هذا الكتاب "الإيسنا" وإذا عرّب أثبت فيه قاف ف قيل : "الإيسناق" وعدد سورته إحدى وعشرون سورة ، تقع كل سورة فى مائتى ورقة ، وعدد حروفه ستون حرفا ، لكل حرف سورة مفردة ، فيها حروف تتكرر وفيها حروف تسقط . قال : وزرادشت هو الذى أحدث هذا الخط والمجوس تسميه : دين تهره ، أى كتاب الدين .

وذكر أنه كُتب باللغة الفارسية الأولى فى اثنتى عشر ألف جلد ثور بقضبان الذهب حرفا ، وأن أحدا اليوم لا يعرف معنى تلك اللغة ، وإنما نقل لهم إلى هذه الفارسية شئ من السور فى أيديهم يقرعونها فى صلواتهم : فى بعضها الخبر عن مبتدئ العالم ومتناه ، وفى بعضها مواعط . قال : وعمل زرادشت لكتاب "الإيسنا" شرحا سماه "الزند" ومعناه عندهم : ترجمة كلام الرب ، ثم عمل لكتاب "الزند" شرحا سماه : "بادزنده" وعملت علماءهم لذلك الشرح شرحا سموه : "يازده" .

ومن حيثُ اختلفَ الناسُ في كَتابِ زرادشتِ المقدم ذكره هذا : نُزِلَ عليه
أو صَنَّفَهُ قال الفقهاءُ : إنَّ لِالجُوسِ شُبُهَةً كَتابَ : لأنَّهُ غيرُ مقطوعٍ بِكَوْنِهِ
كُتَابًا مُتَرَلًّا .

وأُتِيَ زرادشتُ كِستاسف المَلِكُ بِمُعْجَزَاتٍ .

منها - أَنَّهُ أُتِيَ بِدَائِرَةٍ صَحِيحَةٍ بِغَيْرِ آلَةٍ ، وَهُوَ مَمْتَنِعٌ عِنْدَ أَهْلِ المُنْتَدِسَةِ .

ومنها - أَنَّهُ مَرَّ عَلَى أَعْمَى ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا حَشِيشَةً سَمَّاها وَيَعِصِرُوهَا
فِي عَيْنَيْهِ ، فَأَبْصَرَ . قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ : وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ المُعْجَزَةِ فِي شَيْءٍ ، إِذْ يَحْتَمَلُ
أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ خَاصَّةَ الحَشِيشَةِ .

وهم يقولون : إنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ فِي الأَوَّلِ خَلْقًا رُوحَانِيًّا ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَةُ
آلَافِ سَنَةٍ أَفْعَدَ اللهُ تَعَالَى مَشِيئَتَهُ فِي صُورَةٍ مِنْ نُورٍ مُتَلَالٍ عَلَى [تَرْكِيبِ] صُورَةِ
الإنسانِ ، وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ والأَرْضَ (وَبَنَى آدَمَ حِينَئِذٍ غَيْرَ
مَتَحَرِّكِينَ) فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ .

ثُمَّ اتَّجَسَّسَ يُفَضِّلُونَ الفُرْسَ عَلَى العَرَبِ وَسَائِرِ الأُمَمِ ، وَيُفَضِّلُونَ مَا لَهُمْ : مِنْ مُدُنٍ
وَأَبْنِيَةٍ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الأَبْنِيَةِ ، فَيُفَضِّلُونَ إِقْلِيمَ بَابِلَ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الأَقَالِيمِ ، وَمَدِينَتَهُ عَلَى
سَائِرِ المُدُنِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ أَوْشَهَنجَ أَوَّلَ طَبَقَةِ الْيَكَانِيَةِ مِنْ مُلُوكِ الفُرْسِ هُوَ الَّذِي
بَنَاهَا ؛ وَيَقُولُونَ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ ، وَلَيْسَ النَّاجُ ، وَرَفَعَ الأَعْمَالَ ،
وَرَتَّبَ الخُرَاجَ ؛ وَكَانَ مُلْكُهُ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِمِائَتِي سَنَةٍ ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَ قَبْلَ
الطُّوفَانِ .

وَيُفَضِّلُونَ الكِتَابَةَ الفَهْلَوِيَّةَ وَهِيَ الْفَارْسِيَّةُ الأَوَّلَى عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الخَطُوطِ ، وَبِرَعْمُونٍ
أَنْ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَهَا طَهْمُورْتُ : وَهُوَ الَّذِي مَلَكَ بَعْدَ أَوْشَهَنجِ المَقْدَمِ ذَكَرَهُ .

وَيَجْحُدُونَ سِيَاسَةَ بَنِي سَاسَانَ ، وَهُمْ الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ ^(١) مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ مَنُوبُونَ إِلَى سَاسَانَ . وَيَسْخَطُونَ [عَلَى] الرُّومِ ، لَفَزَوْهُمْ الْفُرْسُ وَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ بِيَلَادِ بَابِلَ . وَيَعْبُدُونَ النَّارَ ، وَيَرَوْنَ أَنَّ الْأَفْلاكَ فَاعِلَةٌ بِنَفْسِهَا ، وَيَسْتَبِيحُونَ فُرُوجَ الْحِمَارِ مِنَ الْبَنَاتِ وَالْأَمْهَاتِ ، وَيَرَوْنَ جَوَازَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عَقَائِدِهِمْ .

وَيَعْظُمُونَ النَّيْرُوزَ : وَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ سِتِّتِهِمْ وَيَعْبُدُهُمُ الْأَكْبَرُ . وَأَوَّلُ مَنْ رَتَّبَهُ جَمَشِيدُ أَخُو طَهْمُورِثَ . وَيَعْظُمُونَ أَيْضًا الْمَهْرَجَانَ : وَهُوَ عِيدٌ مَشْهُورٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ .

وَيَسْخَطُونَ [عَلَى] بِيورَاسَبَ : وَهُوَ رَابِعُ مُلُوكِهِمْ : وَهُوَ الضَّحَّاكُ يَقَالُ لَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ : الدِّهَاشُ ، وَمَعْنَاهُ عَشْرَ آفَاتٍ . وَكَانَ ظَلُومًا غَشُومًا ، سَارِ فِيمَ بِالْجَوْرِ وَالسَّيْفِ ، وَبَسَطَ يَدَهُ بِالْقَتْلِ ، وَسَنَّ الْعُشُورَ وَالْمُكُوسَ وَاتَّخَذَ الْمُتَعَيْنَ وَالْمَلَاهِيَّ ، وَكَانَ عَلَى كَيْفِهِ يَسْلَعُ مَنَاسِيْرَ مَسْتَوْرَتَانِ بَنِيَاهُ يُحَرِّكُهُمَا إِذَا شَاءَ ، فَكَانَ يَدْعِي أَنَّهُمَا حَيَّانِ ، تَهْوِيَانِ عَلَى ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ ، وَيَزْعَمُ أَنَّ مَا يَأْخُذُهُ مِنَ الرَّعْبَةِ يُطْعِمُهُ لَهَا لِيَكْفِيَهُمَا عَنِ النَّاسِ ، وَأَنَّهُمَا لَا يَنْشَبِعَانِ إِلَّا بِأَذْمِغَةِ بَنِي آدَمَ ، فَكَانَ يَقْتُلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِدْدًا كَثِيرًا مِنْ الْخَلْقِ بِهَذِهِ الْحِجَةِ . وَيَقَالُ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ .

وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ جَوْرُهُ وَظُلْمُهُ عَلَى النَّاسِ ، ظَهَرَ بِأَصْصِيَّانَ رَجُلٌ أَسْمَاهُ كَابِي ، وَيَقَالُ : كَابِيَانُ مِنْ سِفْلَةِ النَّاسِ ، قَبْلَ حَدَادَ ، كَانَ الضَّحَّاكُ قَدْ قَتَلَ لَهُ ابْنَيْنِ فَأَخَذَ كَابِيَ الْمَذْكُورَ دِرْفَسًا وَهُوَ الْحَرَبُ وَعَلَّقَى بِأَعْلَاهَا قِطْعَةً نَطَعَ كَانَ يَتَّقِي بِهَا النَّارَ ،

(١) فِي "البر" ج ٢ ص ١٦٩ أَنَّهَا الرَّابِعَةُ .

ونادى في الناس بمحاربة الضحّاك ، فأجابهُ خلقٌ كثيرٌ ، وأستفحل أمرُهُ ، وقصدَ الضحّاكُ بمن معه ، فهرب الضحّاكُ منه ، فسأله الناسُ أن يَمْلِكُ عليهم ، فامتنع لكونه من غير بيتِ المُلْكِ ، وأشار بتولية إفريدون من عقب جمشيد المقدم ذكره ، فولّوه ، فتبع الضحّاكُ قبضَ عليه وقتله ، وسار فيهم بسيرة العدل وردّ ما اغتصبه الضحّاكُ إلى أهلِهِ ، فصار لكاتبُ المذكور عندهم المقامُ الأعلى ، وعظّموا درجَتَهُ الذي علق به تلك القطعة من النّطع ، وكلّوه بالجواهر ، ورصّعوه بالياقوت ، ولم يزل عند ملوكهم يستفتحون به في الحروب العظيمة حتّى كان معهم أيام يزدجرد آخر ملوكهم عند محاربة المسلمين لهم في زمن عثمان ، فغلبهم المسلمون وأقتلوه منهم .

وهم يعظمون إفريدون ملكهم المقدم ذكره ، لقيامه في هلاك الضحّاك وقتله . وفي أوّل ملك إفريدون هذا كان إبراهيم الخليل عليه السلام . ويقال : إنه ذوالقرنين المذكور في القرآن الكريم .

وهم يعظمون أيضا من ملوكهم سابور الملقّب بذي الأكتاف ، لأخذه بنار الحِجَم من العرب . وذلك أنه كان يتبع العرب بالجزيرة الفُرائيّة وما جاورها ، وسار في طلبهم حتّى بلغ البحرين ، لُيْلَهم قتلا ، لا يقبلُ من أحدٍ منهم فداءً ، ثم أخذَ في خَلج أكتافهم ، فلذلك سُمّي ذا الأكتاف .

ويعظمون ماني بن قاتن ^(١) : وهو رجلٌ ظهر في زمن سابور بن أردشير بعد عيسى عليه السلام ، وأدعى النبوة وأحدث دينًا بين المجوسية والنّصرانية . وكان يقول : بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، وقال : إنّ العالم

(١) في "الملل" ابن فاطك بالكاف .

مَصْنُوعٌ مِنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ ، وَإِنِّهَما لَمْ يَزَالَا قَدِيمَيْنِ حَسَّاسَيْنِ سَمِيعَيْنِ بَصِيرَيْنِ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يَعْرِفُونَ بِالنَّارِ وَالنُّورِ .

وَيَتَّبِعُونَ مِنْ مَزْدَك : وَهُوَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ مَنْسُوبٌ عَنْهُمْ إِلَى الزُّنْدَقَةِ أَيْضًا ، ظَهَرَ فِي زَمَنٍ قُبَادُ أَحَدِ مُلُوكِ الْفُرسِ مِنَ الْأَكْاسِرَةِ ، وَأَدَّعَى النُّبُوَّةَ وَنَهَى عَنِ الْمَخَالَفَةِ وَالْمُبَاغَضَةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ النِّسَاءِ وَالْمَالِ ، فَأَمَرَ بِالْإِسْتِرَاكِ وَالْمَسَاوَةِ فِيهِمَا ، وَتَبِعَهُ قُبَادُ عَلَى ذَلِكَ ، فَوَصَلَتْ سِفْلَةُ الرِّجَالِ إِلَى أَشْرَافِ النِّسَاءِ ، وَحَصَلَ بِذَلِكَ مَقْسَدَةٌ عَظِيمَةٌ . وَكَانَ يَقُولُ : إِنَّ النُّورَ عَالِمٌ حَسَّاسٌ ، وَالظُّلَامَ جَاهِلٌ أَعْمَى ، وَالنُّورُ يَفْعَلُ بِالْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَالظُّلْمَةُ تَفْعَلُ عَلَى الْخَطِّ وَالْإِتْفَاقِ ، وَإِنَّ أَمْتَرَجَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ كَانَ بِالْإِتْفَاقِ وَالْخَطِّ دُونَ الْقَصْدِ وَالْإِخْتِيَارِ ، وَكَذَلِكَ الْخِلَاصُ . وَلَهُ أَتْبَاعٌ يَقَالُ لَهُمُ الْمَزْدَكِيَّةُ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ شِرْوَانُ بْنُ قُبَادَ هُوَ وَأَتْبَاعُهُ ، وَقَتَلَ مَعَهُمُ الْمَسَائِيَّةُ أَتْبَاعَ مَائِي الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَعَادَتْ الْفُرسُ إِلَى الْمَجُوسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ .

وَقَدْ رَتَّبَ فِي "التَّعْرِيفِ" لِلْمَجُوسِ مِثْلًا عَلَى مَقْتَضَى مَا عَلَيْهِ عَقِيدَةُ الْمَجُوسِ أَتْبَاعَ زَرَادَشْتِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَهِيَ :

إِنِّنِي وَإِلَهِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ ، الْقَدِيمِ ، النُّورِ ، الْأَوَّلِ ، رَبِّ الْأَرْبَابِ ، وَإِلَهِ الْإِلَهِةِ ، مَا حَى آيَةُ الظُّلْمِ ، وَالْمَوْجِدِ مِنَ الْعَدَمِ ، مُقَدِّرِ الْأَفْلاكِ وَمُسَيِّرِهَا ، وَمُنُورِ الشُّبُهَاتِ وَمُصَوِّرِهَا ، خَالِقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَمُنِيتِ النُّجُومِ وَالشَّجَرِ ، وَالنَّارِ وَالنُّورِ ، وَالظِّلِّ وَالْحَرُورِ ، وَحَقِّ جُيُومَرْتِ وَمَا أَوْلَدَتْ مِنْ كِرَامِ النَّسْلِ ، وَزَرَادَشْتِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقَوْلِ الْفَصْلِ ، وَالزُّنْدِ وَمَا تَضَمَّنَتْهُ ، وَالْخَطِّ الْمُسْتَدِيرِ وَمَائِي . وَإِلَّا أَنْكَرْتُ أَنَّ زَرَادَشْتِ لَمْ يَأْتِ بِالْدَائِرَةِ الصَّحِيحَةِ بَعْدَ آلِهِ ، وَأَنَّ مَمْلَكَةَ إِنْفَرِيدُونَ كَانَتْ ضَلَالَةً ، وَأَكُونُ

قد شاركت بيوراسب فيما سفك طُعماً لحَيَّته، وقلتُ إن كبايان لم يُسلط عليه ؛
 وحرقتُ بيدي الدرقس ، وأنكرتُ ما عليه من الوضْع الذي أشرقت عليه أجرام
 الكواكب ، وتمازجت فيه القُوَى الأرضية بالقُوَى السماوية ، وكذبتُ ما نِي وصَدَقْتُ
 مزدك ، وأسَبَحْتُ فضُول الفُروج والأموال ، وقلتُ بانكار الترتيب في طبَقات
 العالم ، وأنه لا مَرَجِع في الأَبَوة إلَّا إلى آدَمَ ، وفضلتُ العَرَبَ على العَجَم ، وجعلتُ
 الفُرس كسائر الأمم ، ومسحتُ بيدي خطوطَ الفَهْلَوِيَّة ، ومجددتُ السِّيَاسَةَ
 السَّاسَانِيَّة ، وكنتُ مَن غزا الفُرس مع الرُّوم ، ومن خطًّا سابور في خَلع أَكُف
 العَرَب ، وجلبتُ البلاءَ إلى بابل ، ودنْتُ بنيردين الأوائِل ؛ وإلَّا أطفأتُ النار ،
 وأنكرتُ فِعْل الفلكِ الدَّوَّار ؛ ومألأتُ فاعِلَ اللَّيْلِ على فاعِلِ النَّهَار ، وأبطلتُ حُكْمَ
 التَّيروزِ والمهرجان ، وأطفأتُ ليلَةَ الصَّدَقِ مَصَابِيحِ النِّيران ؛ وإلَّا أكونُ مَن حَرَمَ
 فُروجِ الأمهات ، وقالَ بأنَّه لا يجوزُ الجَمْعُ بين الأخوات ؛ وأكونُ مَن أنكرَ صَوَابَ
 فِعْلِ أردشير ، وكنتُ لقَوى مَنسَ المولى وبُئسَ العَشير .

المهيع الثالث

(في الأيمان التي يُخلف بها الحكماء)

وهم المعبر عنهم بالفلاسفة، جَمْعُ فَيْلسُوفٍ : ومعناه باليونانية مُحِبُّ الحِكْمَةِ .
 وأصله فيلاسُوف ، فصيلاً معناه مُحِبٌّ ، وسُوفُ معناه الحِكْمَةُ ، وهم أصحاب الحكم
 الفَرِيزِيَّة والأحكام السماوية ، فمنهم مَن وقف عند هذا الحدِّ ، ومنهم من عَرَفَ اللهَ
 تعالى وعَبَدَه بِأَدَبِ النَّفْسِ .

قال الشهرستاني : وهم على ثلاثة أصناف :

الصِّنف الأول — البراهمة ، وهم لا يُقِرُّون بالنُّبُوت أصلاً ، ولا يقولون بها .

[الصِّنفُ الثاني — حكماء العرب^(١)] ، وهم شِرْذِمَةٌ قَلِيلَةٌ ، وأكثرِ حِكْمَتِهِمْ قَلَّتْ أَلْطَبُحُ ، وَخَطَرَاتُ الْفِكْرِ ، وَهَؤُلَاءِ رَبَّمَا قَالُوا بِالنَّبَوَاتِ .

[الصِّنفُ الثالث — حكماء الروم^(١)] ، وهم على ضربين :

الضرب الأول

(الْقُدَمَاءُ مِنْهُمْ الَّذِينَ هُمْ أَسَاطِينُ الْحِكْمَةِ)

وهم سَبْعَةٌ حُكَمَاءُ : ثَالِيسُ الْمَلَطِي ، وَانْكساغورس ، وَانْكسمانس ، وَابْنَادِيْقْلِسُ^(٢) ، وَفِيثاغورس ، وَسُقْرَاطُ ، وَأَفْلَاطُونُ . وَمِذَاهِبُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ ، وَبَعْضُهُمْ حَاصِرُ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَتَقَفَّ مِنْهُ ، كَانْبَادِيْقْلِسُ : كَانَ فِي زَمَنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَعْنَى إِلَيْهِ وَتَلَقَّى عَنْهُ ، وَاخْتَفَى إِلَى لُقْمَانَ وَآقْتَسَ مِنْهُ الْحِكْمَةَ . وَكَذَلِكَ فِيثاغورس : كَانَ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَخَذَ الْحِكْمَةَ مِنْ مَعْدِنِ النَّبَوَةِ .

الضرب الثاني

(الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْهُمْ ، وَهُمْ أَصْحَابُ أَرِسْطَاطَالِيْسٍ ، وَهُمْ ثَلَاثُ طَوَائِفَ)

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تُعْرَفُ بِالْمَشَائِينِ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانُوا يَمْتَشُونَ فِي رِكَابِهِ يَقْرَعُونَ عَلَيْهِ الْحِكْمَةَ فِي الطَّرِيقِ وَهُوَ رَاكِبٌ . وَطَائِفَةٌ تُعْرَفُ بِالرُّوَاقِيْنَ : وَهُمْ الَّذِينَ كَانَ يَجْلِسُ لَتَعْلِيمِهِمْ بِالرُّوَاقِ . وَالطَّائِفَةُ الثَّالِثَةُ فَلَا سِفَةَ الْإِسْلَامِ : وَهُمْ حُكَمَاءُ الْعَجَمِ . أَمَّا قَبْلَ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ عَنِ الْعَجَمِ مَقَالَةٌ فِي الْفَلَسَفَةِ ، بَلْ حِكْمَتُهُمْ كُلُّهَا كَانَتْ مُسْتَفَادَةً

(١) الزيادة عن الشهرستاني بالمعنى ليستقيم الكلام .

(٢) في المال والنمل : ابْنَادِيْقْلِسُ .

من الثبوتات : إما من الملة القديمة ، وإما من غيرها من الملل . ومعتقدهم أن الله تعالى واجب الوجود لذاته ، وأنه ليس بجوهر ولا عرض ، وأن ما سواه صادر عنه على ترتيب ، وأنه تعالى واحد قُدُّ ، ليس له شريك ولا نظير ، باقي أيدي سرمدى ، وأنه الذى أوجد الأشياء وكونها ، ويعبرون عنه بعلّة العلل ، وأنه قادر ، يفعل إن شاء ولا يفعل إن لم يشأ ، فاعل بالذات ليس له صفة زائدة على ذاته ، صريد له ، إرادة وعناية لا تريد على ذاته ، وأنه أول لا بداية له ، آخر لا نهاية له ، وأنه يستحيل أن يتغير، مرّة عن أن يكون حادثاً أو عرضاً للحوادث ، حتى متصف بصفات البقاء السرمديّة ، وأنه حكيم بمعنى أنه جامع لكل كمال وجلال ، وأنه خالق الأفلاك بقدرته ، ومديرها بحكمته ، ويقولون : إن الأرض ثابتة لا تحرك ، والماء محيط بها من سائر جهاتها على ما اقتضته الحكمة الإلهية ، وكشف بعض أعلاما لسكنى الخلق فيه ، فهي كيطيخة ملقاة في ركة ماء ، ويحيط بالماء الهواء ، ويحيط بالهواء النار ، ويحيط بالنار فلك القمر وهو الأول ، ويحيط بفلك القمر فلك عطارد وهو الثانى ، ويحيط بفلك عطارد فلك الزهرة وهو الثالث ، ويحيط بفلك الزهرة فلك الشمس وهو الرابع ، ويحيط بفلك الشمس فلك المريخ وهو الخامس ، ويحيط بفلك المريخ فلك المشتري وهو السادس ، ويحيط بفلك المشتري فلك زحل وهو السابع ، ويحيط بفلك زحل فلك الكواكب وهو الثامن ، وهو الذى فيه الكواكب الثابتة بأسرها ، وهى ما عدا الكواكب السبعة التى فى الأفلاك السبعة المقدم ذكرها : من البروج الاثني عشر ومنازل القمر الثمانية والعشرين وغيرها . ويحيط بالكواكب الفلك الأطلس وهو الفلك التاسع ، والأفلاك التسعة دائرة بما فيها من المشرق إلى المغرب ، بحيث تقطع فى اليوم واليلة دورة كاملة ، والكواكب السبعة

التي في الأفلاك السبعة الأولى ، وهي : زُحَل ، والمُشْتَرَى ، والمِرْيَخ ، والشَّمْس ،
والزُّهْرَة ، وعُطَارِد ، والقَمَر ، متحركةٌ بالسَّيْر إلى جهاتٍ مخصوصة : الشَّمْس والقَمَرُ
يسيران بين المَشْرِق والمَغْرِب وبِقِيَّة الكواكب يختلف سَيْرُها استقامةً ورُجوعاً ،
والكواكب التي في الفَلَك الثامن ثابتةٌ لا تتحرك ، والله تعالى هو الذي يُسَيِّر هذه
الأفلاك والكواكب ويُفِيض القُوَى عليها .

ويقولون : إن الشمس إذا تَخَنَّت الأرض بواسطة الضَّوء صَعِدَ من الرُّطْب
منها بُخَارٌ ، ومن البَارِد اليَاسِ دُخَانٌ . ثم بعضُه يخرجُ من مَسَامِ الأرض فيرتفع
إلى الجَوِّ ، وبعضُه يَحْتَبِيسُ في الأرض بوجود ما يمنعه من الخروج منها : من جبل
ونحوه .

فأما ما يخرج من مَسَامِ الأرض ، فإن كان من البُخَار ، فما تصاعد منه في الهواء
يكون منه المطرُ والتَّلُج والبرَد وقُوسُ قُزَح والمهالة ؛ ثم ما ارتفع من الطبقة الحازة من
الهواء إلى الباردة تكاثف بالبرَد وأنعقد غَيِّماً ، وإن كان ضعيفاً أثَّرت فيه حرارةُ
الشمس فاستحال هَوَاءً ، ومهما آتته إلى الطَّبقة الباردة تكاثف وعادَ وتقاطر وهو
المطر . فإن أدركها برَدٌ شديدٌ قبل أن تجتمع ، جمَدَتْ ونزلت كالقُطُن المندوف وهو
التَّلُج ، وإن لم تدرِكها برودةٌ حتى أَجتمعت قَطراتٌ من الجوانب أذهبت برودتها ،
أنعقدت برَدًا ، وإذا صار الهواء رَطْبًا بالمطر مع أدنى صَقَالَةٍ ، صار كالمرأة فيتولد من
ضَوْءِ الشمس الواقع في قفاه قُوسٌ قُزَح ، فإن كان قبل الزوال رُؤى في المغرب ،
وإن كان بعد الزوال رُؤى في المَشْرِق ، وإن كانت الشمس في وَسَطِ السماء لم يُمكن
أن يَرى إلا قُوساً صغيراً إن اتَّفَق . وفي معنى ذلك المهالة المحيطة بالقَمَر ، إلا أنَّ
المهالة إنما تحصل من مجرد برودة الهواء وإن لم يكن مطر .

وإن كان ما يخرج من مَسَامِ الأرض دُخَانًا : فإن تصاعدَ وارتفع في وَسَطِ البَخَارِ وضربه الرِّيحُ في ارتفاعه ، تَقُلُّ وَاَتَكْسُ حُرَّكَ الهواءُ فحصل الرِّيحُ . وإن لم يَضْرِبْهُ الرِّيحُ ، تصاعد إلى عُنْصُرِ النارِ واشتعلت النارُ فيه فصار منه نارٌ تشاهد ، وربما استطلَّ بحسب طولِ الدُّخَانِ فيسمى كوكبا منقُضًا . وإن كان الدُّخَانُ كَثِيفًا واشتعل بالنار ولكنّه لم يَسْتَعِلْ على القُربِ ، بل بقي زمانا ، رُؤِيَ كأنه كوكبٌ ذو ذَنَبٍ . وإن بقي شيءٌ من الدخان في تضاعيف الغيمِ وبردَ ، صار رِيحًا في وَسَطِ الغيمِ فيحركُ فيه بشدة فيحصل منه صَوْتٌ وهو الرعدُ ، فإن قَوِيَتْ حركته اشتعل من حرارة الحركة الهواءُ والدُّخَانُ فصار نارًا مُضِيئَةً وهو البرقُ . وإن كان المُشْتَعِلُ كَثِيفًا تَقِيلًا مُحَرِّقًا ، أَدْفَعُ بمصادفة الغيمِ إلى جِهَةِ الأرضِ وهى الصاعقة :

(صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) .

وَيَقْرُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُكَوِّنُ الْأَكْوَانِ ، وَمُنْيُ الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ .

فأما المعادنُ — فهى التى تتكوَّنُ فيها جواهرُ الأرضِ : من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وغيرهما . وذلك أن البَخَارَ والدُّخَانِ فى الأرضِ فإنها [إن] تجتمعُ وتخرجُ ، فإن غلب الدُّخَانُ كان الحاصلُ منه مثلُ النُّوَادِرِ والكِبْرِيتِ ، وربما تغلبَ البخارُ فى بعضه فيصيرُ كالماءِ الصَّافِىِ المنعقدِ المتحجِّجِ ، فيكونُ منه الياقوتُ والبُلُورُ ونحوه ممَّا لا يتطرقُ تحْتِ المطَّارِ . وإن استحكمتْ أمْتِزَاجُ الدخانِ منه بالبَخَارِ وَقَلَّتْ الحرارةُ المحققة فى جواهرها ، أُنْعَدَ منه الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ والنَّحاسُ والرَّصَاصُ ونحوها ممَّا يتطرقُ بالمطرقة .

وأما النبات — فانهم يقولون : إن العنصر قد يقعُ بها أمْتِزَاجٌ واختلاطٌ أتمُّ من أمْتِزَاجِ البَخَارِ والدُّخَانِ المقتم ذكره ، وأحسنُ وأقربُ إلى الاعتدالِ ، فيحصلُ من ذلك الثَّمَرُ الذى لا يكون فى الجمادات .

وينشأ عن ذلك ثلاثة أمور :

أحدها — التغذية بقوة مغذية : وهي قوة محيلة للغذاء تتخلع عنها صورتها وتكسوها صورة المتغذى ، فتنشأ في أجزائه وتلتصق به وتسد مسد ما تحلل من أجزائه .

وثانيها — التنمية بقوة مُبْيِية ، بأن يزيد الجسم بالغذاء في أقطاره على تناسب اللائق بالنامى حتى ينتهى إلى مُنتهى ذلك الشيء .

وثالثها — التوليد بقوة مولدة : وهي التي تفصل جسماً من جسم شبيه به .

وأما الحيوان — فإنهم يقولون إن تكوّنه من مزاج أقرب إلى الاعتدال وأحسن من الذى قبله ، من حيث إن فيه قوة النباتية وزيادة قوتين ، وهما المدركة والمتحركة ، ومهما حصل من الإدراك اتبعت الشهوة والتروع ، وهو إما لطلب ما يحتاج إليه فى طلب الملائم الذى به بقاء الشخص : كالغذاء ، أو بقاء النوع : كالجماع ، ويسمى قوة شهوانية . وإما للهرب ودفع المنافى ، وهي قوة غضبية ، فإن ضمنت القوة الشهوانية فهو الكراهة ، وإن ضمنت القوة الغضبية فهو الخوف .

والقوة المدركة تنقسم إلى باطنة : كالخالية والمنوّهة والذاكرة والمفكرة ، وإلى ظاهرة : كالسمع والبصر والذوق والشم واللس . فاللس قوة منبهة فى جميع البشرة ، تدرك الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والصلابة واللين والخشونة والملآسة والخفة والثقّل . والشم فى زائدتى الدماغ الشبهتين بحامتى الثدي . والسمع فى عصبه فى أقصى الصماخ . والذوق فى عصبه مفروشة على ظاهر اللسان بواسطة الرطوبة العذبة التى لا طعم لها ، المنبسطة على ظاهر اللسان . والإبصار يحصل عن أنطباع مثل صورة المدرك فى الرطوبة الجليدية التى تُشبه البرد والجند فإنها كالمرآة ، فإذا قابلها يكون أنطبع فيها مثل صورته فتحصل الرؤية .

وَيَرَوْنَ أَنَّ النَّفْسَ مَحَلُّهَا الْعُلُو . ويقولون : إنَّ النَّفْسَ فِي أَوَّلِ الصَّبَا تَكُونُ عَالِمَةً بِالْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرُودَةِ وَالْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ بِالْقُوَّةِ ، ثُمَّ تَصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ عَالِمَةً بِالْفِعْلِ .

ثم إنَّ سَعِدَتَ بِالْإِسْتِمْدَادِ لِلْقَبُولِ ، انْقَطَعَتْ حَاجَتُهَا عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْبَدَنِ وَمُقْتَضَى الْخَوَاسِّ ، إِلَّا أَنَّ الْبَدَنَ لَا يَزَالُ يَحَاجِبُهَا وَيُسْقِلُهَا وَيَمْتَنِعُهَا مِنْ تِمَامِ الْإِتِّصَالِ بِالْعُلُوبَاتِ ، فَذَا انْحَطَّ عَنْهَا شُغْلُ الْبَدَنِ بِالْمَوْتِ آرْتَفَعَ عَنْهَا الْحِجَابُ ، وَزَالَ الْمَانِعُ ، وَدَامَ الْإِتِّصَالُ ، وَكُلُّ حَالِهَا بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ ، وَالتَّدْتُّ بِهِ لَدَّةٌ لَا يَذُرُّكَ الْوَصْفُ كُنْهًا . وَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ مَحْجُوبَةً عَنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ فَقَدْ شَقِيَتْ .

وعندهم أنه إنما تُحْجَبُ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، وَقَصْرِ الْهَمَةِ عَلَى مُقْتَضَى الطَّبْعِ ، وَبَاقِيَّتِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْخَاسِيسِ الْفَانِي ، فَتَرْتَجُّ فِي نَفْسِهِ تِلْكَ الْعَادَةُ وَيَتَأَكَّدُ شَوْقُهُ إِلَيْهَا ، فَتَقُوتُ بِالْمَوْتِ آلَةٌ دَرَكِ ذَلِكَ الشَّوْقِ وَيَبْقَى التَّشَوُّقُ وَهُوَ الْأَلَمُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا حَدَّ لَهُ ، وَذَلِكَ مَانِعٌ مِنَ الْوَصَالِ وَالْإِتِّصَالِ . وَهَذِهِ النَّفْسُ نَاقِصَةٌ بِفَقْدِ الْعِلْمِ ، مُلْطَمَةٌ بِاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ، بِخِلَافِ النَّفْسِ السَّابِقَةِ .

ويقولون : إنَّ الْهَيُولَى قَابِلَةٌ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَيُخَالِفُونَ أَهْلَ الطَّبِيعَةِ فِي قَوْلِهِمْ : بِانْكَارِ الْمَعَادِ وَقَنَاءِ الْأَرْوَاحِ ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ بَاقِيَةٌ وَأَنَّ الْمَعَادَ حَقٌّ .

وَيَرَوْنَ أَنَّ التَّحْسِينَ وَالتَّفْخِيمَ رَاجِعَانِ إِلَى الْعَقْلِ دُونَ الشَّرْعِ ، كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْمُتَعَتِّلَةِ وَغَيْرِهِمْ .

ويقولون : إنَّ الْإِلَهَ تَعَالَى فَاعِلٌ بِالذَّاتِ لَيْسَ لَهُ صِفَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى ذَاتِهِ ، عَالِمٌ بِذَاتِهِ وَبَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْمَوْجُودَاتِ وَأَجْنَاسِهَا ، لَا يَعْزُبُ عَنْ حِلْمِهِ شَيْءٌ ، وَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْمُحْكَمَاتِ الْحَادِثَةَ .

ويقولون بإثبات النبوات لأن العالم لا ينظم إلا بقانون متبوع بين كافة [الناس] يحكمون به بالعدل ، وإلا تقاتلوا وهلك العالم ، إذ النبي هو خليفة الله في أرضه ، بواسطته تنهى إلى الخلق الهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة ، من حيث إنه يتلقى عن الملك والملك يتلقى عن الله تعالى ، إلا أنهم يقولون : إن النبوات غير متناهية وإنما مكتسبة ينالها العبد بالرياضات . وهاتان المقتان من جملة ما كفروا به : تجوز النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الذى أخبر تعالى أنه خاتم النبيين ، وقولهم إنها تنال بالكسب .

وقد حكى الصلاح الصفدى في "شرح لامية العجم" أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إنما قتل عمارة النيني الشاعر ، حين قام فيمن قام بإحياء الدولة الفاطمية بعد انقراضها ، على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب مملكة الديار المصرية في المقالة الثانية ، مستنداً في ذلك إلى بيت نسب إليه من قصيدة ، وهو قوله :

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الأمم

فجعل النبوة مكتسبة ^(١) على أن الله تعالى ليس يحسم ولا جسماني ، وأنه ليس في جهة ولا يدخل تحت الحد والمناهية .



وهذه نسخة يمين رتبها لهم في "التعريف" وهي :

إني والله والله والله [العظيم] ، الذى لا إله إلا هو ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الأبدى ، السرمدي ، الأزلي ، الذى لم يزل علة العلل ، رب الأرباب ،

(١) يباح في الأصل ، ولله « وهم مجمعون على أن » الخ .

(٢) الزيادة من التعريف ص ١٦٢ .

وَمُدَبِّرُ الْكُلِّ [الْقَدِيرُ] الْقَدِيمُ ؛ الْأَوَّلُ بِلا بَدَايَةٍ ، وَالْآخِرُ بِلا نِهَايَةٍ ، الْمُنْتَزِعُ عَنْ
 أَنْ يَكُونَ حَادِثًا أَوْ عَرَضًا لِلْحَوَادِثِ ، الْحَيُّ الَّذِي أَتَّصَفُ بِصِفَاتِ الْبَقَاءِ وَالسَّرْمَدِيَةِ
 وَالْكَمَالِ ، وَالْمُنْتَزِعُ بِرَدَاءِ الْكِبَرِيَاءِ وَالْجَلَالِ ؛ مُدَبِّرُ الْأَفْلاكِ وَمُسِيرُ الشُّهُبِ ، مُفِيضُ
 الْقُوَى عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَبَاطِنُ الْأَرْوَاحِ فِي الصُّوَرِ ، مَكُونُ الْكَائِنَاتِ ، وَمُتَمِّمُ
 الْحَيَوَانِ وَالْمَعْدِنِ وَالنبات . وَإِلَّا فَلَا رَقِيتُ رُوحِي إِلَى مَكَانِهَا ، وَلَا أَتَّصَلْتُ نَفْسِي
 بِعَالِمِهَا ، وَبَقِيتُ فِي ظُلْمِ الْجَهَالَةِ وَحُجُبِ الضَّلَالَةِ ، وَفَارَقْتُ نَفْسِي غَيْرَ مُرْتَسِمَةٍ
 بِالْمَعَارِفِ وَلَا مُتَكَلِّمَةٍ بِالْعِلْمِ ، وَبَقِيتُ فِي عَوَزِ النِّقْصِ وَتَحْتَ إِمْرَةِ النِّقْصِ ، وَأَخَذْتُ
 بِنَصِيبٍ مِنَ الشُّرْكِ ، وَأَنْكَرْتُ الْمَعَادَ ، وَقَلْتُ بَقَاءَ الْأَرْوَاحِ ، وَرَضِيتُ فِي هَذَا بِمَقَالَةٍ
 أَهْلِ الطَّبِيعَةِ ، وَدُمَمْتُ فِي قَيْدِ الْمَرْبِجَاتِ وَشِوَاغِلِ الْحَسِّ ، وَلَمْ أُدْرِكِ الْحَقَائِقَ عَلَى
 مَا هِيَ عَلَيْهِ ؛ وَإِلَّا فَقُلْتُ : إِنْ الْهَيَوَاتِي غَيْرُ قَابِلَةٍ لِتَرْكِيبِ الْأَجْسَامِ ، وَأَنْكَرْتُ الْمَادَّةَ
 وَالصُّورَةَ ، وَخَرَفْتُ النَّوَامِيسَ ، وَقُلْتُ : إِنْ التَّحْسِينَ وَالتَّقْيِيعَ إِلَى غَيْرِ الْعَقْلِ ،
 وَخُلِدْتُ مَعَ النُّفُوسِ الشَّرِّيرَةِ ، وَلَمْ أَجِدْ سَبِيلًا إِلَى النِّجَاةِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْإِلَهَ لَيْسَ
 فَاعِلًا بِالذَّاتِ ، وَلَا عَالِمًا بِالْكُلِّيَّاتِ ، وَدِنْتُ بِأَنَّ النَّبَوَاتِ مُتَنَاهِيَةٌ وَأَنَّهَا غَيْرُ كَسْبِيَّةٍ ،
 وَحَدَّثْتُ عَنْ طَرَائِقِ الْحِكْمَاءِ ، وَتَقَضَّيْتُ تَقْرِيرَ الْقَدَمَاءِ ، وَخَالَفْتُ الْفَلَّاسِفَةَ ،
 وَوَاقَفْتُ عَلَى إِفْسَادِ الصُّوَرِ لِلْعَبَثِ ، وَحَيْرَتُ الرَّبِّ فِي جِهَةِ ، وَأَثْبَتُ أَنَّهُ جِسْمٌ ،
 وَجَعَلْتُهُ فِيمَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَدِّ وَالْمَاهِيَةِ [وَرَضِيتُ بِالتَّقْلِيدِ فِي الْاُكُولُومِيَةِ ^(١)] .

المهيع الرابع

(في بيان المحلوف عليه ، وما يقع على العموم ، وما يختص به كل واحد من أرباب الوظائف مما يناسب وظيفته)

اعلم أن المحلوف عليه في الأيمان الملوكة تارة يشترك فيه جميع من يحلف من أهل الدولة ، وتارة يختلف باختلاف ما يتأزر به بعضهم عن بعض مما لا تقع الشركة بينهم فيه .

فأما ما يقع فيه الاشتراك ، كطاعة السلطان وما في معناها : من إخلاص النية وإصفاء الطوية ، وما يجري مجرى ذلك ، فذلك ما يشترك فيه كل حالف يحلف للسلطان على اختلاف عقائدهم : من مسلم : سني أو بدعي ، وكافر : يهودي أو نصراني ، أو غيرهما . فكل أحد يحلف بما تقتضيه عقيدته في التعظيم ، على ما تقدم بيانه في أيمان الطوائف كلها .

فإذا انتهى إلى المحلوف عليه ، قال : إني من وقفي هذا ومن ساعتي هذه وما مد الله في عمري قد أخلصت نيتي ولا أزال مجتهدا في إخلاصها ، وأصفيت طويتي ولا أزال مجتهدا في إصفائها ، في طاعة مولانا السلطان المالك الملك الفلاني فلان الدين والدين فلان ، ابن السلطان السعيد الشهيد الملك فلان الدنيا والدين فلان خلد الله تعالى ملكه ، وفي خدمته وحبته ونصحه ، وأكون وليا لمن وآله ، عدوا لمن عاداه ، سائبا لمن ساله ، حربا لمن حاربه من سائر الناس أجمعين ، لا أضمر له سوما ولا مكروها ولا خديعة ولا خيانة ، في نفيس ولا مالي ولا ملك ولا سلطنة ولا عساکر ولا جنود ولا عربان ولا تركيكان ولا أكرايد ولا غير ذلك ، ولا أسعى في تفريق كلمة أحد منهم عن طاعته الشريفة . وإني والله العظيم أبذل جهدي

وطَاقَتِي فِي طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ فَلَانِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ الْمَشَارِإِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَتْنِي أَحَدٌ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بِمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ عَلَى مُلْكِهِ لَا أُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ وَلَا عَمَلٍ وَلَا نِيَّةٍ ، وَإِنْ قَدَرْتُ عَلَى إِمْسَاكِ الَّذِي جَاءَنِي بِالْكَتَابِ أَمْسَكْتُهُ وَأَحْضَرْتُهُ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ فَلَانِ الْمَشَارِإِلَيْهِ أَوْ لِنَائِبِهِ الْقَرِيبِ مِنِّي .

وَأَمَّا مَا يَقَعُ فِيهِ الْاِخْتِلَافُ فَهَذَا يَتَبَيَّنُ الْحَالُ فِيهِ بِاِخْتِصَاصِ رَبِّ كُلِّ وَظِيفَةٍ بِمَا لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ الْآخَرُ . وَقَدْ أَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى تَنْبِيْهِ مِنْ ذَلِكَ قَال : وَقَدْ يُزَادُ تَوَابُ الْقِلَاعِ وَتُبَاؤُهَا وَالْوُزَرَاءُ وَأَرْبَابُ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ وَالِدَوَادِرِيَةِ وَكُتَّابُ السَّرَرِ زِيَادَاتٍ ، يَعْنِي عَلَى مَا تَقَدَّمَ .

فَأَمَّا تَوَابُ الْقِلَاعِ وَتُبَاؤُهَا فَيُزَادُ فِي تَحْلِيفِهِمْ : وَإِنِّي أَجْمَعُ رِجَالَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ عَلَى طَاعَةِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ وَخِدْمَتِهِ فِي حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ وَحِمَايَتِهَا وَتَحْصِينِهَا ، وَالذَّبِّ عَنْهَا ، وَالْجِهَادِ دُونَهَا ، وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ . وَإِنِّي أَحْفَظُ حَوَاصِلَهَا وَذَخَائِرَهَا وَسِلَاحَ خَانَتِهَا عَلَى اِخْتِلَافِ مَا فِيهَا مِنْ الْأَقْوَاتِ وَالْأَسْلِحَةِ . وَإِنِّي لَا أُخْرِجُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا فِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ الْمَتَعِينَ فِيهَا تَفْرِيقُ الْأَقْوَاتِ وَالسِّلَاحِ ، عَلَى قَدَرِ مَا تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ . وَإِنِّي أَكُونُ فِي ذَلِكَ كَوَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُنِي كَوَاحِدٍ مِنْ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ ، لَا أَتَخَصَّصُ وَلَا أَمْكُنُ مِنَ التَّخْصِيسِ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا أَفْتَحُ أَبْوَابَ هَذِهِ الْقَلْعَةِ إِلَّا فِي الْأَوْقَاتِ الْجَارِيَةِ بِهَا عَادَةُ فَتْحِ أَبْوَابِ الْحُصُونِ ، وَأَغْلِقُهَا فِي الْوَقْتِ الْجَارِيِ بِه الْعَادَةُ ، وَلَا أَفْتَحُهَا إِلَّا بِسَمْسٍ ، وَلَا أَغْلِقُهَا إِلَّا بِسَمْسٍ . وَإِنِّي أَطَالِبُ الْحُرَّاسَ وَالِدَرَجَةَ وَأَرْبَابَ التَّوْبِ فِي هَذِهِ الْقَلْعَةِ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْعَوَائِدُ الْإِلَازِمَةُ لِكُلِّ مَنْهُمْ مِمَّا فِي ذَلِكَ جَمِيعِهِ مَصْلَحَةُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ . وَإِنِّي لَا أَسْلَمُ هَذِهِ الْقَلْعَةَ إِلَّا

لمولانا السلطان فلان، أو بمرسومه الشريف وأمارته الصحيحة وأوامره الصريحة .
وإني لا أستخدم في هذه القلعة إلا من فيه نفعها وأهلية الخدمة، لا أعمل في ذلك
بفرض نفسي ، [ولا أرخص فيه لمن يعمل بفرض نفسه ^(١) له] ، وإني أبذل
في ذلك كله الجهد، وأشتر فيه عن ساعد الجدد، قال : ويسمى القلعة التي هو فيها .

وأما الوزراء وأرباب التصرف [في الأموال] فما يزداد في تخلفهم : وإني أحفظ
أموال مولانا السلطان فلان - خلد الله ملكه - من التبذير والضاياع ، والخنوة
وتفريط أهل العجز ، ولا أستخدم في ذلك ولا في شيء منه إلا أهل الكفاية
والأمانة ، ولا أحتج جهة من الجهات الديوانية إلا من الأمانة الإثقياء القادرين ،
أو من زاد زيادة ظاهرة وأقام عليه الضمان الثقات ، ولا أؤثر مطالبة أحد بما يتعين
عليه بوجه حق من حقوق الديوان المعمور والموجبات السلطانية على اختلافها .
وإني والله العظيم لا أرخص في تسجيل ولا قياس ، ولا أسأج أحدا بموجب
يجب عليه ، ولا أخرج عن كل مصلحة تتعين لمولانا السلطان فلان ولدولته ،
ولا أخلي كل ديوان يرجع إلى أمره ، ويعقد بي أمر مباشرته من تصفح
لأحواله ، واجتهاد في تثير أمواله ، وكف أيدي الخونة عنه ، وغل أيديهم أن تصل
إلى شيء منه ، ولا أدع حاضرا ولا غائبا من أمور هذه المباشرة حتى أجد فيه ،
وأبذل الجهد الكلي في إجراء أموره على السداد وحسن الاعتماد . وإني لا أستجد
على المستقر إطلاقه ما لم يرسم لي به إلا ما كان فيه مصلحة ظاهرة لهذه الدولة
القاهرة ، ونفع بين هذه الأيام الشريفة . وإني والله أودى الأمانة في كل ما عقد بي
ووليت : من القبض والصرف ، والولاية والعزل ، والتأخير والتقديم ، والتقليل
والتكثير ، وفي كل جليل وحقيق ، وقليل وكثير .

(١) الزيادة من "الصريف" ص ١٤٩

وأما الدَّوَادِرِيَّةُ وَكُتَّابُ السَّرَفِيزَادِ فِيهِمَا : وَإِنِّي مَهْمَا أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ
مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ - خَلَّدَ اللَّهُ مُلْكَهُ - وَنَصَائِحِهِ ، وَأَمْرِي دَانِي مُلْكِهِ وَنَازِحِهِ ، أَوْصَلُهُ
إِلَيْهِ ، وَأَعْرِضْهُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَخْفِيهِ شَيْئًا مِنْهُ وَلَوْ كَانَ عَلَيَّ ، وَلَا أَكْتُمُهُ وَلَوْ خِفْتُ
وَصَوْلَ ضَرَرَهُ إِلَى .

ويفرد الدَّوَادِرُ : بَأَنِّي لَا أُوَدِّي عَنْ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ رِسَالَةً فِي إِطْلَاقِ مَالٍ ، وَلَا
أَسْتِخْدَامِ مُسْتَحْدَمٍ ، وَلَا إِقْطَاعِ إِقْطَاعٍ ، وَلَا تَرْتِيبِ مُرْتَبٍ ، وَلَا تَجْدِيدِ مُسْتَجِدٍّ ،
وَلَا شَادَ شَاغِرٍ ، وَلَا فَصْلِ مُنَازَعَةٍ ، وَلَا كِتَابَةِ تَوْقِيعٍ وَلَا مَرْسُومٍ ، وَلَا كِتَابِ
صَغِيرٍ كَانَ أَوْ كَبِيرًا إِلَّا بَعْدَ عَرْضِهِ عَلَيَّ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ وَمُشَاوَرَتِهِ ، وَمَعَاوِدَةِ
أَمْرِهِ الشَّرِيفِ وَمُرَاجَعَتِهِ .

ويفرد كاتب السر : بَأَنَّهُ مَهْمَا تَأَخَّرَتْ قِرَائَتُهُ مِنَ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ عَلَيَّ مَوْلَانَا
السُّلْطَانِ فَلَانٍ مِنَ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ ، يَعَاوِدُهُ فِيهِ فِي وَقْتِ آخَرٍ ، فَإِنْ لَمْ يَعَاوِدْهُ فِيهِ بِمَجْمُوعِ
لَفْظِهِ ، لَطَوَّلَهُ الطُّوْلَ الْمَثْلَ ، عَاوَدَهُ فِيهِ بِمَعْنَاهِ فِي الْمُلَخَّصَاتِ ، وَأَنَّهُ لَا يُجَاوِبُهُ بِنُصٍّ ، لَمْ
يُنْصَ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ فِيهِ بِنُصٍّ خَاصٍّ ، وَمَا لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِالنُّصِّ فِيهِ لَا يُجَاوِبُ
فِيهِ إِلَّا بِأَكْمَلِ مَا يَرَى أَنَّ فِيهِ مَصْلَحَةً مَوْلَانَا السُّلْطَانِ فَلَانٍ وَمَصْلَحَةً دَوْلَتِهِ بِأَسَدٍ
جَوَابٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَيَصِلُ أَجْتِهَادُهُ إِلَيْهِ . وَأَنَّهُ مَهْمَا أُمَكَّنَهُ الْمُرَاجَعَةُ فِيهِ لَمَوْلَانَا
السُّلْطَانِ فَلَانٍ رَاجَعَهُ فِيهِ وَعَمِلَ بِنُصٍّ مَا يَرِيسُ لَهُ بِهِ فِيهِ . هَذَا مَا أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْهِ كَلَامِي .

قال في "التنقيف" : ويزاد الثَّوَابُ مِثْلَ قَوْلِهِ : وَلَا أَسْعَى فِي تَفْرِيقِ كَلِمَةِ أَحَدٍ
مِنْهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ الشَّرِيفَةِ ، وَعَلَى أَنْ أَبْذُلَ جُهْدِي وَطَاقَتِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَفِي حِفْظِ
الْمُلْكَةِ الَّتِي أَسْتَنْابَنِي فِيهَا ، وَصِيَانَتِهَا وَحِمَايَتِهَا ، وَمَا بَهَا مِنَ الْقِلَاعِ وَالثَّقُورِ وَالسَّوَاوِحِلِ .
فَمَّا أَتَى بَعْدَهُ : وَإِنْ كَاتَبَنِي أَحَدٌ ائْتِ .

قلت : والمراد أنه يؤتى باليمين العامة التي يحلف عليها كل أحد، ثم يزداد لكل واحد من أرباب الوظائف ما يناسبه مما تقدم ، ثم يؤتى على بقية اليمين من عند قوله : وإتيتني إني لمولانا السلطان بهذه اليمين ، إلى آخرها أو ما في معنى ذلك من أيمان أهل البدع وأصحاب الملل على ما تقدم ذكره .

ثم قال في "التثقيف" : وقد تجدد وقائع وأمور تحتاج إلى التحليف ، بسببها تتغير صيغة المحلوف عليه بالنسبة إلى ما رسم به فيها . ثم أشار إلى أنه لم يرممة مباشرة بدويان الإنشاء أحداً ممن ذكره في "التعريف" : من أرباب الوظائف حلف ، وإنما ذكرها لاحتمال أن تدعو الحاجة إليها في وقت من الأوقات ، أو أنها كانت مستعملة في المتقدم ، فيكون في تركها إهمال لبعض المصطلح .

قلت : وقد أهملنا في "التعريف" و "التثقيف" : ذكر يمينين مما رتبته الكتاب وحافظوا به في الزمن المتقدم مما لا غنى بالكاتب عنه .

الأولى — اليمين على الهدنة التي تتعقد بين ملكين أو نائبيهما ، أو ملك ونائب ملك آخر ، على ما سيأتى ذكره في المقالة التاسعة ، إن شاء الله تعالى .

وتقع اليمين فيها على ما فيه تأكيد عقد الهدنة والتمسك بشروطها والبقاء عليها وعدم الخروج عنها أو عن شيء من ملتزماتها ، وغير ذلك مما يدخل به التطرق إلى التقض والتوصل إلى الفسخ .



وهذه نسخة يمين حلف عليها السلطان الملك المنصور «قلاوون» على الهدنة الواقعة بينه وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها ، من الفرنج الاستبارية ،

في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة، في مباشرة القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر كتابه السر، على ما أورده ابن مكرم في تذكرته، وهي :

أقول وأنا فلان : والله والله والله ، والله والله والله ، والله والله والله ، والله العظيم ، الطالب ، الطالب ، الضار ، النافع ، المدرك ، المهلك ، عالم ما بدا وما خفي ، عالم السر والعلانية ، الرحمن الرحيم ، وحق القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه ، وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، وما يقال فيه من سورة سورة ، وآية آية ، وحق شهر رمضان ، إنني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة التي استقرت بيني وبين مملكة عكا والمقدمين بها علي عكا وعثليت وصيدا وبلادها ، التي تضمنتها هذه الهدنة ، التي مدتها عشرين كوايل ، وعشرة أشهر ، وعشرة أيام ، وعشر ساعات ، أولها يوم الخميس خامس ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة من أولها إلى آخرها ، وأحفظها وألتم بجميع شروطها المشروحة فيها ، وأجرى الأمور على أحكامها إلى انقضاء مدتها ولا أناؤل فيها ولا في شيء منها ، ولا استغني فيها طلباً لنقضها مادام الحاكون بمدينة عكا وصيدا وعثليت - وهم كافل المملكة بعكا ، ومقدم بيت الروم ، ومقدم بيت الاستبار ، ونائب مقدم بيت الاستبار إلى الآن ، ومن تولى بعدهم في كفالة مملكة ، أو مقدم بيت بهذه المملكة المذكورة - وافين باليمين التي يُلحقون عليها (في ولدي الملك الصالح ، ولأولاده ، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن) عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها إلى انقضاء مدتها ، ملتزمين بأحكامها ، وإن نكثت في هذه اليمين فيلزمني الحج إلى بيت الله الحرام بمكة حافياً حاسراً ثلاثين حجة ، ويلزمني صوم الدهر كله إلا الأيام المنهية عنها .

ويذكر بقية اليمين إلى آخرها ، ثم يقول : والله على ما أقول وكيل .



وهذه نسخة يمين حُلف عليها القَرَجُ المعافدون على هذه الهدنة أيضا، في التاريخ
المقدم ذكره على ما أورده ابن مكرم أيضا، وهي :

والله والله والله ، والله وبالله وبالله ، وتالله وتالله وتالله ، وحق المسيح وحق
المسيح ، وحق الصليب وحق الصليب ، وحق الأقاليم الثلاثة من جوهر واحد
المكتنى بها عن الأب والابن وروح القدس إله واحد، وحق الصليب المكرم الحال
في الناسوت، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة التي نقلها متى
ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق صلواتهم وتقديساتهم ، وحق التلامذة الاثني عشر،
والاثني وسبعين ، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين للبيعة، وحق الصوت الذي
نزل من السماء على نهر الأردن فزجره ، وحق الله مُنزل الإنجيل على عيسى بن مريم
روح الله وكتبته ، وحق السيدة مارية أم النور (ومارية مريم) ويوحنا المعمودى
ومرثمان ومرثمانى ، وحق الصوم الكبير، وحق ديني ومعبودى وما أعقده من
النصرانية ، وما تلقينه عن الآباء والأقساء المعمودية - إني من وقتي هذا وساعتي
هذه، قد أخلصت نيتي، وأصفيت طوبتي في الوفاء للسلطان الملك المنصور ولولده
الملك الصالح ولأولادهما، بجميع ما تصمته هذه الهدنة المباركة التي أتعقد الصلح
عليها، على مملكة عكا وصيدا وعثليت وبلاطها الداخلة في هذه الهدنة، المسماة فيها،
التي مدتها عشرين كوايل، وعشرة أشهر، وعشرة أيام، وعشر ساعات، أولها
يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربع وتسعين للإسكندر بن فيليس
اليوناني، وأعملُ بجميع شروطها شرطًا شرطًا، وألتم الوفاء بكلّ فصل في هذه الهدنة
المذكورة إلى آقضاء مئتها . وإني والله والله وحق المسيح ، وحق الصليب ،

وَحَقَّ دِينِي لَا أَعْرِضُ إِلَى بِلَادِ السُّلْطَانِ وَوَلَدِهِ ، وَلَا إِلَى مَنْ حَوَّنَهُ وَتَحَوَّنِيهِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، وَلَا إِلَى مَنْ يَتَرَدَّدُ مِنْهُمْ إِلَى الْبِلَادِ الْدَاخِلَةِ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ بِأَذْنِي وَلَا ضَرَرٍ فِي نَفْسٍ وَلَا فِي مَالٍ . وَإِنِّي وَاللَّهِ وَحَقَّ دِينِي وَمَعْبُودِي أَسْأَلُكَ فِي الْمَعَاهِدَةِ وَالْمُهَاذَنَةِ وَالْمُصَافَةِ وَالْمُصَادَقَةِ وَحِفْظِ الرَّجْعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، الْمُتَرَدِّدِينَ فِي الْبِلَادِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالصَّادِرِينَ مِنْهَا وَإِلَيْهَا - طَرِيقَ الْمُعَاهِدِينَ الْمُتَصَادِقِينَ الْمُتَرْتِمِينَ كَفَّ الْأَذْنِيَّةِ وَالْعُدُونِ عَنِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَأَزَمُّ الْوَفَاءَ بِجَمِيعِ شُرُوطِ هَذِهِ الْهُدْنَةِ إِلَى أَنْقِضَاتِهَا ، مَا دَامَ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ وَاقِفًا بِالْيَمِينِ الَّتِي حَلَفَ بِهَا عَلَى الْهُدْنَةِ ، وَلَا أَنْقُضَ هَذِهِ الْيَمِينَ وَلَا شَيْئًا مِنْهَا ، وَلَا أَسْتَتِنِي فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا طَلِبًا لِنَقْضِهَا ، وَمَتَى خَالَفْتُهَا وَنَقَضْتُهَا فَأَكُونُ بَرِيئًا مِنْ دِينِي وَاعْتِقَادِي وَمَعْبُودِي ، وَأَكُونُ مُخَالِفًا لِلْكَنِيسَةِ ، وَيَكُونُ عَلَى الْحُجِّ إِلَى الْقُدْسِ الشَّرِيفِ ثَلَاثِينَ حَاجَةً حَاسِرًا ، وَيَكُونُ عَلَى فِكِّ أَلْفِ أَسِيرٍ مُسْلِمٍ مِنْ أَسِيرِ الْفَرَنْجِ وَإِطْلَاقُهُمْ ، وَأَكُونُ بَرِيئًا مِنَ الْأَهْوَاتِ الْحَالِّ فِي النَّاسُوتِ ، وَالْيَمِينَ يَمِينِي وَأَنَا فُلَانٌ ، وَالنِّبْيَةُ فِيهَا بِأَمْرِهَا نَبِيَّةُ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَنِيَّةُ وَلَدِهِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ ، وَنِيَّةُ مُسْتَحَلَفِي لَهَا بِهَا عَلَى الْإِنْجِيلِ الْكَرِيمِ ، لَا نِيَّةَ لِي غَيْرُهَا ، وَاللَّهُ وَالْمَسِيحُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكَيْلٍ .

وَكَذَلِكَ كَتَبْتُ الْيَمِينَ ، مِنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَاسَ ، وَبِمِنْ صَاحِبِ بَيْرُوتَ وَحِصْنِ الْأَكْرَادِ وَالْمُرْقَبِ مِنَ الْقَرْجِ الْإِسْتَبَارِيَّةِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تَمْعِينَ وَسِتِينَ وَمِائَةِ .

قُلْتُ : وَمَقْتَضَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْمَكْرَمِ فِي إِبْرَادِ هَذِهِ الْإِيمَانِ أَنْ تُنْسخَ الْيَمِينَ تَكُونُ مُنْفَصِلَةً عَنِ نِسخَةِ الْهُدْنَةِ كَمَا فِي غَيْرِهَا مِنَ الْإِيمَانِ الَّتِي يُسْتَحَلَفُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنَّ مَقْتَضَى كَلَامِ "مَوَادِّ الْيَانِ" : أَنَّ الْيَمِينَ تَكُونُ مُتَّصِلَةً بِالْهُدْنَةِ . وَالَّذِي يَقْبَحُ أَنَّهُ

إن تيسر الحليف عَقَبَ المُدَنَّة - لوجود المتحالفين - كُتِبَ في نفس المدنة مُتَصِلًا بها ، وإلا أفرد كل واحد من الجانبين بنسخة يمين ، كما في غيرها من الأيمان . وربما جُرِدَت المدنة عن الأيمان ، كما وقع في المدنة الجارية بين الظاهر بيبرس وبين دون حاكم الريد أرغون ، صاحب برشلونه من بلاد الأندلس ، في شهر رمضان سنة سبع وستين وستمائة على مقتضى ما أورده ابن المكرم في تذكرته .

وأعلم أنه قد يكتفى باليمين عن المدنة [باليمين] في عقد الصلح .

وقد ذكر القاضي تقي الدين ابن ناظر الجيش في "التتيف" : أنه رتب يميناً حُلِّفَ عليها القرمج بالأبواب السلطانية بالديار المصرية عند عقد الصلح معهم ، في سنة اثنين وسبعين وسبعائة ، فيها زيادات على ما ذكره المقرر الشهابي بن فضيل الله في "التعريف" وهي :

والله والله والله العظيم ، إله إبراهيم ، مالك الكُلِّ ، خالق ما يرى وما لا يرى ، صانع كل شيء ومُتَقِنُهُ ، الرب الذي لا يُعَدُّ سِوَاهُ ، وحق المسيح ، وحق المسيح ، وحق السيد مريم ، وحق الصليب ، وحق الصليب ، وحق الإنجيل ، وحق الإنجيل ، وحق الآب والابن وروح القدس إله واحد من جوهر واحد ، وحق اللاهوت المكرم ، الحال في الناسوت العظيم ، وحق الأناجيل الأربعة التي تحملها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحق اللاهوت والناسوت وصليب الصلبوت ، وحق التلاميذ الاثني عشر ، والاثني وسبعين ، والثلاثة وثمانية عشر المجتمعين على البيعة ، وحق الصوت الذي نزل على نهر الأردن فزجره ، وحق السيدة مارية أم النور ، وحق بيعة وقديس وثالوث ، وما يقوله في صلاته كل معمداني ، وحق ما اعتقده من ديزر النصرانية ، والملة المسيحية - إني أهل كذا وكذا ، ومتى

خالفت هذه اليمين التي في عُنُقِي، أو نقضتها أو نكثتها، أو سَعَيْتُ في إبطالها بوجهٍ من الوجوه، أو طَرِيقٍ من الطُرُق - برئتُ من المعمودية، وقلتُ : إن ماءً تَجَسُّسُ، وإن القَرَائِنَ رَجَسُ، وبرئتُ من مَرِيحَتَا المَعْدَنانِ، والأَناجِيلِ الأربعة، وقلتُ : إِنَّ مَنِيَّ كَذُوبٌ، وإن مَرِيَمَ المَجْدَلَانِيَّةَ باطلةُ الدَّعْوَى في إخبارها عن السَّيِّدِ البَشُوعِ المَسِيحِ، وقلتُ في السيدة مَرِيَمَ قَوْلَ اليَهُودِ، وِدَنْتُ يَدِيهِمْ في المَجُودِ، وَبَرَيْتُ مِنَ التَّالُوثِ، وَجَعَلْتُ الأَبَّ، وَكَذَبْتُ الأَبْنَ، وَكَفَرْتُ بِرُوحِ القُدُسِ، وَخَلَعْتُ دِينَ النِّصْرَانِيَّةِ، وَلَزِمْتُ دِينَ الحَنِيفِيَّةِ، وَلَطَخْتُ الهَيْكَلَ بِمَحْضَةِ يَهُودِيَّةٍ، وَرَفَضْتُ مَرِيَمَ، وقلتُ : إِنِّهَا قَوَيْتُ مَعَ الأَمْخُريوطَى في جَهَنَّمَ، وَأَنْكَرْتُ أَعْمَادَ الأَلْهَوَاتِ وَالنَّاسُوتِ، وَكَذَبْتُ القُسُوسَ، وَشَارَكْتُ في ذَبْحِ الشَّمَائِسِ، وَهَدَمْتُ الدِّيارَاتِ وَالكَائِنَاتِ، وَكُنْتُ مِمَّنْ مَالُ عَلَى قُسْطَنْطِينَ بْنِ هِيلَانِي، وَتَعَمَّدْتُ أُمَّهُ بِالْعِظَامِ، وَخَالَفْتُ الْجَمَاعَ التي أَجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا الأَسَاقِفُ بَرُومِيَّةَ وَالتُّسْطَنْطِينِيَّةَ، وَجَعَلْتُ مَذْهَبَ المَلَكَايَةِ، وَسَفَهْتُ رَأْيَ الرُّهْبَانِ، وَأَنْكَرْتُ وَقُوعَ الصَّلْبِ عَلَى السَّيِّدِ البَشُوعِ، وَكُنْتُ مَعَ اليَهُودِ حِينَ صَلَبُوهُ، وَحَدِثْتُ عَنِ الحَوَارِيِّينَ، وَأَسْتَبَحْتُ دِمَاءَ الدِّيرَانِيِّينَ، وَجَذَبْتُ رِدَاءَ الكِبْرِيَاءِ عَنِ البَطْرِيَرِكِ، وَنَجَرْتُ عَنِ طَاعَةِ البَّابِ، وَخُتِمْتُ يَوْمَ الفِضْحِ الأَكْبَرِ، وَقَعَدْتُ عَنِ أَهْلِ الشَّمْعَانِينَ، وَأَيْتُ عِيدَ الصَّلِيبِ وَالنِّطَاسِ، وَلَمْ أَحْفِلْ بِعِيدِ السَّيِّدَةِ، وَأَكَلْتُ لَحْمَ الجَمَلِ، وَدِنْتُ بِدِينِ اليَهُودِ، وَأَبْجَحْتُ حُرْمَةَ الطَّلَاقِ، وَهَدَمْتُ بَيْدَى كَنِيسَةِ قُيُومَةِ، وَخُتِمْتُ المَسِيحَ في وَدِيعَتِهِ، وَتَزَوَّجْتُ فِي قَرْنٍ بَامْرَأَتَيْنِ، وَقلتُ : إِنَّ المَسِيحَ كَادَمَ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ تَرَابٍ، وَكَفَرْتُ بِإِلْهَاءِ العَيَّازَةِ، وَبَعِيءِ الفَارَقِيطِ الآخَرِ، وَبَرْتُ مِنَ التَّلَامِذَةِ الاثْنَى عَشَرَ، وَحَرَمْتُ عَلَى الثَّلَاثَةِ وَثَمَانِيَةِ عَشَرَ، وَكَسَرْتُ الصُّلْبَانَ، وَدُسْتُ بِرِجْلِي القُرْبَانَ، وَبَصَقْتُ فِي وَجْهِ الرُّهْبَانِ عِنْدَ قَوْلِهِمْ : كَبِيرُ اليَصُونِ، وَأَعْتَقَنْتُ أَنَّ عَسَهُ كَفَرَ بِالجُونِ (؟)

وَأَنَّ يُوسُفَ النَّجَّارَ زَنَى بِأَمِّ الْيَسُوعَ وَعَمَّهْرَ ، وَعَطَلَتْ النَّافُوسَ ، وَمِلَتْ إِلَى مِلَّةِ
الْجُبُوسِ ، وَكَسَرَتْ صَلِيبَ الصَّلْبُوتِ ، وَطَبَخَتْ بِهِ لَحْمَ الْجَمَلِ ، وَأَكَلَتْهُ فِي أَوَّلِ يَوْمِ
مِنَ الصَّوْمِ الْكَبِيرِ ، تَحْتَ الْمَيْكَلِ بِمُحَضَّرَةِ الْآبَاءِ ، وَقُلْتُ فِي الْبَنُوَّةِ مَقَالَ نُسْطُورَسَ ،
وَوَجَّهْتُ إِلَى الصَّخْرَةِ وَجْهِي ، وَصَدَيْتُ عَنِ الشَّرْقِ الْمُنِيرِ حَيْثُ كَانَ الْمَظْهَرُ
الْكَرِيمُ . وَإِلَّا بَرِئْتُ مِنَ الثُّورَانِيِّينَ وَالشَّعْشَعَانِيِّينَ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ السَّيِّدَ الْيَسُوعَ
أَحِبَّ الْمَوْتَى وَأَبْرَأَ الْأَتَمَّةِ وَالْأَرْضِ ، وَقُلْتُ : إِنَّهُ مَرْبُوبٌ ، وَإِنَّهُ مَا رُؤِيَ وَهُوَ
مَصْلُوبٌ ، وَأَنْكَرْتُ أَنَّ الْقُرْبَانَ الْمُقَدَّسَ عَلَى الْمَذْبَحِ مَا صَارَ لَحْمَ الْمَسِيحِ وَدَمَهُ حَقِيقَهُ ،
وَنَجَرْتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ عَنْ لَاحِظِ الطَّرِيقَةِ . وَإِلَّا قُلْتُ بِدِينِ التَّوْحِيدِ ، وَتَعَبَّدْتُ
غَيْرَ الْأَرْبَابِ ، وَقَصَدْتُ بِالْمُظَانِّيَّاتِ غَيْرَ طَرِيقِ الْإِخْلَاصِ ، وَقُلْتُ : إِنْ الْمَعَادُ غَيْرُ
رُوحَانِيٍّ ، وَإِنْ بَنَى الْمَعْمُودِيَّةَ لَا تَسِيحُ فِي فَيْسِحِ السَّمَاءِ ، وَأَثْبَتُ وَجُودَ الْحُورِ الْعَيْنِ
فِي الْمَعَادِ ، وَأَنَّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ التَّلَذُّذَاتِ الْجُسْمَانِيَّةِ ، وَنَجَرْتُ خُرُوجَ الشَّعْرَةِ مِنْ
الْعَيْنِ مِنْ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَأَكُونُ مِنْ دِينِي مَحْرُومًا ، وَأَقُولُ : إِنْ جَرِيسٌ لَمْ يُقْتَلْ
مَقْلُومًا ، وَخَرَقَتْ غَفَارَةُ الرَّبِّ ، وَشَارَكَتُ الشَّرَّ [ر] فِي سَلْبِ ثِيَابِهِ ، وَأَحْدَثْتُ تَحْتَ
صَابِيهِ ، وَتَجَمَّرْتُ بِحَشَبَتِهِ ، وَصَفَعْتُ الْجَانَلِيْقَ . وَهَذِهِ ائِمَّةٌ يَمِينِي وَأَنَا فَلَانٌ ، وَالنِّبَّةُ
[فِيهَا] بِأَسْرِهَا نِبَّةُ مُوْلَانَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ «شُعْبَان» وَنِبَّةُ
مُسْتَحْفِلِيٍّ ، وَالْإِلَهِ وَالْمَسِيحِ عَلَى مَا أَقُولُ وَيَكِلُ .

قُلْتُ : خَلَطَ فِي هَذِهِ الْيَمِينِ بَعْضَ يَمِينِ الْبِعَاقِبَةِ الْخَارِجَةِ عَنْ مُتَعَقِدِ الْفَرَجِ الَّذِينَ
حَقَّقَهُمْ مِنْ مَذْهَبِ الْمَلَكِيَّةِ ، يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ فِيمَا تَهْدَمُ مِنْ مُتَعَقِدَاتِ
النَّصْرَانِيَّةِ قَبْلَ تَرْتِيبِ ائِمَّانِهِمْ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ آتَى فِيهَا بِأَكْثَرِ مَا رَبَّيْتُهُ الْمَقَرَّ الشَّهَابِيَّ بْنَ
فَضْلِ اللَّهِ فِي تَحْلِيلِهِمْ عَلَى صِدَاقَتِهِ ، وَزَادَ مَا زَادَ مِنَ الْيَمِينِ الْمُرَبَّبَةِ فِي التَّحْلِيلِ عَلَى
الْمُذَنِّةِ السَّابِقَةِ وَغَيْرِهَا .

البين الثانية — مما أهمله في "التعريف" عين أمير مكة .

والقاعدة فيها أن يخلف على طاعة السلطان، والقيام في خدمة أمير الركب ،
والوصية بالمحاج، والاحتفاظ بهم .

وهذه نسخة يمين خلف بها الأمير نجم الدين أبو نمي أمير مكة المشرفة، في الدولة
المنصورية قلاوون الصالحى، في شعبان سنة إحدى وثمانين وستمائة .

وُسختها على ما ذكره ابن المكرم في تذكرته بعد استيفاء الأقسام :

إني أخلصت نيتي، وأصفت طوبى، وسأوت بين باطنى وظاهرى في طاعة
مولانا السلطان الملك المنصور، وولده السلطان الملك الصالح، وطاعة أولادهما
وآرى مليكهما، لأضمر لم سوءاً ولا غدرًا في نفس ولا ملك ولا سلطنة . وإني
عدو لمن عاداهم، صديق لمن صادقهم، حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم . وإني
لا يخرجني عن طاعتها طاعة أحد غيرهما، ولا أتلفت في ذلك إلى جهة غير
جهتهما، ولا أفعل أمرًا مخالفًا لما استقر من هذا الأمر، ولا أشرك في تحكما
على ولا على مكة وحرمها وموقف جبلها زيدًا ولا عمرًا . وإني ألتم ما أشرتته
لمولانا السلطان ولولده في أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر
المحرسة وتعليقها على الكعبة الشريفة في كل موسم، وأن لا يغفلوا كسوة غيرها،
وأن أقدم عليه المنصور على كل علم في كل موسم، وأن لا يتقدمه علم غيره .
وإني أسهل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين
والمالكين، والآمين لحرمه والحاجين والوافقين . وإني أجتهد في حراستهم من
كل عايد بفعله وقوله، ومختطف للناس من حوله . وإني أقومهم في سربهم،
وأعذب لهم متاعل شربهم، وإني والله أستم بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف

المنصورى، وأُفعل في الخِلْمَةِ فِعْلُ الْخَلِصِ الْوَلَى . وإِنِّى وَاللهِ واللهِ أُمْتَثِلُ مِرَاسِمِهِ
أَمْتَشَالِ النَّائِبِ لِلْسَتِيبِ ، وأكون لِدَاعِى أَمْرِهِ أَوَّلَ سَامِعٍ مُجِيبٍ . وإِنِّى أَلْتَرَمُ
بِشُرُوطِ هَذِهِ الْيَمِينِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا لَا أَقْضُهَا .

المهيع الخامس

(فى صورة كتابة تُسخ الأيمان التى يحلف بها)

وقد جرت العادة أنه إذا أَسْتَقَرَّ مَلِكٌ فى الْمُلْكِ يُحْلَفُ لَهُ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ وَالنَّوَابِ
فى الْمَمْلَكَةِ ، وإذا أَسْتَقَرَّ نَائِبٌ مِنَ النَّوَابِ فى نِيَابَةِ حُلَفَ ذَلِكَ النَّائِبُ عِنْدَ اسْتِقْرَارِهِ ،
وَرَبِّمَا اقْتَضَتْ الْحَالُ التَّحْلِيفَ فى غَيْرِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ .

ثم الْإِيْمَانُ الَّتِى يُحْلَفُ بِهَا عَلَى ضَرَمَيْنِ :

الضرب الأول

(الْإِيْمَانُ الَّتِى يُحْلَفُ بِهَا الْأُمَرَاءُ بِالْأَمْرِ الْمَصْرِىة)

وقد جرت العادة أن كُتِبَ دِيْوَانُ الْإِنْشَاءِ يَجْتَمِعُ مِنْ يَجْتَمِعُ مِنْهُمْ بِالْقَلْعَةِ ،
وَيَتَصَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لِتَحْلِيفِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْمَالِكِ السُّلْطَانِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ،
وَيَنْصَبُ الْمُصْحَفُ الشَّرِيفُ عَلَى كُرْسِيِّ أَمَامَ الْحَافِلِينَ ، وَيُحْلَفُ كُلُّ كَاتِبٍ مِنَ
كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ مِنْ يُحْلَفُهُ نِجَاهُ الْمُصْحَفِ بِالْفَاظِ الْيَمِينِ الْمَتَقَدِّمَةِ الذَّكَرِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِى
يُرْسَمُ تَحْلِيفُهُمْ عَلَيْهِ ؛ وَيَكْتُبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ الْكُتَّابِ أَسْمَاءَ الَّذِينَ حَلَفَهُمْ
فى وَرْقَةٍ وَيُورِّخُهَا وَيَحْمِلُهَا إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فَتُخَلَّدُ فِيهِ .

الضرب الثاني

(الأيمان التي يحلف بها تَوَابُ السلطنة والأمراء بالملك الشامية وما أنضم إليها)

وقد جرت العادة أنه إذا أريد تحليف نائب من تَوَابِ الممالك الخارجة عن الحضرة بالديار المصرية أو أمير من أمرائها أن تكتب نسخة يمين من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية ، وتجهز إلى النائب أو الأمير الذي يقصد تحليفه فيحلف على حكمها متلفظا بالفاظها جميعها . قال في "التتيف" : وصفت ما يكتب في النسخة بعد البسملة من يمين الورق « أقول وأنا » ثم يخل بياضا قليلا بقدر أصبعين لموضع كتابة الحالف اسمه ، ثم يكتب تحته من يمين الورق بهامش دقيق جدا « والله والله » وتكمل تيممة النسخة على ما تقدم ذكره . وتكون سطورها متلاصقة مطرا إلى سطر إلى عند قوله « وهذه اليمين يميني وأنا » فيخل بعد ذلك بياضا قليلا لموضع كتابة اسم الحالف أيضا ، ثم يكتب من يمين الورق : « والنية في هذه اليمين بأسرها » إلى آخر النسخة .

قلت : وكذلك تُسَخُّ الأيمان التي تكتب ليحلف بها في الهدن التي تُفرد لأيمان فيها عن الهدن ، يخل فيها بياض لكتابة الاسم بعد قوله « أقول وأنا »

وبعد قوله « وهذه اليمين يميني وأنا » سواء في ذلك اليمين التي يحلف بها السلطان أو الملك الذي تقع معه المهادنة : من ملوك الإسلام أو ملوك الكفر .

وقد جرت العادة أن يكون الورق الذي تكتب فيه تُسَخُّ الأيمان التي يحلف بها التواب وغيرهم من الأمراء الخارجين عن الحضرة في قطع العادة . أما ما يحلف به على الهدن فلم أقف فيه على مقدار قطع الورق . والذي يظهر أن كل يمين تكون في قطع الورق الذي يكتب بها ذلك الملك الذي يحلف .

المقالة التاسعة

في عقود الصلح والفُسُوخ الواردة على ذلك، وفيها خمسة أبواب

الباب الأول

في الأمانات، وفيه فصلان

الفصل الأول

في عقد الأمان لأهل الكفر

قال في "التعريف" : وهو أقوى أمور الصلح دلالة على اشتداد السلطان ،
إذ كان يُؤمن الخائف أمنا لا عوص عنه في عاجل ولا آجل، وفيه طرفان :

الطرف الأول

(في ذكر أصله وشروطه وحكمه)

علم أن الأمان هو الأمر الأول من الأمور الثلاثة التي يُرفع بها القتل عن الكفار .
قال العلماء : وهو من مكاييد القتال ومصالحه وإن كان فيه ترك القتال : لأن الحاجة
[داعية] إليه . والأصل فيه من الكتاب قوله تعالى : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
اسْتَجَارَكَ فَاجْرِهِ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) . ومن السنة قوله صلى الله
عليه وسلم : « الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُوا دِمَائِهِمْ ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدْعُو عَلَى مَنْ
سِوَاهُمْ » .

(١) كذا وقع أيضا في فهرست المؤلف ج ١ ص ٢٩ من هذا المطبع ولكن سيذكر آخر المقالة بابا
سادسا في الفسوخ .

وقد ذكر الفقهاء له أركاناً وشروطاً وأحكاماً .

فأما أركانهُ، فتلاثة :

الأول — العاقد للأمان من المسلمين . ويُعلم أنَّ الأمانَ علىَ ضربين : عامٌّ وخاصٌّ . فالعامُّ هو عَقْدُهُ للمَدَدِ الذي لا يُحصَرُ كأهلِ ناحيةٍ ؛ ولا يصحُّ عَقْدُ الأمانِ فيه إلا من الإمام أو نائبه كما في المُدْنة . والخاصُّ هو عَقْدُهُ لواحد أو العَدَدِ المحصور ، ويصحُّ من كُلِّ مُسلمٍ مكَلَّفٍ [وإن لم تكن] له أهليةُ القتالِ ، فيصحُّ من العبدِ والمرأةِ والشَّيْخِ المَهرِمِ والسَّفيهِ والمُفلسِ ، بخلافِ أمانِ الصَّبِيِّ والمجنونِ .

الثاني — المعقود له ، ويصحُّ عَقْدُهُ للواحد والمَدَدِ من ذكور الكُفَّارِ وإناثهم .
نعم في تأييدِ المرأةِ عن الاسترقاقِ خلافٌ .

الثالث — صيغةُ العَقْدِ . وهي كُلُّ لَفْظٍ يُفْهِمُ الأمانَ كَآيَةٍ كان أو صريحاً ، وفي معنى ذلك الإشارةُ المُفْهِمةُ . ويعتبرُ فيه قَبُولُ الكافرِ ، فلا بدَّ منه حتى لو رَدَّ الأمانَ لم ينعقد ، وفيما إذا مكَّتْ خلافٌ . نعم لو دخل للسَّفارةِ بين المسلمين والكُفَّارِ في تَبْلِغِ رسالةٍ ونحوها ، أو لسماعِ كلامِ الله تعالى لم يُعتبر فيه عَقْدُ الأمانِ ، بل يكون آمناً بمجرد ذلك ، أما لو دخل لقصْدِ التجارةِ بغيرِ أمانٍ فإنه لا يكون آمناً إلا أن يقولَ الإمامُ أو نائبُهُ : من دخل تاجراً فهو آمنٌ .

وأما شرطه ، فإن لا يكونَ على المسلمين ضررٌ في المُستأمنِ : بأن يكونَ طَلِيعَةً أو جاسوساً ، فإنه يقتل ولا يُبَالَى بأمانه ، ويعتبرُ أن لا تَرِيدَ مَدَّةُ الأمانِ ^(١)

(١) عبارة "المنهاج" ويجب أن لا تريد مدته على أربعة أشهر "وفي قول يجوز ما لم تبلغ سنة" قال صاحب الحنفية : فإن بلغها امتنع قطعا .

على مَسَنَةٍ بخلاف المُدَنَّة ، فقد تَهْتَم أنها تجوزُ عند ضَعْفِ المسلمين إلى عَشْرِ
سنين .

وأما حكمه ، فإذا عُقِدَ الأمانُ لزم المُشْرُوط ، فلو قتلَه مسلمٌ وجبت الدِّيةُ .
ثم هو جائزٌ من جهة الكُفَّار ، فيجوز للكافر نَبَذُهُ متى شاء ، ولَا زِمٌ من جهة
المسلمين ، فلا يجوز النَّبَذُ إلا أن يُتَوَقَّعَ من المُسْتَأْمِنِ الشَّرُّ ، فإذا تَوَقَّعَ منه ذلك جاز
نَبَذُ المَهْدِ إليه ويلحقُ بِأَمْنِهِ ؛ وَبِقِيَّةِ فِقْهِ الفَصْلِ مستوفى في كُتُبِ الفِقْهِ .

الطرف الثاني

(في صورة ما يكتب فيه)

والأصل ما رواه ابن إسحق أن رِفاعَةَ بنَ زَيْدٍ الخِزَاعِيَّ^(١) قَدِمَ على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في هُدْنَةِ الحُدَيْبِيَّةِ ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غُلَامًا ، وأسلم
وحَسَنَ إسلامُهُ ؛ وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كِتَابًا إلى قومه فيه :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ لِرِفاعَةَ بْنِ زَيْدٍ : إِنِّي بَعَثْتُهُ إِلَى قَوْمِهِ »
« عَامَّةً وَمَنْ دَخَلَ فِيهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ؛ فَمَنْ أَقْبَلَ »
« مِنْهُمْ فَقِي حَرْبِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ أَدْبَرَ فَلَهُ أَمَانٌ شَهْرَيْنِ » .
فلما قدم رِفاعَةُ على قومه أجابوا وأسلموا .

(١) في الأصل الجذامى والتصحيح من السيرة النبوية ص ٣٣ ج ٣ وقد ضبطها بالعبارة .

ثم للكتاب فيه منهبات :

المذهب الأول - أن يُفتح الأمان بلفظ : « هذا كتاب أمان » أو « هذا أمان » وما أشبه ذلك ، كما أفتح النبي صلى الله عليه وسلم ما كتب به لرافعة بن زيد على ما تقدم .

وعلى ذلك كتب عمرو بن العاص رضي الله عنه الأمان الذي كتب به لأهل مصر عند فتحها ، ونصه بعد الإسملة :

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ومالهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم ، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينقص ، ولا يسألكم التوبة . وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وأنتهت زيادة نهرهم - خمسين ألف ألف . وعليه ممن جئنا نصرتهم ، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رُفع عنهم من الجزية بقدر [هم وذمتنا عن أبي بريه ، وإن قص نهرهم عن غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر] ذلك ؛ ومن دخل في صلحهم : من الروم والتوبة فله ما لم عليه ما عليهم ؛ ومن أبى وأختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم أنلاتا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم . على ما في هذا الكتاب عهد الله [وذمته] وذمة رسوله وذمة الخليفة أمير المؤمنين [وذم المؤمنين] . وعلى التوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكنا وكذا رأسا ، وكذا وكذا قرسا ، على أن لا يغزوا ولا يمتنوا من تجارة صادرة ولا واردة . شهد الزبير وعبد الله ومحمد أبناؤه ، وكتب وردان وحضر . »

(١) في البرص ١١٥ بقية الجزء الثاني « ودمهم » وفي بعض النسخ من زيادة وقص .

(٢) الزيادة من البرص ١١٥ بقية ج ٢ .

وعلى ذلك كتب الحافظ لدين الله أحد خلفاء الفاطميين الأمان لبهرام الأرميني، حين صُرف من وزارته وهرب عنه إلى بلاد الأرمين، وكتب إلى الحافظ يظهر الطاعة ويسأل تسيير أقاربه، فكتب له بالأمان له ولأقاربه .

فأما ما كُتِبَ له هو فنصّه بعد البسملة .

هذا أمانٌ أمر بكتبه عبد الله وولّيه عبد المجيد أبو الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين، للأمير المقدم، المؤيد، المنصور، عزّ الخلافة وتسميها، وتاج المملكة ونظامها، نقيير الأمراء، شيخ الدولة وعمادها، ذي المجدين، مصطفى أمير المؤمنين بهرام الحافظي : فإنك آين بأمان الله تعالى، وأمان جدنا محمد رسوله، وأبيننا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلى الله عليهما، وأمان أمير المؤمنين، على نفسك ومالك، وأهلك وجميع حالك، لا ينالك سوء، ولا يصل إليك مكروه، ولا تُقصّد باغتيال، ولا يخرج بك عن عادة الإحسان والإنعام، والتميز والإكرام، وحراسة النفس، والصون للحريم والأهل، والرعاية في القرب والبعد، ما دمت متحيزاً إلى طاعة الدولة العلوية، ومتصرفاً على أحكام مشايختها، موالياً لمواليها، ومُعادياً لمُعادياتها، ومستمراً على مرضاة إخلاصك . فتح بهذا الأمان وأسكن إليه، وأطمئن إلى مضمونه، والله بما أودعه كفيلاً وعليه شهيد، وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله، عليه يتوكل وإليه يُنِيب .

وأما الأمان الذي كُتِبَ لأقاربه فنصّه :

هذا أمانٌ تقدم بكتبه عبد الله وولّيه، لبسيل وزرقا، وبهرام آين أختيما، ومن يتنحى إليهم ويتعلق بهم، ويلتمون أمره من ثوبهم، ومن يمسك بسبيهم .

مضمونه : إنكم مَعْتَرِ الجماعة بِأَسْرِكُمْ لما قَصَدْتُمْ الدَّوْلَةَ ووقَدْتُمْ عليها ، وَتَقَيَّأْتُمْ ظِلَّهَا وهاجَرْتُمْ إليها ، تَمَلِّكُمُ الصَّنْعَ الْجَمِيلَ ، وَتَعْمُرُكُمْ الْإِنْعَامُ السَّابِغُ وَالْإِحْسَانُ الْجَزِيلُ ، وَكُفَيْتُمْ بِالرَّعَايَةِ التَّامَّةِ ، وَالْعَنَائَةِ الْخَاصَّةِ لَا الْعَنَائَةِ الْعَامَّةِ ، وَوُفِّرَ حَظُّكُمْ مِنَ الْوَأَجِبَاتِ الْمَقْرَرَةِ لَكُمْ ، وَالْإِقْطَاعَاتِ الْمَوْسُومَةِ بِكُمْ ؛ وَكُنْتُمْ مَعَ ذَلِكَ تَذْكُرُونَ رَغَبَتَكُمْ فِي الْعُودِ إِلَى دِيَارِكُمْ ، وَالرُّجُوعِ إِلَى أَوْطَانِكُمْ ، وَأَلْفَاتِنَا إِلَى مَنْ تَرَكْتُمُوهُ مِنْ وَرَائِكُمْ . وَقَدْ سِرْتُمْ مِنَ الْبَابِ عَلَى قِضْيَةِ الْخَافَةِ ، وَقَدْ أَمْنَكُمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَمُّ أَمَنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَانِ جَدِّنَا عِدِّ رَسُولِهِ وَأَبْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا ، وَأَمَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى نَفُوسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَمَا تَحْوِيهِ أَيْدِيكُمْ وَيَحْوِزُهُ مَلِكُكُمْ ، وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ أَحْيَاؤُكُمْ ؛ لَا يَسْأَلُكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ ، وَلَا سَبَبٌ مُخَوِّفٌ ، وَلَا يَمْسُكُ سُوءٌ ، وَلَا تَحْشَوْنَ مِنْ ضَمٍّ ، وَلَا تُهَضِّدُونَ بِأَذْيَةٍ ، وَلَا يُبَيِّرُ لَكُمْ رَسْمٌ ، وَلَا تُقْضُ لَكُمْ عَادَةٌ ، وَأَنْتُمْ مُسْتَمِرُّونَ فِي وَاجِبَاتِكُمْ وَإِقْطَاعَاتِكُمْ عَلَى مَا عَاهَدْتُمُوهُ ، وَلَا تُقْصُونَ مِنْهَا ، وَلَا يُجَبِّسُونَ فِيهَا . هَذَا إِذَا رَغِبْتُمْ فِي الْإِقَامَةِ فِي ظِلَالِ الدَّوْلَةِ ، فَإِنْ آخَرْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَذْكُرُونَ الرُّغْبَةَ فِيهِ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى دِيَارِكُمْ عِنْدَ انْفِتَاحِ الْبَحْرِ ، فَهَذَا الْأَمَانُ لَكُمْ إِلَى أَنْ تُتَوَجَّهُوا مَشْمُولِينَ بِالرَّعَايَةِ ، مَلْحُوظِينَ بِالْعَنَائَةِ ، وَلَكُمْ الْوَفَاءُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ لَكُمْ بِهِ وَكِيلٌ وَكَفِيلٌ ، وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا .

المذهب الثاني — أن يُفْتَحَ الْأَمَانُ الْمَكْتُوبَ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِالْتَّحْمِيدِ ، ثُمَّ يُقَالُ : « وَلَمَّا كَانَ كَذَا وَكَذَا آخَضَنِي حُسْنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ كَذَا وَكَذَا » ثُمَّ يُقَالُ : « فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا » عَلَى نَحْوِ مَا يُكْتَبُ فِي الْوَلَايَاتِ .

وعلى ذلك كُتِبَ عن السلطان المَلِك الناصر « محمد بن قلاوون » أماناً لفرا كس صاحب السرب، من ملوك النصارى بالشَّمال وزوجته ومن معها من الأتباع، عند طلبهم التَّحِيك من زيارة القُدس الشريف، وإزالة الأعراض عنهم، وأسَـصحاب العناية بهم، إلى حين عَوْدِهِمْ آمِنِينَ على أنفسهم وأموالهم، من إثناء الشريف شهاب الدين كاتب الإنشاء .

ونفسه بعد البسملة :

أما بعد حمد الله الذى أَمَّنَ بمهابتنا المناجِح والمسالِك ، ومَكَّنَ لِكَلِمَتنا المطاعَة فى الإفطار والآفاق والمسالِك ، وأعان على لساننا بدعوة الحق التى تنهى كل كَرْب حالك وتمكنى كل كَرْب حالك، والشهادة له بالوحدانية التى تنهى المشابه والمشارك، وتنبى بالميعاد من الإضمار على الأرائك ؛ والصلاة والسلام على سيدنا عبد الله الذى أنجده بعموت الملا الأعلى من الملائك ، وأيده بالصون الملازم والعون المتدارك ، ووعدَه أن سيبلغ ملك أمته ما بين المشرق والمغرب وأنجز له ذلك، وعلى آله وصحبه الذين زحزحوا عن المهالك ، ونصحو الله ورسوله وأكرم بأولئك !!! - فإن كَرَمنا يرعى الوفود، وشيئنا تدعى فتجود، وذمنا بها لحظ الحقوق وحفظ العهود، فيخدمنا فيجمع كل مقصود، وينعمنا بمنح الأمانى والمنى وهما أعظم نعمتين فى الوجود ؛ فليس أمل عن أبواب سماحتنا بمرثود ، ولا متوسل إلينا بضراعة إلا ويرجع بالمرام ويعود .

ولما كانت حضرة الملك الجليل، المكرم، المبجل، العزيز، الموقر، "إستيفانوس فرا كس" : كبير الطائفة النصرانية، بحال الأمة الصليبية، عماد بني المعمودية ،

صديق الملوك والسلاطين، صاحب السرب - أطل الله بقاءه - قد شمله إقبالنا
المبهور، ووصله إفضالنا الذي يَحْجِزُ عن ميامينه السوء ويَحْجِزُ الوعود - أقتضى
حُسنُ الرأى الشريف أن يُسَرَّ سَيْلُهُ ، وتوفر له من الإكرام جسيمه كما وفرنا لغیره
من الملوك مَسْؤَلَهُ ؛ وأن يُمكنَ من الحضور هو وزوجته ومن مهمهما من
أتباعهما إلى زِيَارَةِ الْقُدْسِ الشريف، وإزالة الأعراض عنهم، وإكرامهم ورعايتهم،
وَأَسْتِصْحَابِ العِناية بهم، إلى أن يعودوا إلى بلادهم، آمِنِينَ على أنفسهم وأموالهم،
ويعاملوا بِالْوَصِيَّةِ التامة، ويواصلوا بِالكَرَامَةِ والرعاية إلى أن يعودوا في كَنْفِ الأَمْنِ
وَحَرَمِ السَّلامه؛ وسيلُ كُلِّ واقِفٍ عليه أن يسمع كلامه، وَيَتَّبِعَ إِرَامَهُ، ولا يَمْنَعُ
عنهم الخَيْرَ في سَيْرٍ ولا إقامه، ويدفع عنهم الأذى حيثُ وردُوا أو صدرُوا فلا يَحْتَدِرُوا
إِلْعَامَهُ ؛ والله تعالى يُوفِّرُ لِكُلِّ مُسْتَعِينٍ من أبوابنا أَسْطِ الأَمْنِ وأَقْسامَهُ ، وَيُظْفِرُ
عِزَّنا المحمدى بِالنَّصْرِ السَّرمِدى حَتَّى يُطَوِّقَ الطائِعَ والعاصِيَ حُسَامَهُ . والعلامةُ
الشريفة أعلاه حُجَّةٌ فيه، والخيرُ يَكُونُ إن شاء الله تعالى :

الفصل الثاني

من الباب الأول من المقالة التاسعة

(في كتابة الأمانات لأهل الإسلام وما يكتب فيها، ومذاهب الكُتاب في ذلك

في القديم والحديث، وأصله ؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في أصله)

إِعلم أنَّ هذا النوع فرعُ الحقِّ الكُتاب بالنوع السابق ، وإلا فالْمُسلم آمِنٌ بِقَضِيَّةِ الشَّرْعِ بِمُجَرَّدِ إِسْلَامِهِ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ». وَإِنَّمَا بَرَّتْ عَادَةُ الْمُلُوكِ بِكَاتِبَةِ الْأَمَانِ لِكُلِّ مَنْ خَافَ سَطْوَتَهُمْ ، لَا سِيَّامَا مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ ، وَخِيفَ اسْتِثْرَاءُ الْفَسَادِ بِاسْتِمْرَارِ خُرُوجِهِ عَنِ الطَّاعَةِ خَوْفًا ؛ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ هُوَ أَغْلَبَ مَا يُكْتَبُ مِنْ دَوَاوِينِ الْإِنْسَاءِ .

وقد ورد في السُّنَّةِ ما يدلُّ لذلك ، وهو ما رواه أبو عُبَيْدٍ في "كتاب الأموال" عن أبي العلاء بن عبد الله بن الشَّخِيرِ أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا بِالْمَرْبَدِّ وَمَعَنَا مُطَرِّفٌ ، إِذْ أَنَا وَأَنَا أَعْرَابِيٌّ وَمَعَهُ قِطْعَةٌ أَدِيمٌ ، فَقَالَ : أَفِيكُمْ مَنْ يَهْرَأُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، فَأَعْطَانَا الْأَدِيمَ فَإِذَا فِيهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِنَبِيِّ زُهَيْرِ بْنِ أَقْبَيْشٍ مِنْ عُكْلٍ . إِنَّا نَكْمُ إِنْ شَهِدْتُمْ »
« أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَقِمُّمُ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَفَارَقْتُمُ الْمُشْرِكِينَ ، »

«وأُعْطِيتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ الْخُمُسَ، وَسَهْمَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّغْنَى»؛
 «أَوْ قَالَ : وَصَفِيَّهِ، فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» .

الطرف الثاني (فيما يُكتب في الأمانات)

وللكتاب في ذلك منهجان :

المذهب الأول — أن يفتح الأمان بلفظ : « هذا كتابُ أمانٍ » أو « هذا أمانٌ » ونحو ذلك ، على ما تقدم في الفصل السابق .

قال في «موادِّ البيان» : والرسم فيه : « هذا كتابُ أمانٍ ، كتبه فلانُ بن فلانٍ الفلانيُّ أمير المؤمنين أو وزيره ، لفلان بن فلان الفلاني الذي كان من حاله كذا وكذا ، فإنه قد آمنه بأمانِ الله تعالى وأمانِ رسوله صلى الله عليه وسلم وأمانِهِ » .
 فإن كان عن الوزير قال : « وأمان أمير المؤمنين فلان بن فلان وأمانِهِ ، على نفسه وماله ، وشعره ، وبشره ، وأهله ، وولده ، وحريمه ، وأشيائه ، وأتباعه ، وأصحابه ، وحاله ، وذات يده ، وأملاكه ، ورباعه ، وضياعه ، وجميع ما يخصه ويخصهم — أماناً جميعاً ، نافذاً واجباً لازماً ، لا يُنقض ولا يُفسخ ولا يُبدل ، ولا يَتَمَقَّبُ بغيره ، ولا يَهَانُ ولا مُوَارَبَةٌ ، ولا حيلة ولا غيلة . وأعطاه على ذلك عهد الله وميثاقه وصَفَقَةً يَمِينَةً ، بِنَيْةٍ خَالِصَةٍ لَهُ وَبِجَمْعٍ مِنْ ذِكْرٍ مَعَهُ ، وَعَقْدٍ لَهُ عَنْ كُلِّ جَرِيرَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ ، وَخَطِيئَةٍ سَالِفَةٍ ، إِلَى يَوْمِ تَارِيخِ هَذَا الْأَمَانِ ، وَأَحَلَّهُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ بِسَلَامَةِ النَّفْسِ وَتَهَاءِ الْمَرِيرَةِ ، وَأَوْجِبَ لَهُ مِنَ الرَّعَايَةِ مَا أَوْجِبَ لِأَمثَالِهِ ،

من شمله ظله ، وكففته رعايته ، حاضرًا وغائبًا ، وملّكه من اختياره قريبًا وبعيدًا ،
وأن لا يُكرِهَه على ما لا يريدُه ، ولا يلزمُه بما لا يختاره .

قلت : هذا ما أصله صاحب "مواد البيان" : في كتابة الأمانات . ومقتضاه
افتتاح جميع الأمانات المكتبة عن الخليفة أو الوزير أو غيرهما بلفظ « هذا » .
وساقي أن الأمانات قد تفتح بغير هذا الافتتاح : من الحمد وغيره ، على ما سياتي
بيانه ، ولعل هذا كان مُصطلح زمانه فوقف عنده .

وبالجملة فالأمانات المكتبة لأهل الإسلام على نوصين :

النوع الأول

(ما يكتب عن الخلفاء ، وفيه مذهبان)

المذهب الأول — طريقة صاحب "مواد البيان" المتقدمة الذكر ، وهي
أن يفتح الأمان بلفظ « هذا » . وحينئذ فيقال : « هذا كتاب أمان كتبته عبد الله
فلان أبو فلان أمير المؤمنين الفلاني ، أعز الله تعالى به الدين ، وأدام له التمكن ،
لفلان الفلاني ، فإنه قد أمّنه بأمان الله تعالى ، وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم
وأمانه ، على نفسه ، وماله ، وشعره ، وبشره ، وأهله ، وولده ، وحرمة ، وأشياعه ،
وأتباعه ، وأصحابه ، وحاله ، وذات يده ، وأملاكه ، ورباعه ، وضياعه ، وجميع
ما يخصه ويخصهم — أمانًا صحيحًا ، نافذا واجبًا لازمًا ، لا ينقض ولا يُفسخ ،
ولا يُبدل ، ولا يتعقب بخاتلة ، ولا دهان ولا مؤاربة ، ولا حيلة ولا غيلة ، وأعطاه
على ذلك عهد الله وميثاقه وشفقة يمينه ، بنية خالصة له وجميع من ذكر معه ،
وعفا له عن كل جريرة متقدمة ، وخطيئة سالفة ، إلى يوم تاريخ هذا الأمان ،

وأحله من ذلك كله ، وأستقبله بسلامة النفس ونقاء السريرة ، وأوجب له من الرعاية ما أوجب له لأمثاله : مَن شَمِلَهُ ظِلُّهُ ، وَكَفَّتْهُ رَعَايَتُهُ ، حَاضِرًا وَغَائِبًا ، وَمَلَكُهُ مِنْ اخْتِيَارِهِ قَرِيبًا وَبَعِيدًا ، وَأَنْ لَا يُكْرِهَهُ عَلَى مَا لَا يَرِيدُهُ ، وَلَا يُلْزِمُهُ بِمَا لَا يَخْتَارُهُ .
وغير ذلك مما يقتضيه الحال ويدعو إليه المقام .

المذهب الثاني — أن يفتح الأمان بمُحْطَةٍ مفتوحة بالحمد . والرسم فيه أن يُسْتَفْتَحَ الأمانُ بِمُحْطَةٍ يَكْرُرُ فِيهَا الْحَمْدُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَكَثْرًا ، بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ حَالُ النِّعْمَةِ عَلَى مَنْ يُصْدَرُ عَنْهُ الأمانُ فِي الأَسْتَظْهَارِ عَلَى مَنْ يُؤْمَنُ . يَحْمَدُ اللهُ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى عَلَى آلائِهِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ عَلَى إِعْزَازِ دِينِهِ ، وَفِي الثَّالِثَةِ عَلَى بَعَثَةِ نَبِيِّهِ ، وَفِي الرَّابِعَةِ عَلَى إِقَامَةِ ذَلِكَ الْخَلِيفَةِ مِنْ بَيْتِ النُّبُوَّةِ لِإِقَامَةِ الدِّينِ . وَيَأْتِي مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِمَا يَنْسَبُ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَذْكُرُ الأمانَ فِي الْآخِرَةِ .



وهذه نسخة أمانٍ من هذا النمط ، كُتِبَ بِهِ عَنْ بَعْضِ مُتَقَدِّمِي خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ بَيْغَدَادَ ، أَوْ رَدَّهَا أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدٍ فِي "كُتَابِ الْبَلَاغَةِ" الَّذِي جَمَعَهُ فِي التَّرْشُلِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَرْجُوِّ فَضْلُهُ ، الْمَخُوفِ عَذْلُهُ ، بَارِي النِّسَمِ ، وَوَلِيِّ الْإِحْسَانِ وَالنِّعَمِ ، السَّابِقِ فِي الْأُمُورِ عِلْمُهُ ، النَّافِذِ فِيهَا حُكْمُهُ ، بِمَا أَحَاطَ بِهِ مِنْ مُلْكٍ قُدْرَتِهِ ، وَأَنْقَذَ مِنْ عِزَائِهِمْ مَشِيئَتِهِ ؛ كُلُّ مَا سِوَاهُ مُدَبَّرٌ خَلْقٍ وَهُوَ أَنْشَأَهُ وَأَبْتَدَاهُ ، وَقَدَّرَ غَايَتَهُ وَمُنْتَهَاهُ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعِزِّ لِدِينِهِ ، الْخَافِظِ مِنْ حُرْمَاتِهِ مَا تَرَبَّضُ الْمُرَبِّضُونَ عَنْ حِيَاطَتِهِ ، الْمُذَكِّرِ مِنْ نُورِهِ مَا دَابَّ الْمَلِيعُونَ لِإِطْفَائِهِ حَتَّى أَعْلَاهُ وَأَظْهَرَهُ كَمَا وَعَدَ فِي مُتَرَلِّ

(١) فِي الْفَاتِحَةِ « رَجُلٌ رُفِصَةٌ وَتَرَبَّضُ عَاجِزٌ » وَلِلَّامَةِ مَا هِيَ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

فُرقَانِهِ بقوله جَلَّ شَأْؤُهُ : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ .

والحمد لله الذي بعث محمداً رحمةً للعالمين ، وحجّةً علىٰ المجاهدين ، نفخَ به النبين والمرسلين ، صلواتُ الله عليهم أجمعين ، وجعله الدّاعى إلى دين الحق ، والشّديد علىٰ جميع الخلق ، فادّعى إليهم ما استودع من الأمانة ، وبلغهم ما محّل من الرّسالة ؛ فلما اتّقد الله به من التّورط في الضّلاله ، والتّهوّر في العمى والجهالة ؛ وأوضح به المعالم والآثار ، ونهّج به السّند والمآثر ، اختار له ما لديه ، ونقله إلى ما أعدّ له في دار الخلود : من التّيمم الذي لا يتقطّع ولا يبيد . ثم جعله في حُمتِه وأهله وراثته بما قلدهم من خلافته في أمّته ، وقدم لهم شواهد ما اختصّهم به من الفضيله ، وزفّ له الوسيله ، في كتابه النّاطق ، علىٰ لسان نبيّه الصادق ، صلى الله عليه وسلم - منها ما أخبر به من تطهيره إياهم : ليجعلهم ليّا اختاره معدّنا ومحلّا ، إذ يقول جَلَّ وَعَزَّ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ . ومنها ما أمر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من مسأله أمّته المودّة ، فقد أوضح لدوى الألباب أنهم موضِعُ خيرته ، بتطهيره إياهم ، وأهل صفوته ، بما اقترض من مودّتهم ، وولاءه الأمر الذين قرّن طاعتهم بطاعته .

ولم يزل الله عظيم منّة وإتمامه يُدعِمُ أركان دينه ، ويُسيّد أعلام هُدايه ؛ باعزاز السلطان الذي هو ظلّه في أرضه ، وقوّم عدله وقسطه ، والمجاز الدّائد لهم عن الظّالم والتّعاسف ، والحِصْن الحريز عند تحوُّف البوابق ومُلِمّ النّوائب ؛ فليس يَكِيدُ ولا تَه المُستَقِيلين بحقّ الله فيه كائد ، ولا يمحّد ما يجب لهم من حقّ الطّاعة جاحد ، إلّا من أنطوى علىٰ غشّ الأمّة ، ومُحاوَلَة التّشثيث للكلمه .

والحمد لله على ما تولى به أمير المؤمنين في البدء والعاقبة : من الإدلاء بالهجة ،
 والتأييد بالقلبة ؛ عند آشوه من حيز وطأة الخفض (٤) ، متبعا لكتاب الله حيث
 سلك به حُكْمُهُ ، مُقْتَفِيًا سُنَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أنشأت أمامه ،
 باذلاً لله نفسه ، لا يصُدُّه وعيد من تكبر وعتا ، ولا يوحشه خذلان من أذبر وتولى ،
 مُنْتَظِرًا لمن نكث عهده وغدر بيمينه وأتمس المكر به في حقّه الآيات الموجبة
 في قوله : (ثُمَّ بَيَّنَّا عَلَيْهِ لِنَصْرَتِهِ اللَّهُ) . (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ) .
 مُكْتَفِيًا بالله ممن خذله ، مُسْتَعِينًا به على من نصب ، لا يَسْتَفِزُهُ ما أَجْلَبَ به الشيطان
 من خَيْلِهِ وَرَجُلِهِ ، وهو في أنصاره المتحصنين ، لا تستهويهم الشبه في بصائرهم ،
 ولا تخونهم قواعد عزائمهم في ساعة العسرة من بعد ما كادت تَرِيحُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
 مِنْهُمْ ، فَكَتَبَهُمْ أمير المؤمنين ، وَأَنهَدَهُمْ لَعْدُوهُ ، يَنْتَظِرُونَ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : من
 الفلج المبين ، والقوز بالنهضة والسعادة ، فليس يُلْفِتُهُمْ عن حقهم ما يَتَلَقَّوْنَ به من
 الترغيب والترهيب ، ولا يزدادون على عظيم التهاويل والأخطار إلا تَحَقُّقًا وإقدامًا ؛
 مُتَمَثِّلِينَ لِسِيرِ إِخْوَانِهِمْ قَبْلَهُمْ فَمَا أَقْنَصَ اللهُ طَلِبَهُمْ مِنْ شَأْنِهِمْ ، إِذْ يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ :
 (الَّذِينَ قَالُوا لَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ إِلَّا نَاقِلُونَ) . (الَّذِينَ قَالُوا لَمْ يَأْتِ الْبَشَرُ إِلَّا نَاقِلُونَ) .
 حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وكان بداية جند أمير المؤمنين في حربهم التقدُّم بالإضرار والإنذار ، والتخويف
 باقٍ جَلَّ وَعَزَّ وأيامه ، ومأمم مسئولون عنه في مقامه : من عهوده المؤكدة عليهم
 في حرمة ، وبين ركني كتمته ومقام خليله ، المعلقة في بيته ، الشاهد عليها ووُودُهُ .

فكان أول ما بصرهم الله به مُجْمَعُهُ التي لا يقطعها قاطع ، ولا يدفعها دافع ،
 ثم ما جعلهم الله عليه من التناصر والتوازر الذي قَتَّ في أعضائهم ، ودام به من

التَّخَاذُلُ وَالْتَوَاكُلُ ، فَكُلَّمَا تَحَتَّ لَهُمْ قُرُونٌ أَجْتَنَّبَهَا اللَّهُ بِحَدِّ أَوْلِيَائِهِ ، وَكَلَّمَا مَرَقَ مِنْهُمْ مَارِئٌ أَسَأَلَ اللَّهُ مُهْجَتَهُ ، وَأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ .

وَتَحْلَوْهُمْ الْمُبْتَدِئُ بِمَا عَادَتْ عَلَيْهِمْ شِقْمَتُهُ وَنَكَالُهُ قَدْ أَعْلَقَ بِالرَّدَّةِ ، وَصَرَّحَتْ شِيَاطِينُهُ بِالْقَدِيرِ وَالنَّكَثِ ، يَرَى بِذَلِكَ الذَّلَّ فِي نَفْسِهِ وَحِزْبِهِ ، وَتَتَقَصُّ عَلَيْهِ الْأَرْضُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، وَيُؤَيِّئُ بُيُوتَهُ مِنْ قَوَاعِدِهِ ، وَيَرُدُّ اللَّهُ جُيُوشَهُمْ مَفْلُولَةً ، وَجُنُودَهُمْ مُحَلَّاةً عَنْ مَرَائِكِرِهَا ، مَقْمُوعًا بِاطْلَافِهَا . وَلَيْسَ مَعَ مَا نَالَهُ مِنْ تَخَطُّطِ اللَّهِ جَلٌّ وَعِزٌّ نَازِعًا عَنْ أَتَهَالِكِ مُحَارِمِهِ وَمَا يَمُنُّ بِهِ ، وَلَا مُحَدَّثًا عَنْ جَائِحَةٍ يَحُلُّهَا بِهِ إِحْجَامًا عَنِ التَّقَطُّعِ فِي مَلَاحِمِهِ الْمَلْبَسَةِ لَهُ فِي عَاجِلِ مَا يُرِيدُهُ وَيُؤَيِّقُهُ ، وَأَجَلَ مَا يُرْصَدُ اللَّهُ بِهِ الْمُعَايِدِينَ عَنْ سَبِيلِهِ ، النَّاكِينَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - إِذْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ مُتَبَايِنَ الْأَلْفَةِ ، وَضَمَّ لَهُ مُتَشَتِّرَ الْفُرْقَةِ ، عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِحَرْبِهِ وَحِزْبِهِ ، وَعَدُوِّهِ وَوَلِيِّهِ ، وَمَنْ سَعَى لَهُ أَوْعَلِيهِ ، أَوْ أَطَاعَ اللَّهُ أَوْ عَصَاهُ فِيهِ : مِنْ وَافٍ بِلَيْعَةٍ ، أَوْ خَاطِرٍ بِإِلٍّ وَذِمَّةٍ [جَدِيرٌ] أَنْ يُمْ بِجَهْلٍ نَظَرَهُ كَافَّةً رِعِيَّتِهِ ، وَيَتَعَطَّفَ عَلَيْهِمْ بِحُسْنِ عَائِدَتِهِ ، وَيُسْمَلِّهُمْ بِمُسَوِّطِ عَدْلِهِ وَكَرِيمِ عَفْوِهِ ، وَتَقْدِيمِ أَهْلِ الْأَفْكَارِ الْمُحْمُودَةِ ، فِي الْمَوَاطِنِ الْمَشْهُودَةِ ، بِمَا لَمْ تَزَلْ أَنْفُسُهُمْ تَشْتَرِبُ إِلَيْهِ ، وَأَعْيُنُهُمْ تَرْتَوِي نَحْوَهُ ، تُتَحَمَدُ عَنْهُمْ عَاقِبَةُ الطَّاعَةِ ، وَيُجَعَّلُ لَهُمُ الْوَفَاءُ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ ، إِلَى مَا ذَنَرَهُ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْمُتَوَبَّةِ وَمَزِيدِ الشُّكْرَانِ . وَأَمْرَ لِفُلَانٍ بِكَذَا ، وَلِئِنَّ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْفَنَاءِ بِكَذَا ، وَأَمَّنَ الْأَسْوَدَ وَالْأَحْمَرَ ، مَا خَلَا الْمُحَمَّدَ ابْنَ الرَّبِيعِ ، فَإِنَّهُ سَعَى فِي بِلَادِ اللَّهِ وَعِبَادِهِ سَعَى الْمَفْسِدِينَ ، وَأَتَمَّسَ قَقْضَ وَثَائِقِ الدِّينِ .

بِخَبِيرٍ مِنْ حُلِّ مَدِينَةِ السَّلَامِ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ ، غَيْرِ مُتَّبِعِينَ بَيْتَهُ ، وَلَا مَطْلُوبِينَ بِإِحْنَةٍ ، فَلَا تَدْخُلَنَّ أَحَدًا وَحْشَةً مِنْهُمْ لَصَفِيْنَةٍ يَظُنُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَطْوَاءَ عَلَيْهَا ، وَلَا

يُجْلِسُهُ مَا عَاثَ لَهُ عَنْهُ مِنْ ذَنْبِهِ عَلَى [خِلَافٍ] مَا هُوَ مُسْتَوْجِبٌ مِنْ ثَوَابِ طَاعَتِهِ أَوْ نِكَالِ مَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ: ﴿وَلْيَعْمُوا وَلْيَصْغَحُوا أَلَّا يُخَيَّبُوا أَنَّ يَفِرَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ .
 فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَلْهَمَ خَلِيفَتَكُمْ ، مِنْ إِيَابَةِ أَهْلِ السَّوَابِقِ مِنْكُمْ بِأَوْفَى سَعْيِهِمْ ،
 وَالتَّطَوُّلِ عَلَى عَامَّةِ جُنْدِهِ بِمَا شَمِلَهُمْ بِرَفْقِهِ وَحَسَنَتْ عَلَيْهِمْ عَائِدَتُهُ ، وَمَا تَعَطَّفَ بِهِ
 عَلَى أَهْلِ التَّفْرِيطِ : مِنْ إِقَالَةِ هَفَوَاتِهِمْ وَعَثَرَاتِهِمْ ، حَتَّى صَرَّحَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِخْوَانًا
 مُتَرَادِفِينَ ، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ أَضْغَانَكُمْ وَزَعَّ حَسَائِكَ صُدُورِكُمْ ، وَرَدَّ الْفَتَنَ إِلَى أَحْسَنِ
 مَا يَكُونُ ، وَصَرَّحَ بَيْنَ مُتَقَدِّمِ بَنَاءٍ ، وَمُقَمِّعِ بِإِحْسَانٍ . لِحَافِظُوا عَلَى مَا يُرْتَبَطُ بِهِ رَاهُنُ
 النِّعْمَةِ ، وَیُسْتَدْعَى بِهِ حُسْنُ الْمَزِيدِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الأمانات التي تُكْتَبُ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ، مَا يُكْتَبُ بِهِ عَنِ الْمُلُوكِ ،

وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما كَانَ يُكْتَبُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ فِي الزَّمَنِ السَّابِقِ ، مِمَّا كَانَ يُصَدَّرُ عَنْ وَزَرَاءِ

الْخِلَافَةِ وَالْمُلُوكِ الْمُتَقَلِّبِينَ عَلَى الْأَمْرِ مَعَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ أَسْلُوبَانِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُصَدَّرَ بِالْتِمَاسِ الْمُسْتَأْمِنِ الْأَمَانِ)

وهذه نُسخة أَمَانٍ مِنْ هَذَا الْأَسْلُوبِ ، كَتَبَ بِهَا أَبُو [إِسْحَاقَ بْنِ] هَلَالِ الصَّابِئِ ،

عَنْ صَخْصَامِ الدَّوْلَةِ ، بَنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، بَنِ رُسُكِنِ الدَّوْلَةِ ، بَنِ بُوَيْهِ الدَّيْلَمِيِّ لِبَعْضِ

مَنْ كَانَ مُتَخَوِّفًا مِنْهُ ، وَهُوَ :

هذا كَتَبَ من صمصام الدولة وتَمَسَّ المِلَّةُ أبا كَالِجَارَ ، بنَ عَضِدِ الدَّوْلَةِ وَتَاجِ
المِلَّةِ أبا تُجْجَاعَ ، بنَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أبا عَلِيٍّ مَوْلَى أمير المؤمنين - لُفْلَانِ بنِ فُلَانِ .

إِنَّكَ ذَكَرْتَ رَغْبَتَكَ فِي الْإِنْحِيَاذِ إِلَى جُمْلَتِنَا ، وَالْمَصِيرِ إِلَى حَضْرَتِنَا ، وَالسُّكُونِ إِلَى
ظِلِّنَا ، وَالسُّكْنَى فِي كَفِّنَا ، وَأَتَمَسْتَ التَّوَقُّعَ مِنَّا بِمَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسُكَ ، وَيَطْمَئِنُّ
إِلَيْهِ قَلْبُكَ ، فَتَقْبِلُنَا ذَلِكَ مِنْكَ ، وَأَوْجِبُنَا بِهِ الْحَقَّ وَالذَّمَامَ لَكَ ، وَأَمَّاكَ بِأَمَانِ اللَّهِ جَلَّ
شَأْنُهُ ، وَأَمَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، [وَأَمَانِ] أمير المؤمنين أطلال الله بقاءه ،
وَأَمَانِنَا - عَلَى نَفْسِكَ ، وَجَوَارِحِكَ ، وَشَعْرِكَ ، وَبَشِيرِكَ ، وَأَهْلِكَ ، وَوَلَدِكَ ، وَمَالِكَ ،
وَذَاتِ يَدِكَ : أَمَّا نَا صَحِيحًا مَاضِيًا نَافِذًا ، وَاجِبًا لَازِمًا ، وَلَكَ عَلَيْنَا بِالْوَفَاءِ بِهِ إِذَا صُرْتَ
إِلَيْنَا عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ ، مِنْ غَيْرِ تَقْضٍ لَهُ وَلَا فُسْخٍ لِنَا مِنْهُ ، وَلَا تَأْوِيلَ عَلَيْكَ فِيهِ
عَلَى [كُلِّ] ^(١) وَجْهِ وَسَبَبٍ .

ثُمَّ إِنَّا نَتَنَاوَلُكَ إِذَا حَضَرْتَ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ ، وَالْإِصْطِنَاعِ وَالْإِفْضَالِ ، مُوَفِّينَ
بِكَ عَلَى أَمْلِكَ ، وَمُتَجَاوِزِينَ حَدَّ ظَنِّكَ وَتَقْدِيرِكَ . فَاسْكُنْ إِلَى ذَلِكَ وَثِقْ بِهِ ،
وَتَيَقَّنْ أَنَّكَ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ ، وَمُقْفِضٌ إِلَيْهِ . وَمَنْ وَقَفَ عَلَى كِتَابِنَا هَذَا : مِنْ عُمَمَالِ
الْخِرَاجِ وَالْمَعَاوِنِ وَسَائِرِ طَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْمُتَصَرِّفِينَ فِي أَعْمَالِنَا ، فَلْيَعْمَلْ بِمَا فِيهِ ،
وَلْيَحْذَرْ مِنْ تَجَاوُزِهِ أَوْ تَعَدِّيهِ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وعلى نحو من ذلك كتب أبو إسحق الصابى ، عن صمصام الدولة المتقدم ذكره ،
الأمانَ لجماعة من عَرَبِ المتفق ، بواسطة محمد بن المسيب ، وهو :

هذا كتاب منشور من صمصام الدولة، وشمس الملة، أبي كَالِيجَار، بن عَصْد الدولة وتاج الملة أبي شجاع، بن رُكن الدولة أبي عَلِيٍّ، مَوْلَى أمير المؤمنين لجماعة من العرب من المستنق، الرَّاغِبِينَ في الطاعة والداخلين فيها مع أولياء الدولة .

إن محمد بن المسيَّب سأل في أمركم، وذكر رَغَبَتكم في الخِلمه، والآنحياز إلى الجُمُله، وأنتمس أمانكم على نفوسكم وأموالكم، وأهلكم وعشيرتكم؛ على أن تلتزموا الاستقامة، وتسلُكوا سبيل السَّلامه؛ ولا تُخيفُوا سبيلا، ولا تَسْعُوا في الأرض فسادًا، ولا تُخالِفُوا للسلطان وولاءه أَعْمَالِه أُمْرًا، ولا تُؤْوا له عَدُوًّا، ولا تُعَادُوا له وَلِيًّا، ولا تُجِيرُوا أحدًا خرج عن طاعته، ولا تَدْمُوا لِأَحَدٍ طلبه، ولا تَحُونُوهُ في سِرٍّ ولا جَهْرٍ، ولا قَوْلٍ ولا عَمَلٍ . فوَأَيْنَا قَبُولَ ذلك منكم، وإجابةً حميد إلى ما رَغِبَ فيه عنكم، وتَضَمَّنْته المَعهْدَةُ فيما عَقِدَ من هذا الأمان لكم على شرائطه الماخوذة عليكم : في الكَفِّ عن الرِّعْبَةِ والسَّايِلَةِ، وأهل السَّوَادِ والحَاضِرَةِ، وتركِ التَّعَرُّضِ لِلْإِلَالِ والدِّمِّ، أو الاتِّهَافِ لِدِمِيَّةٍ أو عَرَمٍ، أو الأَرْتِكَابِ لِمُنْكَرٍ أو مَأْثَمٍ .

فكونوا على هذه الخُطُوبِ قَائِمِينَ، وللصَّحَّةِ والاستقامة مُتَعَقِدِينَ، ولأَحْدَانِكُمْ ضَائِلِينَ، وعلى أَيْدِي سُفَهَائِكُمْ آخِذِينَ؛ وأنتم مع ذلك آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَأَمَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَانِ مَوْلَانَا أمير المؤمنين، وَأَمَانِيَا : على نفوسكم وأموالكم وأحوالكم، وكلِّ دَاخِلٍ في هذا الأمانِ وشَرَائِطِهِ معكم : من أَهْلِكُمْ وَعَشِيرَتِكُمْ وَأَتْبَاعِكُمْ، وَمَنْ ضَمَّنْتَهُ حَوَازِكُمْ .

ومن قرأ هذا الكتاب من عَمَلِ الْخَرَاجِ وَالْمَعَاوِنِ، وَالْمُنْصَرِّفِينَ فِي الْحُمَارَةِ وَالسَّيَارَةِ وغيرهم من جميع الأسباب، فَلْيَعْمَلْ بِمُتَضَمَّنَتِهِ، وَلْيَحْمِلْ جَمَاعَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى مُوجِبِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الأسلوب الثاني

(أن لا يتعزض في الأمان لاكتماس المستأمن الأمان)

وهذه نسخة أمان على هذا الأسلوب، أورده أبو الحسين بن الصابي في كتابه "غرر البلاغة" ونصه بعد البسملة :

هذا كتاب من فلان مؤلى أمير المؤمنين لفلان .

إنا أمناك على نفسك ومالك ولديك وحريمك، وسائر ما تحويه يدك، ويشتمل عليه ملكك ؛ بأمان الله جلّت أسماؤه، وعظمت كبريائه، وأمان عهد رسوله صلى الله عليه وسلم، وأماننا - أمانا صحيحا غير معلول، وسليما غير مدخول، وصادقا غير مكذوب، وخالصا غير مشوب ؛ لا يتداخله تأويل، ولا يتعقبه تبديل ؛ قد كفله القلب المحفوظ ، وقام به المهدد الملحوظ - على أن تملك الصيانة فلا يلحقك اعتراض معتزض، وتكتفك الحراسة فلا يطرقك اغتياض مُتَمَضٍّ ؛ وتترك النصرة فلا يتالك كف مُتَخَطَفٍ ، ولا تمتد إليك يد متطرف ؛ بل تكون في ظل السلامة راتبا ، وفي محاماة الأمانة وإدعاء ؛ وبعين المراقبة ملحوظا ، ومن كل تعقب وتبغ محفوظا ؛ لك بذلك عهد الله الذي لا يخفى، ومواريقه التي لا تستك ؛ وذمامه الذي لا يرفض، وعهده الذي لا ينقض :

المذهب الثاني

(مما يكتب به في الأمانات لأهل الإسلام - أن يفتح الأمان بلفظ : «رسم»)

كما تفتح صغار التواقيع والمراسيم ، وهي طريقة غريبة)

وهذه نسخة أمان على هذا النمط ، أوردها محمد بن المكرم أحد كتّاب ديوان الإنشاء في الدولة المنصورية «قلاوون» في تذكرة التي سماها : «تذكرة ألبلب»

كتب بها عن المنصور قلاوون المقدم ذكره ، للتجار الذين يصلون إلى مصر من الصين والهند والسند واليمن والعراق وبلاد الروم ، من إنشاء المولى قحّ الدين بن عبد الظاهر صاحب ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار المصرية ، وهى :

رُسم - أعلى الله الأمر العالى - لا زال عدله يُحلّ الرعايا من الأمن في حصن حصين ، ويستخلص الدماء لنوّه الزاهرة [من] أهل المشرق والمغرب فلا أحد إلا وهو من المخلصين ، ويهيبُ برحابها للعنفين جنة عدن من أى أبوابها شاء الناس دخولاً : من العراق من النجم من الروم من الحجاز من الهند من الصين - أنه من أراد من الصدور الإجلاء الأكاثر التجار وأرباب التكسب ، وأهل التسبب ، من أهل هذه الأقاليم التى عُدّت والى لم تمُد ، ومن يؤثّر الورود إلى ممالكها أن أقام أو تردّد - الثقلة إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها ، الظليلة أفيائها وأفناؤها ، فليعزم عزم من قدر الله له في ذلك الخير والخير ، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة ولا إلى ذخيرة : لأنها في الدنيا جنة عدن لمن قطع ، ومسلة لمن تغرب عن الوطن ، ونزعة لا يملؤها بصر ، ولا تُهجر للإفراط في الخصر ، والمقيم بها في ربيع دائم ، وخير ملازم ، ويكفيها أن من بعض أوصافها أنها شامة الله في أرضه ، وأن بركة الله حاصلة في رجل من جعل الإحسان فيها من قراضه والحسنة من قرضه ؛ ومنها ما إذا أهيّط إليها أمل كان له ما سأل ، إذ أصبحت دار إسلام يجنود تسبق سيوفهم العدل ، وقد عمر العدل أوطانها ، وكثر سكناها ، وأُسعت أبنيتها إلى أن صارت ذات المدائن ، وأيسر المعسر فيها فلا يتحشّى سورة المدائن ؛ إذ المطالب بها

غير متعسره ، والنظرة فيها إلى ميسره ؛ وسائر الناس وجميع التجار ، لا يتحشون فيها من يحور فان العدل قد أجار .

فن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين باليمن والمهند ، والصين والسند ؛ وغيرهم ، فلما أخذ الأهبة في الاحتمال إليها ، والقُدوم عليها ؛ ليجد القفال من المقال أكبر ، ويرى إحساناً يقابل في الوفاء بهذه العهود بالأكثر ؛ ويحل منها في بلدة طيبة ورب غفور ، وفي نعمة جزاؤها الشكر وهل يُجازى إلا الشكور ؛ وفي سلامة في النفس والمال ، وسعادة تجل الأحوال وتمول الآمال ؛ ولم منا كل ما يؤثرونه : من معذلة تجيب داعيها ، وتجدد عيشهم دواعيها ، وتبقى أموالهم على تحفظهم ، وتستخلصهم لأن يكونوا متفيتين في ظلالها وتصفطفيهم ؛ ومن أحضر معه بضائع من بهار وأصناف تحضرها تجار الكارم فلا يخاف عليه في حق ، ولا يكلف أمراً يشق ، فقد أتى لهم العدل ما شاق ورفع عنهم ما شق ؛ ومن أحضر معه منهم ممالك وجوارى فله في قيمتهم ما يزيد على ما يريد ، والمساعدة بما يتعوضه بتمهم على المعتاد في أمر من يجلبهم من البلد القريب فكيف من البعيد : لأن رغبنا مصروفة إلى تكثير الجنود ، ومن جلب هؤلاء فقد أوجب حقاً على الجود ؛ فليستكثر من يقدر على جلبهم ، ويعلم أن تكثير جيوش الإسلام هو الحاث على طلبهم : لأن الإسلام بهم اليوم في عز لوائه المنثور ، وسلطانه المتصور ، ومن أحضر منهم فقد أخرج من الظلمات إلى النور ؛ ودم بالكفر أمسه وحيد بالإيمان يومه ، وقاتل عن الإسلام عشيرته وقومه .

هذا مرسومنا إلى كل واقف عليه من تجار شأنهم الضرب في الأرض :
(يَتَنَوَّنَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُهَايِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) . ليقراوا منه ما ييسر لهم

من حُكِّمِهِ، وَيَهْتَدُونَ بِحُجَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِعِلْمِهِ؛ وَيَمْتَشُّونَ كَاهِلَ الْأَمَلِ الَّذِي يَحْمِلُهُمْ عَلَى الْمِجْرَةِ، وَيَسْطُونُ أَيْدِيَهُمْ بِاللُّدَاءِ لِمَنْ يَسْتَنْدِي إِلَى بِلَادِهِ الْخَلَائِقَ لِيَفُوزُوا مِنْ إِحْسَانِهِ بِكُلِّ نَضَارَةٍ وَبِكُلِّ نَظَرَةٍ، وَيَقْتَنِمُونَ أَوْقَاتَ الرِّيحِ فَإِنَّهَا قَدْ أَدْنَتْ قِطَافَهَا، وَبَشَتْ بِهَذِهِ الْوُعُودِ الصَّادِقَةِ إِلَيْهِمْ مُحَقَّقٌ لِمَنْ حُسْنَ التَّأْمِيلِ، وَتَثَبُّتٌ عِنْدَهُمْ أَنْ يَخْطُ الشَّرِيفَ حَاكِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ عَلَى مَا قَالَتْهُ الْأَقْلَامُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

قلتُ : هذا المكتوبُ وإن لم يكن صريحاً آمناً فإنه في معنى الأمان، كما أشار إليه ابنُ المَكْرَمِ . وفيه غرابتان : إحداهما - الافتتاح « بِرُسْمِ » ، والثانية - الكتابةُ به إلى الأفاق البعيدة والأقطار النائية، إشارةً إلى امتداد لسان قلم هذه المملكة إليهم .

الضرب الثاني

(من الأمانات التي تُكتب لأهل الإسلام ماعليه مصطلح زمانتا، وهي صنفان)

الصنف الأول

(ما يُكتب من الأبواب السلطانية)

والنظر فيه من جهة قَطْعِ الْوَرَقِ، ومن جهة الطَّزَةِ، ومن جهة ما يُكتب في المَتَرِ .

فأما قَطْعُ الْوَرَقِ فقد قال في «التحقيق» : إن الأمان لا يُكتب إلا في قَطْعِ الْعَادَةِ .

قلتُ : والذي يَحْتَجُّهُ أَنْ تَكُونَ كِتَابَةُ أَمَانٍ كُلِّ أَحَدٍ فِي تَطْيِيرِ قَطْعِ وَرَقِ الْمَكْتَابَةِ إِلَيْهِ . فإن كان من تُكتب المَكْتَابَةُ إِلَيْهِ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ، كُتِبَ لَهُ فِي قَطْعِ الْعَادَةِ . وإن كان في قَطْعِ قَوْقِ ذَلِكَ، كتب فيه .

وأما الطُورَةُ فقد قال في "التتقيف" : إنه يُكتب في أعلى الدَرَج في الوَسَط الاسمُ الشَّرِيفُ ، كما في المكاتبات وغيرها ، ثم يكتب من أول عَرْض الورق إلى آخره كما في سائر الطُورِ ما صُوِّرَتْه :

« أمانٌ شَرِيفٌ لفلان بن فلان الفُلانيّ بأن يحضُر إلى الأبواب الشريفة ، أو إلى بَلَدِهِ أو مكانه ، أو نحو ذلك آمِنًا على نَفْسِهِ وأهْلِهِ وَمَالِهِ ، لا يُصِيبُهُ سُوءٌ ، ولا ينالُهُ ضَمٌّ ، ولا يَمَسُّه أذى ، على ما تُشِرح فيه » .

قلتُ : والعلامةُ في الأمان الاسمُ ، والياضُ بعد الطُورَةِ على ما في المكاتبات إما وَصْلانٍ أو ثلاثة ، بحسب ما تقتضيه رُتْبَةُ صاحبِ الأمان ، وبحسب ما يقتضيه الحال : من مُداواة من يُكتب له الأمان : لخَوْفِ اسْتِشْراءِ شرِّهِ وما يُخالف ذلك .

وأما مَتْنُ الأمان : فإنه تُكتبُ البَسْمَلَةُ في أوَّلِ الوَصْلِ الثالثِ أو الرابع ، بهامش من الجانب الأيمن كما في المكاتبات ، ثم يُكتب سَطْرٌ من الأمان تحت البَسْمَلَةِ على سَمتِها ، ويحْتَلَى موضعُ العلامة بياضًا كما في المكاتبات ، ثم يكتب السَطْرُ الثاني وما يليه على نَسَقِ المكاتبات .

قال في "التعريف" : ويجمعُ المقاصدُ في ذلك أن يُكتب بعد البَسْمَلَةِ : « هذا أمانٌ الله تعالى وأمانٌ نبيِّهِ عِدٍ ^(١) [نبيِّ الرحمة] صَلَّى الله عليه وسلم وأماننا الشَّرِيفُ ، لفلان بن فلان الفُلانيّ [ويذكر أشهرَ أسمائِهِ وتعميقَهُ ^(١)] ، على نَفْسِهِ وأهْلِهِ وَمَالِهِ ، وجميعِ أَصْحابِهِ وَأَنْسَبائِهِ وكلِّ ما يتعلق به : من قليل وكثير ، وحليلٍ وحَقِيرٍ - أمانًا لا يَبْقَى معه خَوْفٌ ولا جَرَعٌ في أوَّلِ أَمْرِهِ ولا آخِرِهِ ، ولا عاجِلِهِ ولا آجِلِهِ ، يَنْحَصُّ ويُمُّ ، وتُصانُ به النَّفْسُ والأَهْلُ والوَلَدُ والمَالُ وكلُّ ذاتِ اليَدِ - فليحضُرْهُ هو

(١) من "التعريف" ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

وبَنُوهُ ، وَأَهْلُهُ وَدَوُوهُ وَأَقْرَبُوهُ ، وَغُلَامَاتُهُ وَكُلُّ حَاشِيَتِهِ ، وَجَمِيعُ مَا يَمْلِكُهُ مِنْ دَانِيَتِهِ وَقَاصِيَتِهِ ؛ وَلِيُصَلَّ بِهِمُ الْإِنْسَاءُ ، وَيَقْدَّ عَلَى حَضْرَتِنَا فِي ذِمَامِ اللَّهِ وَكَلَّامَتِهِ وَضَمَانَتِهِ هَذَا الْأَمَانِ ، لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ مَنَاءً ، وَلَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ قِبَلِنَا ، وَلَا يُتَعَرَّضَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ وَلَا أَذًى ، وَلَا يَرْتَقِ لَهُ مَوْرِدٌ بَقْدَى ؛ وَلَهُ مِنَّا الْإِحْسَانُ ، وَالصَّفَاءُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ؛ وَالرَّعَايَةُ الَّتِي تُؤَدِّنُ سِرِّهِ [وَهَيْئَتُهُ شَرِبُهُ] وَيَطْمَئِنُّ [بِهَا] خَاطِرُهُ ، وَتُرْفَرُ عَلَيْهِ كَالسَّحَابِ لَا يَنَالُهُ إِلَّا مَاطَرُهُ .

فَلِيَحْضُرْ وَائْتِمًا بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ ، وَقَدْ تَلَفَّفْنَا لَهُ بِهِ لِيَزْدَادَ وَثُوقًا ، وَلَا يَجِدَ بَعْدَهُ سُوءَ الظَّنِّ إِلَى قَلْبِهِ طَرِيقًا . وَسَبِيلُ كُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ إِكْرَامُهُ فِي حَالِ حُضُورِهِ ، وَإِجْرَاؤُهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا عَاهَدَ مِنْ أُمُورِهِ ؛ وَلِيَكُنَّ لَهُ وَلِكُلِّ مَنْ يَحْضُرُ مَعَهُ أَوْفَرُ تَصْهِيبٍ مِنَ الْإِكْرَامِ ، وَتَبْلِغُ قُصَارَى الْقَصْدِ وَنَهَايَةِ الْمَرَامِ ؛ وَالاعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

وَذِكْرِي "التَّشْفِيفَ" : بِصِيغَةٍ أُخْصِرَ مِنْ هَذِهِ ، وَهِيَ :

« هَذَا أَمَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَانُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانُ الشَّرِيفِ لِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ الْفُلَانِيِّ ، بَأَنْ يَحْضُرَ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ ، وَلَا يَنَالُهُ ضَمٌّ ، وَلَا يَمَسُّهُ أَذًى . فَلْيَتَّقِ بِاللَّهِ وَبِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ وَيَحْضُرَ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، آمِنًا مُطْمَئِنًّا ، لَا يُصِيبُهُ سُوءٌ ، وَلَا يَنَالُهُ أَذًى فِي نَفْسٍ وَلَا مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا وَلَدٍ . وَالاعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بَيْنَهُ وَكَرَمُهُ .

وزاد فقال : ثم التاريخُ والمستندُ والحسبةُ . ولا يُكْتَبُ فِيهِ : « إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » لِأَنَّهَا تَقْتَضِي الْإِسْتِثْنَاءَ فَيَا وَقَعَ مِنَ الْأَمَانِ الْمَذْكُورِ .

ثم قال : هذا هو الأمر المستقر من ابتداء الحال وإلى آخر وقت ، لم يكتب خلاف ذلك . غير أن القاضي شهاب الدين ذكر النسخة المذكورة بزيادات حسنة لا بأس بها ، لكنني لم أرا أنه كتب بها في وقت من الأوقات . ثم قال : وهي في غاية الحسن ، وكان الأولى أن لا يكتب إلا هي .

قلت : وقد رأيت عدة نسخ أمانات فيها زيادات ونقص عما ذكره في "التعريف" و"التتيف" . والتحقيق ما ذكره صاحب "مواد البيان" : وهو أن مقاصد الأمان تختلف باختلاف الأحوال ، والذي يضبط إنما هو صورة الأمان ، أما المقاصد فإن الكاتب يدخل في كل أمان ما يليق به مما يناسب الحال .

وهذه نسخة أمان ، كتب بها لأسد الدين ربيعة أمير مكة ، في سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ، من إنشاء القاضي تاج الدين بن الباربناري ، وهي :

هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأماننا الشريف ، للجلس العالي الأسدي ربيعة ابن الشريف تميم الدين محمد بن أبي نمي : بأن يحضر إلى خدمة السنجق الشريف المجهز بحجة الجناح السني ايمش الناصري ، آمنا على نفسه وماله وأهله وولده وما يتعلق به ، لا يخشى حلول سطوة قاصمه ، ولا يخاف مؤاخذه حاسمه ، ولا يتوقع خديعة ولا مكرا ، ولا يجد سوءا ولا ضرا ، ولا يستشعر مهابة ولا وجلا ، ولا يرهب بأسا وكيف يرهب من أحسن عملا ؟ بل يحضر إلى خدمة السنجق آمنا على نفسه وماله وآله ، مطمئنا واثقا بالله وبرسوله وبهذا الأمان الشريف المؤكد الأسباب ، المبيض للوجوه الكريمة الأحساب ، وكل ما يخطر بباله أنا نواخذ به فهو مغفور ، وقه عاقبة الأمور ؛

وله من الإقبال والتأخير والتقديم ، وقد صَفَحْنَا الصَّفَحَ الْجَمِيلَ : (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) .

فَلْيَتَّقِ بِهَذَا الْأَمَانِ الشَّرِيفِ وَلَا تَذْهَبْ بِهِ الطُّنُونُ ، وَلَا يَصْنَعْ إِلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؛ وَلَا يَسْتَشِرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَلَا يَظُنَّ إِلَّا خَيْرًا فَيَوْمُهُ عِنْدَنَا نَاسِخٌ لِأَمْسِهِ ؛ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فَيَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ] : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَيْدِي بِفَيْظُنَّ بِي خَيْرًا » .

فَتَمَسَّكَ بِرُوءِ هَذَا الْأَمَانِ فَانْهَاقَ ، وَأَعْمَلَ عَمَلًا لَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقُ ؛ وَنَحْنُ قَدْ أَمَّاكَ فَلَا تَحْتَفِ ، وَرَعَيْنَا لَكَ الطَّاعَةَ وَالشَّرَفَ ؛ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ؛ وَمِنْ أَمْنَاهُ فَقَدْ فَازَ ، فِطْبَ نَفْسًا وَقَرَّ عَيْنًا فَانْتَ أَمِيرُ الْمَجَازِ .

قُلْتُ : هَذَا الْأَمَانُ إِنْشَاءٌ مَبْتَكَّرٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ ، وَهَكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ أَمَانٍ يَكْتُبُ .



وهذه نُسخَةُ أَمَانٍ كُتِبَ بِهَا عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ « بِرَقُوق » عِنْدَ مُحَاصَرَتِهِ لِدِمَشْقَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْكَرْكِ بَعْدَ خُلْعِهِ مِنَ السُّلْطَنَةِ : أَمِنْ فِيهَا أَهْلُ دِمَشْقَ خِلا الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ بْنِ الْقُرْشِيِّ وَجُرْدَمَرِ الطَّارِبِيِّ ، كُتِبَ فِي لَيْلَةِ يُسْفِرُ صَبَاحُهَا عَنْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ ، سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ ، وَهِيَ :

هَذَا أَمَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَانُ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، وَشَفِيعِ الْأُمَمِ ، وَكَاشِفِ الْغَمِّ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانًا لِكُلِّ وَاقِفٍ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ الْحُرُوسَةِ : مِنَ الْقُضَاةِ ، وَالْمُفَتِّينَ ، وَالْفُقَهَاءِ ، وَطَالِبِي الْعِلْمِ الشَّرِيفِ ، وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْأُمَرَاءِ ، وَالْأَجْنَادِ ، وَالتَّجَارِ ، وَالْمَتَسَبِّينَ ، وَالشُّبُوحَ ، وَالْكُهُولَ

والشبان ، واليكر والصغار ، والذكور والإناث ، والخاص والعام من المسلمين
و [أهل] النعمة ، إلا جردم الطاربي ، وأحمد بن القُرشيّ - على أنفسهم ، وأموالهم ،
وأولادهم ، وأهلهم ، وحريمهم ، وأصحابهم ، وأتباعهم ، وغلمانهم ، وقبائلهم ،
وعشائرهم ، ودوائهم ، وما يملكونه من ناطق وصامت ، وكل ما يتعلق بهم : من كثير
وقليل ، وجليل وحقيق . أمان لا يبق مع خوف ولا جزع ، في أول أمره ولا في آخره ،
ولا في حاجله ولا في آجله ، ولا ضرر ، ولا مكرب ، ولا غدر ، ولا خديعة ، يحص
وبهم ، وتضأن به النفس والمال ، والولد والأهل ، وكل ذات يد .

فليحضروا بينهم ، وأهلهم وذويهم ، وأقربائهم ، وغلمانهم ، وحاشيتهم ، وجميع
ما يملكونه من ناطق وصامت ، ودان وقاص ، وليصلوا بهم إلينا ، وليفدوا بهم على
حضرتنا الشريفة في ذمام الله تعالى وكلايته ، وضمان هذا الأمان . لم ذمة الله تعالى
وذمة رسوله سيدنا محمد نبي الرحمة ، صلى الله عليه وسلم - أن لا ينالهم مكروه منا ،
ولا من أحد من قبلنا ، ولا يتعرض إليهم بسوء ولا أذى ، ولا يرق لهم مورد بقدي ،
ولهم منا الإحسان ، والصفاء بالقلب واللسان ، والرعاية التي نؤمن بها سربهم ، ونهني
بها سربهم ، ويعظمين بها خاطرهم ، وترفرق عليهم كالسحاب لا ينالهم إلا ما طهرهم .

فليحضروا واثقين بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبهذا الأمان
الشريف . وقد تلطفنا بهم ليزدادوا وثوقا ، ولا يجرد سوء الظن بعد ذلك إلى قلوبهم
طريقا . وسبيل كل واقف عليه إكرامهم في حال حضورهم ، وإجراؤهم على أكمل
ما عيئوه من أمورهم ؛ وليكن لهم ولكل من يحضر معهم وما يحضر أوفر نصيب
من الإكرام ، والقبول والاحترام ، وتبلغ قصارى القصد ونهاية المرام ، والصفح
والرضا ، والعفو عما مضى ؛ وليتمسكوا بعروة هذا الأمان المؤكدة الأسباب ، الفايح

إلى الخيرات كلِّ باب؛ ولْيَتَّقُوا بُرُوتَهُ الْوُثْقَى، فَإِنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى؛
ولْيُشْرَحُوا بِالصَّفْحِ عَمَّا مَضَى صَدْرًا، وَلَا يَغْشَوْا صَنْيَا وَلَا ضُرًّا، وَلَا يَعْزِضُ كُلُّ
مَنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِمَّا جَنَى وَأَقْتَرَفَ، فَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

وَنَحْنُ نَعْرِفُهُمْ أَنَّ هَذَا أَمَانًا بَعْدَ صَبْرِنَا عَلَيْهِمْ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ يَوْمًا مَعَ قُدْرَتِنَا عَلَى
دَوَسِ دِيَارِهِمْ وَتَحْرِيبِهَا، وَأَسْتَنْصَالِ شَأْنِهِمْ، وَلَكَّا مَنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ
وَالسَّنَةُ الشَّرِيفَةُ، فَإِنَّا مَسْتَمْسِكُونَ بِهَا، وَخَوْفُنَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا
عِجْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وَهُمْ يَفَالِطُونَ أَنْفُسَهُمْ وَيظُنُّونَ أَنَّ تَأْخِيرَنَا عَنْهُمْ عَنْ عَجْزِنَا .

فَلْيَتَّقُوا هَذَا الْأَمَانَ الشَّرِيفَ بِقَلْبِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ، وَلْيَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلْيَصُونُوا
دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ، وَحُرْمَتَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، فَقَدْ رَأَوْا مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ نَكْبَتِهِمْ
وَبُيُوتِهِمْ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿قَدْ نَكَّتَ فَاِئِمَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ بَيْنِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ . وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا﴾ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ لِمَنْ وَفَّى بِعَهْدِهِ : وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا : ﴿ثُمَّ بَيَّنَّ عَلَيْهِ
لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ . وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَيْعُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ .
وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ : الْمَكْرُ وَالْبَغْيُ وَالْخَدِيعَةُ » . وَقَالَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ : « الْمَرْءُ يَجْزِي بِعَمَلِهِ » . وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « الْجُرَّاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ » .
وَقَالَ أَهْلُ التَّصَوُّفِ : (الطَّرِيقُ تَأْخُذُ حَقًّا) . وَقَالَ أَهْلُ الْحِكْمَةِ : (الطَّبِيعَةُ كَافِيَةٌ) .
وَقَالَ الشَّاعِرُ :

قَضَى اللَّهُ أَنَّ الْبَنَى بَصَرُ أَهْلِهِ * وَأَنَّ عَلَى الْبَاغِي تَمُورُ الدَّوَابِرُ !

ثم إنهم يُملّون آمالمهم بعسى ولعل، ويقولون : العسكرُ المِصرى وإِصلٌ إليهم نَجدة لهم ، وهذا والله من أكبر حِسرَاتنا أن تكون هذه الإشاعة صحيحة ، وبهذا طمعت آمالنا ، وصَبَرنا هذه المدة الطويلة ، وتمتينا حُضُورَه وَرَجَواته ، فإنه بأجمعه مما ليكُ أبوابنا الشريفة ، وقد صارت الممالك الشريفة الإسلامية المحروسة في حوزتِنا الشريفة ، ودخل أهلها تحت طاعتنا المفترضة على كلِّ مُسلم يؤمن بالله تعالى وبنيّه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر : من حاضِر وبَادٍ ، وعُربانٍ وأكرادٍ وتُرُكيانٍ ، وقايصٍ ودَيانٍ ؛ وهم يتحققون ذلك ويُكاثِرُونَ في المحسوس ويتعلّلون بعسى ولعل، ويقولون : ياليت ، فيقال لهم : هيات .

فليستدرِكوا الفارط قبل أن يعضوا أيديهم ندما ، وتجري أعينهم بدل الدُمُوع دِما ؛ وهذا مِنّا والله أمانٌ ونصيحةٌ في الدنيا والآخرة ، والله تعالى ربُّ النَّبات ، وعالمُ الحَقائِق ، يلمهون ذلك ويَعْتَمِدُونَه ؛ والله تعالى يُوفِّقُهُم فيما يُريدُونَه ويُعيدُونَه ؛ وانلُحظ الشريّف شرفه الله تعالى وأَعلاه ، وصرفه في الآفاق وأَمْضاءه - أَعلاه ، حجة فيه .

قلتُ : وهذا الأمانُ أَوَّلُه مُلَفَّقٌ من كلام "التعريف" وغيره ، وآخره كلامٌ سُوقِي مُبْتَدَلٌ نازلٌ ، ليس فيه شيءٌ من صناعة الكلام .

(تنبيه) من غرائب الأمانات ما حكاه محمد بن المكرم في كتابه : "تذكرة اللبيب" أن رُسلَ صاحبِ اليَمينِ وقَدَّتْ على الأبواب السلطانية ، في الدولة المنصورية « قلاوون » في شهر رمضان ، سنة ثمانين وستمائة ، وسألوا السلطان في كُتُب أمان لصاحب اليَمينِ ، وأن يُكتب على صدره صورة أمانٍ له ولأولاده ، فكتب له ذلك وشيئته علامة السلطان ، وعلامة وليّه « الملك الصالح علي » . وأعلمهم

أَنْ هَذَا مِمَّا لَمْ يَجْرِبْهُ عَادَةً ، وَإِنَّمَا أَجَاهِمُ إِلَى ذَلِكَ إِكْرَامًا لِمُحْدُوهُمْ ، وَمُوَافَقَةً لِقَرَضِهِ وَأَقْرَاحِهِ .

الصنف الثاني

(من الأمانات الجارية عليها مُصْطَلَحُ كُتَّابِ الزَّوَانِ ، مَا يُكْتَبُ
عن ثَوَابِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ)

وهو على نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِمَّا يُكْتَبُ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَزَادُ فِيهِ :
« وَأَمَانُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ » وَتَذَكُّرُ أَلْقَابِهِ الْمَعْرُوفَةِ ، ثُمَّ يُؤَوَّلُ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَمَانِ ، عَلَى
الطَّرِيقَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَيُقَالُ فِي طَرَّتِهِ : « أَمَانُ كَرِيمٍ » . وَيُقَالُ فِي آخِرِهِ : « وَالْعَلَامَةُ
الْكَرِيمَةُ » كَمَا تَقَدَّمَ فِي التَّوَاقِعِ .

وهذه نُسْخَةُ أَمَانٍ كُتِبَتْ بِهِ عَنْ نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِحَلَبَ فِي نِيَابَةِ الْأَمِيرِ قُشْتَمَشِيرِ
الْمَنْصُورِيِّ ، فِي الدَّوْلَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ « شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنٍ » لِبَعْضٍ مِنْ أَرَادَ تَأْمِينَهُ ، وَهِيَ :

هَذَا أَمَانُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَمَانُ نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَانُ
مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ ، الْعَالِمِ ، الْعَادِلِ ، الْمُجَاهِدِ ، الْمُرَابِطِ ، الْمُتَغَايِرِ ، الْمُؤَيَّدِ ،
الْمَالِكِ ، الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ ، نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ ، سُلْطَانِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، مُخَيِّ
الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ ، مُنْصِفِ الْمَظْلُومِينَ مِنَ الظَّالِمِينَ ، قَامِعِ الْكُفْرَةِ وَالْمُشْرِكِينَ ، قَاهِرِ
الطُّغَاةِ وَالْمُعْتَدِينَ ، مُؤَمِّنِ قُلُوبِ الْخَائِفِينَ وَالتَّائِسِينَ ، مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ ، صَاحِبِ الْقِبْلَتَيْنِ
خَادِمِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ ، وَارِثِ الْمُلْكِ ، سُلْطَانِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالتُّرْكِ ، مَلِكِ
الْأَرْضِ ، الْحَاكِمِ فِي طَوْلِهَا وَالْعَرَضِ ، سَيِّدِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، قَسِيمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
« شُعْبَانُ » ابْنِ الْمَلِكِ الْأَعْجَدِ جَمَالِ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ « حُسَيْنُ » ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ

الملك الناصر، ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين «محمد» ابن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور «قلاوون» - خلد الله ملكه، وجعل الأرض بأسرها ملكه - إلى فلان بالحضور إلى الطاعة الشريفة : طيب القلب، منبسط الأمل، آمناً على نفسه وماله وأولاده، وجماعته وأصحابه ودوابه، لا يخاف ضرراً ولا مكراً، ولا خديعة ولا غدراً، وله مزيد الإكرام والاحترام، والرعاية الوافية الأقسام، والعفو والرضا، والصفح عما مضى .

فليتمسك بعروة هذا الأمان المؤكد الأسباب، الفاتح إلى الخيرات كل باب، وليثق بعروته الوثقى، فإنه من تمسك بها لا يضل ولا يشقى، وليسرّح بالصفح عما مضى صدراً، ولا يخش ضيماً ولا ضرراً، ولا يعرض على نفسه شيئاً مما جنى وأقترف، فقد عفا الله عما سلف، وانحطت الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه مجية فيه .

قلت : وما ينبني التنبيه عليه في الأمانات، أنه إن احتاج الأمر في الأمان إلى الأيمان، أتى بها بحسب ما يقتضيه حال الحاليف والمحلوف له، على ما تقدم ذكره في المقالة الثامنة .

الباب الثاني

من المقالة التاسعة

(في الدفن)

والمراد به دفن ذنوب من يُكْتَب له حتى لم تُرَبَّد، وفيه فصلان :

الفصل الأول

في أصله وكونه مأخوذاً عن العرب

والأصل فيه ما ذكره في "التعريف" أن العرب إذا جئ أحدهم منهم جناية، وأراد المجيء عليه العقوب عما وقع، فالتعميل في الصّفح فيها على الدفن. قال في "التعريف" :
وطريقهم فيه أن يجتمع أكابر قبيلة الذي يدفن بحضور رجال يثق بهم المدفون له،
ويقوم منهم رجل، فيقول للمجني عليه : تريد منك الدفن لفلان، وهو مقرباً
أهاجك عليه، ويسدد ذنوبه التي أخذ بها ولا يبقى منها بقية، ويقر الذي يدفن ذلك
القائل على أن هذا جملة ما يقيمه على المدفون له، ثم يحفر بيده حفرة في الأرض،
ويقول : قد أقيمت في هذه الحفرة ذنوب فلان التي تقيمتها عليه، ودفتها له دفني
لهذه الحفرة، ثم يرد تراب الحفرة إليها حتى يدفنها بيده. قال : وهو كثير متداول
بين العرب، ولا يطمئن خاطر المذنب منهم إلا به، إلا أنه لم تجر للعرب فيه عادة
بكتابة، بل يُكْتَفَى بذلك الفعل بحضر كبار الفريقين، ثم لو كانت دماء أو قتلى
عُفِّت وعُفَّت بها آثار الطلائب .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة التاسعة

(فيما يكتب في الدفن عن الملوك)

قال في " التعريف " : وصورته أن يكتب بعد البسملة : « هذا دفنٌ لذنوب فلان ، من الآن لا تُذكر ولا يطالب بها ، ولا يُؤخذُ بسببها ؛ أفضت المراحمُ الشريفةُ السلطانية الملكة الفلانية ، ضاعف الله تعالى حسناتها وإحسانها : وهي ما بدأ من الذنوب لفلان من الجرائم التي ارتكبها ، والمظالم التي احتجبها ، وحصل العقو الشريف عن زللها ، وقابل الإحسان العيم بالتعمد سوء عملها ؛ وهي : كذا وكذا (وتذكر) : دفناً لم تبق معه مؤاخذهٌ بسبب من الأسباب ، ومات به الحقد وهيل عليه التراب ؛ ولم يبق معه لمطالبُ بشيء منه مضع ، ولا في إحيائه رجاءٌ وفي غير ما وارت الأرض فاطمع ؛ تصدق بها سيدنا ومولانا السلطان الأعظم (ويذكرُ ألقابه وأسمه) - تقبل الله صدقته - وعفا عنها ، وقطع الرجاء بالأس منها ؛ وأبطل منها كل حق يُطلب ، وصفح منها عن كل ذنب كان [به] ^(١) يُستدنب ؛ ودفنها تحت قدمه ، ونسبها في علم كرمه ، وخلأها نسباً منسياً لا تُذكر في خسارة ديمه ؛ وجعلها بها مقيمياً في أمين الله تعالى إلى أن يبعث الله تعالى خلقه ، ويتقاضى كما يشاء حقه ؛ لا يتعقب في هذا الأمان مُتعقب ، ولا ينتهي إلى أمد له نظر مرقب ؛ لا يُنبش هذا الدفين ، ولا يُوقف له على أثر في اليوم ولا بعد حين ؛ ولا يُحصى فيه صبر مُصابر ، ولا يُقال فيه :

(١) الزيادة عن " التعريف " ص ١٦٦ .

إِلَّا وَهَبًا كَشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَأَزْجٍ بِهِ الدَّارُ أَوْ مَنَ غَيْبَتِهِ الْمَقَابِرُ . وَرُسِمَ بِالْأَمْرِ
الْشَّرِيفِ الْعَالِي ، الْمُتَوَلَّى ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي الْفُلَانِي - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَفَهُ ،
وَعَفْرَهُ لِكُلِّ مُذْنِبٍ مَا أَسْلَفَهُ - أَنْ يُكْتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابُ بِمَا عُنِيَ لَهُ عَنْهُ وَحُفِرَ
لَهُ وَدُفِنَ ، وَأَصْبَحَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ مُرْتَبِنٍ ، وَدُفِنَ لَهُ فِيهِ دَفْنُ الْعَرَبِ ، وَقُطِعَ فِي التَّذْكَرِ
لَهُ أَرْبُ كُلِّ [ذِي] أَرْبٍ ، وَدُرِسَ فِي الْقُبُورِ الدَّوَارِسُ ، وَغُيِبَ مَكَانُهُ فِيمَا طُمِرَ
فِي اللَّيَالِي الدَّوَامِيسَ .

وسبيل كل واقف على هذا الكتاب - وهو المجتهد على من وقف عليه ، أو بلّغه
خبره ، أو سمعه أو وضع له أثره - أن يتناسى هذه الوقائع ، ويتخذها فيما تَصَمَّتْ
الأرض من الودائع ، ولا يذكر منها إلا ما اقتضاه حلمنا الذي يؤمن معه التلف ،
وعفونا الذي شيل وعفا الله عما سلف .

قال في "التعريف" : ولم أكن رأيت شيئاً من هذا ولا وجدته مسطوراً إلا في كتابة
"التعريف" . قال : والذي اعتقده أنه لم يكتب به قط ، وإنما الرجل بسعة
فضله وقصبيته ، أراد أن يرتب هذه النسخة لاحتمال أن يؤمر بكتابة شيء من
هذا المعنى ، فلا يتهدى الكاتب إلى ما يكتبه . ثم قال : على أنه كثر فيها ذكر
السلطان مرتين ، والثالثة قال : رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ، فهي على غير نحو من النظام
المعهود والمصطلح المعروف ، بحكم أن فيها أيضاً توسعاً كثيراً في العبارة والألفاظ
التي تؤدي كلها معنى واحداً . قال : وكان الأولى بنا اختصار ذلك وعدم كتابته ،
لكننا أردنا التنبيه على ما أشار إليه ، ليكون هذا الكتاب مستوعباً لجميع ما ذكر ،
مما يستعمل ومما لا يستعمل .

قلتُ : ما قاله في "التثقيف" كلامٌ ماقطٌ صادرٌ عن غير تحقيق ، فإنه لا يلزم من عدم اطلاعه على شيءٍ كتب في هذا المعنى ولا سطر فيه أن لا يكون مسطوراً لأحدٍ في الجملة . وماذا عسى يبلغ اطلاع المطالع فضلاً عن غيره ؟ وإن كان صاحبُ "التعريف" هو الذي أبتر ذلك ، كما أشار إليه في "التثقيف" فنعمت السجية الآتية بمثل ذلك مما لم يسبق إليه . وأما إنكاره تكرير ذكر السلطان فيها ، فلا وجه له بعد انتظام الكلام وحسن ما أتى به في "التعريف" سواء كان فيه مبتكراً أو متبعاً أو منترماً له من الأصل السابق .

وأحسن ما يكتب في ذلك في تأمين العربان : لأنه إنما أخذ عنهم ، فإذا صدر إليهم شيء يعرفونه ويحرقون على قواعدهم التي يلقونها ، تلقوه بالقبول ، وأطمأنت إليه قلوبهم ، ووقع منهم أجل موقع ، وبالله المستعان .

الباب الثالث

من المقالة التاسعة

(فيما يكتب في عقد الذمة ، وما يتفرع على ذلك ؛ وفيه فصلان)

الفصل الأول

في الأصول التي يرجع إليها هذا العقد ، وفيه طرفان

الطرف الأول

(في بيان رتبة هذا العقد ، ومعناه ، وأصله من الكتاب والسنة ،

وما يتخبرط في سلك ذلك)

أما رتبته ، فإنه دون الأمان بالنسبة إلى الإمام . وذلك أنه إنما يقرره بعوض يأخذه منهم ، بخلاف الأمان .

وأما معناه ، فقد قال الغزالي في " الوسيط " : إنه عبارة عن التزام تقريرهم في ديارنا ، وحياتهم ، والذب عنهم ببذل الحزبية أو الإسلام من جهتهم .

وأما الأصل فيه : فن الكتاب قوله تعالى ﴿ قَالُوا الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ . بفصل الحزبية غاية ما يطلب منهم ، وهو دليل تقريرهم بها .

ومن السنة ما ورد « أن النبي صلى الله عليه وسلم حين وجه معاذ بن جبل إلى اليمن . قال : إنك ستريد على قوم معظمهم أهل كتاب فأعرض طيهم الإسلام ،

فَإِنْ آمَنُوا فَأَعْرِضْ عَلَيْهِمُ الْجَزِيَّةَ وَخُذْ مِنْ كُلِّ حَالِمٍ دِينَارًا ، فَإِنْ آمَنُوا فَأَقْتُلْهُمْ
بِقَوْلِ الْقَتْلِ بَعْدَ الْاِمْتِنَاعِ عَنْ آدَاءِ الْجَزِيَّةِ يَدُلُّ عَلَى تَقَرُّرِهِمْ بِهَا أَيْضًا .
وقد قرر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصارى الشام بإيالتهم على
شروط اشترطوها في كتاب كتبوا به إليه ، مع زيادة زادها .

قال الإمام الحافظ جمال الدين أبو صادق محمد ، ابن الحافظ رشيد الدين
أبي الحسين يحيى ، بن علي ، بن عبد الله القرشي في كتابه الموسوم ”بالزبد المجموعه ،
في الحكايات والأشعار والأخبار المسموعة“ : أخبرنا الشيخ الفقيه أبو محمد عبد العزيز
ابن عبد الوهاب بن إسماعيل الزهرى المالكى وغير واحد من شيوخنا إجازة ،
قالوا : أنبأنا أبو الطاهر إسماعيل بن مكى بن إسماعيل الزهرى ، قال : أخبرنا
أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى قراءة عليه ، قال : أخبرنا قاضى القضاة
الدامغانى ، أخبرنا محمد ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد الحنجى فيما قرأت
عليه ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن عمر بن زياد الأعرابى بمكة سنة أربعين وثلاثمائة ،
أخبرنا محمد بن إسحق أبو العباس الصفار ، أخبرنا الربيع بن تغلب أبو الفضل ، أخبرنا
يحيى بن عتبة بن أبى العيزار عن سفيان الثورى ، والوليد بن رَوْح ، والسرى بن
مصرف ، يذكرون عن طلحة بن مصرف ، عن مسروق ، عن عبد الرحمن بن غنم ،
قال : كتبت لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« هَذَا كِتَابٌ لِعَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ نَصَارَى مَدِينَةِ كَذَا وَكَذَا »
« إِنَّكُمْ لِمَا قَدَّمْتُمْ عَلَيْنَا سَأَلْنَاكُمْ الْإِمَانَةَ لَا نَفْسِنَا وَذَرَارِينَا وَأَمْوَالِنَا »
« وَأَهْلٍ مِلَّتِنَا ، وَشَرَطْنَا لَكُمْ عَلَى أَنْفُسِنَا أَنْ لَا تُنْخِثَ فِي مَدِينَتِنَا »

«ولا فيما حَوْلَهَا قَلْبَةً^(١) ولا صَوْمَعَةً رَاهِبٍ، ولا تُجِدَدَ مَا حَرِبَ مِنْهَا : دِيرًا»
«ولا كَنِيسَةً، ولا تُحْفَى مَا كَانَ مِنْهَا فِي خِطَطِ الْمُسْلِمِينَ، ولا تَمْنَعُ كَنَائِسُنَا»
«أَنْ يَتَزَلَّهَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ لَيَالٍ نَطْعُمُهُمْ، ولا تُؤْوَى فِي مَنَازِلِنَا»
«ولا كَنَائِسُنَا جَاسُوسًا، ولا نَكْتُمُ غَشًّا لِلْمُسْلِمِينَ، ولا نُعَلِّمُ أَوْلَادَنَا الْقُرْآنَ»
«ولا نُظْهِرُ شَرْكَاءَ، ولا نَدْعُو إِلَيْهِ أَحَدًا، ولا نَمْنَعُ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِنَا»
«الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَأَنْ نُوقِرَ الْمُسْلِمِينَ وَنَقُومَ لَهُمْ فِي مَجَالِسِنَا»
«إِذَا أَرَادُوا الْجُلُوسَ، ولا نَنْشَبَهُ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ لِبَاسِهِمْ : فِي قَلَنْسُوءٍ»
«ولا عِمَامَةٍ ولا تَعْلِينَ ولا فَرْقِ شَعْرٍ، ولا نَتَكَلَّمُ بِكَلَامِهِمْ، ولا نَتَكَلَّمِي»
«بِكَلَامِهِمْ، ولا تَرْكَبُ السُّرُوجَ، ولا نَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ، ولا نَخِذُّ شَيْئًا مِنْ»
«السِّلَاحِ، ولا نَحْمِلُهُ مَعَنَا، ولا نَنْقُشُ عَلَى خَوَاتِمِنَا بِالْعَرَبِيَّةِ، ولا نَبِيعُ الْخُمُورَ»
«وَأَنْ نَحْزِمَ مَقَادِمَ رُءُوسِنَا، وَأَنْ نَلْزِمَ دِينَنَا حَيْثُ مَا كُنَّا، وَأَنْ نُسَدَّ زَنَايِرَنَا»
«عَلَى أَوْسَاطِنَا، وَأَنْ لَا نُظْهِرَ الصَّلِيبَ عَلَى كَنَائِسِنَا، ولا كُتُبَنَا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ ولا أَسْوَاقِهِمْ، ولا نَضْرِبَ بِنَوَاقِيسِنَا فِي كَنَائِسِنَا»
«إِلَّا أَضْرِبًا خَفِيفًا، ولا نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا بِالْقِرَاءَةِ فِي كَنَائِسِنَا وَلَا فِي شَيْءٍ»
«مِنْ حَضْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، ولا نَخْرُجُ سَعَانِينَ ولا بَاعُوثًا، ولا نَرْفَعُ»
«أَصْوَاتَنَا مَعَ مَوْتَانَا، ولا نُظْهِرَ النِّيرانَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ»

(١) القلعة هي التي يقال لها القلابة . وهي من بيوت عبادتهم . والساعين عيد لهم قبل عيدهم الكبير
بأسبوع . والباعوث عيدهم كالاستسقاء عندنا . انظر لسان العرب .

«ولا أسواقهم، ولا تجاورهم بموتانا، ولا نتخذ من الرقيق ما يجرى عليه»
 «سبهم المسلمين، ولا نطلع عليهم في منازلهم» .
 قال عبد الرحمن : فلما أتيت عمر بالكتاب زاد فيه :

«ولا نضرب أحدا من المسلمين . شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل»
 «مِلَّتِنَا، وقِلَّتِنَا عليه الأمان . فإن نحن خالفنا عن شيء مما شرطناه»
 «لكم وصمنا على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل لكم منا ما يحل لأهل»
 «المعاندة والشقاق» .

وفي رواية له من طريق أخرى «أن لا نتحدث في مدينتنا ولا فيما حورها»
 «ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب» .

وفيها : — «وأن لا تمنع كائنا أن ينزلها أحد في ليل ولا نهار، وأن»
 «نوسع أبوابها للسارية وابن السبيل» .

وفيها : — «وأن ننزل من مر بنا من المسلمين ثلاثة أيام نطعمه» .

وفيها : — «وأن لا نظهر صليبا أو نجسا في شيء من طرق المسلمين»
 «وأسواقهم» .

وفيها : — «وأن نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم» .

قال أبو صادق المقدم ذكره : وما ذكره أهل التاريخ أن الحاكم الفاطمي
 أمر اليهود والنصارى إلا الجبارة بلبس العائم السود، وأن يحمل النصارى في أعناقهم

من الصُّلبان ما يكونُ طولُهُ ذراعًا ووزَنُهُ نحمةً أرطالٍ ؛ وأن تحملَ اليهودُ في أعناقِهِم قَرَامِي الخَشَبِ على وَزْنِ صُلبانِ النَّصارَى ، وأن لا يركبُوا شيئًا من المراكبِ المُحَلَّاةِ ، وأن تكونَ رُكْبُهُم من الخَشَبِ ، وأن لا يَسْتخدِمُوا أحدًا من المسلمين ، ولا يركبُوا حمارًا لمُكَّارٍ مُسلمٍ ، ولا سَفِينَةً نُوتِيها مسلمٌ ؛ وأن يكونَ في أعناقِ النَّصارَى - إذا دخلوا الحِمَامَ - الصُّلبانُ ، وفي أعناقِ اليهودِ الجَلَّاجِلُ : لِيُمَيِّزُوا بها من المسلمين ، وأفردَ حماماتِ اليهودِ والنَّصارَى عن حماماتِ المسلمين ونُهِوا عن الاجتماعِ مع المسلمين في الحِمَامَاتِ ، وخطَّ على حماماتِ النَّصارَى صُورَ الصُّلبانِ ، وعلى حِمَامَاتِ اليهودِ صُورَ القَرَامِي .

قال : وذلك بعد الأربعمئة . ثم قال : ولقد أحسنَ فيما فَعَلَ بِهِم ، عفا الله عَنَّا وعنهُ ، ورزقنا من يَنْظُرُ في أمورنا وأُمُورِهِم بِالْمَصْلَحَةِ .

الطرف الثاني

(في ذِكْرِ ما يَحتاجُ الكَاتِبُ إلى معرفته في عَقْدِ الذَّمَّةِ)

وأعلمُ أنَّ ما يَحتاجُ الكَاتِبُ إليه من ذلك يَرجعُ إلى ثمانية أمور :

الأمر الأول - فيمن يجوزُ أن يتَوَلَّى عَقْدَ الذَّمَّةِ من المسلمين . ويختصُّ ذلك بالإمام أو نائِبِهِ في عَقْدِهَا ؛ وفي آحادِ الناسِ خِلافٌ ، والأَرْجَحُ أَنَّهُ لا يَصحُّ مِنْهُ لَأَنَّهُ من الأُمُورِ الكُلِّيَّةِ ، فيحتاجُ إلى نَظَرٍ واجتهادٍ .

الأمر الثاني - معرفة من تُعَدُّ لَهُ الذَّمَّةُ . ويشترطُ في المقعودِ لَهُ : التَّكْلِيفُ والدُّكُورَةُ والحُرِّيَّةُ . فلا تُعَدُّ لَصَبِيٍّ ولا جُنُونٍ ولا أَمْرَأَةٍ ولا عَبْدٍ ، بل يكونون تَبَعًا ، حتَّى لا تَجبَ على أَحَدٍ مِنْهُمُ الحِزْيَةُ ؛ وفيمن ليس أَهْلًا لِلقِتَالِ : كالشَّيخِ الكَبِيرِ

والزَّيْنِ خِلافٌ، والأصحُّ صحَّةُ عَقْدِهَا لَهُ . ويعتبر في المعقود له أيضا أن يكون زاعِمَ التَّمَسُّكِ بِكِتَابٍ : كاليهودى يزعم تَمَسُّكَهُ بِالتَّوْرَةِ، والنَّصْرَانِ يزعم تَمَسُّكَهُ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ جميعاً، وفي التَّمَسُّكِ بِغَيْرِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ : كصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَزَبُورِ دَاوُدَ خِلافٌ والأصحُّ جَوَازُ عَقْدِهَا لَهُ . وكذلك المَجُوسُ ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ » . وَالسَّامِرَةُ إِنِ وافقتْ أَصُولُهُمْ أَصُولَ الْيَهُودِ ، عُدَّتْ لَهُمْ وَالْأَفْلَا . وكذلك الصَّابِئَةُ إِنِ وافقتْ أَصُولُهُمْ أَصُولَ النَّصَارَى ، وَلَا يُعْقَدُ لِزَيْنِدِيِّ ، وَلَا عَائِدٍ وَتَنِيٍّ ، وَلَا مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَالْكَوَاكِبَ . ثم إِذَا كَلَّتْ فِيهِ شُرُوطُ الْعَقْدِ فَلَا بُدَّ مِنْ قَبُولِهِ الْعَقْدَ . وَلَوْ قَالَ : قَرَّرْنِي بِكَذَا فَقَالَ : قَرَّرْتُكَ صَحَّ . وَلَوْ طَلَبَهَا طَالِبٌ مِنَ الْإِمَامِ وَجِبَّتْ إِجَابَتُهُ .

الأمر الثالث — معرفة صيغة العقد : وهى ما يدل على معنى التقرير من الإمام أو نائبيه، بأن يقول : أَقَرُّتُكُمْ أَوْ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الْإِقَامَةِ فِي دَارِنَا عَلَى أَنْ تَبْدُلُوا كَذَا وَكَذَا وَتَقَادُوا لِحُكْمِ الْإِسْلَامِ .

الأمر الرابع — المدة التى يُعْقَدُ عَلَيْهَا . ويعتبر فيها أن تكون مطلقةً بأن لَا يَقْدَرُهَا بِاتِّهَاءٍ ، أَوْ بِمَا شَاءَ الْمَعْقُودُ لَهُ مِنَ الْمُدَّةِ . وَلَا تَجُوزُ إِضَافَةُ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَةِ الْإِمَامِ ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ عَقْدِهَا الدَّوَامُ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَقَرُّكُمْ مَا أَقَرُّكُمْ اللَّهُ » إِنَّمَا وَرَدَ فِي الْمُهَادَنَةِ لَا فِي عَقْدِ الذِّمَّةِ .

الأمر الخامس — معرفة المكان الذى يَقْرَءُونَ فِيهِ . وهو ماعدا الحِجَازَ ، فَلَا يَقْرَءُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ بِلَادِ الْحِجَازِ : وهى مَكَّةُ ، وَالْمَدِينَةُ ، وَالْيَمَامَةُ ، وَغَائِلُهَا يَعْنَى قُرَاهَا : كَالطَّائِفِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَكَّةَ ، وَخَيْرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الْقُرَى وَالطَّرِيقَ الْمُتَخَلِّلَةَ بَيْنَهَا . وَيُمنَعُونَ مِنَ الْإِقَامَةِ فِي بَحْرِ الْحِجَازِ ، بِخِلَافِ رُكُوبِهِ لِلسَّفَرِ . وَلَيْسَ لَهُمْ دُخُولُ حَرَمِ مَكَّةَ لِإِقَامَةِ وَلَا غَيْرِهَا ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا

السَّجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا) . فلو تعدى أحد منهم بالدخول ومات ودُفِن في الحرم ، يُنَشِّ وَأُتْرَج منه ما لم يَتَقَطَّعْ ، فان تَقَطَّعَ تُرِكَ . وقيل : تُجْمَعُ عِظَامُهُ وتُخْرَج . وعليه يدلُّ نصُّ الشافعي رضي الله عنه في الأم .

الأمر السادس — معرفة ما يلزم الإمام لهم بعد عقد الذمة . إذا عقد لهم الإمام الذمة فينبغي أن يكتب أسماءهم ودينهم وحلائمهم ، وينصب على كلِّ جمع صريفاً : لمعرفة من أسلم منهم ، ومن مات ومن بلغ من صبيانهم ، ومن قدم عليهم أو سافر منهم ، وإحضارهم لأداء الجزية ، أو شكوى من تعدى الذمُّ عليه من المسلمين ونحو ذلك ؛ وهذا العريف هو المعبر عنه في زماننا بالديار المصرية بالخاص . ثم يجب الكف عنهم بأن لا يتعرض متعرض لأفئسهم ولا أموالهم ، ويضمن ما أنلف منها ، ولا تُراقُ نُمُورهم إلا أن يُظهروها ، ولا تُتلفُ خنازيرهم إذا أخفوها ، ولا يُعتون التردد إلى كائسهم . ولا ضمان على من دخل دار أحد منهم فأراق نَمْرَه وإن كان مُتَعَدِّياً بالدخول ، وأوجب أبو حنيفة عليه الضمان . ويجب ذب الكفار عنهم ماداموا في دارنا ، بخلاف ما إذا دخلوا دار الحرب .

الأمر السابع — معرفة ما يُطلب منهم إذا عقد لهم الذمة . ثم المطلوب منهم ستة أشياء :

منها - الجزية : وهي المال الذي يبدلونه في مُقابلة تقريرهم بدار الإسلام . قال الماوردي في "الأحكام السلطانية" : وهي مأخوذة من الجزاء : إما بمعنى أنها جزاء لتقريرهم في بلادنا ، وإما بمعنى المُقابلة لهم على كفرهم .

وقد اختلف الأئمة في مقدارها : فذهب الشافعي رضي الله عنه إلى أنها مقدرة الأقل ، وأقلها دينار أو اثنا عشر درهما تُقره في كلِّ سنة على كلِّ حاليٍّ ، ولا يجوز

الاقتصار على أقل من دينار، وغير مقدرة الأكثر، فتجوز الزيادة على الأقل برضا المعقود له . ويستحب للإمام المأكسة : بأن يزيد عليهم بحسب ما يراه . ونقل ابن الرقعة عن بعض أصحاب الشافعي أنه إذا قدر على العقد غاية لم يجز أن ينقص عنها . ويستحب أن يفوت فيها : فيأخذ من الفقير ديناراً، ومن المتوسط دينارين، ومن الغني أربعة دنانير .

وذهب أبو حنيفة إلى تصنيفهم ثلاثة أصناف : أغنياء، يؤخذ منهم ثمانية وأربعون درهماً . وأوساط، يؤخذ منهم أربعة وعشرون درهماً . وفقراء، يؤخذ منهم اثنا عشر درهماً . فجعلها مقدرة الأقل والأكثر، ومنع من اجتهاد الإمام ورأيه فيها .

وذهب مالك إلى أنه لا يتقدر أقلها ولا أكثرها، بل هي موكولة إلى الاجتهاد في الطرفين .

ومنها - الضيافة : فيجوز للإمام بل يستحب أن يشترط على غير الفقير منهم ضيافة من يربهم من المسلمين زيادة على الجزية ، ويستبرذ كرمدة الإقامة ، وأن لا تزيد على ثلاثة أيام ، وكذلك يستبرذ كرمدة الضيفان من قرسان ورجالة ، وقدر طعام كل واحد وأدمه ، وقدر العليق وجنس كل منهما، وجنس المترل .

ومنها - الاتقياد لأحكامنا، فلوترافعوا إلينا أمضينا الحكم بينهم برضا خصم واحد منهم، ونحكم بينهم بأحكام الإسلام .

ومنها - أن لا يركبوا الخيل . ولم أن يركبوا الجير بالأكف عرساً : بأن يجعل الراكب رجليه من جانب واحد . وفي البقال النفيسة خلاف : ذهب الغزالي وغيره إلى المنع منها والراجع الجواز، إلا أنهم لا يتخذون الجمل المحلاة بالنهب والفصة .

ومنها - أن يُترُكوا المسلمين صَدَرَ المجلس وصَدَرَ الطريق . وإن حصل في الطريق ضيقٌ [أَلْحُوا] إلى أَصْبَحِهِ . ويُمْنَعُونَ من حَمْلِ السِّلَاح .

ومنها - التمييز عن المسلمين في اللباس : بأن يَحْطُوا في ثيابهم الظاهرة ما يخالف لَوْنَهَا ، سواءً في ذلك الرجال والنساء . والأول باليهود الأصفر ، والنصارى الأزرق والأكْهَبُ (وهو المعبُود بالرمادي) والمجوسى الأسود والأخضر . ويشُدُّ الرجال منهم الزَّناز من غير الحرير في وَسْطِهِ ، وتُسَدُّ المرأة تحت إزارها ، وقيل قَوْقه . ويمَيِّزُونَ ملابسهم عن ملابس المسلمين ، وتُغَارِ المرأة لون خُفِّها : بأن يكون أحدهما أبيض والآخَرُ أَسْوَدَ ، ونحو ذلك . ويحفل في عُنُقِهِ في الحَمَامِ جُجُلًا أو خَاتَمًا من حَدِيدٍ . وإن كان على رأس أحدهم شَعْرٌ أَمْرٌ يَجَزُّ ناصيته . ويمْنَعُونَ من إرسال الضَّفَائِرِ كما تفعل الأشراف . ولم يلبس الحرير والعامة والعُلَيسان . والذي عليه عُرِفَ زماننا في التمييز أن اليهود مطلقا تلبس العائم الصفرة ، والنصارى العائم الزرق ، ويركبون الحمير على البراذع ، ويثني أحدهم رجله قَدَامَهُ ، وتختص السامرة بالشام بلبس العامة الحمراء ، ولا تُمَيِّزُ بتأدونه الآن سوى ماقدنتاه .

ومنها - أنهم لا يرفعون ما يثبته على [بيان] جيرانهم من المسلمين ، ولا يساوونه به ولو كان في غاية الانخفاض ، ويُمْنَعُ من ذلك وإن رضى الجار المسلم ، لأن الحق للدين دون الجار ، وله أن يرفع ما بناه بحلّة متصلة عن أبنية المسلمين . ولو اشترى بناءً عاليًا بقي على حاله ، فلو أنه لم يكن له الرفع على المسلم ولا المساواة .

ومنها - أنهم لا يُحْدِثُونَ كنيسة ولا بيعة فيما أحدثه المسلمون من البلاد : كالبحرة ، والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة ، ولا في بلد أسلم أهلها عليها : كالمدينة واليمن . فإن أحدثوا فيها شيئًا من ذلك هُضِمَ ، ثم يترك ما وجد منها ولم يعلم حاله :

لاحتمال اتصال العمارات به . وكذلك لا يجوز إحداث الكائس والبيع فيما فُتح عنوة ، ولا إبقاء القديم منها لحصول الملك بالاستيلاء . أما ما فُتح صلحا بخراج على أن تكون الرقبة لهم ، فيجوز فيها إحداث الكائس وإبقاء القديمة منها ، فإن الأرض لهم . وإن فُتحت صلحا على أن تكون لنا : فإن شرط إبقاء القديمة بقيت وكائنهم استثنوا . ويجوز لهم إعادة المتهمة منها ، وتطمين خارجها دون توسيعها .

الأمر الثامن — معرفة ما ينتقص به عهدهم .

ويُنْتَقَضُ بأمور :

منها — قتال المسلمين بلا شبهة ، ومنع الجزية ، ومنع إجراء حُكْمنا عليهم ؛ وكذا الزنا بمُسْلمة أو إصابتها باسم نكاح ، والإطلاع على عورات المسلمين وإنهاؤها لأهل الحرب ، وإيواء جاسوس لهم ، وقطع الطريق ، والقتل الموجب للقصاص ، وقذف مُسلم ، وسب نبي جَهرًا ، وطعن في الإسلام أو القرآن إن شرط عليهم الانتقاص والإفلا . أما لو أظهر ببلد الإسلام الخمر أو الخنزير أو الناقوس أو معتقه في عَزِير والمسيح عليهما السلام أو جنازة لهم أو سقى مسلمًا خمرًا فإنه يُعزَّر .

الفصل الثاني

من الباب الثالث من المقالة التاسعة

(ما يكتب في مُتعلّقات أهل النِّمّة [عند خروجه] عن لوازم عَقْد النِّمّة)

وأعلم أنه ربّما نخرج أهل النِّمّة عن لوازم عَقْد النِّمّة ، وأظهروا التميّز والتّكبر وعلوّ البناء ، إلى غير ذلك مما فيه مخالفة الشروط ، فيأخذ أهل العَدَل : من الخلقاء والملوك في قعهم والنّص منهم وحطّ مقاديرهم ، ويكتبون بذلك كُتُباً ويبيعون بها إلى الآفاق ليعمل بمقتضاها ، غصّاً منهم وحطّاً لقديرهم ، ورفعة لدين الإسلام وتثريفاً لقديره ، إذ يقول تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ .

وهذه نُسخة كُتِبَ كُتِبَ به عن المتوكّل على الله حين حجّ ، سمع رجلاً يدعو عليه ، فهم بقتله ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما قُلتُ ما قُلتُ إلّا وقد أبغنت بالقتل ، فاستمع مقالِي ثم مرّ بقتلي ، فقال : قُل ! - فشكا إليه استِطالة كُتَاب أهل النِّمّة على المسلمين في كلام طويل ، فخرج أمره بأن تلبس النصارى واليهود ثياب السلي ، وأن لا يُمَكَّنُوا من لبس البياض كي لا ينتشبهوا بالمسلمين ، وأن تكون رُكُوبهم خشباً ، وأن تُهدم بيَعهم المستحجة ، وأن تُطلق عليهم الجزية ، ولا يُسمح لهم في دخول حمامات خدّمها من أهل الإسلام ، ولا يستخدموا مسلماً في حوائجهم لنفوسهم ، وأُفردهم بمن يحسب عليهم . وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " : أن المتوكّل أوّل من أزمهم ذلك ، وهي :

أما بعد، فإن الله أصطفى الإسلام ديناً فشرّفه وكرّمه، وأناره ونصره وأظهره،
وفضّله وأكمله؛ فهو الدين الذي لا يقبل غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ
دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. بعث به صفيّه وخيرته من
خلقه: محمداً صلى الله عليه وسلم، فجعله خاتم النبيّين، وإمام المتّقين، وسيد المرسلين:
﴿لَنُنْزِلَنَّ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. وأنزل كتاباً: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. أسعد به أمته، وجعلهم خير
أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله: ﴿وَلَوْ آمَنَ
أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. وأهان الشرك
وأهله، ووضعهم وصغرهم وقمعهم وخذلهم وتبرأ منهم، وضرب عليهم الذلّة والمسكنة،
فقال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
وَهُمْ صَاحِرُونَ﴾. واطّلع على قلوبهم، وخبث سرائرهم وضمايرهم، فنبه عن أثنائهم،
والتقى بهم: لعداوتهم للساميين، وغشهم وبغضائهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَصَيْتُمْ قَدْ بدتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ
أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. وقال
تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرِيدُونَ
أَنْ تَجْعَلُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾. وقال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.
وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأى لهم ولا روية يستعينون بأهل الذمة في أفعالهم ، ويخسئونهم بهانة من دون المسلمين ، ويسلبونهم على الرعية ، فيعسفونهم ويسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشهم والعدوان عليهم . فأعظم أمير المؤمنين ذلك ، وأنكره وأكبره ، وتبرأ منه ، وأحب التقرب إلى الله بحسبه وانتهى عنه ؛ ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأصاير ، وولاية الثغور والأجناد ، في ترك استعمالهم لأهل الذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم ، والإشراف لهم في أماناتهم ، وما قلدهم أمير المؤمنين وأستحفظهم إياه ، إذ جعل في المسلمين الثقة في الدين ، والأمانة على إخوانهم المؤمنين ، وحسن الرماية لما أسترعاهم ، والكفاية لما استكفوا ، والقيام بما حملوا بما أغنى عن الاستعانة [بأحد] من المشركين بالله ، المكذبين برسله ، الجاحدين لآياته ، الجاعلين معه إلهاً آخر ، ولا إله إلا هو وحده لا شريك له ، وربما أمير المؤمنين - بما ألهمه الله من ذلك ، وقذف في قلبه - جزيل الثواب ، وكرم المآب ؛ والله يعين أمير المؤمنين على نيته على تعزيز الإسلام وأهله ، وإزالة الشرك وحزبه .

فلتعلم هذا من رأي أمير المؤمنين ، ولا تستعين بأحد من المشركين ، وأنزل أهل الذمة منازلهم التي أنزلهم الله بها . فاقراً كتاب أمير المؤمنين على أهل أعمالك وأشعه فيهم ، ولا يعلم أمير المؤمنين أنك استعنت ولا أحد من عمالك وأعوانك بأحد من أهل الذمة في عمل الإسلام .



وفي أيام المقتدر بالله ، في سنة ثمان وتسعين ومائتين ، عزّل كتاب النصاري وعمّالهم ، وأمر أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة حتى أمر بقتل ابن ياسر النصرائي حامل يونس الحاجب ، وكتب إلى عماله بما أنسخته :

عَوَانِدُ اللَّهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُوفِي عَلَى غَايَةِ رِضَا وَنِهَايَةِ أَمَانِيهِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُظْهِرُ عِصْيَانَهُ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ عِقْلَةً لِلْأَنَامِ ، وَبَادَرَهُ بِعَاجِلِ الْأَصْطِلَامِ : (وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ أَنْتِقَامٍ) . فَمِنْ نَكْتٍ وَطَنَى وَبَنَى ، وَخَالَفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَالَفَ مَعْدَا صِلَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَسَعَى فِي إِفْسَادِ دَوْلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَاجِلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِسَطْوَتِهِ وَطَهَّرَ مِنْ رَجِيحِهِ دَوْلَتَهُ (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

وَقَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَرْكِ الْأَسْتَعَانَةِ بِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ ، فَلْيَحْذَرِ الْعَمَالُ تَجَاوُزَ أَوْامِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَوَاهِيهِ .



وَفِي أَيَّامِ الْأَمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ الْفَاطِمِيِّ بِالْDIAR الْمَصْرِيَّةِ ، أَمْتَدَّتْ أَيْدِي النَّصَارَى ، وَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ بِالْخِيَانَةِ ، وَتَفَتَّنُوا فِي أَذَى الْمُسْلِمِينَ وَابْصَالِ الْمَضَرَّةِ إِلَيْهِمْ . وَاسْتُعْمِلَ مِنْهُمْ كَاتِبٌ يَعْرِفُ بِالرَّاهِبِ ، وَلَقَّبَ بِالْأَبِ الْقَدِيسِ ، الرَّوْحَانِي النَّفِيسِ ، أَبِي الْآبَاءِ ، وَسَيِّدِ الرُّؤَسَاءِ ، مُقَدِّمِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ ، وَسَيِّدِ الْبَرَكِيَّةِ ، صَفَى الرَّبِّ وَمُخْتَارِهِ ، وَثَلَاثَ عَشَرَ الْحَوَارِيِّينَ . فَصَادَرَ اللَّعِينُ عَامَّةً مِنَ الْDIAR الْمَصْرِيَّةِ : مِنْ كَاتِبٍ وَحَاكِمٍ وَجُنْدِيٍّ وَعَامِلٍ وَتَاجِرٍ ، وَأَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ . نَفَقَهُ بَعْضُ مَشَائِخِ الْكُتَّابِ مِنْ خَالِقِهِ وَبَاعِيَتِهِ وَمُحَاسِبِهِ ، وَحَدَّرَهُ مِنْ سُوءِ عَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ ، وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِتَرْكِ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِهَلَاكِهِ . وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ كُتَّابِ مِصْرَ وَقِطِطَهَا فِي تَجْلِيلِهِ ، فَقَالَ مُحَاطِبًا لَهُ وَمُسَمِّعًا لِلْجَمَاعَةِ : نَحْنُ مُلَّاكُ هَذِهِ الدِّيَارِ حَرْنَا وَخَرَاجَا ، مَلِكُهَا الْمُسْلِمُونَ مَنَا ، وَتَغَلَّبُوا عَلَيْهَا وَغَضَبُوهَا ، وَأَسْتَمْلِكُوهَا مِنْ أَيْدِينَا ، فَتَحْنُ مَهْمَا فَعَلْنَا بِالْمُسْلِمِينَ فَهُوَ قُبَالَةً مَا فَعَلْنَا بِنَا ، وَلَا يَكُونُ لَهُ نِسْبَةٌ إِلَى مَنْ قُتِلَ مِنْ رُؤَسَائِنَا وَمُلُوكِنَا فِي أَيَّامِ الْفُتُوحِ ، بِجَمِيعِ مَا نَأْخُذُهُ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِ

مُلُوكِهِمْ وَخُلَفَائِهِمْ حُلٌّ لَنَا ، وَهُوَ بَعْضُ مَا نَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِذَا حَمَلْنَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنِ
الْمِنَّةُ لَنَا عَلَيْهِمْ ، وَأَنْشُدُ :

بِنتِ كَرِيمٍ يَتَمَوَّهَا أُمُّهَا * وَأَهَانُوهَا قَدِيسَتْ بِالْقَدَمِ
ثُمَّ عَادُوا حَكَمُوهَا بَيْنَهُمْ * وَيَلَهُمْ مِنْ فِعْلِ مَظْلُومٍ حَكَمٌ

فاسمحس الحاضرون من النصاري والمنايين ما سيموه منه ، واستعادوه ، وعَضُوا
عليه بالنواجذ ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّ الَّذِي أَحْطَا عَلَيْهِ قَلَمُ اللَّعِينِ مِنْ أَمْلَاكِ الْمُسْلِمِينَ
مَاتَا أَلْفَ وَاثْنَيْنِ وَسِيعُونَ أَلْفًا ، وَمَاتَا دَارَ وَحَاوِيَةٍ وَأَرْضَ بِأَعْمَالِ الدَّوْلَةِ ، إِلَى أَنْ
أَعَادَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا أَبُو عَلِيٍّ بْنُ الْأَفْضَلِ ؛ وَمِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُخْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مِنْ رَقَدَتِهِ ، وَأَفَاقَ مِنْ سَكْرَتِهِ ، وَأَدْرَكْتَهُ الْحَيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، وَالْفَيْرَةُ
الْمُحَمَّدِيَّةُ ؛ فَغَضِبَ اللَّهُ غَضَبَةً نَاصِرٍ لِلدِّينِ ، وَتَأْيِيزٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَالْبَسَ أَهْلَ الذِّمَّةِ الْغِيَارَ ،
وَأَتَزَلَمَ بِالْمَثَرَةِ الَّتِي أَمَرَهُ أَنْ يُتَرَلَّوْا بِهَا مِنَ الذَّلِّ وَالصَّغَارِ ؛ وَأَمَرَ أَنْ لَا يُؤَلَّوْا شَيْئًا
مِنَ أَعْمَالِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يُنْشَأَ فِي ذَلِكَ كِتَابٌ يَقِفُ عَلَيْهِ الْخَالِصُ وَالْعَامُّ .
وَهَذِهِ نُسْخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْبُودِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ، وَالْحُجُبِ دَعَاءَ مَنْ يَدْعُو بِأَسْمَائِهِ ؛ الْمُسْتَفْرِدِ
بِالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ ، الْمُتَوَحِّدِ بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ؛ هَدَى الْعِبَادَ بِالْإِيمَانِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَوَقَّعَهُمْ فِي الطَّاعَاتِ
لِمَا هُوَ أَتَقَرُّ زَادٌ فِي الْمَعَادِ ؛ وَتَفَرَّدَ بِعِلْمِ النُّبُوبِ فَعَلِمَ مِنْ كُلِّ عَبْدٍ إِضْمَارَهُ كَمَا عَلِمَ
تَصْرِيمَهُ (يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ) . الَّذِي شَرَّفَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَعَظَّمَهُ ، وَقَفَّى بِالْعَمَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ لِمَنْ أَتَمَّاهُ
وَيَمَّمَهُ ، وَقَفَّلَهُ عَلَى كُلِّ شَرِيعٍ سَبَقَهُ وَعَلَى كُلِّ دِينٍ تَهَنَّمَهُ ؛ فَتَصَرَّ وَخَدَّلَهَا ، وَأَشَادَهُ

وَأَنخَلَهَا ، وَرَفَعَهُ وَوَضَعَهَا ، وَأَطْلَعَهُ وَضَمَّعَهَا ؛ وَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ دِينًا سِوَاهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَقَالَ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وَشَهِدَ بِهِ بِنَفْسِهِ ، وَأَشْهَدَ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأَوَّلَى الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ خُلَاصَةُ الْأَنَامِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلَى الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ .

وَلَمَّا آرَتْضَاهُ لِعِبَادِهِ وَأَتَمَّ بِهِ نِعْمَتَهُ ، أَكَلَهُ لَمْ وَأَظْهَرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَأَوْضَحَهُ إِیْضًا حَاقِبِنَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

وَقَرَّبَ بِهِ بَيْنَ أَوْلِيَائِهِ وَأَعْدَائِهِ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ ، وَأَهْلِ الْبَنَى وَالرَّشَادِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ أَحْسَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ .

وَأَمَرَ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ فَقَالَ وَبَقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وَهِيَ وَصِيَّةُ إِمَامِ الْخُفَاءِ لِبَنِيهِ وَإِسْرَائِيلَ : ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَشَهِدَ عَلَى الْخَوَارِجِ عِدَّةَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ الشَّاهِدُ الْأَمِينُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وأمر تعالى رسوله أن يدعو أهل الكتاب إليه، ويُشهد من تولى منهم بأنه عليه؛
 فقال تعالى وقوله الحق المين : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وصلَّى الله على الذي رفعه باصطفائه إلى محله المنيف ، وبعثه للناس كافة بالدين
 القيم الحنيف .

أما بعد ، فإن الله سبحانه ببالغ حكمته ، وتأنيع نعمته ، شرف دين الإسلام
 وطهره من الأذناس ، وجعل أهله خير أمة أخرجت للناس ؛ فالإسلام الدين القويم
 الذي أصطفاه الله من الأديان لنفسه ، وجعله دين أنبيائه ورسله وملائكته قدسه ؛
 فازدناه واختاره ، وجعل خير عبادِه وخاصتهم هم أوليائه وأنصاره ؛ يحافظون على
 حدوده ويثابرون ، ويدعون إليه ويدكرون ، ويحافون ربهم من فوقهم ويفعلون
 ما يؤمرون ، فهم بآيات ربهم يؤمنون ، وإلى مرضاته يسارعون ؛ ولمن خرج عن
 دينه مجاهدون ، ولعباده بمجهدهم ينصحون ، وعلى طاعته مثابرون ، وعلى صلواتهم
 يحافظون ، وعلى ربهم يتوكلون ، وبالأخرة هم يوقنون : ﴿ وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

هذا وإن أمة الله هداها إلى دينه القويم ، وجعلها - دون الأمم الجاحدة - على
 صراط مستقيم ، توفي من الأمم سبعين ، هم خيرها وأكرمها على رب العالمين - حقيقة
 بأن لا نوالى من الأمم سواها ، ولا نستعين بمن حاذ الله خالفه ورآقه وعبد من دونه
 إلها ، وكذب رسله ، وعصى أمره وأتبع غير سيّله ، واتخذ الشيطان ولياً من دونه
 الله ؛ ومعلوم أن اليهود والنصارى مؤسسون بغضب الله ولعنته ، والشرك به والجحد

لَوْحَدَانِيَّتِهِ ؛ وقد فرض الله على عباده في جميع صلواتهم أن يسألوا هِدَايَةَ سَبِيلِ
الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ : مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، وَيُجَنَّبَهُمْ سَبِيلَ
الَّذِينَ أَبْغَضَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَطَرَدَهُمْ عَنْ جَنَّتِهِ ؛ فَبَاءُوا بِغَضَبِهِ وَلَعْنَتِهِ : مِنَ الْمَغضُوبِ
عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ .

فَالْأَمَةُ الْغَضَبِيَّةُ هُمُ الْيَهُودُ بَنَصِّ الْقُرْآنِ ، وَأَمَةُ الضَّلَالِ هُمُ النَّصَارَى الْمُتَلَتَّةُ عِبَادُ
الصُّلْبَانِ ؛ وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الْيَهُودِ بِأَنَّهُمْ بِالذَّلَّةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالْغَضَبِ مَوْسُومُونَ ،
فَقَالَ تَعَالَى : (ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ أَيَّمَا ذُلِّهَا لِيُخَفُّوا إِلَّا بِحِيلٍ مِنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِنَ النَّاسِ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الْمَسْكِنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) .

وَأَخْبَرَ بِأَنَّهُمْ بَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُفْتَرِينَ ، فَقَالَ : (لَيْسَ
مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيَّ أَنْ يَقْرَأَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) .

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَعَنَهُمْ وَلَا أَصَدَقَ مِنَ اللَّهِ قَيْلاً ، فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا قَدَرَدَهَا عَلَى
أَذْيَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا) .

وَحَكَمَ سُبْحَانَهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حُكْمًا تَرْتَضِيهِ الْعُقُولُ ، وَيَتَقَاهُ كُلُّ مُنْصِفٍ
بِالْإِذْعَانِ وَالْقَبُولِ ، قَالَ : (قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ
اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا
وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) .

وأخبر عما أحلّ بهم من العقوبة التي صاروا بها مثلاً في العالمين ، فقال تعالى :
 ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ
 بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

ثم حكم عليهم حكماً مستميراً عليهم في الدار الآخرة والأعقاب ، على تمر السنين
 والأحقاب ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيُعَذِّبُنَّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن
 يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ . فكان هذا العذاب في الدنيا
 بعض الاستحقاق : ﴿ وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴾ . وأنهم أنجس
 الأئمة قلوباً وأخبثهم طويّة ، وأزدهم بغيّة ، وأولاهم بالعذاب الأليم ، فقال :
 ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴾ . وأنهم أمة أخيانة لله ورسوله ودينه وكتابه وعباده المؤمنين ، فقال :
 ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وأخبر عن سوء ما يسمعون ويقبلون ، وخبيث ما يأكلون ويحسون ، فقال تعالى :
 ﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ اعْزُضْ عَنْهُمْ
 وَإِن تُعْزِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرَّوكَ شَيْئًا وَإِن حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وأخبر تعالى أنه لعنهم على ألسنة أنبيائه ورسله بما كانوا يكسبون ، فقال :
 ﴿ لَمَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَٰئِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا
 عَصَوْا وَكَانُوا يَسْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَىٰ
 كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن يَخِطِّ اللَّهُ عَلَيْهِم
 وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ ﴾ .

وقطع الموالاة بين اليهود والنصارى وبين المؤمنين، وأخبر أن من تولاهم فإنه منهم في حُكِّه المدين، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّاصِرَةَ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ .

وأخبر عن حال متولّهم بما في قلبه من المرض المؤدى إلى فساد العقل والدين، فقال: ﴿قَرَأَ آيِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَادِمِينَ﴾ .

ثم أخبر عن جُحُوط أعمال متولّهم ليكون المؤمنُ لذلك من الحذرين، فقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ .

ونهى المؤمنين عن اتِّخاذ أعدائه أولياء، وقد كفروا بالحق الذي جاءهم من ربهم، وإنهم لا يمتنعون من سوء ينالونهم به بأيديهم وألسنتهم إذا قدرُوا عليه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَقُونَ إِلَهُكُمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ جِهَانًا فِي سَبِيلِ وَاتِّعَاءِ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَهُكُمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ . إِنْ يَتَفَقَّهُوا يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ .

وجعل سبحانه لعباده المسلمين أسوة حسنة في إمام الحُفَاءِ ومن معه من المؤمنين، إذ تبرا ممن ليس على دينهم امتثالا لأمر الله، وإيثارا لمرضاته وما عنده،

فقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴾ . وَبَرًّا سُبْحَانَهُ مِمَّنْ آتَمَّذُ الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ فقال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُخَذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

فمن ضروب الطاعات إهانتهم في الدنيا قبل الآخرة التي هم إليها صائرُونَ ، ومن حقوق الله الواجبة أخذ جزية رُعوسهم التي يُعطونها عن يَدِهِمْ صَاعِرُونَ ، ومن الأحكام الدينية أن يَمَّ جَمِيعُ الْأُمَّةِ إِلَّا مَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ بِاسْتِخْرَاجِهَا ، وَأَنْ يُتَمَدَّ فِي ذَلِكَ سَبِيلُ السَّنَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَمِنْهَاجِهَا ، وَأَنْ لَا يُسَاحَ بِهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَوْ كَانَ فِي قَوْمِهِ عَظِيمًا ، وَأَنْ لَا يُقْبَلَ إِرسَالُهُ بِهَا وَلَوْ كَانَ فِيهِمْ زَعِيمًا ، وَأَنْ لَا يُجْبَلَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يُوَكَّلَ فِي إِخْرَاجِهَا عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤَحِّدِينَ ، بَلْ تُؤْخَذُ مِنْهُ عَلَى وَجْهِ النَّذْلَةِ وَالصَّغَارِ ، إِعْزَازًا لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِيهِ وَإِذْلَالًا لَطَائِفَةِ الْكُفَّارِ ، وَأَنْ تُسْتَوْفَى مِنْ جَمِيعِهِمْ حَقُّ الْأَسْتِيفَاءِ ، وَأَهْلُ خَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّوَاءِ .

وَأَمَّا مَا ادَّعَاهُ الْجَبَّارَةُ مِنْ وَضْعِ الْجَزْيَةِ عَنْهُمْ بِمَهْدٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ ذَلِكَ زُورٌ وَهَيْثَانُ ، وَكَذِبٌ ظَاهِرٌ يَعْرِفُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ؛ لَعَقَهُ الْقَوْمُ الْبُهْتُ وَزَوْرُوهُ ، وَوَضَعُوهُ مِنْ تَلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ وَمَقْوَاهُ ، وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يَخْفَى عَلَى النَّاقِذِينَ ؛ أَوْ يَرُوجُ عَلَى عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكْشِفَ حُمَالِ الْمُبْطِلِينَ ، وَافْكَ الْمُفْتَرِينَ ؛ وَقَدْ تَطَاهَرَتِ السَّنُّ وَصَحَّ الْخَبَرُ بِأَنْ خَيْرٌ فِصْحَتُ عَنَوَةٍ ، وَأَوْجَفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى إِجْلَالِهِمْ عَنْهَا كَمَا أَجَلَى إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا ذَكَّرُوا أَنَّهُمْ أَعْرَفُ بِسَقْيِ تَحْلِيلِهَا وَمَصَالِحِ أَرْضِهَا ، أقرَّهم فيها

كالأجرائه وجعل لهم نصف الأرتفاع، وكان ذلك شرطاً ميبناً، وقال : « تُقرُّكم فيها ماشئنا » ، فأقر بذلك الجباية صاغرين ، وأقاموا على هذا الشرط في الأرض عاملين ، ولم يكن للقوم من الدمام والحرمه ، ما يُوجب إسقاط الجزية عنهم دون من عداهم من أهل الذمه ؛ وكيف ؟ وفي الكتاب المشحون بالكذب والمين ، شهادة سعد ابن معاذ وكان قد توفى قبل ذلك بأكثر من سنتين ، وشهادة معاوية بن أبي سفيان ، وإنما أسلم عام الفتح بعد خير سنة ثمان ؛ وفي الكتاب المكذوب أنه أسقط عنهم الكلف والسخر ، ولم تكن على زمان خلفائه الذين ساروا في الناس أحسن السير .

ولما أئسست رقة الإسلام ، ودخل فيه الخالص والعام ، وكان في المسلمين من يقوم بعمل الأرض وسقى النخل ، أجلي عمر بن الخطاب اليهود من خير بل من جزيرة العرب حتى [قال] : لا أدع فيها إلا مسلماً .



وفي شهر رجب سنة سبعائة وصل إلى القاهرة المحروسة وزير صاحب المغرب حاجاً ، فأجتمع بالملك الناصر « محمد بن قلاوون » ونائبه يومئذ الأمير سلا ، فحدث الوزير معه ومع الأمير بيبرس الجاشنكير في أمر اليهود والنصارى ، وأنهم عندهم في غاية الذلة والهوان ، وأنهم لا يمكن أحد منهم من ركب الخيل ولا الاستخدام في الجهات الديوانية ، وأنكر حال نصارى الديار المصرية ويهودها بسبب لبسهم أنحر الملابس ، وركوبهم الخيل والبغال ، واستخدامهم في أجل المناصب ، وتعميمهم في رقاب المسلمين ، وذكر أن عهد نبيهم أنقضى من سنة ستمائة من الهجرة النبوية ، فأثر كلامه عند أهل الدولة ، لاسيما الأمير بيبرس الجاشنكير ، فأمر بجمع النصارى واليهود ، ورسم أن لا يُستخدم أحد منهم في الجهات السلطانية ، ولا عند

الأمراء ، وأن تُقَرَّ عمامتهم : فليس النَّصارَى المَهمَّ الزُّرق ، وتُسَدُّ في أوساطهم الزانير ، وليس اليهود المَهمَّ الصُّفَر ويذقوا ^(١) في البيع في إبطال ذلك فلم يُقبل منهم ، وعُلِّقَت الكُتُيبُ بِمِصر والقاهرة ، وتُمرَّت أبوابها ، ففعل بهم ذلك ، وألزموا بأن لا يركبوا إلا الحَمِير ، وأن يُلَفَّ أحدهم إحدى رجليه إذا ركب ، وأن يَقْصُر بنائهم المجاور للمسلمين عن بناء المسلم . وكُتِبَ بذلك إلى جميع الأعمال ليعمل بمقتضاه ، وأسلم بسبب ذلك كثير منهم ؛ وأليس أهل الذمة بالشام : النَّصارَى الأزرق ، واليهود الأصفر ، والسامرة الأحمر .

ثم عُدوا إلى المباشرات بعد ذلك ، فانتدب السلطان الملك « الصالح صالح » ابن الملك الناصر في سنة خمس وخمسين وسبعائة لمتهم من ذلك ، وألزمهم بالشروط العميرية ، وكتب بذلك مرسوماً شريعافاً وبعث بنسخته إلى الأعمال فقُرئت على متابر الجوامع .

وهذه نُسخته - صورة ما في الطُرة :

« مرسومٌ شريفٌ بأن يعتمد جميع طوائف اليهود والنصارى والسامرة : بالديار المصرية ، والبلاد الإسلامية المحروسة وأعمالها ، حكم عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لمن مضى من أهل ملتهم : وهو أن لا يُجدثوا في البلاد الإسلامية ديراً ولا كنيسة ولا صومعة راهب ، ولا يُجدثوا ما حُرِبَ منها ، ولا يؤوَّ جاسوساً ولا من فيه رية لأهل الإسلام ، ولا يكتُموا غشاً للمسلمين ، ولا يعلموا أولادهم القرآن ، ولا يظهروا شركاً ، ولا يتعنوا ذوى قرابة من الإسلام إن أرادوه ، ولا يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ؛ ويلبسون الفِيار الأزرق والأصفر ، وتُمنع نساؤهم

(١) يبايض في الأصل في غير نسخة والكلام غير ملئم ولعل الأصل « المَهمَّ الصفر فالتوا في السى في إبطال ذلك » الخ .

من التَّشَبُّه بنساء المسلمين ، ولا يركبوا سَرَجًا ، ولا يتقلَّدوا سَيْفًا ، ولا يركبوا الخيل ولا البغال ، ويركبون الحمير بالأُكُفِّ عَرَضًا ، ولا يبيعوا الخُجُور ، وأن يلزموا زِيَّهم حيث كانوا ، وَيُسُدُّوا زَنَانِيهم غير الحرير على أوساطهم ؛ والمرأة البارزة من النصاري تلبس الإزار الكُكَّان المصبوغ أزرق ، واليهودية الإزار الأصفر ؛ ولا يدخل أحدٌ منهم الحمام إلا بعلامة تُمَيِّزه عن المسلمين في عُقْبِهِ : من حَاتَمَ حَدِيدٍ أَوْ رَصَاصٍ أَوْ غَيْر ذلك ؛ ولا يعلوا على المسلمين في البناء ولا يُساوُوهم ، بل يكونون أدوَنَ منهم ؛ ولا يضربوا بالناقوس إلا ضَرْبًا خَفِيًّا ، ولا يرفعوا أصواتهم في كَلَامِهِم ، ولا يَحْمِلُوا في دولتنا الشريعة - ثَبَّتَ الله قواعدها - ولا عند أحدٍ من أمرائها - أعزَّهم الله تعالى - ولا يَلَوُّوا وَظِيفَةً يَمَلُّو أمرهم فيها على أحدٍ من المسلمين ؛ وأن يُحْمَلَ الأمرُ في موارِيث مَوْتَاهُمْ على حُكْمِ الشريعةِ الشريفةِ المحمديةِ ، وتوقع عليهم الحَوَاطَةُ الدِّيوانيةُ أَسْوَأُ مَوْتَى المسلمين ؛ وأن لا يدخل نِسْوَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ الحِمَامَاتِ مع المسلمات ، ويُحْمَلُ لهنَّ حِمَامَاتٌ تُخَصَّنَ يَدْخُلْنَها ، عملاً في ذلك بما رَجَّحه علماء الشَّرعِ الشَّريفِ ، على ما شَرَحَ فيه .

ونصّه بعد البَسْمَلَةِ الشَّريفة .

الحمد لله الذى بَصَّرَ سُلْطَانَنَا الصَّالِحَ ، بِاعْتِمَادِ مَصَالِحِ الدِّينِ والدُّنْيَا ، وَيَسَّرَ لِرَأْسِنَا الرَّاجِحِ ، تَوْفِيرَ التَّوْفِيقِ إِثْبَاتًا وَنَفْيًا ، وَتَحْوِيلَ التَّحْقِيقِ أَمْرًا وَنَهْيًا ؛ وَقَهَرَ بِأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ ، مِنْ رَامَ نَكْثَ الْعَهْدِ وَهَضَّ الذِّمَامَ ، بِتَعَدَّى الْحُدُودِ عُذْوَانًا وَبَغْيًا ، وَجَسَرَ عَلَى اقْتِحَامِ ذُنُوبٍ عِظَامٍ ، يُحِيلُ به في الدَّارَيْنِ عَذَابًا وَنِجَا ، وَتَكْفُلُ لِلأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَى بِالسَّعَادَةِ السَّرمِديَّةِ الَّتِي لَا تَنْتَاهِي وَلَا تَنْتَهِي ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا .

نحمده أَنْ أَحْبَبَ فِكْرَنَا رَشَدًا وَأَذْهَبَ بِأَمْرِنَا غَيًّا ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْ جَبَرَ بِأَحْكَامِ
 الْعَدْلِ لِلْإِيْمَانِ وَهَنَا وَآثَرِ لَذْوَى الْبُهْنَانِ بِالْإِسْتِقَامِ وَهِيَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
 وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ ، قَرَدٌ صَمَدٌ ، خَلَقَ وَرَزَقَ وَأَنْشَأَ وَأَقْتَى وَأَمَاتَ وَأَحْيَا ،
 وَتَقَدَّسَ وَتَجَمَّدَ عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، وَأَوْجَدَ عَيْسَى بْنَ مَرْيَمَ كَمَا أَوْجَدَ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ
 شَيْئًا وَجَعَلَهُ عَبْدًا صَالِحًا نَبِيًّا زَيْكًا ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا عِمْدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَنْزَلَ
 عَلَيْهِ مَعَ الرُّوحِ الْإِيمَانِ قُرْآنًا وَوَحْيًا ، وَأَسْتَأْصِلُ بِهِ شَافِقَةَ الْكُفَّارِ وَأَنْزَلَ بِهِمُ مِنَ
 الْأَخْطَارِ الدَّاهِيَةِ الدَّعْيَا ، وَأَتَّبَعَ مِلَّةَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي أَرَى الصَّدَقَ وَصَدَقَ الرُّؤْيَا ،
 وَجَمَعَ اللَّهُ بِهِ السَّنَاتَ فَهَدَى قُلُوبًا غُلْفًا وَأَسْمَاعًا صُمًّا وَأَبْصَارًا عُْمِيًّا ، وَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ،
 وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فُبَشِّرَى لِمَنْ وَفَّقَ مِنْ أَمْنِهِ فُرُوقَ لِحُكْمَيْهِ وَوَحْيًا ، وَرَفَعَ
 الضَّلَالَةَ ، وَرَدَّ الضَّالَّةَ ، وَأَجْمَلَ لِلْعَهْدِ حِفْظًا وَلِلدِّمَامِ رَعْيًا ، وَنَسَخَتْ شَرِيعَتُهُ
 الشَّرَائِعَ ، وَسَدَّتِ الدَّرَائِعَ ، وَتَمَحَّضَتْ عَلَى التَّجْوِمِ الطَّوَالِعَ ، نَهَى أَسْمَى مِنْهَا رِفْعَةً
 وَأَتَمَّى عَدَدًا وَأَسْنَى هُدْيًا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فُرُوجِ الزَّهْرَاءِ الَّذِينَ عُنُوا بِقَوْلِهِ
 تَعَالَى : ﴿ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ أَشْرَعَ سَفِيًّا ،
 خُصُوصًا صِدِّيقَهُ وَرَفِيقَهُ فِي الْمَمَاتِ وَفِي الْحَيَا ، وَمَنْ أَسْتَخْلَفَهُ فِي الصَّلَاةِ عَنْهُ
 إِمَارَةً إِلَى أَنَّهُ أَحَقُّ لِرُبَّةِ الْخِلَافَةِ بِالرُّقْيَا ، وَمَنْ فَرَّقَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ وَوَافَقَ الْفُرْقَانُ لَهُ
 رَأْيًا ، وَيَسِّرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَيَّامِهِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْقُتُوحَاتِ مَا لَا أَتَقَفُّ لغيرِهِ وَلَا تَهَيَّا ،
 وَذَا النُّورَيْنِ الَّذِي قَطَعَ اللَّيْلَ تَسْيِيمًا وَقُرْآنًا وَأَحْيَا ، وَأَسْتَحْيَتْ مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ
 لِمَا مِنْ اللَّهِ أَسْتَحْيَا ، وَعَلَى الصَّهْرِ وَأَبْنِ الْعَمِّ الْمُجَاهِدِ الزَّاهِدِ الَّذِي طَلَّقَ ثَلَاثًا الدَّارَ
 الْغَانِيَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بُقْيَا ، وَسَرَّهَ لِمَا قَضَى عَلَى الرِّضَا تَحَبُّهُ ، فَوَجَدَ الْأَجْبَةَ : عِمْدًا
 وَحُزْبَهُ ، وَحَدَّ الْحَقَّاقِ وَالْقُلِّيَا ، وَعَلَى تِمَّةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ الْأَبْرَارِ ، وَبَقِيَّةِ الْمُهَاجِرِينَ

والأنصار، رحمةٌ تُدِيمُ لمُضَاجِعِهِمْ صَوْبَهَا الدَّارَ الشَّقِيَاءَ ، صلاةً وإِفِرَةً الأَفْصَامِ سَافِرَةً الْقِسْبَاتِ بِإِهْرَةِ الْحَيَاءِ ، وَسَلْمٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

أما بعدُ ، فأحكامُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ أَوَّلَى بِوُجُوبِ الْإِتِّبَاعِ ، وَذِمَامُ الدِّينِ الْحَنِيفِ يُبْرِئُ مَنْ عَصَى ، وَيُجِيرُ مَنْ أَطَاعَ ، وَحُرُمَاتُ الْمِلَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَحَقُّ بِأَنْ تَحْفَظَ فَلَا تُضَاعَ ، وَمِنَ الْمِهْمَاتِ الَّتِي تُصَرَّفُ إِلَيْهَا الْمِهْمَةُ ، وَيُرْهَفُ لَهَا حَدُّ الْعَزْمَةِ ، وَتُقَامُ عَلَى مَتَعَدِّي حُدُودِهَا بِالْإِسْتِثْنَاءِ الْخِزْيَةِ ، أَعْتَابُ أَحْوَالِ الْمِلَّتَيْنِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ الَّذِينَ حَقَّنَ مِنْهُمْ الدِّمَاءَ حُكْمُ الْإِسْلَامِ ، وَسَكَنَ عَنْهُمْ الدِّهْمَاءَ مَا أَلْتَمَوْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، مَعَ الْقِيَامِ بِالْخِزْيَةِ فِي كُلِّ عَامٍ ، وَسَلَمُوا لِأَوَامِرِ الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي لَوْلَا الْإِقْبَادُ إِلَيْهَا وَالِاسْتِسْلَامُ ، لَأُتْخِمَ فِي نُحُورِهِمْ حَدُّ الْحَسَامِ . فَهَمَّ تَحْتَ قَهْرِ سُلْطَانِ الْإِيمَانِ سَائِرُونَ ، وَلِأَمْرِ دِينِ الْحَقِّ الَّذِي نَسَخَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْأَدْيَانَ صَائِرُونَ ، وَهَمَّ الْمُعَيَّنُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ .

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى بِيْرَكَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَتَحَ مِنَ الْبِلَادِ ، وَاسْتَرْجَعَ بِأَيْدِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ الْعَادِيَةِ كَثِيراً مِنَ الْأَمْصَارِ ، وَاسْتَعَادَ ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهَا كَانَتْ لِلْفَتْحِ مَوَاسِمَ ، وَبِالْمَنْجِ بَوَاسِمَ ، وَتَنَظَّافَتْ فِيهَا لِلْسَّالِمِينَ غَرَائِرُ الْعَزَائِمِ ، الَّتِي أَعَادَتْ هَزْأَهَا الْكُفَّارُ بِحُزُونِ ذُبُولِ الْمَزَائِمِ - عَقْدَ أَمْرَاؤِهِ الْفَاتِحِينَ لَهَا بِأَمْرِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ - لِأَهْلِ الْكِتَابِ عَهْداً ، وَحَدَّثُوا لَهُمْ مِنَ الْأَدَابِ حَدّاً لَا يَحْوِزُ أَنْ يَتَعَدَّى ، وَلَمْ تَزَلْ الْخُلَفَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ وَالْمُلُوكُ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ يُجَدِّدُونَهَا ، وَبِالْمَحَافِظَةِ وَالْمُلَاحَظَةِ يَتَمَهَّدُونَهَا ، وَآخِرُ مَنْ أَلْزَمَهُمْ أَحْكَامُهَا الْعَادِلَةُ ،

وَعَصَمَهُمْ بِذِمَّتِهَا الَّتِي هِيَ لَهُمْ مَا اسْتَقَامُوا بِالسَّلَامَةِ كَافِلُهُ ؛ وَالدُّنَا السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ
 « الْمَلِكُ النَّاصِرُ » نَاصِرُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ ، سَقَى اللَّهُ تَعَالَى عَهْدَهُ عَهْدَ الرَّحْمَةِ ، وَلَقِيَ نَفْسَهُ
 الْخَيْرَ لِنُصْرِهِ الْأُمَّةَ ؛ فَإِنَّهُ - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - جَدَّدَ لَهُمْ فِي سَنَةِ سَبْعِمِائَةِ لِيَاسَ الْغِيَارِ ،
 وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ بِأَسَاسِ النَّكَالِ وَالْإِنْكَارِ ؛ وَعَقَدَ لَهُمْ ذِمَّةَ بِهَا الْأَعْتِبَارِ ، وَسَطَّرَ فِي الصَّحَائِفِ
 مِنْهَا شُرُوطًا لَهُمْ بِالْتِزَامِهَا لِإِفْرَارِ ؛ وَبِأَحْكَامِهَا أَمَكْنَهُمْ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ الْأَسْتِقْرَارَ ؛
 وَخَذَلَ الْفِئَتَيْنِ الْمُفْتَرِيتَيْنِ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) .

وَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ تَمَادَوْا عَلَى الْإِفْتِرَارِ ، وَتَمَادَوْا إِلَى الضَّرِّ وَالْإِضْرَارِ ؛
 وَتَنَزَّجُوا بِالتَّكْبَرِ وَالْاِسْتِكْبَارِ ، إِلَى أَنْ أَظْهَرُوا التَّزْيُّنَ أَكْثَمَ إِظْهَارَ ، وَخَرَجُوا عَنْ
 الْمَعْهُودِ فِي تَحْسِينِ الزُّنَانِ وَالشُّعَارِ ، وَعَتَوْا فِي الْبِلَادِ وَالْأَمْصَارِ ، وَأَتَوْا مِنَ الْفَسَادِ
 بِأُمُورٍ لَا تُطَاقُ بِكَارِ .

وَلَمَّا وَضَّحَ عِنْدَنَا مِنْهُمْ الْاِسْتِمْرَارُ عَلَى ذَلِكَ وَالْإِضْرَارِ ، أَنْكَرْنَا عَلَيْهِمْ أَشَدَّ إِنْكَارَ ،
 وَرَأَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ فِيهِمْ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ، وَأَيْدِنَا [إِلَّا مَعَامَلَتِهِمْ]
 بِأَحْكَامِ الْمِلَّةِ الْحَمْدِيَّةِ الَّتِي كَمَ لَهَا عَلَى الْمِلَّتَيْنِ الْعِيسَوِيَّةِ وَالْمُوسَوِيَّةِ مِنْ مَنَّةٍ ، وَأَذَنَّا لِلَّهِ
 تَعَالَى لَنَا هَذِهِ الْحَسَنَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ جَمَلَةِ الْفَتْوحَاتِ الَّتِي يَفْتَحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا لَنَا فِي الدُّنْيَا
 أَبْوَابَ السَّعَادَةِ وَفِي الْآخِرَةِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ؛ فَاسْتَفْتَيْنَا فِي أَمْرِهِمُ الْمَجَالِسَ الْعَالِيَةَ حُكَّامَ
 الشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَأَقْنَعْنَاهُمْ بِأَقْوَالِ مَذَاهِبِهِمُ الْمُحَرَّرَةِ ، الَّتِي لَنَا بِهِنَّهَا إِلَى إِصَابَةِ
 الصُّوَابِ تَبَيُّرُهُ ؛ وَعَقَدْنَا لَهُمْ مَجْلِسًا بِدَارِ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ ، وَالزَّمَانِ أَحْكَامَ أَهْلِ
 الذِّمَّةِ الَّتِي بَالَتْزَامِ أَوَائِلِهِمْ لَهَا جَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ هَذَا التَّكْلِيفِ ؛ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ بِالْعَهْدِ
 الَّذِي نَسَّوْهُ ، وَأَبْهَسْنَا مِنْ تَوْبِ الْمَوَانِ الَّذِي لَيْسُوا [وَ] لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الزَّمَانُ زَعَمُوهُ
 وَلَمْ يَلْبَسُوهُ ؛ وَأَجْرَيْنَا عَلَيْهِمُ الْآنَ شُرُوطَهُ الْمَضْبُوطَةَ ، وَقَوَائِنَهُ الَّتِي هِيَ مِنَ التَّبْدِيلِ

والتغيير محوطه؛ فن جاوزها، فقد شاقق الشريعة الشريفة وبارزها؛ ومن خلفها، فقد عاند الملة الإسلامية وواقفها؛ ومن صدف عن سبلها وتكبتها، فقد أقرت الكجائر وأرتكبتها؛ وحظرنا عليهم أن يحصل أحد منهم له بالمسلمين شبا، وصيرنا عليهم الذلة التي ضربها الله تعالى عليهم وأوجبها .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الصالحى، الصلاحى - لا زال أمره الممتلئ المطاع، وزجره به عن المآثم امتناع وأرتداع، ورأيه الصالح يريد الإصلاح ما استطاع - أن يتمد جميع طوائف النصارى واليهود والسامرة بالديار المصرية وجميع بلاد الإسلام المحروسة وأعمالها : من سائر الأقطار والآفاق، ما أخذ على سالفهم في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من أكيد العهد وثيق الميثاق :

وهو أن لا يحدثوا في البلاد الإسلامية وأعمالها ديرا ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يحدثوا فيها ما حرب منها، ولا يمتنعوا كائنهم التي عوهوا عليها، وثبت عهدهم لسيا، أن يترك أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يؤوا جاسوسا ولا من فيه ريسة لأهل الإسلام، ولا يكتُموا غشا للمسلمين، ولا يعلّموا أولادهم القرآن، ولا يظهروا شركا، ولا يمتنعوا ذوى قرابة من الإسلام إن أرادوه، وإن أسلم أحد منهم لا يؤذوه ولا يساكنوه، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا من مجالسهم إن أرادوا الجلوس، وأن لا يتشبهوا بشيء من المسلمين في لباسهم قلنسوة ولا عمامة ولا ثعلين ولا فرق شعر، بل يلبس النصارى منهم العمامة الزرقاء عشرة أذرع غير الشعرى (٩) فما دونها، واليهودى العمامة الصفراء كذلك؛ وتمنع نسائهم من التشبه بنساء المسلمين ولبس المآثم، ولا يتسموا بأسماء

المسلمين، ولا يَتَكَبَّرُوا بِكُفَّهِمْ، ولا يَتَلَقَّبُوا بِالْقَابِجِ، ولا يَرْكَبُوا سَرَجًا، ولا يَتَقَدَّسُوا سَيْفًا، ولا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ ولا الْبَقَالَ، ويركَبونَ الحِمِيرَ بِالْأُكُفِّ عَرْضًا من غير تَزْيِينٍ ولا قِيَمَةٍ عَظِيمَةٍ لَهَا، ولا يَتَخَذُوا شَيْئًا من السِّلَاحِ، ولا يَنْقُشُوا خَوَاتِمَهُم بِالْعَرَبِيَّةِ، ولا يَبِيعُوا الْخَمْرَ، وَأَنْ يَحْزُوا مَقَادِمَ رُؤُوسِهِمْ، وَأَنْ يَلْزَمُوا زِيَّهِمْ حَيْثُ مَا كَانُوا، وَيَسْبُتُوا زَنَانِيَهُمْ غير الحرير على أَوْسَاطِهِمْ، والمرأةُ الْبَارِزَةُ من النصارى تَلْبَسُ الْإِزَارَ الْكَثَّانَ الْمَصْبُوغَ أَزْرَقَ، واليهوديةُ الْإِزَارَ الْمَصْبُوغَ أَصْفَرَ، ولا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْهُمْ الْحِمَامَ إِلَّا بِعَلَامَةٍ تَبَيِّرُهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي عُنُقِهِ : من خَاتَمَ نَحَاسٍ أَوْ رَصَاصٍ أَوْ حَرَسٍ أَوْ غير ذلك، ولا يَسْتَعْدِمُوا مَسْلِكًا فِي أَعْمَالِهِمْ، وتَلْبَسُ المرأةُ الْبَارِزَةُ مِنْهُمْ خُفَّيْنِ : أَحَدُهُمَا أَسْوَدُ، وَالْآخَرُ أَيْضٌ، ولا يُجَاوِرُوا الْمُسْلِمِينَ بِمَوْتَانِهِمْ، ولا يَرِفُوا بِنَاءَ قُبُورِهِمْ، ولا يَتَلَوُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْبِنَاءِ، ولا يُسَاوِوهُمْ، ولا يَتَحَلَّلُوا عَلَى ذَلِكَ بِحِمْلَةٍ، بل يَكُونُونَ أَدُونَ مِنْ ذَلِكَ، ولا يَضْرِبُوا بِالنَّاقُوسِ إِلَّا ضَرْبًا خَفِيفًا، ولا يَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ فِي كَانَتِهِمْ، ولا يَتَجَرَّجُوا شَعَانِينَ، ولا يَرِفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ عَلَى مَوَاتِنِهِمْ، ولا يَظْهَرُوا النَّبْرَانَ، ولا يَشْتَرُوا مُسْلِمًا من الرِّقِّ ولا مُسْلِمَةً، ولا مَنْ بَرَثَ عَلَيْهِ سِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، ولا مَنْ مَنَشَّوهُ مُسْلِمٌ، ولا يَهُودُوا ولا يُنَصِّرُوا رَقِيقًا، وَيَحْتَنِبُونَ أَوْسَاطَ الطَّرِيقِ تَوْسِعةً لِلْمُسْلِمِينَ، ولا يَفْتِنُوا مُسْلِمًا عَنِ دِينِهِ، ولا يَدُلُّوا عَلَى عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ . ومن زَنَى بِمُسْلِمَةٍ قُتِلَ، ولا يَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَرْضِ مَوَاتٍ لِلْمُسْلِمِينَ ولا غَيْرِ مَوَاتٍ ولا مُزْدَرَجٍ، ولا يَنْسُبُوهُ لَصَوْمَةٍ ولا كَنِيسَةٍ ولا دَيْرٍ ولا غير ذلك، ولا يَشْتَرُوا شَيْئًا من الْجَلْبِ الرَّقِيقِ ولا يُوَكَّلُوا فِيهِ، ولا يَتَحَلَّلُوا عَلَيْهِ بِحِمْلَةٍ . ومتى خَالَعُوا ذَلِكَ فَقَدْ حَلَّ مِنْهُمْ مَا يَحِلُّ مِنْ أَهْلِ التَّفَاقُقِ وَالْمُعَانَدَةِ .

وَكذلك رَمِمْنَا أَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالسَّامِرَةِ : الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ مِنْهُمْ يَحْتَاطُ عَلَيْهِمْ مِنْ دِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ الْخَشَرِيَّةِ بِالْدِيَارِ الْمُصْرِيَّةِ وَأَعْمَالِهَا وَسَائِرِ

البلاد الإسلامية المحروسة ، إلى أن تُثَبَّتَ وَرَثَتُهُ ما يَسْتَحِقُّونه من ميراثه بِمَقْتَضَى الشَّرْعِ الشريف ، وإذا أُثْبِتُوا ما يَسْتَحِقُّونه يُعْطَوْنهُ بِمُقْتَضَاهُ ؛ وَيُحْمَلُ ما قُضِيَ بعد ذلك لِبَيْتِ المال المعمور ؛ ومن مات منهم ولا وَاَرِثَ له يَسْتَوْعِبُ ، يُحْمَلُ مَوْجُودُهُ لِبَيْتِ المال المعمور ، وَيُجَرَّوْنَ في الحَظَاطَةِ على مَوْتَاهُمْ من دَوَاوِين المَوَارِيثِ وَوُكَلَاءِ بَيْتِ المال المعمور مُجَرَّوْنَ من مَوْتٍ من المسلمين : لِبَيْتِنَّ أَمْرِ مَوَارِيثِهِمْ ، وَيُحْمَلُ الأَمْرُ فيها على حُكْمِ الشَّرْعِ الشريف ، عَمَلًا بِالْفَتَاوَى الشَّرْعِيَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ إِجْرَاءَ مَوَارِيثِ مَوْتَاهُمْ على حُكْمِ الفَرَائِضِ الشَّرْعِيَةِ بِحُكْمِ المِلَّةِ الاسلامِيَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ : من إعطاءِ كُلِّ ذِي قَرَضٍ وَعَصَبِيَّةٍ ما يَسْتَحِقُّهُ شَرَفًا ، من غير مُخَالَفَةٍ ولا آمْتِناعٍ ، ولا مُوَافَقَةٍ ولا دِفَاعٍ ، فَإِنَّ ذلك مما يَتَعَيَّنُ أَنْ يَكُونَ له إِلَى بَيْتِ المال المعمور فيه إِرْجَاعٌ ؛ وَلِتَعْلُقَ حَقُوقُ الْمُؤْمِنِينَ بِذلك ، ولأنه يَبِيدُ حيث تَفِي إلى المسلمين ما يَسْتَحِقُّهُ بَيْتُ المال من مال كُلِّ هَالِكٍ ، ولأنَّ المَطَالِبُونَ بما يَثُولُ إلى مِيرَاثِ المسلمين من ثَرَاتِ أَوْلِيائِهِمْ ، لَتَكُونَ هذه الحَسَنَةُ في صَحَائِقِهَا مُسْطَرَّةً ، وإن كَانَتِ الأَيَّامُ قد تَمَادَتْ عليها ومَعْرِقُهَا نِكَرُهُ ، وَتَعَادَتْ إليها أَيْدِيهِمُ العَادِيَّةُ فَأَخْتَلَسَتْ من الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ القَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ .

وَرَمَيْنَا أَنْ لَا يَخْدَمَ نَصْرَانِيٌّ وَلَا سَامِرِيٌّ وَلَا يَهُودِيٌّ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ ثَبَّتَ اللَّهُ قَوَاعِدَهَا ، وَلَا فِي دَوَاوِينِ المَمَالِكِ المحروسة والأعمال ، وَلَا عِنْدَ أَحَدٍ من أُمَرَائِنَا أَعَزَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا يُبَاشِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَكَالَةً وَلَا أَمَانَةً ، وَلَا مَا فِيهِ تَأَمَّرُ عَلَى المسلمين ، بِحَيْثُ لَا يَكُونُ لَهُمْ كَلِمَةٌ يَسْتَعْلُونَ بِهَا عَلَى أَحَدٍ من المسلمين في أَمْرٍ من الأمور ، قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ نَصًّا وَتَأْوِيلًا ، وَضَمَّنَ حُكْمَهُ في الحال والاستقبال قُرْآنًا وَتَفْسِيرًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَنْ يَحْمِلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ . وَأَوْضَحَ في آجَتَانِهِمُ الثَّقَيْنِ عِلْمَ الْبَقَيْنِ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْعُدُوا الَّذِينَ

أَتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِبَاسًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أُولِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

وقد نهى الله عن مواليتهم وأضاف بسخطه كل نخزي إليهم ، فقال تعالى :
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ .

وقد أذلّم الله جلّ وعزّ لأقربائهم وأجرائهم من كتابه العزيز في مواضع عدّه ، فقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ﴾ . فوجب أن لا يكونوا على الأعمال آمنه ، ولا لأموال نخزته : لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليهود والنصارى خوثة » . وقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : « لا تستعملوا اليهود والنصارى فإنهم أهل رشا في دينهم ولا تحل الرشا » فباعترالم وأحترالم يؤمن من مكّرم وخيائهم ما يفتشى .

ولما قدم عليه أبو موسى الأشعرى من البصرة وكان عامله بها ، دخل عليه المسجد ، وأستاذن لكاثبه وكان نصرانياً ، فقال له أمير المؤمنين عمر : - ولّيت ذمياً على المسلمين ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ هلا آتخذت حنيفياً ؟ - فقال يا أمير المؤمنين : لى كتابته وله دينه ، فانكر أمير المؤمنين عليه ذلك ، وقال : لا أكرّمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلّم الله ، ولا أدينهم إذ أقصاهم الله . - فأتبعنا في صرفهم الكتاب والسنة والأثر ، ومنعنا عن المسلمين - بفّل أيديهم عن المباشرة - الأذى والضرر ، ودفعنا عن أمير المؤمنين من سوء معاشرتهم ما ألبوا له من الأذى مع شرّ معشر .

فليعتمد حكم هذا المرسوم ، الذى هو بالعدل والإحسان مؤسوم ، وليؤخذ في صفائف الثواب يستقر ويستمر ويدوم ؛ وليشع ذكره في الممالك ، وليدع أمره في المسالك ؛ وعلى حكّام المسلمين - أيدهم الله تعالى - وقضائهم ، ومصرفهم

وولائهم ؛ أن يُوقَعُوا بمن تَعَدَّى هذه الحدود ، من النصارى واليهود ، ويردَعُوا
بَسِيفِ الشَّرْعِ كُلِّ جَهُولٍ من أهلِ الجُودِ ، وَيُحْلُوا العَذَابَ بمن حَمَلَهُ العُقُوقُ عَلَى
حَلِّ العُقُودِ ، وَيَذُلُّوا رِقَابَ الكَافِرِينَ بِالْإِذْعَانِ لَأَسْتَخْرَاجِ الحَقُوقِ وَإِخْرَاجِ
الأَصْغَانِ وَالْحُقُودِ .

وقد رَسَمْنَا بأن يُحْمَلَ الأمرُ في هذا المَرْسُومِ الشَّرِيفِ عَلَى حُكْمِ مَا آلَتَزَمَ في المَرْسُومِ
الشَّرِيفِ الشَّهِيدِيُّ النَّاصِرِيُّ المُتَقَدِّمُ ، المُكْتَتَبُ في رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِمِائَةٍ ، المُتَضَمِّنِ
لِلشَّهَادَةِ عَلَى بِطَرَكِي النَّصَارَى الِيعَاقِبَةِ ، وَالْمَلَكِيَّةِ ، وَرَأْسِ الْيَهُودِ بِالتَّحْرِيمِ وَإِبْقَاعِ
الْكَلِمَةِ عَلَى مَنْ خَالَفَ هَذَا الشَّرْطَ الْمَشْرُوطَ وَالْحَدَّ الْمَحْدُودَ ، وَأَنْ لَا يَحْلُوا مَا أَنْبَرَمَ
مِنْ مُحْكَمِ الْعُقُودِ ، فَيَحِلُّ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ سُلْطَانَ الْحَقِّ عَلَى
مَا يَرْجِعُ بِنَفْعِ الْخَلْقِ وَيَعُودُ ، وَيَزِينُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ مُلْكَ الْإِسْلَامِ وَمَمَالِكَ الْوُجُودِ ،
وَيُهِينُ بِبُيُوسِهِ أَعْدَاءَ الدِّينِ ، الَّذِينَ لَهْمُ عَنِ السَّبِيلِ الْمُبِينِ ، صُدُوفٌ وَصُدُودٌ ، وَيَسْلُكُ بِهِ
شِرْعَةَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَمِنْهَاجَهُ : مِنْ إِمَامَةِ الْبَيْتِ وَإِحْيَاءِ السُّنَنِ وَإِدَامَةِ الصُّوْنِ
وإِقَامَةِ الْحُدُودِ ، وَيُهْلِكُ بِسَطْوَتِهِ الْكَافِرِينَ كَمَا هَلَكَ بِدَعْوَةِ صَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مُنُودٌ . وَالْعَاذُ بِالشَّرِيفَةِ أَعْلَاهُ حُجَّةٌ فِيهِ .

تم الجزء الثالث عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع عشر

واقته الباب الرابع من المقالة التاسعة

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين
وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه
وحسبنا الله ونعم الوكيل

(المجلة الاثرية ١٦٩٣/١٩١٨/٢٠٠٠)

